الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران 1 - أحمد بن بلة
كلية العلوم الانسانية
قسم التاريخ وعلم الآثار

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Oran 1 - Ahmed Ben Bella
Faculty of Human Sciences
Department of History and Archaeology

الزّعي في بلاد المغرب القديم

مُنذُ ما قَبلَ التَّاريخ إلى غايةِ نِهايةِ الاحتلالِ الرُّومانيّ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ القديم

إعداد الطالبة:
ليندة ماجي

إشراف الأستاذة الدكتورة:
أم الخير العقون

لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
ستي صندوق	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 1
أم الخير العقون	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة وهران 1
بلقاسم رحماني	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر 2
خالدية مضوي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة معسكر
مختار ناير	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة وهران 1

السنة الجامعية : 2024 -2025



﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
النُّهَىٰ﴾

[سورة طه: 54]

شكروعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات

في لحظة تختلط فيها مشاعر الفخر بالامتنان، يسعدني أن أدوّن كلمات التقدير والعرفان لكل من كان له أثر في مسيرتي العلمية

وتأتي في المقام الأول من أعبّر لها عن خالص شكري، إلى من تركت أثرها الطّيب في نفوس طلبتها، إلى مشرفتي الفاضلة على الأطروحة الأستاذة الدكتورة أم الخير العقون التي نُكنّ لها كلّ الاحترام والتقدير، فكانت لنا مثالًا يحتذى به في الجدية والدّقة المنهجية والاهتمام الصادق والإحتواء الكامل ومصدر إلهام، لقد تعلّمت منها أنّ البحث العلمي ليس مجرّد مسار أكاديمي بل هو التزام بالصّدق والإتقان ومسؤولية علمية وأخلاقية

ولا يفوتني أن أتوجّه بجزيل الشّكر إلى جميع الأستاذات والأساتذة على دعمهم الثّابت ومساعدتهم القيّمة والمتواصلة في مختلف مراحل هذا العمل وفي مقدمتهم أ.د محمد الحبيب بشاري رحمة الله عليه (جامعة الجزائر 2)، أ.د بلقاسم رحماني (جامعة الجزائر 2)، أ.د مقدم بنت النبي (جامعة الجزائر 2)، أ.د صندوق ستي (جامعة وهران 1)، أ.د فريدة منصوري (معهد الآثار –الجزائر)، أ.د جهيدة مهنتل (معهد الآثار- الجزائر)، أ.د أوبراهم جوهر (معهد الآثار –الجزائر)، أ.د بحرة نادية (جامعة قسنطينة)، أ.د نبيهة عوادي (تونس)، أ.د بودرقا الحسن (المملكة المغربية)، أ.د أنيس الحجلاوي (جامعة سوسة - تونس)، أ.د سفيان بن موسى (جامعة سوسة - تونس) ، أ.د سليم سعيدي (جامعة قالمة)، أ.د زهير بخوش (جامعة قالمة) ، أ.د إبراهيم أوشو (فرنسا) ، أ.د هادي فارح (جامعة سوسة - تونس)، أ.د سليم دريسي (معهد الآثار- الجزائر)، أ.د إيدير عمارة (معهد الآثار - الجزائر) ، أ.د مرزوق سيد أمان (جامعة القاهرة - مصر)، أ.د محمد مبروك الذويب (جامعة بنغازي- ليبيا)

وأشكر كذلك القائمين على المركز الوطني للبحوث في ما قبل التّاريخ بالجزائر العاصمة، كما لا أنسى موظّفي مكتبة متحف زبانة وكذلك مركز التوثيق الاقتصادي والاجتماعي (**C.D.E.S.**) بوهران على ما قدّموه من تسهيلات.

وأتقدم بخالص الشّكر إلى جميع أساتذة قسم التّاريخ وعلم الآثار بجامعة وهران وأخصّ بالذّكر أساتذة التّكوين الدّكتورالي الذين كان لهم فضل كبير في صقل معارفنا وبناء شخصيتنا الأكاديمية.

فلهم جميعًا أسمى عبارات الشّكر والتّقدير والامتنان.

الإهداء

إلى روح والدي الغالي الذي غاب جسده لكن لم تغب روحه عنّي، إلى من علّمني الصّبر والإرادة والكرامة، وأسال الله

عز وجلّ أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته

إلى أمي الحبيبة والغالية على قلبي أطال الله في عمرها، فهي نور عيني وسندي في الحياة، وفي كل نجاح هي سرّه وسببه وهي الخير كلّه، فلها منّي كلّ الحبّ والعرفان والامتنان وتبقى تاجًا فوق رأسي

إلى أسرتي الحبيبة، إلى إخوتي وأخواتي والأحفاد الأعزاء وأهلي، فقد كانوا الحصن والسند ومصدر قوتي، حفظهم الله ورعاهم جميعا وجزاهم خير الجزاء عنّي

إلى صديقاتي الحبيبات رفيقات الدّرب، إلى من تقاسمن معي لحظات القلق والإنجاز، وقدّمن لي الدّعم الصّادق، فلهنّ جميعا كل الشّكر والإمتنان والمودّة

إلى زملائي وزميلاتي الذين كانوا بمثابة إخوتي وأخواتي ورافقوني في مرحلة الدكتوراه، فلهم كلّ الإحترام والتّقدير

قائمة المختصرات

Ant. Afr Antiquités Africaines

A.A.R.S Association des amis de l'art rupestre Saharien

B.C.T.H.S Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques

C.N.R.P.A.H Centre algérien de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques.

CNRS Centre National de la Recherche Scientifique

C.I.L. Corpus Inscriptionum Latinarum

Ency – ber Encyclopédie berbère

FAO Organisation des Nations Unies pour l'Alimentation et l'Agriculture

ILAlg Inscriptions Latines de l'Algérie

L.A.P.E.M.O. Laboratoire d'Anthropologie et de préhistoire des pays de la Méditerrannée occidentale

Nrf Nouvelle Revue Française

PNAS Proceedings of the National Academy of Sciences

Rev.Tun. Revue Tunisienne

مقدمة

تُعدّ حرفة الرّعي من أبرز السِّمات التّي ميّزت المجتمعات القديمة وهي انعكاس لتطور تلك المجتمعات، وانتقالها إلى مراحل حضارية متقدِّمة، فبعد أن كانت مجتمعات عماد حياتها الصّيد والجمع، لتنتقل إلى استئناس الحيوانات، ثمّ ممارسة الرّعي على نطاق محدود، ليتوسّع لاحقا إلى نطاقات جغرافية شاسعة، وقد أدّى هذا التّحول إلى ظهور أنماط جديدة من التنظيم، وأكسب الرّعي أهمية اقتصادية، ممّا غيّر من حياة الإنسان البدائي، ودفعه إلى البحث عن المراعي الخصبة ثمّ التّوجه نحو الاستقرار بتوصّله إلى الزّراعة، وهذا يدلّ على التّفاعل الإيجابي بين الإنسان ومحيطه الطّبيعي ثمّ الاجتماعي وبالتّالي تحقيق تراكم حضاري من خلال إنتاج متطور بشكل تدريجي.

وقد ميّزت الدّراسات الحديثة بين الحرفتين، حيث نجد مجتمعات ظلّت تمتهن الرّعي كوسيلة عيش أساسية حتّى أنّ بعضها لا يزال يمارس هذه الحرفة إلى غاية اليوم، وفي المقابل نجد أنّ هناك مجموعات أخرى انتقلت إلى مراحل حضارية متقدّمة وزاوجت بين الرّعي والزّراعة، وعملت على إيجاد تكامل بين هذين النّشاطين.

ومع تطور هذه الدراسات أصبح من الممكن فهم الرعي ليس فقط كنشاط اقتصادي، بل كجزء من منظومة اجتماعية وثقافية متكاملة، ومن المثير للانتباه أنّ دراسة الحيوانات لم تقتصر حاليا على التّخصصات العلمية فقط بل تجاوزت ذلك وامتدّت إلى علوم متنوعة بما في ذلك التّاريخ والفلسفة والدِّين، ويعكس هذا التَّوجه فهمًا أكثر شمولية للعلاقة بين الإنسان والحيوان.

وعليه اتضحت لنا أهمّية دراسة موضوع الرّعي في بلاد المغرب القديم، وهو العمليّة التي ساهمت في التّطور الحضاري للإنسان المغربي القديم، فمن خلاله تَمكَّن من تأمين مصادر غذائه بشكل مستدام، ولم يكن الرّعي مجرّد نشاط اقتصادي بل كان جزءا من بنية المجتمع المغربي وثقافته، وكان له دور بارز في تّطوره الحضاري عبر العصور.

وبناء على ذلك ارتأينا دراسة موضوع الرّعي في كلّ البلاد المغاربية نظرا لنقص المادّة العلمية الخاصّة بأجزاء محددة من هذه المنطقة، ممّا استوجب مِنّا جمع وتحليل المادّة العلمية من مختلف الأقطار واعتمدنا عل مصادر ومراجع متنوعة بهدف تقديم أطروحة شاملة، كما أنّ البلاد شكّلت منذ القدم وحدة جغرافية من حيث التّضاريس، ولأنّ الصّحراء هي الامتداد الطّبيعي للشّمال المغاربي فدورها أساسي في نمط الحياة الرّعوي، ولا يمكن فصل الشّمال عن الجنوب كما تحاول المدرسة الكولونيالية فعله، أمّا تاريخيا فالبلاد عموما تعرضّت لنفس المراحل التّاريخية والحضارية والتّأثيرات الخارجية، والإمتزاج بين المحلّي والأجنبي.

إلى جانب ذلك فضّلنا دراسة الرّعي بدءًا من العصر الحجري الحديث إلى نهاية الحكم الرّوماني، لأنّنا نُحِبُّ البدايات ولأن هذه المسألة أي الرّعي ذات أصول محلّية، وليست ظاهرة مستحدثة مع وصول القرطاجيين أو الرّومان، وعليه كان من الضّروري دراسة الرّعي من جذوره الأولى وتتبّع تطوره لفهم امتداده عبر العصور.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ الإطار الزّمني للدّراسة يطرح بدوره إشكالا عويصا، ويمثّل تحدّيًا نظرًا لاتّساعه وتعقيده، ويشمل فترات هامّة من التّغيرات المناخية المتعاقبة التي أثّرت بشكل كبير على النُّظم البيئية، الحيوانية والانسانية، هذا التّغير البيئي الهائل كان له تأثير كبير على نمط الحياة بما في ذلك استئناس الحيوانات وبدء ممارسة الرّعي.

وقد جاء موضوع **"الرّعي في بلاد المغرب القديم منذ ما قبل التاريخ إلى غاية نهاية الفترة الرومانية"** ضمن مجموعة من المواضيع المقترحة من طرف لجنة تكوين المشروع الذي تترأّسُهُ أستاذتنا المشرفة، وقد أثار اهتمامنا لأمرين رئيسيين وهما: أولا كونه يبتعد عن الموضوعات الكلاسيكية التي تركّز على التّاريخ السّياسي والعسكري، ممّا يمنحنا فرصة البحث واستكشاف جوانب مختلفة من التّاريخ الحضاري للإنسان المغاربي القديم.

ثانيا لِمَا للموضوع من أهمّية بحثية عالية كونه إضافة ولبنة في البناء الحضاري للمغرب في العصور القديمة، وارتباطه بمجالات متعدّدة، إذْ يجمع بين التّاريخ وعلم الآثار وعلم الحيوان والأنثروبولوجيا وكذلك الجانب العقائدي والفلسفي ممّا يستدعي تحليله من زوايا مختلفة.

ومن هذا المنطلق تبنَّينا الفكرة، وسعينا إلى تسليط الضّوء على ظهور الرّعي وتطوره، وإبراز مدى أهمّية النّشاط الرّعوي كعنصر حيوي مَكَّنَ سكان المغرب القديم من تأمين احتياجاتهم الغذائية والاقتصادية الأساسية، كما كان عاملا رئيسيا في استقرارهم وارتباطهم بالأرض، ولتحقيق ذلك اعتمدنا على مسح شامل يغطّي الفترة الممتدّة من العصر الحجري الحديث مرورًا بالفترة القرطاجية والممالك المحلية وصولاً إلى نهاية الاحتلال الرّوماني سنة 429م مع التّركيز على تحليل أبعاده المختلفة.

وبذلك تمحورت الإشكالية الرّئيسية حول النّشاط الرّعوي كما يلي:

متى ظهر الرّعي في بلاد المغرب القديم؟ وما العوامل التي أدّت إلى ظهوره وانتشاره؟ هل تُعدّ مهنة الرّعي مؤشرا على التطور الحضاري للإنسان المغاربي القديم؟ وما هي بصمته في هذه الظّاهرة الحضارية ذات الطّابع الاقتصادي؟ وهل كان هذا التّطور نتاج فكر محلّي خالص استجاب للمعطيات البيئية والاجتماعية أم نتاج تأثيرات وافدة على المنطقة؟ وإن وُجِدت هذه التّأثيرات الأجنبية، هل ساعدت في تنظيم هذا النّشاط وتطويره ليتبلور من عملية بدائية بسيطة إلى عملية اجتماعية اقتصادية متكاملة؟

وقد فتحت لنا هذه الإشكالية المجال لطرح عدّة إشكاليات فرعية تسعى لفهم النّشاط الرعوي في بلاد المغرب القديم من أبرزها ما يلي:

هل كان التّوجه نحو الرّعي في بلاد المغرب القديم ضرورة حتمتها الظروف الطبيعية أم كان اختيارا؟

إلى أي مدى ساهمت التّضاريس والتّغيرات المناخية في تبلور وتطور النّشاط الرّعوي؟ وهل كانت هذه العوامل كافية لتفسير نشأة هذا النّشاط واستمراريته أم أن هناك عوامل أخرى أسهمت بدورها في رسم ملامحه وتنظيمه؟

وبناء على الإشكالية المطروحة والتّساؤلات المختلفة كان لزامًا علينا وضع خطّة تتماشى ومتطلّبات الموضوع، وحاولنا من خلالها لملمة شتاته، وإماطة اللِّثام عن الكثير من خباياه، وقد قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة، وتمّ تكييف الفصول والمحتويات حسب المادّة العلمية المتوفرة لدينا، وقد ركّزنا على الموضوعات والقضايا الرئيسية المتعلّقة بالرّعي عبر الفترات الزّمنية التي تظهر ضمنيا في محتوى الأطروحة.

سلّطنا الضّوء في **الفصل الأول: الرّعي في الجوار الجغرافي لبلاد المغرب القديم** على دراسة الجوانب الأساسية والمتعدِّدة للعملية الرّعوية في العصور القديمة مستعرضين المفردات والمفاهيم المرتبطة بالرّعي وتربية الحيوانات واستئناسها، وناقشنا عملية تدجين الحيوانات التّي تعتبر إحدى أهمّ الخطوات في تاريخ البشرية حيث تمّ تحويل الحيوانات البرّية إلى حيوانات مستأنسة تستخدم لأغراض متعدّدة، كما وضّحنا الدّوافع والعوامل التي أدّت إلى استئناس الحيوانات وتدجينها، ومن خلال هذا الفصل سلّطنا الضّوء على الرّعي في مصر القديمة كنموذج مثالي في الشّرق الأدنى القديم من جهة، ومن جهة أخرى بسبب الجوار الجغرافي في إطار عملية التّأثير والتّأثر، ويلخّص هذا الفصل الأسس والمفاهيم الرّئيسية التي سَتُبنى عليها الفصول التّالية.

وفي **الفصل الثاني** عالجنا **العوامل الجغرافية والمناخية والنّباتية** التّي أثرّت بشكل مباشر على النّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم على طول الفترة الزّمنية المدروسة، ويُشكّل فهم هذه العوامل البيئية حجر الزّاوية لدراسة هذا النّشاط، حيث أن الظّروف الطّبيعية لعبت دورًا حاسمًا في تحديد أنواع الحيوانات التّي يمكن تربيتها وكذلك الأساليب والأنماط المستخدمة في الرّعي، ويمثّل هذا الفهم أساسًا مُهمًا لاستكشاف الفصول التّالية التي ستتناول تطور وتنظيم الرّعي وأشكاله المختلفة.

وقد استعرضنا المميّزات والخصوصيات والتّنوع الجغرافي، حيث تتراوح التّضاريس في المغرب القديم بين الجبال، الهضاب، السّهول الخصبة، مصادر المياه، والصّحراء، ممّا أدّى إلى تنوعٍ كبيرٍ في أنماط الرّعي، كما أشرنا إلى التّنوع المناخي وتغيراته، فمن المناخ المتوسّطي المعتدل إلى المناخ الصّحراوي الجاف، هذه الظّروف المناخية كانت لها تأثيرات مباشرة على توافر المراعي أو قلّتها، كما ركّزنا على دراسة الغطاء النّباتي الذّي يتدّرج من الشّمال إلى الجنوب حسب طبيعة المناخ ونوعية التّربة.

أمّا فيما يخصّ **الفصل الثّالث** والذّي تناولنا فيه **أصول الرّعي وأنواعه** درسنا الجوانب التّاريخية والأشكال المختلفة للرّعي في بلاد المغرب القديم، حيث ركّزنا على أصول تدجين الحيوانات وتكوين القطعان ومعرفة أنماط الرّعي المختلفة حتّى نتمكّن من فهم تعقيدات التّدجين، والصعاب المرتبطة بتوثيق وتأريخ هذه

العملية، والتّي تأرجحت بين التّدجين المحلّي والتّأثير الخارجي، وناقشنا الأصناف المختلفة من الحيوانات المدجّنة.

وفي **الفصل الرّابع** استعرضنا **تطور الرّعي وتنظيمه** في بلاد المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأدبية، مُبيّنِين التّغيرات البيولوجية للحيوانات، وتطور حجمها، كما تمّ تسليط الضّوء على مجالات الرّعي المختلفة، إلى جانب تنظيم الرّعي والتّشريعات المرتبطة به، وتأثير الفترات التّاريخية المختلفة وخاصّة الفترة الرّومانية على نظم الرّعي وتربية الحيوانات، وتناولنا أيضا التّحديات التّي واجهت الرّعاة ومُربّي الماشية سواء كانت طبيعية (جفاف،جراد، فيضانات،ثلوج) أو بشرية (التّوسع الزراعي، الضّرائب، الأوبئة، سرقة الماشية).

أمّا **الفصل الخامس** والأخير، فقد سلّطنا الضّوء من خلاله على **الأنشطة المرتبطة بالرّعي** وذلك بدراسة فوائد الرّعي الاقتصادية من منتجات مثل اللّحوم والألبان والجلود والصّوف، وكيفية مساهمتها في التّغذية والاقتصاد المحلّي، ودراسة دور الحيوانات المدجّنة في تسهيل النّقل والزّراعة مثل استخدام الخيول والحمير والأبقار في النّقل والحرث، وإبراز أهمّية تربية الحيوانات المستأنسة كمصدر رئيسي للثّروة، وكيفية استخدامها في المبادلات التّجارية، وتحديد قيمتها الاقتصادية، إضافة إلى دراسة الحرف المرتبطة بالنشاط الرّعوي من غزل ونسيج ودباغة للجلود.

ودرسنا أيضا في هذا الفصل العلاقة بين الرّعي والزّراعة، وكذلك الرّمزية الدّينية للحيوانات المدجّنة، وأشرنا إلى استخدامات أخرى للحيوانات المستأنسة مثل الأنشطة التّرفيهية كالسّباقات والألعاب، وكذلك العسكرية مثل استخدام الخيول والجمال، والهدف من ذلك فهم الأبعاد المتعدّدة لهذا النّشاط الحيوي، ويمثّل هذا الفصل استكمالا للتّحليل الشّامل للرّعي في بلاد المغرب القديم.

وقد أضفنا على النّص الكتابي الكثير من الوسائل التّوضيحية وما يتطلّبه البحث الأكاديمي من صور ورسومات صخرية وصور وأشكال وخرائط، والتي من شأنها أن تساعد في فهم المعلومات بشكل أفضل.

ولتعميق فهمنا لتطور النّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم، وَجب علينا توظيف مجموعة متنوعة من المناهج والأدوات البحثية لأنّ هذا الموضوع متشعب ويتطّلب فهما شاملا للعلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية، وتشتمل المناهج المتّبعة ما يلي:

- **المنهج الموضوعاتي: (theme)**

يعتبر المنهج الموضوعاتي نهجا مُهمًّا لتنظيم وهيكلة البحث حول موضوع مركزي يُستخدم في الدّراسات الانسانية كعلم الاجتماع والأدب والفلسفة، وقد ارتأينا الاستعانة به في تخصّص التّاريخ القديم نظرا لطبيعة موضوعنا الذي تتداخل فيه عد عوامل (بيئية، اقتصادية، اجتماعية، دينية، وسياسية) من جهة، ومن جهة أخرى يتحتّم علينا الاعتماد على التّسلسل الزّمني أو الجغرافي، ولذلك حاولنا من خلال هذا المنهج التّركيز على الموضوع بدل السّرد الكرونولوجي البسيط، إذّ يسمح لنا برؤية شاملة ومعالجة الموضوع وفق محاوره الجوهرية، كما أنّه يتميّز بالمرونة، ويتيح لنا فرصة إعادة النّظر والتعدّيل وترتيب المحاور وتكييفها حسب متطلّبات البحث، وكذلك يعطينا فرصة التّفكير النّاقد والتّحليل والتّركيب، ومع ذلك فإن تنفيذ هذا النّهج يستلزم دقّة في التّخطيط والتّنظيم للاستفادة من المصادر والمراجع والمعطيات المتوفّرة لدينا.

وإلى جانب المنهج الموضوعاتي استخدمنا أيضا المناهج التّالية: "**الوصفي والتّحليلي والمقارن**" والجمع بين هذه المناهج يمكن أن يوفّر تحليلا شاملا ومتعدّد الأبعاد للموضوع، والاستفادة من مزايا كلّ منهج على حِدة، فمثلا المنهج التّحليلي مكّننا من تحليل التّأثيرات البيئية، وفهم تأثير التّغيرات المناخية والجغرافية على ممارسات الرّعي، أمّا فيما يخصّ المنهج المقارن فأتاح لنا مقارنة ممارسات الرّعي بين الفترات القرطاجية والممالك المحلّية والرّومانية، وكذلك المناطق الجغرافية، وبالنّسبة للمنهج الوصفي فاستخدمناه لوصف الظّواهر كما هي وطبّقناه لتوفير خلفية غنّية بالتّفاصيل عن التّدجين وممارسات الرّعي وتربية الحيوانات.

كما أنّ الاستعانة بالعلوم المساعدة (علم الآثار، علم البيئة، علم الحيوان، علم الجغرافيا) ساهمت في فهمنا للتّاريخ بشكل أكثر شمولية، فعلى سبيل المثال يمكن استخدام علم الآثار لاكتشاف المواقع الرّعوية القديمة وتدجين الحيوانات، بينما ساعدنا علم البيئة في فهم تغيرات المناخ والنّباتات والحيوانات وتأثيرها على أنماط الرّعي.

ولإنجاز هذه الدّراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر بنوعيها الأثرية والأدبية وكذلك الدّراسات المختلفة التي تناولت بعض أجزاء الموضوع والتي تتمثّل في:

I- المصادر المادّية: ولعلّ أهمّها دراسات متخصّصة في البقايا العظمية الحيوانية والفنّ الصّخري، والنّصب والنّقوش واللّوحات الفسيفسائية والمسكوكات.

1- البقايا العظمية الحيوانية: تُعدّ هذه المصادر من أهمّ الأدوات البحثية لفهم تاريخ الرّعي، وتربية الحيوانات في بلاد المغرب القديم، ومن أهمّ الباحثين الذين استفدنا من أعمالهم نجد:

- قابريال كامبس: تميز بأبحاثه حول المجتمع في بلاد المغرب القديم، ودور الحيوانات في عدّة مجالات.

• Camps (G.), Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara. Le sol, la parole et l'écrit, Mélanges en hommage à Raymond Mauny, Tome II, 2000 ans d'histoire africaine. Société française d'histoire d'outre-mer, Paris, 1981.

- كوليت روبي: ركّزت على الشّرق الجزائري، وكانت أبحاثها مُهمّة للغاية بالنّسبة لنا مثل:

• Roubet (C.) Économie pastorale pré-agricole en Algérie orientale: Le Néolithique de tradition capsienne, exemple de l'Aurès, paris, CNRS1979.

- ياسمينة شايد سعودي: كانت دراسات هذه الباحثة الجزائرية المتخصّصة في الأركيولوجيا مهمّة في الكشف عن الأبعاد المحلّية لتدجين الحيوانات، ومن مؤلفاتها:

• Chaid Saoudi Yasmina, Contribution à la connaissance des faunes préhistoriques d'Algérie, Ikosim1, 2012.

- نبيهة العوادي: باحثة تونسية قدمت رؤى قيّمة حول التّنوع الحيواني، ورغم ذلك لم نتمكّن من الوصول إلى جميع بحوثها، وما توفّر لدينا دراسة لحفرية خاصّة بموقع العالية، وقد توصّلت إلى نتائج أوّلية.

• Aouadi (N.), Dridi (Y.), Néolithisation et néolithique de Tunisie : Les sites et leur faune domestique, Encyclopédie berbère, 34, 2012, pp 5481-5488.

ولابدّ من الاشارة إلى أنه رغم أهمّية دراسة بقابا العظام الحيوانية، والتّي تقطع الشّك باليقين إلاّ أنَّ الباحثين في هذا المجال يواجهون عدّة تحدّيات ولعلّ أهمّها: عدم استمرارية التّمويل لمواصلة الأبحاث، والتّركيز على مناطق دون غيرها رغم إمكانية وجود مواقع تحوي الكثير من الدّلائل ما زالت طيَّ النِّسيان، ممّا صعّب

من رسم مسارات تنقّل القطعان، وكذلك صعوبة وضع خريطة تقريبية للمجالات الرعوية، هذه الأخيرة تُعتبر عقدة الموضوع، والتي من خلالها يُمكن إضافة الجديد لهذه الدّراسة.

2- الفنّ الصّخري: يقدّم أدّلة عن الأنشطة الرّعوية، وأنواع الحيوانات المستأنسة.

- Lhote (H.), Camps (G.) , Souville (G.) , Le gisement néolithique de l'Oued Chet Iler Tanezrouft N-Ahenet , Journal de la Société des Africanistes , tome 11, 1941, pp 125-140
- Lhote (H.), Camps (G.) , Souville (G.) , Les Gravures rupestres de l'Atlas saharien, monts des ould naïl et région de Djelfa, Alger, 1984.
- Lhote (H.), Camps (G.) , Souville (G.) ,, Art rupestre , Encyclopédie berbère, 6, 1989.

3- النّقائش والنُّصب: تعكس دور الحيوانات في المجالين الدّيني والاجتماعي.

- Bnzina Ben Abdallah Zeïneb. Catalogue des inscriptions latines païennes du musée du Bardo. Préface de Azedine Beschaouch, École Française de Rome, 1986.

4- الفسيفساء: تقدّم مواضيع متنوعة وكانت المشاهد الرّعوية حاضرة، ومع ذلك لا يمكن الاعتماد عليها بمعزل عن بقية المصادر، ونذكر بعض المراجع التي استقينا منها معلوماتنا:

- Precheur-Canonge Thérèse, la vie rurale en Afrique romaine d'Après les Mosaïques, presses universitaires de France, Paris,1962.
- Yacoub Mohamed, Splendeur des mosaïques, Tunis, 1995.

5- المسكوكات: دليل على القوة السّياسية والاقتصادية مثل الخيول النّوميدية رفقة صور لملوك تلك الفترة.

II- المصادر الأدبية: رغم أهميتها سواء الاغريقية أو الرّومانية إلا أنّها تعطينا معلومات ناقصة، لذا يجب التّعامل معها بحذر دون إغفال قيمتها، فهي تساعد إلى حدٍّ ما على تأكيد أو نفي المعلومات المستمدّة من المصادر الأثرية، ومن بين المؤرّخين القدامى الذين اعتمدنا عليهم نذكر: هيرودوت الذي أشار إلى أنماط عيش السّكان في بلاد المغرب القديم، و سترابون الذي وصف جغرافية المنطقة وديودور الصقلي وفارون وبلين الأكبر، دون أن ننسى كولوميل الذي يعتبر من أبرز المؤرخين القدامى في مجال الزّراعة خاصّة فيما يتعلّق بتربية الحيوانات، ففي مؤلّفه الشّهير "Columelle, De l'agriculture" (القرن الأول الميلادي) تناول الجوانب التّقنية والعملية لهذا النّشاط كاختيار السّلالات، وتنظيم المراعي والتّغذية والتّكاثر.

ومن المثير للانتباه أنّ هناك تفاوتًا بين المصادر من حيث الزّمان والمكان، حيث تعكس كل مجموعة من المصادر فترة زمنية محدّدة أو منطقة جغرافية معيّنة، ممّا يؤدّي إلى تباين في المعلومات، ومن خلال الجمع بين هذه المصادر المختلفة، يُمكننا بناء صورة على الأقلّ شبه شاملة لتطور النّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم، وفهم تأثيره على السّكان المحلّيين للمنطقة، وتفاعلهم مع البيئة المحيطة عبر العصور.

ونضيف إلى ذلك عدّة مؤلّفات باللّغتين العربية والأجنبية كان لها الأثر الواضح في بحثنا، ووجدنا فيها ضالّتنا في كثير من الأحيان ومن أهمّها:

- صندوق ستّي، الثّروة الحيوانية والغطاء النّباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، كوكب العلوم، الجزائر، 2020.

- Lassère. J-M, Africa, quasi Roma (256 av. J.-C. -711 ap. J.-C.), Aix-en-Provence, France, 2015.
- Aumassip (G.), et al, L'elevage au sahara, Milieux, hommes et techniques du sahara préhistoire : Problèmes actuels, Paris, 1988.

إضافة إلى دراسات أكاديمية قام بها باحثون مغاربة من تونس والجزائر والمغرب الأقصى لديها صلة بالموضوع منها:

- الحسن بودرقا، الثّروة الحيوانية بشمال افريقيا القديم، أطروحة دكتوراه في التّاريخ والأركيولوجيا، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-2002 .
- سعيدي سليم، الحيوان وأهمّيته الدّينية في بلاد المغرب القديم من فجر التّاريخ إلى الغزو الوندالي "1200ق.م- 439م"، أطروحة دكتوراه في التّاريخ القديم، جامعة قسنطينة، 2018-2019.

- Hajlaoui Anis, Elevage et pastoralisme en Afrique à l'époque romaine, Thèse de Doctorat En histoire ancienne, Université de Sousse, Sousse, 2015-2016.
- Fareh (H), Catastrophes naturelles, famines et épidémies en Afrique du Nord antique (146 av. J.C./698 ap. J.-C.). Thèse de Doctorat inédite sous la direction de A. Mrabet. Université de Sousse (FLScH), 2017.

كما استخدمنا عددا من المقالات المتخصّصة، والتي كانت أكبر مُعينٍ لنا في دراسة بعض جزئيات البحث خاصة باللغة الأجنبية، ونذكر منها على التّوالي:

- أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم " الرّسوم الصخّرية والأثار المصرية"، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2016، ص ص 91-118.
- أوبراهم جوهر، نماذج من الحياة اليومية للشعوب النيولتية من خلال الفن الصخري الصحراوي، مجلة المفكر، المجلد 2، العدد 2، جامعة الجزائر 2، 2018، ص ص 30-42.

- Camps (G.), Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara. Le sol, la parole et l'écrit, Mélanges en hommage à Raymond Mauny, Tome II, 2000 ans d'histoire africaine, Société française d'histoire d'outre-mer, Paris, 1981, pp 548-549.
- Esperandieu (G.), Les animaux domestiques du Nord de l'Afrique d'après les figurations rupestres, au cours des périodes préhistoriques et protohistoriques, Bulletin de la societe veterinaire de zootechnie d'algerie, n° 2, 1954, pp. 23-68.
- Roubet (C.), Ouchaou (B.), Pastoralisme néolithique initial au Maghreb, Encyclopédie berbère, XXXII, Louvain/Paris, Peeters Publishers, 2015, pp pp. 6154-6169.
- Gsell (S.), Le climat de l'Afrique du nord dans l'antiquité, Rev. Afr, Vol 55, 1911, pp 343-410.
- Muzzolini (A.), Les débuts de la domestication au Sahara et les gravures rupestres les plus anciennes écoles bubaline, Bulletin de la Société Préhistorique Ariège-Pyrénées, T46, 1991, pp 211-233.

ولابدّ أن نشير إلى أنّنا حاولنا جمع بيبليوغرافيا متنوعة كلّها تصبّ في جزء من موضوع الرّعي، وتساهم في إضاءة جانب محدّد منه، وبذلنا جهدا كبيرا محاولة مِنَّا لتغطية جميع الجوانب المرتبطة بالموضوع.

وبالرّغم من أهمّية موضوع الرّعي، وتربية الحيوانات في بلاد المغرب القديم إلاّ أنّه تُطرح عدّة إشكاليات أمام الباحثين، والتي شكّلت معوِقات أساسية لإنجاز دراسات أكاديمية في الموضوع، حيث نجد أنّ معظمها عالجت موضوع الزّراعة والتّوسع الزّراعي وكذلك الرّعي بالتّركيز على الفترة الرّومانية على وجه الخصوص.

وقد واجهتنا صعوبات جمّة إنْ لم نقل تحدّيات حقيقية أثناء عملية البحث ويمكن إيجازها فيما يلي:

1– قلّة المصادر وصعوبة الوصول إليها:

– نظرا لشساعة المجال الجغرافي، وطول الفترة الزّمنية لموضوع الدّراسة، كان العثور على المصادر المناسبة أمرًا صعبًا خاصّة وأنّها إمّا مُوزّعة على مناطق مختلفة، ما جعل عملية جمعها وتحليلها تحدِّيًا حقيقيا، أو غير موجودة فيذهب جهد البحث عنها سدى.

– للوهلة الأولى بدا لنا أنّ العملية شبه مستحيلة، ولا وجود لمصادر ومراجع تتناول الموضوع مباشرة مثل ما هو عليه الأمر في الموضوعات السّياسية والعسكرية، لكن مع المثابرة وطول النفس والجهد المتواصل والوقت تمكّنا من جمع أجزاء متناثرة حتّى بلغنا هذه البيبليوغرافية المعتمدة في البحث رغم كلّ التّحدّيات.

– إضافة إلى غياب الحفريات أو قلّتها لتحديد البيانات المناسبة المتعلّقة بالبقايا الحيوانية، وهذا في حدّ ذاته يمثّل عائقا كبيرا لأنّه من الضّروري وجود مراكز بحث ومخابر متخصّصة تُزوِّد المؤرّخ بالتقارير اللاّزمة.

– كما نجد تفاوتا في توافر المصادر والمعلومات بين الفترات الزّمنية وصعوبة الحصول على المعطيات التّاريخية، فالمادّة الخبرية شحيحة، ولا تغطّي بالشّكل الكافي الفترة المحدّدة للموضوع، كذلك صعوبة العثور على الحلقات المفقودة لربط أجزاء الموضوع المختلفة خاصّة تلك المتعلّقة بالفترة النّوميدية والممالك المحلية، وفي بعض الأحيان نجد إشارات متفرقة لدى بعض المؤرّخين القدامى من الإغريق والرّومان، وأحيانا أخرى انعدام المعلومة ممّا يفرض على الباحث اعتماد المقارنة والتحليل لتجاوز مواطن الفراغ، كما وجدنا اشكالية أخرى تتعلّق بالخلط الكبير بين عظام الحيوانات في المواقع الأثرية، وكذلك نسبة الكَسر الكبيرة فيها ما جعل مهمّة العلماء الأثريين والمتخصصين أكثر تعقيدا مما يؤثر على إمكانية الوصول إلى نتائج حاسمة في بعض المواضيع.

– نظرا لاتساع المجالين الجغرافي والزّمني لهذه الدّراسة وما يقتضيه من معالجة شاملة، فقد كان الأمر معقّدا ومتداخلا وشكِّل عائقا لتنفيذه لا سيما في ظلّ توافر المصادر أو ندرتها، كما أنّ طبيعة الموضوع فرضت علينا العودة إلى بعض المصادر أكثر من مرّة وتوظيفها في عدّة فصول بما يتناسب مع متطلّبات الجزيئية المعالجة.

2– ندرة الدّراسات المتخصّصة لموضوع الرّعي وتربية الحيوانات في بلاد المغرب القديم

– غالبًا ما تركّز الدّراسات في الأوساط البحثية خاصّة المغاربية على المجالات السّياسية والعسكرية أكثر من المواضيع الإقتصادية مثل تربية الحيوانات، وإنْ وُجدت فهي محدودة.

– أمّا فيما يخصّ الدّراسات الأجنبية المتخصصة رغم أهمّيتها القصوى إلاّ أنّها لا تغطّي المجالين الجغرافي والزّمني للنّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم، كما أنّه لم يُدرس كموضوع مُستقل زمانًا ومكانًا، ورغم جدّية هذه الدّراسات في معالجة هذا الموضوع المثير للاهتمام إلاّ أنّنا نجد تحدّيًا آخر وهو تعامل هذه البحوث مع تاريخ بلاد المغرب بنزعةٍ استعمارية، ومحاولة الباحثين تأكيد قصور الإنسان المغاربي عن أي تجديد أو ابتكار، وهذا ما يُحتِّم علينا التّعامل بحيطة وحذر مع هذه الدّراسات وضرورة تمحيصها والتّدقيق في معلوماتها حتّى لا نقع فريسة لتلك الأفكار المغلوطة.

3–صعوبة معالجة البحث من النّاحية الاجتماعية: خاصّة فيما يتعلّق بالهجرات وتنقّل الحيوان مع الانسان ورسم مساراته المختلفة خاّصة في العصر الحجري الحديث، وكذلك الطّبقات الاجتماعية بما في ذلك الحضر والبدو الرّحل، ورغم أهمّية ذلك إلا أنّنا تجاوزناه باعتباره موضوعا قائما بذاته ويزيد من تعقيدات بحثنا ما يؤدّى بنا إلى الابتعاد عن جوهر الموضوع.

ولابدّ أن نشير إلى نقطة في غاية الأهمّية والتي تتمثّل في إشكالية استخدام مصطلح "شمال افريقيا" أو "بلاد المغرب"، حيث نجد منطقة شمال افريقيا تشمل مصر والمنطقة المغاربية (الجزائر، ليبيا ، تونس، المغرب الأقصى)، ومن جهة أخرى استخدمت الدّراسات الأجنبية الاستعمارية مصطلح "شمال افريقيا" على أنّه يشمل المنطقة المغاربية فقط، وبذلك تبيّن لنا أنّ هناك تناقضا وتباينا في مفهوم هذا المصطلح فارتأينا توظيف "بلاد المغرب القديم" لتجاوز تلك الإشكاليات، والتّركيز أكثر على موضوع الرعّي في إطار هذه الحدود الجغرافية والتّاريخية.

وعليه فقد حاولنا التّعامل مع هذه العوائق خلال عملية البحث اعتمادا على المادّة العلمية المتاحة والمتوفّرة لدينا، وعلى التّحليل الموضوعي لإعداد دراسة تبرز أهمّية الرّعي وتطوره عبر الفترات التّاريخية المختلفة،

والتي نَودُّ من خلالها أن تكون مفتاحًا لجزئياتٍ يمكن أن تصبح مواضيع قائمة بذاتها لدراسات أكاديمية مستقبلاً، وكذلك التّأكيد على الاستقلالية الحضارية أحيانا، والتواصل الحضاري، وحتمية التّأثير والتّأثر أحيانا أخرى، وأيضا الاستمرارية الحضارية لبلاد المغرب على طول الفترة الزّمنية المدروسة، وتشكيل هوية قوية في المنطقة.

وفي المقابل ندرك تمام الإدراك أنّ بعض الجوانب قد لا يتوفّر لها العمق الكافي، والتّحليل الجيّد المدعمان بالحجج والأدلّة الأثرية والأسانيد التّاريخية، وذلك يعود إلى موسوعية الموضوع وتعقيداته المختلفة من جهة، وندرة المعلومات وتفرّقها وتباينها من جهة أخرى مما يؤثّر على التّوازن في التّحليل، ومع ذلك يظلّ الهدف هو تقديم مساهمة ولو بسيطة في فهم تاريخ الرّعي في بلاد المغرب القديم مع الوعي بحدود الدراسة والتّحدّيات التي تواجهها.

وختاما أتوجّه لمشرفتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة أم الخير العقون، بخالص شكري وامتنانِي على الدّعم المتواصل، والتّوجيه العلمي الدّقيق الذي قدّمته لي طوال فترة إعداد هذه الأطروحة، لقد كانت ملاحظاتها القيّمة وتصويباتها الدّقيقة سببا في الوصول إلى النّسخة النهائية من هذا العمل بالشّكل المقبول، لأنّ أستاذتنا الكريمة دائمًا تريد مِنَّا بذل قُصارى ما في وسعنا من جهدٍ ووقتٍ وتحدٍّ، وكانت تُتابع تقدّمنا عن كثب منذ بداية هذا المشروع، وكانت انتقاداتها دائما بنّاءة ومُلهِمة، فلها كل المودّة والشّكر والتّقدير والاحترام.

الفصل الأول: الرّعي في الجوار الجغرافي

لبلاد المغرب القديم

أولا – مفردات العملية الرّعوية

ثانيا– الرّعي في المجتمعات المجاورة

لبلاد المغرب القديم

مرّت الحضارة الإنسانية بتاريخ طويل يتمثّل في صراع بين الانسان والطّبيعة التي عاونته أحيانا وقَست عليه أحيانا أخرى، حيث بدأت الحضارة الانسانية تُرسي قواعدها حين انتهى القلق من نفس الانسان، واستخدم عقله فصنع أدواته البدائية التّي دفع إلى التّفكير فيها إحساسه بضرورتها لِيقاوم الحيوان، وكان ثمرة الصّراع غَلَبَة الانسان عن طريق العقل[1] الذي مَكَّنه من التّغلب على تحدّيات الطّبيعة.

واحتلّت الحيوانات مكانا مُهمًّا ورئيسيا في حياة الانسان القديم، حيث تمكّن من السّيطرة على بعضها لاستغلالها في عدّة مجالات، فقد كان ذكيًا في اختيار الحيوانات الأقرب، ممّا أدّى إلى ظهور الرّعي كأحد الأنشطة الاقتصادية الهامّة بعد أنْ تمّ تدجين أنواع معينة من الحيوانات، ونسج الانسان علاقات وثيقة مع بعضها، ورافقته في هجراته، وقدّم لها الحماية والرّعاية لتتحوّل العلاقة بين الطّرفين علاقة تطّورية تشاركية مستمرّة.

وقبل الخوض في دراسة هذه العلاقة بكلّ أبعادها من الضّروري الإحاطة ببعض المصطلحات قبل مُباشرة البحث، وكذلك تقديم لمحة موجزة حول الرّعي في الجوار الجغرافي لبلاد المغرب القديم حتّى يتسّنى لنا تكوين نظرة شمولية لموضوع الدّراسة.

أولا –مفردات العملية الرّعوية:

I– التّدجين (domestication):

تتطلّب دراسة التّدجين المبكّر للحيوانات رؤية نظرية واضحة لماهِيّة التّدجين.

- **التّدجين لغة:**

دجّن: الدّجن: ظلّ الغيمم المطير، ابن سيده: الدّجن إلباس الغيم الأرض، وقيل: هو إلبَاسه أقطار السّماء، والجمع أدجان ودجون ودجان، وكلب دَجُون قد ألف البيت، شاة داجن إذا ألفت البيوت واستأنست[2]، ونجد مصطلح التّدجين، يقابله لغويا في اللّاتينية (domesticus)[1].

[1] نجيب ميخائيل ابراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة، ج1، ط4، دار المعارف، مصر، 1963، ص 13.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 1331.

- **التّدجين اصطلاحا:**

يمكن تعريف التّدجين بشكل عامّ على أنّه العملية التّي يتمّ بموجبها تكاثر كائن من الحيوانات أو النّباتات، ويتمّ التّحكم فيه من قبل المجتمع البشري من أجل المنفعة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الرّمزية[2]، أي أنّ التّدجين يدلّ على تدّخل الإنسان في حياة أنواع من الحيوانات والنّباتات، وتحويل بعض الأنواع البرّية إلى نوع خاضع للاستغلال البشري.

وفيما يخصّ تدجين الحيوانات فنجد تعاريف عدّة وأهمّها ماجاء به بعض الباحثين أمثال كيفن ستافورد (Kevin Stafford) الذي يرى تدجين الحيوان عملية بيولوجية ثقافية[3]، بينما ساندور بوكونيي (Bökönyi Sandor) يعرّفها بشيء من التّفصيل على أنّها عملية يقوم بها الإنسان بأسْرِ وترويض (L'apprivoisement)[4] عناصر معيّنة من نوع ما له صفات خاصّة، يأخذها من بيئتها الطّبيعية وقطيعها الأصلي، ويضعها تحت إشرافه مع توفير الغذاء والحماية، ومن جهة أخرى لابدّ من ترويض أيّ حيوان يتمّ أسره والاحتفاظ به لأنّ عدوانيته قد تكون مصدرا للخطر[5]، ونجد في بعض القواميس تعريفا عامًّا يتلخّص فيما يلي:" تدجين الحيوان عملية يتمّ من خلالها الانتقال من الحالة البرّية إلى الحالة المدجّنة، أمّا الحيوانات المفترسة فلديها غرائز برّية تنجو من التّدجين[6].

ويخضع الحيوان المدجّن لسيطرة الانسان، ويتكاثر وهو في وضعية الأسر، ويتمّ الحفاظ على هذه الحيوانات في ظلّ ظروف خاضعة للرّقابة، ورغم أنّ معظم الباحثين والقواميس يعطون تعريفات متشابهة

---

[1] Larousse, Pierre, Grand Dictionnaire universel du XIXe siècle, français, historique, géographique, mythologique, bibliographique, littéraire, artistique, scientifique, etc., Tome 6, p 1052.

[2] Vigne (J-D.), The origins of animal domestication and husbandry: A major change in the history of humanity and the biosphere, C. R. Biologie, vol 334, 2011, p 172 -173.

[3] Kevin (S), the Domestication, Behaviour And Use Of The Dog, The Welfare Of Dogs, Animal Welfare, Volume 4, 2006, p 5.

[4] يتعلّق الترّويض بالخصائص السّلوكية المكتسبة على المستوى الفردي وهو أشمل من الأسْر، ويؤدّي إلى تقليل هروب الحيوان، ويسمح التّمكن الجيّد لاستعمال هذه التّقنية بتكوين قطعان الماشية، أمّا التّدجين يتعلّق بالخصائص الجينية للحيوان حيث يؤدّي إلى تغييرات من جيل إلى آخر، للمزيد يراجع:

Helmer (D.), La domestication des animaux par les hommes prehistoire, masson, paris, 1992, p 22.

[5] Bökönyi (S.), La domestication des animaux depuis les débuts de la production de nourriture jusqu'à il y a environ 5000 ans : une vision globale, Histoire de l'humanité, de la préhistoire aux début de la civilisations, vol 1, Unesco, 2000, p 944.

[6] Larousse, Pierre, Op. Cit., pp 1050-1051.

للتّدجين، إلاّ أنّ الباحث غوتي (Gautier) يرى بأنها تعريفات غير كاملة ويعتقد أن التّدجين يمثّل سلسلة طويلة من العمليّات المختلفة التّي مارسها الإنسان على الحيوان وعلى المدى الطّويل، ومع تطور العلاقة بينهما تظهر تلك العمليّات بشكل أكثر عمقًا ما ينتج عنها تعديلات جذرية وإعادة التّشكيل الوراثي، واكتساب الحيوانات البرّية سمات استئناسية[1] حيث تترتّب عنها آثارا مختلفة ومتنوّعة على الحيوان الخاضع لهذه العملية سواء على المستوى الكروموزمي[2] أو السّلوكي أو المورفولوجي.

وبناء على هذه التّعريفات تبيّن لنا أهمّية التّدخل البشري في تحويل الحيوانات البرّية إلى حيوانات مدجّنة تتماشى مع متطلّبات الانسان من حيث الغذاء والحماية والسّلوك، ويمكن التّمييز بين ثلاث فئات من الحيوانات المدجّنة، حيث تشمل الفئة الأولى الحيوانات المتعايشة التي تتكيّف مع الإنسان مثل (الكلاب والقطط)، أما الفئة الثّانية فتتعلق بالحيوانات التّي توفّر الغذاء وتُقدَّم كأضحية مثل (الأبقار،الأغنام، الخنازير، والماعز)، وبالنّسبة للفئة الثّالثة فهي الحيوانات المخصّصة للجرّ والنّقل والأعمال الزّراعية مثل (الحصان، الجمل، الحمار)[3].

وعليه يرتبط تعريف التّدجين بخاصيّتين أساسيتين، إحداها بيولوجية بحتة تتمثّل في تلك التّغيرات التي تمرّ بها الحيوانات، والثّانية اجتماعية وتتعلّق بالتّغيرات النّاتجة عن علاقات جديدة مع الحيوان داخل المجموعات البشرية[4].

II – الرّعي (Pâturage) :

الرّعي هو مصدر رَعَى الكَلأَ ونحوَه يَرْعى رَعْياً، والرَّاعِي يَرْعى الماشيةَ أَي يَحوطُها ويحفظُها، والماشيةُ تَرْعى أَي ترتفع وتأْكل، وراعي الماشيةِ حافظُها صفة غالبة غلبة الاسم، وقيل: معنى نرتعي أي نرعى بعضنا بعضا، وفلان يرعى على أبيه أي يرعى غنمه[5].

---

[1] Gautier (A.), Domestication et l'homme crea l'animal, Errance, Paris, 1990, pp 7-10.

[2] تحدث تغييرات في غاية الأهمّية للحيوانات التي خضعت لعملية التّدجين من أبرزها تغيرات على مستوى الكروموزومات لكنّها ليست متطابقة في جميع الأنواع، فقد يكون هناك زيادة أو نقصان في عدد الكروموزومات، ونعطي مثالاً على ذلك، الخنزير البرّي الذي يكون فيه العدد الثّنائي للكروموزومات 2ن = 36، نجد في الشّكل المدجّن للخنزير 2ن = 38، للمزيد يراجع: Helmer (D.), Op, Cit., p 27.

[3] Douglas Price (T.), Ofer Bar-Yosef, The Origins of Agriculture: New Data, New Ideas An Introduction to Supplement 4, Current Anthropology, Volume 52, 2011, p 171.

[4] Helmer (D.), Op. Cit., p 23.

[5] ابن منظور، المرجع السّابق، ص 1676.

وفي موضع آخر: رعى: الراء والعين والحرف المعتل أصلان: أحدهما المراقبة والحفظ، والآخر الرجوع فالأول رعيت الشّيء: راقبته، ورعيته إذا لاحظته، والرّاعي: الوالي، والجمع الرعاء ورعاة أيضا، والإرعاء: الإبقاء وهو من ذاك الأصل لأنه يحافظ على ما يخاف عليه، والأصل الآخر: ارعوى عن القبيح، إذا رجع[1]، وكذلك نجد الرّعي: رعى الرّاعي وهو عين القوم على العدو لأنّه يرعاهم ويحفظهم[2]، والرّاعي هو الذي يرعى قطيعا ويحرسه[3].

والمرعى هو المكان المناسب لرعي الماشية، ويمكننا التّمييز بين ثلاثة أنواع من المراعي، حيث نجد المروج الطّبيعية وهي الأراضي التي تتمتّع بتربة خصبة وتوفّر غطاء نباتي كافٍ لرعي الحيوانات، وكذلك حقول القشّ وهي مساحات صغيرة تقع في أعالي الجبال حيث تنقل القطعان إليها، ومراعي واقعة في مناطق غابوية[4].

بالإضافة إلى ذلك فقد ورد ذكر مصطلح الرّعي ودلالاته في العديد من آيات القرآن الكريم التي تعكس ارتباط الإنسان بالطّبيعة والحيوانات،كقوله تعالى:" **كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ**[5]"، وقوله تعالى: **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**" [6]، وقوله تعالى:"**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**" [7].

---

[1] أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ج2، 1979، ص ص 408-409.

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، ج2، 1971، ص65.

[3] Larousse, Pierre. Grand Dictionnaire universel du XIXe siècle, français, historique, géographique, mythologique, bibliographique, littéraire, artistique, scientifique, etc., Tome 12, p 377.

[4] Ibid, p 416.

[5] القرآن الكريم، سورة طه، الآية، 54.

[6] سورة الأعلى (الآيتين 4-5).

[7] سورة غافر، الآية 79.

III– تربية الحيوانات (l'élevage) :

تربية الحيوانات هي مجموعة الطّرق والأساليب المستخدمة لإنتاج الحيوانات من أجل تلبية احتياجات الإنسان[1]، ولتحقيق النّجاح في تربية الحيوانات من الضّروري امتلاك المربّي لقدر كاف من المعارف والخبرات التي تُمكّنه من فهم التّطورات التي تطرأ على الحيوان من تغيرات في الطّباع والحجم إلى غير ذلك من الصّفات، ومعرفة مدى ملائمة الظّروف البيئية المحيطة لهذه التّحولات، وإذا أراد المربّي تحسين هيكل الحيوان فإن ذلك يتطلب تدخلا يراعي طبيعة كل نوع، فعلى سبيل المثال يمكن تقليل صلابة الثّيران واكسابها قدرًا من اللّيونة لتصبح أكثر ملائمة للذّبح، بينما الزّيادة في فائدة وقيمة الخيول من خلال جعلها صلبة بتقوية بنيتها العضلية وزيادة حيويتها وقدرتها على التّحمّل، ويمكن أيضا تنشيط وظائف أعضاء محدّدة لدى بعض الحيوانات بحسب الغرض منها، كتحفيز نشاط الضّرع لدى الأبقار الحلوب، وتقوية حاسّة الشّم لدى الكلاب[2].

ويتمّ تحديد أنواع الرّعي اعتمادا على عدّة معايير أهمها نمط الحياة وخصائص الموارد الطبيعية (ماء، مرعى) سواء دائمة أو موسمية[3]، والعلاقات مع الأنشطة الزّراعية الأخرى، وعلى أساس هذه المعايير يمكن التّمييز بين الرّعي المستقر والتّرحال والرّعي البدوي.

ولابدّ من التّمييز بين التّدجين والرّعي أيضا، حيث عرّفت الباحثة جينات أوماسيب "التّدجين" على أنه مجموعة من الأفعال البشرية التي تُحدث تغييرات جذرية في حياة مجموعات من الحيوانات البرّية، لجعلها أكثر قابلية للاستغلال من طرف البشر، أمّا الرّعي فهو مختلف تماما حيث يصبح استغلال الحيوانات نشاطًا مهيمنًا بعد السّيطرة عليها[4].

---

[1] FAO, Organisation des Nations Unies pour l'Alimentation et l'Agriculture. Thésaurus multilingue du foncier, 2ème édition, revue et augmentée, Rome, 2005, p 83.

[2] Larousse, Pierre. Grand Dictionnaire universel du XIXe siècle, français, historique, géographique, mythologique, bibliographique, littéraire, artistique, scientifique, etc., Tome 7 , p 341.

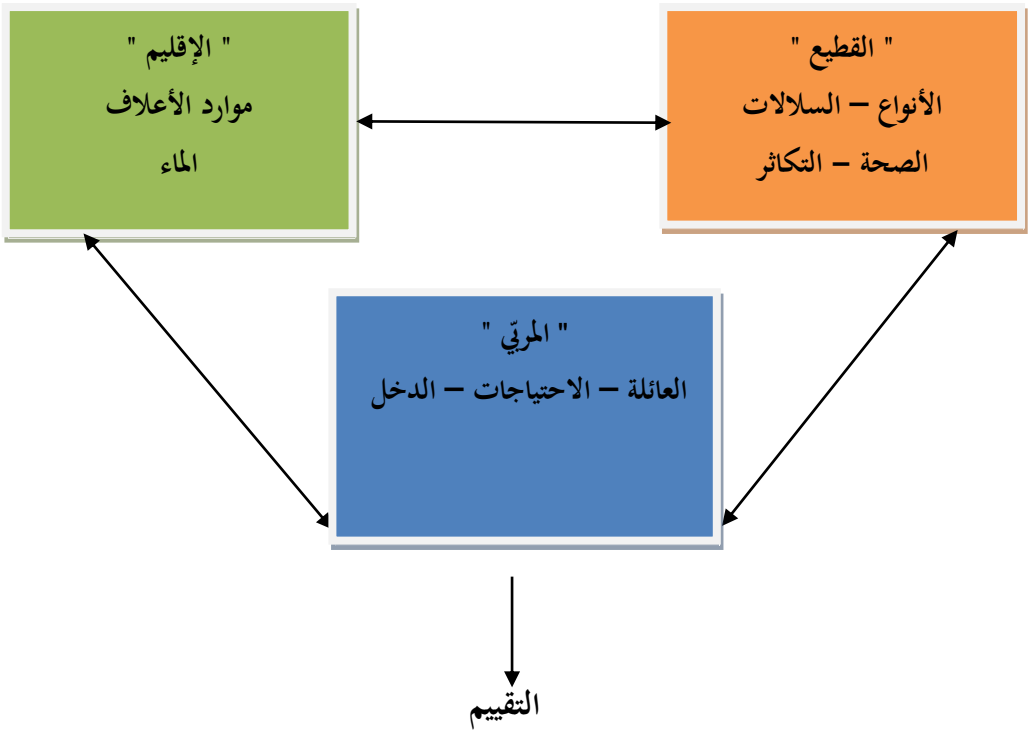
[3] يجب أن نشير هنا إلى أن لكمّية تساقط الأمطار علاقة قوية بتوافر الموارد العشبية، وأيّ انخفاض في كمّية المياه يؤدّي إلى انخفاض في إنتاجية المراعي الطّبيعية، وهذا ما يؤدّي إلى التّساؤل عن استدامة الموارد الرّعوية مع ما يترتّب عن ذلك من تأثيرات سلبية على تغذية وإنتاجية الماشية، بالإضافة إلى ذلك التّغيرات التي تحدث على أنماط الرّياح يمكن أن تؤدّي إلى انتشار مسبّبات ونواقل الأمراض خاصّة الجراثيم المعدية، للمزيد يراجع:

Djohy (G-L.), et al, Productivité des pâturages naturels et pratiques de mobilité pastorale dans un contexte de changements climatiques en Afrique de l'Ouest, Revue Marocaine des Sciences Agronomiques et Vétérinaires, 10(1), Bénin, Mars 2022, p 92.

[4] Aumassip (G.) et al, L'elevage au sahara, Milieux, hommes et techniques du sahara préhistoire: Problèmes actuels, Paris, 1988, p 137.

IV – النّظام الرّعوي: (système pastoral)

يُشكّل الحيوان الرّكيزة الأساسية في النّظام الرّعوي، ولا يكفي مجرّد ملاحظته أثناء الرّعي لفهم علاقته بالإنسان، إذ تبقى التّجربة والممارسة أنجع وسيلة لذلك، والنّظام الرّعوي هو نظام ديناميكي يشمل مجموعة من العناصر المتفاعلة التّي يُنظّمها الإنسان بهدف الإستفادة من الحيوانات الأليفة للحصول على منتجات متنوعة (الحليب واللّحوم والجلود والسّماد، ...الخ) أو لتحقيق أهداف أخرى، انظر الشّكل رقم (1) الذي يوضّح بشكل مبسّط نظام تربية الحيوانات[1]، حيث يرتكز على ثلاثة أقطاب رئيسية وهي:" المربّي وممارساته–القطيع–الاقليم وهو البيئة التي توفّر الموارد الضّرورية للحيوانات"[2].



الشكل رقم (1): مخطط مبسّط للنّظام الرّعوي

المصدر:

Lhoste (P.), Le diagnostic sur le système d'élevage, Les Cahiers de la Recherche-Developpement, N° 3-4, 1984, p 86.

[1] Landais (E.), Système d'élevage : d'une intuition holiste à une méthode de recherche, le cheminement d'un concept, Colloque Dynamique des Systèmes Agraires : A la Croisée des Parcours, ORSTOM, Paris, 1994, pp 20-22.

[2] Lhoste (P.), Op. Cit., p 85.

V – البدو:(Nomades)

تعني كلمة "بدو" لغة بدا الشّيء يبدو بدوا وبدوا أي ظهر، والبادية اسم للأرض التي لا حضر فيها أي لا محلة فيها دائمة فإذا خرجوا من الحضر إلى المراعي والصّحاري قيل بدوا بدوًا[1].

ونجد مصطلح البداوة يقترن بمصطلح الرّعي في المصادر الأدبية خاصّة تلك التي تناولت منطقة بلاد المغرب القديم وجاء بالشّكل التالي:

– الرّعي هو ذلك النّشاط الذي يقوم به السّكان القاطنين بالمنطقة الممتدّة من مصر إلى بحيرة تريتونيس (Tritonis) وهم البدو اللّيبيون، والذين يعيشون على اللّحم واللّبن[2].

– من بين اللّيبيين أولئك الّذين يملكون أرضا قادرة على الانتاج ويشتغلون بالزّراعة، والبدو الرّعاة الذين يعيشون من قطعانهم[3].

– أنّ اللّيبيين الذين اختلطوا شيئا فشيئا بالجيتول عن طريق المصاهرة، كانوا يتنقّلون باستمرار سعيا للعثور على أراضي ملائمة أخذوا اسم البدو الرّحل (Numidas)[4]

– عند نهر أمباسغا (أمباسجا) تبدأ نوميديا (Numidia)، ويسميها الاغريق ميتاغونيتيس (ميتاجونيتيس) (Metagonitis)كما يسمون الشعب النّوميدي (Numidae) أو النّوماديس (Nomades) وتعني البدو الرعاة لأنهم ينقلون الأكواخ وهي بيوتهم على العربات، ويتنقّلون بها من مكان إلى آخر بحثا عن المرعى[5].

---

[1] الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ج1، دار ومكتبة الهلال، (بلا.م)، (بلا.ت)، العين، ص 119.

[2] Hérodote, Histoires, traduit par Léon Halévy, Paris, Firmin Didot, 1860, IV, 186. https://remacle.org/bloodwolf/historiens/herodien/livre4.htm.

[3] Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, II, Trad: l'Abbé Terrasson, III, 49. http://remacle.org/bloodwolf/historiens/diodore/livre2a.htm .

[4] ساليست، يوغرطة – الملك في مواجهة روما، ترجمة محمد الهادي حارش، موفم للنشر، الجزائر، 2019، الفقرة 18، 7، ص67.

[5] بلين الأكبر، التاريخ الطبيعي، االكتاب الخامس، ترجمة الدويب محمد مبروك، ط 2، طرابلس– ليبيا، 2019، الفقرة 22، ص 22.

ثانيا– الرّعي في المجتمعات المجاورة لبلاد المغرب القديم:

شكّل الرّعي أحد العوامل الأساسية في بناء المجتمعات القديمة وتأسيس حضاراتها، وقد تعدّدت مراكز تدجين الحيوانات، وامتدّ مجاله إلى عدّة مناطق من العالم بما في ذلك منطقة الشّرق الأدنى القديم، هذه الأخيرة التي يُنسب إليها العديد من أنواع الحيوانات المدجّنة، بالإضافة إلى ضفّتي البحر الأبيض المتوسط والتي عرفت حيوانات وافدة وأخرى محلّية، وتوسّع النّشاط الرّعوي حتى أصبح سِمةً أساسية لبعض المجتمعات واعتماد اقتصادها عليه، ويعتبر الرّعي في بلاد المغرب القديم نتاجًا طبيعيًا لتطور المجتمعات البشرية وتكيّفها مع بيئاتها المختلفة.

وتشير المصادر الدّينية إلى أن أصول الرّعي تعود إلى مراحل مبكّرة من التّاريخ البشري، ويعتقد أنه مرتبط ببداية الوجود البشري على الأرض حيث ورد ذكره في العديد من المصادر الدّينية (التّوراة، الإنجيل والقرآن الكريم)، فنجد أنّ أبناء سيّدنا آدم عليه السّلام يمثّلان أولى صور التّخصّص في العمل، حيث جاء في التّوراة أنّ حواء زوجة سيّدنا آدم علية السّلام أنجبت له ولدين، أحدهما يُدعى "قابيل" وكان عاملا في الأرض **(مزراعًا)**، والآخر يدعى "هابيل" وكان **(راعيًا)**[1]، وقد ذكر القرآن الكريم ابني سيدنا آدم عليه السلام في قوله تعالى:"**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**"[2].

وفيما يخصّ الانجيل فقد وصف السّيد المسيح نفسه في انجيل يوحنّا قائلاً: أنا هو **(الرّاعي الصّالح)** والرّاعي الصّالح يُضحّي بحياته من أجل الخراف[3]، ويبرز هذا الاستخدام الرّمزي أهمّية الرّعي باعتباره نموذجا لتحمّل المسؤلية والقيادة، حيث كان مهنة عدد من الأنبياء عليهم السّلام.

وفي المقابل تُطرح إشكالية حول التّباين بين الإطار الدّيني والتّحليل العلمي والتّاريخي فيما يتعلّق بِقدم مهنة الرّعي، فالرّواية الدّينية تُظهر أن الرّعي يعود إلى زمن سيّدنا آدم عليه السلام، مما يعكس قِدَم هذا النّشاط

[1] التّوراة، تحقيق وتقديم زكّار محمد، ط1، دار قتيبة، بيروت ،2007، ص 110.

[2] القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 27.

[3] انجيل يوحنّا، الإصحاح العاشر، آية 11.

وأهمّيته في حياة البشر منذ بداية الخليقة، أمّا الدّراسات الأثرية والتّاريخية تشير إلى أن ظهور الرّعي ارتبط بالعصر الحجري الحديث، حيث تمّ توثيق ذلك بالأدلّة المادّية.

ونحن نرى أنّ عدم وجود دليل مادّي عن تدجين الحيوانات ورعيها في زمن سيّدنا آدم عليه السّلام لا يعني بالضرورة عدم وجود هذا النّشاط، ربّما كانت الممارسات بسيطة أو بدائية ولم تترك آثارًا قابلة للتّوثيق، وعليه يمكننا الجمع بين المنظورين حيث يقدّم الإطار الدّيني دلالات رمزية حول الرّعي، بينما يقدّم العلم تحليلًا تطوريًا للرّعي ويستند إلى الأدلة الأثرية.

ومهما يكن فإنّ الإنسان القديم مارس الرّعي بعد أنْ اهتدى لتدجين الحيوانات البرّية واستئناسها، ممّا شكّل تحولًا جذريًا في نمط حياته، ومن الطّبيعي أن نتساءل عن زمان ومكان وكيفية حدوث التّدجين وتربية الحيوانات.

I- تدجين الحيوانات (الأسباب والنّتائج):

من المعلوم أنّ عملية الاستئناس ارتكزت على ترويض الحيوان وجعله غير برّي، وتدريبه على التّعايش مع الإنسان، وهو ما مثّل البداية نحو علاقة أعمق بين الإنسان والحيوان ومع مرور الوقت تطورت هذه العلاقة لتصبح أكثر تنظيمًا، أمّا التّدجين يُعدّ عملية طويلة الأمد تهدف إلى تحويل نوع كامل من الحيوانات البرّية إلى نوع يتميز بخصائص محدّدة تتماشى مع احتياجات الإنسان.

1- الأسباب المحتملة لتدجين الحيوانات:

لا تزال الظّروف والعوامل التي أدّت إلى تدجين الحيوانات متباينة، ويمكن أنْ تتنوع وتختلف باختلاف المنطقة الجغرافية والأنواع الحيوانية ونوجزها فيما يلي:

أ- المناخ:

لطالما أُعتُبِر المناخ العامل الرّئيسي للانتقال إلى العصر الحجري الحديث، إذْ ذاب جليد فورم في أوروبا وانتهى آخر عصر جليدي عرفه الإنسان حتّى الآن (العصر الجليدي الرّابع) وبدأ عصر غير جليدي دافئ نسبيا في أوروبا وموسميّ المطر في الشّرق الأدنى، وكان من علامات هذا العصر الجديد أن شجّع الإنسان على الهجرة

والابتكار معا، وأصبح لهذا العصر (الميزوليت) تاريخان أحدهما أوروبي يمثّل امتدادًا للباليوليت الأعلى، والآخر مشرقي ظهرت فيه تحوّلات نوعية مَهّدت للانتقال باتجاه العصر الحجري الحديث (النّيوليتي)[1].

ويرى بعض الباحثين أنّ من نتائج انحسار الجليد في العصر الحجري القديم حدوث جفاف تدريجي في مناطق شرق البحر المتوسّط، كما أدّى إلى تقلّص مساحات الأراضي العشبية في مناطق بلاد المغرب القديم وتحولها إلى مناطق منفصلة تملأها الأعشاب والشّجيرات الصّغيرة، وأدّى السّعي الحثيث الذي مارسه كل من الإنسان والحيوان بحثا عن المصادر الشّحِيحة للمياه إلى حدوث تقارب إجباري بين الاثنين وفي ذلك الوقت ظهرت ضرورة اتّخاذ الخطوات الأولى في عملية استئناس بعض الحيوانات كالكلاب وأنواع أخرى، واستمرّت ظاهرة الجفاف التّدريجي في العصور التّاريخية اللّاحقة، وساهم الإنسان نفسه على استمرار حدوث هذه الظّاهرة وذلك بتكثيفه لعمليات رعي القطعان واستغلاله المفرط للغطاء النّباتي[2].

ب-الإستغلال الإقتصادي:

ساد الاعتقاد طويلا بأنّ الهدف الأساسي من التّدجين هو الرّغبة في استغلال الحيوان لأغراض اقتصادية، غير أنّ هذا الطّرح يبدو مستبعدا أيضا، إذْ أنّ لتدجين الحيوان يتطلّب من الإنسان أنْ يُقرِّبه إليه تدريجيا، ورغم أهمّية الدّافع الاقتصادي إلاّ أنّه يُعدّ دافعًا طارئًا جاء في مرحلة ثانية أو ثالثة، وبالتّالي فإنّ تدجين الحيوان يستدعي وجود دافع قوي ومستمرّ يؤسّس لعلاقة طويلة الأمد بين الطّرفين، ويُعتقد أنّ القربان يمكنه أن يعطي هذا الدّافع في المراحل الأولى من التّدجين[3].

[1] الماجدي خزعل، أديان ومعتقدات ماقبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1997، ص 59.

[2] سيريل ألدريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ إلى حتى نهاية الدّولة القديمة، ترجمة مختار السّويفي، الدار المصرية اللبنانية، 1996، ص ص 39-43.

[3] بودرقا الحسن، الثّروة الحيوانية بشمال افريقيا القديم، أطروحة دكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا، جامعة محمد الخامس، الرّباط 2001-2002، ص165.

ج–الدّافع الدّيني:

من الضّروري أنْ نضع في اعتبارنا إمكانية وجود أسباب رمزية حفّزت على الهيمنة المبكّرة على الحيوانات، فقد كانت السّيطرة عليها أمرا بالغ الصّعوبة في المجتمعات الرّوحانية أو الطوطمية نظرا لطبيعة تصورها "الأفقي" للعالم، إذ كانت ترى أنّ الحيوانات والنّباتات والبشر جميعا يشكلون كائنات متساوية المكانة داخل نظام كوني واحد.

وبتعبير آخر أنّ الإنسان في تلك المجتمعات ليست لديه حقوق أعلى من حقوق الكائنات الأخرى، وبانطلاق عملية تدجين الحيوانات يعني ضِمناً أنّه في مرحلة ما أعطى البشر لأنفسهم الحقّ في التّحكم بالطّبيعة، ويشير هذا التّحول إلى أنّ الهيمنة البشرية لم تكن ممكنة دون تغيير مفهومهم "الأفقي" لتصورهم الكوني للعالم بشكل جذري إلى مفهوم "عمودي"، وهذا ما حدث في الشّرق الأدنى، حيث بدأ البشر يرون أنفسهم ضمن نظام هرمي تهيمن عليه الآلهة ويضعون أنفسهم في مرتبة أعلى من الحيوانات والنّباتات ممّا سمح لهم بالسّيطرة عليهم أو قتلهم وتقديم الأضحية[1]، وبذلك يُسلّط هذا البعد الإضافي إلى العصر الحجري الحديث الضّوء على أهمّية الفكر الإنساني الرّوحي والرّمزي في أصول تدجين الحيوانات.

وعليه يُحتمل أنْ تكون الدّيانة قد هيّأت الشّروط الضّرورية لخلق روابط بين الإنسان والحيوان، فالمرور من الحيوان البرّي المتوحّش إلى الحيوان الأليف المدجّن كان يتمّ عبر مرحلة وسط يمثّلها الحيوان المقدّس أي الحيوان الأضحية أثناء الحفلات الطّقسية التي كانت المجموعة تقيمها لإله معيّن[2].

وكما ذكرنا سالفا أنّ الدّافع الاقتصادي مهمّ ويأتي في مرحلة ثانية أو ثالثة، فعندما حاول الإنسان تدجين الحيوانات سعى إلى تحقيق منفعته الشّخصية والاقتصادية، ولذلك قدم الحماية والغذاء لهاته الحيوانات، وفي المقابل استفادت الحيوانات المعنية من ظروف معيشتها الجديدة، وفي الواقع لولا تدجينها لكانت بعض الأنواع قد اختفت، وبذلك تولّدت تربية الحيوانات بعد التّطور على مرحلتين، وتتمثّل الأولى في ابقاء الحيوان في الأسر، أما الثّانية تتجسّد في السّيطرة على تكاثرها[3] وذلك بوضعها في بيئة مختلفة جذريا لتصبح فيما بعد مُلكًا للإنسان.

---

[1] Vigne (J-D.), Op. Cit., p 178.

[2] بودرقا الحسن، المرجع السّابق، ص 166.

[3] Bökönyi (S.), Op. Cit., pp 945-946.

وقد لخّص بعض الباحثين مجمل التفسيرات السابقة في اتّجاهين رئيسيين:

- **الإتّجاه الأول:** يعتبر أنّ تدجين الحيوانات كان نتيجة عوامل خارجية مثل ندرة الموارد الطّبيعية والتّغيرات المناخية غير الملاءمة والضّغط الدّيموغرافي المتزايد،...إلخ).
- **الإتّجاه الثاني:**يرى أنّ التّدجين يعود إلى عوامل داخلية أهمّها النضج الثّقافي والتطور الاجتماعي للإنسان.

ومهما يكن من أمر فقد ظهر نمط جديد للحياة، يعتمد على اقتصاد الإنتاج خلال الألفية العاشرة والتّاسعة قبل الميلاد في الشّرق الأدنى، وفي المقابل يبدو لدى بعض الباحثين أنّ هذا التّحول المجتمعي تأخّر ظهوره في بلاد المغرب القديم[1].

وعليه فإنّ الانتقال من الاعتماد على الحيوانات البرّية التي يتمّ اصطيادها إلى السّيطرة على بعضها وتدجينها واستغلالها يعدّ أحد أكبر التّحولات التي شهدتها عصور ما قبل التّاريخ، ولم يكن التّدجين حدثا مفاجئا بل مثّل عملية تراكمية طويلة ومعقّدة، ويمكن اعتباره كمرحلة نهائية في مسار تكثيف العلاقة بين المجموعات الحيوانية والمجتمعات البشرية، والتي أدّت إلى ظهور سلالات من الحيوانات المدجّنة ساهم فيها الإنسان بشكل أساسي على مدى العصور.

2- خصائص الحيوانات المدجّنة:

أ- التّغيرات السّلوكية:

يُعدّ السّلوك من السِّمات الأساسية لتحقيق تدجين فعّال، إذْ أنّ نجاح العملية يرتبط بعدّة عوامل منها: انخفاض مستوى العدوانية اتّجاه الإنسان، امتلاك الحيوان لغريزة القطيع، والقدرة على التّكاثر في ظروف الأَسْر، إضافة إلى صفات أخرى مثل سرعة النّمو ونوع النّظام الغذائي وتفضيل تدجين الحيوانات العاشبة على آكلات اللّحوم نظرا لسهولة توفير الغذاء لها وانسجامها مع متطلّبات التدجين.

وللتّدجين خصائص انتقائية حيث كانت الطريقة المتّبعة مع أيّ نوع من الحيوانات هي إبعاد أكثرها شراسة ووحشية، وتدجين ما كان هادئ الطّبع منها، أمّا الحيوان الذي يسبّب المتاعب أو الذي يكون خطرا

[1]Ouchaou (B.), Néolithisation au Maroc: comportements de subsistance et domestication animale, Ency-ber, XXXIV, Louvain, Peeters Publishers, Paris, 2012 , p 5512.

يتمّ ذبحه وترك الحيوان الطّيع ليعيش، وبهذا الانتقاء كانت السّلالات الوديعة من بين الأنواع البريّة التي تمّ تدجينها[1].

وفي المقابل لابدّ من طرح تساؤل عن الخصائص التي تجعل نوعا ما مناسبا للتّدجين وليس نوعا آخر؟ والجواب عليه معقّد، ففي المقام الأوّل تعتبر غريزة القطيع عاملا مهمًّا فنجد الأنواع المستأنسة الآن تعيش في قطعان، ومن المؤكّد أنّ الحيوانات التي تتميّز بالصّفة الجماعية تندمج بسهولة في القطيع الجديد، ومع ذلك ليست كلّ الحيوانات تصلح للتّدجين[2].

ب– التّغيرات البيولوجية عند الحيوانات:

بِغضّ النّظر عن الزّمان والمكان والظّروف المحيطة فإنّ التّدجين يخلق دوما أنواعا جديدة، إذْ لا يختلف الحيوان الدّاجن عن سلفه البرّي من حيث خضوعه لإرادة الإنسان فحسب بل هو حيوان آخر نتاج ظروف حياة جديدة[3]، وللتّعرف على مظاهر التّدجين المبكّر، ينبغي على المختص في علم الحيوان أنْ يجمع معلومات كثيرة لمعالجة إشكاليتين رئيسيتين تتمثّلان في وصف مستوى التّدجين والتّعديلات البيولوجية التي ترتّبت عن هذه العملية، وتعدّ التّغيرات المورفولوجية من المؤشّرات البالغة الأهمّية بالنّسبة للباحثين، إذ يمكن أنْ توفّر أدلّة مُهمّة عن وجود أو غياب حيوانات مدجّنة في مواقع العصر الحجري الحديث[4].

وبذلك فإنّ التّدجين عملية معقّدة أدّت إلى تغييرات تدريجية في الخصائص المورفولوجية لأسلاف الحيوانات البرّية من حيث المظهر (الحجم، الشّكل واللّون) وكذلك تغييرات سلوكية (السّرعة والقوة)، والفيزيولوجية (اللّحم، الصّوف والحليب...الخ)[5].

وتختلف التّغيرات البيولوجية الناتجة عن التّدجين باختلاف الأنواع المعينة، إلاّ أنّ هناك مجموعة من السّمات التي تعدّ شائعة في معظم حالات التّدجين مثل انخفاض في العدوانية وزيادة الخصوبة وتغير حجم

[1] رالف لنتون، شجرة الحضارة " قصّة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث"، ترجمة أحمد فخري، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص 153.

[2] Bökönyi (S.), Op. Cit., p 944.

[3] Veyret (P.), Géographie de l'élevage, Géographie Humaine, Nrf, 1951, p 19.

[4] Bökönyi (S.), Problems with using osteological materials of wild animals for comparisons in archaeozoology, Anthropologiai Közlemények , N° 37, 1995, p 3.

[5] Helmer (D.), Op. Cit., p 23.

الجسم وقصر الوجه وظهور ألوان جديدة للجلد، وقد اعتمد علماء الحيوان الأثريون على التّغيرات المورفولوجية (الشّكلية) لتحديد مكان وزمان تحول الحيوانات البرّية إلى مدجّنة[1].

ج- أهمّية الحيوانات المدجّنة:

تمثّل القطعان في جميع أنحاء العالم القديم أحد أسس الثّروة، وكان امتلاك عدد من أهم الحيوانات المدجنة علامة على السّلطة، وتمثّل ملكية الحيوان خاصة إذا كان له قيمة رمزية عالية علامة على الهيبة والمكانة الاجتماعية كما هو الحال في أجزاء كثيرة من افريقيا.

وكانت الحيوانات المدجّنة سلعة مادّية يمتلكها الإنسان منذ العصر الحجري الحديث حيث استعمل طاقة بعضها (الثّيران، الأبقار) في العمل الزّراعي، وكذلك لتنقّلاته وتحرّكاته (الأحصنة)، واستفاد من منتجاتها كاللّبن والصّوف (الأبقار والأغنام)، وعرف كيف يستخدم سلوكها في الصّيد والحراسة (الكلاب)، أو في الحرب(الأحصنة)، وذبحها وأصبحت طعاما له، هذا الإدراك للحيوان واستغلاله لم يتوقّف في جميع أنحاء العالم منذ عصور ما قبل التّاريخ إلى يومنا هذا[2].

وفيما يخصّ بلاد المغرب القديم فقد أكّدت معطيات الفنّ الصّخري أهمّية القطعان كمنتوج أساسي ومصدر اقتصادي عند المجموعات الرّعوية خلال المرحلة النّيوليتية التي امتدت في مناطق جغرافية متنوعة في الشّمال والجنوب، ممّا يشير إلى توفر الكلأ والماء آنذاك ولم تكن هذه المناطق تعاني من الجفاف الذي بدأ يظهر خلال النّصف الأول من الألف الرّابعة قبل الميلاد ممّا دفع الرّعاة في كثير من الأحيان إلى التّرحال بحثا عن مناطق مناسبة لقطعانهم[3].

ولعبت تربية الحيوانات دورا بارزا وحيويا في حياة سكّان بلاد المغرب القديم في فترة ما قبل التّاريخ وحتّى الفترة التّاريخية، فقد كان لها دور في تشكيل الثّقافات المختلفة وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية على المنطقة والتي سنفصِّل فيها بشكل أوضح في الفصل الخامس.

---

[1] Zeder (M-A.), Domestication and early agriculture in the Mediterranean Basin: Origins, diffusion and impact, PNAS, vol 105, N°33, 2008, p 11597.

[2] Zeghal Yazidi (S.), le bestiaire dans l'imaginaire des puniques, Thèse de Doctorat, volume 2, université de Tunis, 2005 -2006, p 250.

[3] أوبراهم جوهر، نماذج من الحياة اليومية للشعوب النيولتية من خلال الفن الصخري الصحراوي، مجلة المفكر، المجلد 2، العدد 2، جامعة الجزائر 2، 2018، ص 34.

II- تعدّد مراكز تدجين الحيوانات:

يعتبر العصر الحجري الأوسط (Epipaléolithique) مرحلة انتقالية بين الاقتصاد الذي يعتمد على صيد الحيوانات وجمع القوت، وبين الاقتصاد الذي يرتكز على الإنتاج من خلال الزّراعة والرّعي، حيث بدأت المحاولات الأولى لاستئناس الحيوانات منذ العصر الحجري الأوسط لتصبح تربيتها أمرًا واقعًا ومؤلوفًا ابتداءا من أواسط العصر الحجري الحديث، ويجهل الكثير عن البدايات الأولى التّي قادت الإنسان إلى استئناس أنواع معينة من الحيوانات دون غيرها[1]، ومن المحتمل أنْ تكون الخطوة الأولى في الاستئناس قد بدأت بشكل مباشر من نشاط القنص[2].

لقد كانت العلاقة بين الإنسان والحيوان خلال فترة ما قبل التّاريخ علاقة الصّياد بفريسته، وانتقل الإنسان القديم من دور الصّياد إلى دور الرّاعي المسيطر على الحيوانات التي اختارها أن تكون تحت حكمه، ومن العبث أن نبحث عن المكان الأول الذي تمّ فيه تدجين الحيوانات وتربية الماشية ولا زالت إشكالية التدجين محل جدل بين الباحثين لغاية اليوم، وتدجين الحيوان بأنواعه المختلفة لم يتم في وقت واحد بل اختلف من حيث وقت تدجينه ونوعه لأنّ لكلّ بيئة نوعا معينًا من الحيوانات يستطيع الإنسان التّعايش معه، ولذلك من الصّعب وضع تسلسل زمني لتدجين الحيوان على مستوى العالم [3].

ونحن بدورنا نأخذ برأي توينبي الذي يعتقد بأنّه ليس ما يؤكد أنّ اختراعات الإنسان تمت في مكان واحد وزمن واحد فقط بل يمكن لأي اختراع أن يُقتبَس في أماكن وأزمنة أخرى، ويمكن أن ينشأ بشكل مستقلّ في أماكن متعدّدة أو ينتشر من مكان إلى آخر عبر ما يسمى بـ "الحافز على الانتشار"، فقد يدفع رؤية اختراع أجنبي بمجتمع معيّن إلى تقليده بل إلى ابتكار ما يقابله بأسلوبهم الخاص، ومع ذلك فإنّه من الممكن أنْ تتمّ اختراعات متطابقة تماما في بضعة أماكن وأزمنة بشكل مستقلٍّ تماما بسبب الطّبيعة البشرية المشتركة، وفي

[1] صندوق ستّي، الثّروة الحيوانية والغطاء النّباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2020، ص 205-206.

[2] لابدّ أن نشير إلى أنّ التّحول من ثقافة الصّيد إلى ثقافة الإنتاج لم يتم بطريقة مفاجئة، ويعتبر الصّيد المهنة الأولى التي احترفها الإنسان، ثم انتقل منها إلى الرّعي، وباهتدائه للزّراعة دفع دفعًا إلى الاستقرار وانشاء الأسرة، ثمّ نشأت الملكية ونتج المجتمع كنتيجة لضرورة التّعاون، واستخدم الدّين لتدعيمه، للمزيد يراجع: نجيب ميخائيل ابراهيم، المرجع السّابق، ص ص 13-14.

[3] على أحمد هارون، جغرافية الزراعة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 38.

الكثير من الحالات يصعب تحديد ما إذا كان اختراع مُعين قد نشأ بشكل مستقلٍ أم أنّه كان استجابة لحافز خارجي أم أنّه تمّ اقتباسه[1]، وهذا ما يدعّم فكرة تعدّد مراكز تدجين الحيوانات عبر الزّمان والمكان.

ويمكن أنْ يحدث تدجين مستقلّ للحيوانات في مناطق جغرافية معيّنة، بحيث تتطور هذه العمليّة بشكل منفصل في بيئات مختلفة، ومع انتقال الحيوانات المدجّنة من منطقة إلى أخرى قد تُطمس الأدلّة القديمة على التّدجين المحلّي ممّا يجعل من الصّعب تحديد الأصول المحلّية لبعض الحيوانات المدجّنة وتبقى غير معروفة[2].

ورغم ذلك هناك من يعتقد أن يكون تدجين الحيوان قد حدث مبكّرا في الشّرق الأدنى مقارنة ببقية أنحاء العالم، انظر الشّكل رقم (2)، إذْ وُجِد في أقدم الطّبقات المتعاقبة لموقع جرمو[3] (شمال العراق) بقايا عظام أربعة حيوانات وهي الماعز والغنم والبقر والخنزير.

ومن بين أقدم الأمثلة على المراقبة والسّيطرة على الأغنام نجدها في موقع زاوي شيمي شانيدار (Zawi Chemi Shanidar) بشمال شرق العراق، ويعود تأريخها إلى حوالي 8900 ق.م[4]، وفي منطقة الفيّوم بمصر وفي موقع النّطوف بفلسطين، وفي قرية تبة سيالك الأولى بايران[5]، والامتداد الجغرافي لهذا التّدجين في الغرب بموقع كافر بجنوب شرق تركيا، وفي موقع موريبط وأزواد بسوريا، ويحتمل أن يعود استئناس تلك الحيوانات إلى حدود 9500 إلى 9200 قبل الحاضر[6].

---

[1] توينبي أرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ج1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص 68.

[2] FAO, Organisation des Nations Unies pour l'Alimentation et l'Agriculture, L'état des ressources zoogénétiques pour l'alimentation et l'agriculture dans le monde, édité par Barbara Rischkowsky et DafyddPilling. Rome, 2008, p 10.

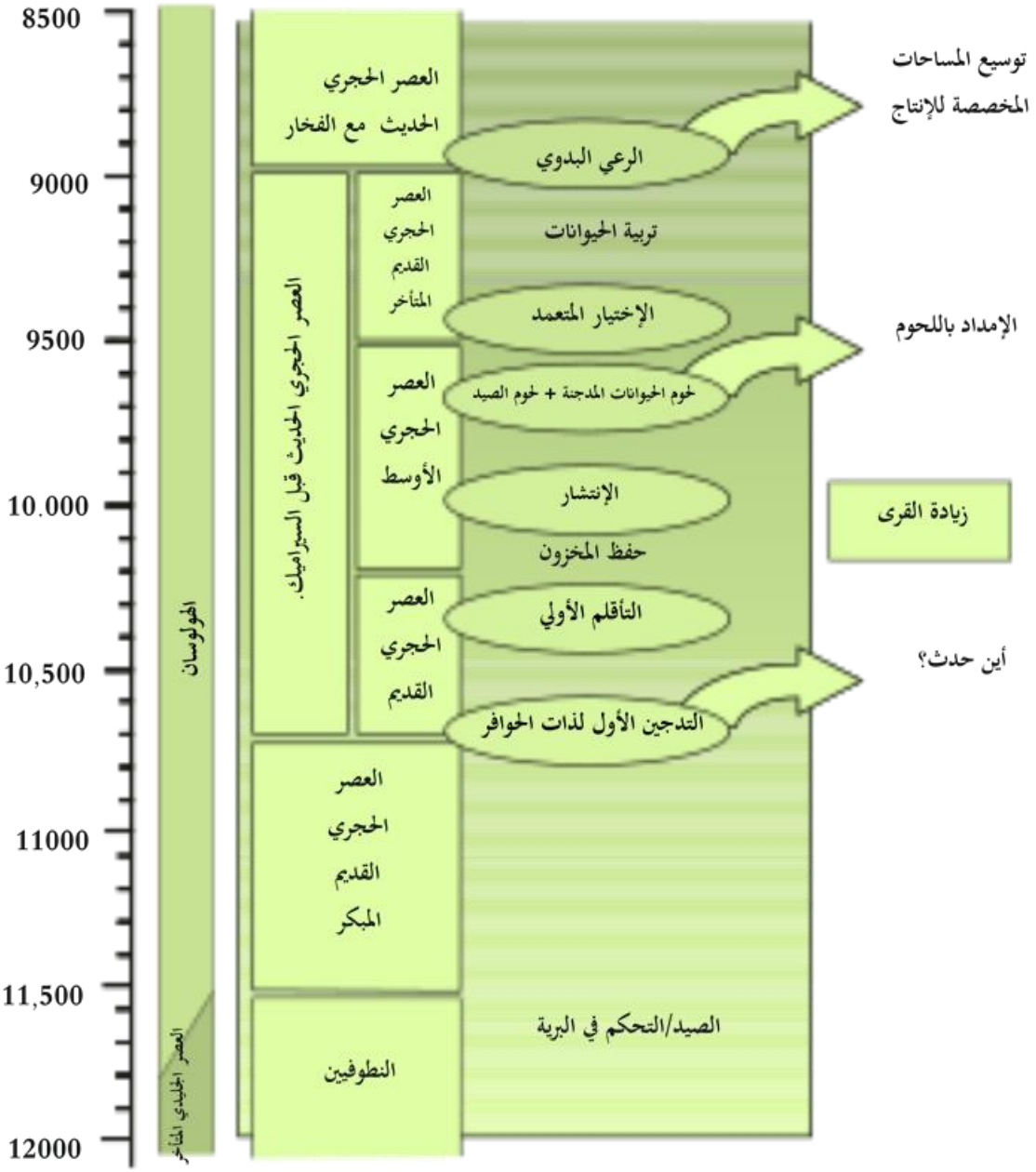
[3] من إحدى أهمّ مواقع عصور ما قبل التّاريخ التي تمّت فيها ممارسة عمليات التّدجين لبعض الحيوانات كالأغنام والماعز والخنازير، كما تعدّ قرية حسّونة وكذلك قرية يارم تبه (التل الأول) والتي يعود تاريخها إلى الألف السّادسة قبل الميلاد من القرى الزّراعية المتقدّمة في مجال التّدجين لبعض الحيوانات، وتمخّض عن هذا الإنجاز الذي حقّقه انسان العصر الحجري الحديث قيام حرفة اقتصادية بالغة الأهمّية والمتمثّلة في حرفة الرّعي، للمزيد يراجع: عامر سليمان إبراهيم، عبد العزيز الياس سلطان، البيئة الطبيعية وأثرها في الأنشطة الاقتصادية الأولى للإنسان في بلاد الرافدين، مجلة آداب الرافدين ، مؤتمر كلية الآداب العلمي الثالث، العدد44، 2006 ، ص 1654.

[4] Jean-Loïc Le Quellec, Première exaltations du mouton, In book: n Le mouton, sa vie, ses oeuvres. Exposition du 20 juin au 28 novembre 1999 au Musée départemental de l'Abbaye de Saint-Riquier, p 8.

[5] الدّباغ تقي، تدجين الحيوان استنادا إلى الآثار المكتشفة في المواقع الأثرية، مجلة كلية الآداب، العدد 30، جامعة بغداد، 1981، ص 286.

[6] أوبراهم جوهر، المرجع السّابق، ص 33.

وهذا إنْ دلّ على شيء فهو يدلّ عن تميز هذه المواقع من العراق ومصر وسوريا وفلسطين وإيران وتركيا بثروة حيوانية كبيرة ما جعلها تكون من المراكز المبكّرة لعملية التّدجين، وقد ساهم في ذلك اعتدال المناخ في أجزاء عدّة من الشّرق الأدنى القديم، وكذلك وفرة الموارد المائية وتنوع الغطاء النّباتي كلّ ذلك يؤدّي حتمًا إلى وفرة المراعي وتنوع الحيوانات وتنوع استغلالها وإنتاجها.



الشكل رقم (2) : رسم تخطيطي يبين المراحل المختلفة لظهور تربية الحيوانات في الشرق الأدنى القديم (بتصرف)

المصدر: Vigne. (J-D.), The origins of animal…, Op. Cit., p 175

وفي المقابل لابدّ أن نشير إلى أنّ الاكتشافات الأثرية الجديدة دفعت إلى ضرورة النّظر في المزيد من مراكز العصر الحجري الحديث إلى جانب المركزين الرّئيسيين في الشّرق الأدنى القديم بين الألف التّاسعة والألف السّابعة قبل الميلاد، وأمريكا الوسطى بين الألف الخامسة والثّانية قبل الميلاد مثل (زاغروس، الأناضول، البلقان، الصّين، الأهقّار...الخ)، وفيما يتعلّق بافريقيا فمن الضّروري الأخذ بعين الاعتبار وجود مراكز العصر الحجري الحديث المبكّر في الصّحراء[1] وهناك موقع "أمكني" نواحي تمنراست يؤرّخ له ب6900 قبل الحاضر، حيث تميّزت ثقافات العصر الحجري الحديث في البحر الأبيض المتوسّط بِتَبنّي نموذج اقتصادي زراعي رعوي قائم على تدجين الحيوانات والنّباتات[2].

ويُحتمل أنْ تكون الذّئاب (Canis lupus) هي النّوع الأوّل من الحيوانات التّي تمّ تدجينها خلال أواخر العصر الجليدي من قِبل الصّيادين الآسيويين والأوروبيين، حدث هذا في مكان ما حوالي (17- 15 ألف سنة قبل الحاضر) أو ربّما قبل ذلك، ولم تحدث تغيّرات كبيرة في طريقة حياة البشر، ويشير هذا إلى أنّه على الأقل خلال العصر الحجري القديم الأعلى كان الإنسان قادرًا بالفعل على التّدجين، لكنّه استخدم هذا السّلوك بشكل متقطّع لعدد محدود من الأنواع في ظروف معينة واستمرّ تدجين الأنواع الجديدة طوال آلاف السّنين[3].

أمّا الكلب فقد كان من أوائل الحيوانات التي تمّ استئناسها بشكل فعلي[4] إذْ عُثر على بقاياه العظمية في وقت مبكّر جدّا، وتمكّن الإنسان من تدجينه في عدّة مناطق من العالم، ويُحتمل أن يعود ذلك إلى حوالي 15000 قبل الميلاد، حيث وُجدت بقايا عظام كلب صغير مدفون إلى جانب امرأة في قبر بوادي الأردن، وقد لعب الكلب دورًا مهمًّا في تتبّع الحيوانات المصابة وتسريع عملية التّدجين في وقت مبكّر[5].

[1] Bouchel (D.), Lauvergne (J-J.), Le peuplement de l'Afrique par la chèvre domestique, Revue d'Elevage et de Médecine Vétérinaire des Pays Tropicaux, 49(1), 1996, p 81.

[2]Roubet (C.), Ouchaou (B.), Sur la domestication animale holocène en Afrique du Nord, Regard vers le pastoralisme en Algérie et au Maroc VI-III mil.cal BC, Géosciences, environnement et patrimoine de part et d'autre du détroit de Gibraltar Actes de la sixième Rencontre des Quaternaristes Marocains, 15-17 Novembre 2011, RQM6,Tanger, 2014, p 176.

[3] Vigne (J-D.), Op. Cit., pp 171- 172.

[4] Larousse, Pierre. tome 6, Op. Cit., P 1050.

[5] Kevin (S.), Op. Cit., p 4.

وفيما يخصّ بقيّة الحيوانات التي اعتمد عليها الإنسان واستغلّها في العصور اللاّحقة فقد تمّ تدجين معظمها خلال العصر الحجري الحديث وهي الفترة التي شهدت اختفاءا تدريجيا لحيوانات الصّيد الكبيرة التي كانت تشكّل المورد الرئّيسي للصّيادين في الفترات السّابقة، وبدأ عهد الصّيد بالانحسار وظهور عصر الرّعي والرّعاة.

وقد تمّ تدجين تلك الحيوانات بدءًا من الماعز ثم الأغنام والتي تتميز بالخاصّية الاجتماعية[1]، حيث تمّ تدجين الماعز حوالي 10 آلاف سنة قبل الحاضر في زاغروس باستخدام سلالات محلّية مختلفة، كما بدأ تدجين الماشية حوالي 8.5 آلاف سنة قبل الحاضر في وادي السّند (باكستان)، وهناك مركز مستقلّ آخر لتدجين الخنازير في الصّين حوالي 8 آلاف سنة قبل الحاضر ، وحدثت موجة أخرى من تدجين الثّدييات الكبيرة في العالم القديم خلال الفترة (6-4 آلاف سنة قبل الحاضر)، وجاء تدجين الطّيور (الدّيك الرّومي والبط البربري في أمريكا، والدّجاجة في جنوب شرق آسيا) في وقت لاحق[2]، وعليه يُمكننا ترجيح فرضية التّدجين المتعدّد أي يُحتمل أن تكون معظم أنواع الماشية نتيجة عمليات تدجين جرت في مناطق جغرافية مختلفة بشكل مستقلّ.

وقد كان تدجين الحيوانات تَقدِمَة ضرورية لتدجين النّباتات والعناية ببعض أنواعها التّي كان ينتفع منها مباشرة، وباكتشاف الزّراعة أصبح تدجين وتربية الحيوانات عملية واسعة ساهمت بدورها في تطوير الزّراعة ونموها، وقد فَصل فارون (Varro) تربية الحيوانات عن الزّراعة لكنّهما متكاملان، وأكّد أنّ الرّعي سابق للزّراعة[3]، وبذلك فإنّ الزراعة وتدجين الحيوان ليسا بالضّرورة نشاطين متلازمين، كما أنّ الزّراعة لا تؤدّي بالضّرورة إلى الحيوانات الدّاجنة[4].

[1] فاغان براين، الصيف الطويل، دور المناخ في تغيير الحضارة، ترجمة مصطفى فهمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، عدد 340، الكويت، 2007، ص 135.

[2] Vigne (J-D.), Op. Cit., p 174.

[3] Varron, Economie rurale, T1, 1985, Paris, Les belles lettres, I, 2.

[4] فاغان براين، المرجع السّابق، ص 135.

وكما ذكرنا آنفا أنّ تدجين الحيوانات قد حدث في مناطق مختلفة، وامتداد مجال تربية حيوان إلى عدّة أقاليم، ونظرا لتعدّد مراكز تدجين الحيوانات في العالم القديم ورعيها، سنأخذ مركزين على سبيل المثال لا الحصر وهما: منطقتي الشّرق الأدنى القديم (مصر أنموذجا)، والبحر الأبيض المتوسّط بما فيها بلاد المغرب القديم موضوع دراستنا.

III- الرّعي في الشّرق الأدنى القديم (مصر أنموذجا):

كان الرّعي أهمّ ركائز الاقتصاد المنتج في العالم القديم، وسنركّز على دراسة الرّعي في مصر كنموذج لما تتميز به من موقع جغرافي مجاور لبلاد المغرب القديم وكذلك علاقاتها المبكّرة مع هذه المنطقة، فهي تمثّل جزءًا رئيسيا إلى جانب مناطق أخرى من الشّرق الأدنى القديم.

تمّ العثور على أقدم بقايا عظمية لحيوانات مدجّنة في الفيّوم ومرمدة بني سلامة بمصر، وقد دفعت الظّروف المناخية في أواخر عصر البلايستوسين الإنسان والحيوان إلى أن يشتركا معًا في بيئة واحدة، حيث ساد مناطق بلاد المغرب مناخ مطير حَوّل الصّحاري الكبرى إلى مناطق غابية تنتشر فيها المستنقعات، وتعيش فيها قطعان كبيرة من أنواع الحيوانات المختلفة، ومن المحتمل أنّ بداية ظهور الحيوانات في مصر أثناء عصر البلايستوسين كان قبل ظهور الإنسان بفترة طويلة[1].

ويُحتمل أنّ استئناس الماشية في مصر خلال عصور ما قبل التّاريخ قد بدأ أوّلا في شمال البلاد، ويقوم هذا الافتراض على عوامل بيئية وأخرى دينية، فعلى المستوى الدّيني برزت بعض المقاطعات التي اتخذت من البقر والثّيران والعجول رموزا لها، أمّا العوامل البيئية فتتمثّل في كثرة وجود المستنقعات في منطقة الوجه البحري والتي وفرت بيئة مناسبة لنمو الحشائش والمراعي الطّبيعية، وفي الدّولة القديمة تمّت تربية قطعان ضخمة من الحيوانات الموجودة على ضفاف النّيل وفي مستنقعات البردي حيث كانت الأبقار والثّيران ترعى حرّة طليقة، كما يظهر ذلك في معظم نقوش المقابر التي تنتمي إلى هذه الفترة[2].

وكانت الحيوانات المختلفة من أهمّ موضوعات الفنّ المصري القديم حيث تمثّل الرّسوم قائمة ضخمة من مختلف أنواع الحيوانات، كما تدلّ في الوقت نفسه على رؤية الفنّانين الدّقيقة لهذه الكائنات وانعكست في دقّة التّعبير عن خصائص الحركة والشّكل العام لكلّ حيوان اتّخذه الرّسام موضوعا لعمله[3]، وهذا يدلّ على مستوى عال من الملاحظة والفهم لخصائص الحيوانات.

---

[1] عيسى إبراهيم محمد عيسى، حرفة الرّعي في مصر إبّان العصرين البطلمي الروماني – في ضوء الوثائق البردية، رسالة ماجستير في التاريخ القديم (اليوناني – الروماني)، جامعة الأزهر،2017، ص ص 2-3.

[2] مرزوق السّيد أمان، الرّعي والرّعاة في مصر القديمة، رسالة ماجستير في الآثار المصرية، جامعة القاهرة، 2001، ص ص 7-9.

[3] وليم هـ.بيك، فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفي، هيئة الآثار المصرية، 1987، ص 115.

أمّا عن المراعي الطّبيعية فقد كانت منتشرة في الدّلتا وحول ضفاف النّهر حيث تنمو الأعشاب والمراعي الطّبيعية التي كانت ترعى فيها الحيوانات، وعندما يغمر الفيضان أرض النّيل كان الرّعاة يقدّمون العلف لحيواناتهم[1].

وإنْ كانت المصادر لا تسمح بدراسة الرّعي دراسة وافية خلال عصر ماقبل الأسرات وبداية الدّولة القديمة إلاّ أنّ المناظر والرّسومات التّي وُجدت على جدران المقابر في الدولة القديمة خاصّة في مقابر الأشراف من الأسرة الخامسة مثل مصطبة "تي" بسقارة، ومن الأسرة السّادسة مثل مصطبة "مريروكا" بسقارة، تعطينا الرّسومات المنقوشة أروع السّجلات التّاريخية المصورة عن فئة الرعاة من المجتمع المصري القديم وحيوانات الرّعي المعهود إليهم برعايتها وكيف كانوا يعاملونها ويحمونها، وقد استمرّت حرفة الرّعي في الدّولة الوسطى، وتمّ تصوير ذلك على جدران الكثير من المقابر في بني حسن والبرشا وزاوية الأموات وغيرها[2]، وفي عصر الدّولة الحديثة نجد مناظر الرّعي على بعض جدران المقابر التي تعود إلى هذه الفترة، كما ذكر في "كتاب الموتى" أنّ المتوفّ لم يطرد الماشية من مرعاها.

وهذا يدلّ على مدى حُبّ المصري القديم لحيواناته لدرجة أنّه كان يُصورها في جميع مراحل الرّعي منذ خروج الرّاعي بها وعبور القنوات ثم حلبها في المراعي وولادتها، وقد احتلّت الأبقار مكانة هامّة بين الأنعام عند قدماء المصريين منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت مخصّصة للحصول على الألبان والتّكاثر، بينما خصّصت الثّيران للأعمال الشّاقة[3]، أمّا الأغنام والماعز اهتمّ بتربيتها في الجنوب لضيق الوادي وقلّة المرعى، ولهذا كثر تقديس الأغنام والماعز في الوجه القبلي[4].

كما أولى المصريون القدماء اهتماما واضحا بإقامة الحظائر الخاصّة بحيواناتهم حيث كانوا يربطون الحيوانات داخلها بانتظام ويتجلّى ذلك في إحدى الرّسومات المكتشفة في تلّ العمارنة، وعلى الرغم من تباين ظهور مناظر الرّعي في المقابر من فترة لأخرى من ظهور واختفاء إلاّ أنّ الرّعي لم يختف من مصر الفرعونية،

[1] مرزوق السّيد أمان، المرجع السّابق، ص 168.

[2] نفسه، ص 11.

[3] عيسى إبراهيم محمد عيسى، المرجع السّابق، ص 5.

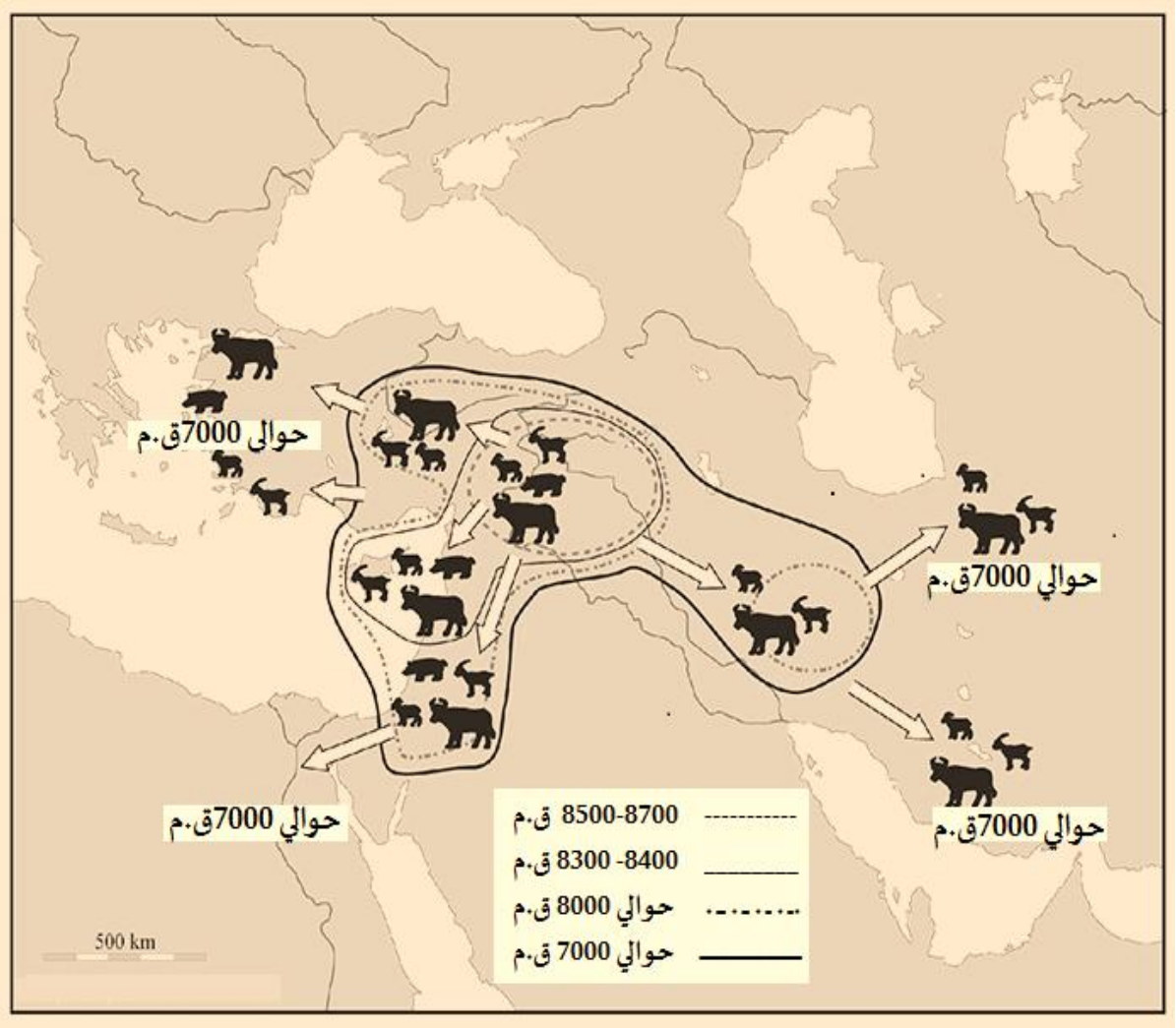
[4] مرزوق السّيد أمان، المرجع السّابق، ص 10.

وظلّت العناية بالحيوان مستمرّة في كل العصور سواء أكان للتّقديس أو مصدر ثروة طبيعية، وإنْ اختلف حيوان الرّعي وطبيعة الرّعاية من فترة لأخرى[1].

ومن الحقائق التي تلفت النّظر أنّ عددا من الحيوانات التي خضعت لعمليات التّدجين في فترات سابقة قد عادت إلى حالتها البرّية، فعلى سبيل المثال تظهر الغزلان في الرّسومات المصرية القديمة جنبا إلى جنب مع قطعان الماشية، غير أنّها لم تقدّم منافع مثل إنتاج الحليب واللحم، الأمر الذي جعل الإنسان يصرف النّظر عنها، وينطبق الأمر ذاته على الضِّباع والتي عادت إلى نمط حياتها الوحشي[2]، وهذا مايقودونا إلى القول بأن قابلية التدجين لم تكن ممكنة لجميع الأنواع الحيوانية.

[1] مرزوق السّيد أمان، المرجع السّابق، ص ص 13-14.

[2] رالف لنتون، المرجع السّابق، ص 153.



الشّكل رقم (3): خريطة انتشار الحيوانات المستأنسة وتربيتها في الشّرق الأدنى (بتصرف)

المصدر:

Vigne (J-D.), Les débuts de l'élevage des ongulés dans l'Ancien Monde : interactionsentre société et biodiversité, La révolution néolithique dans le monde, Colloque international organisé par la Cité des sciences et de l'industrie et l'Inrap, sous la direction scientifique de Jean-Paul Demoule. Auditorium de la Cité des sciences et de l'industrie, les 2, 3 et 4 octobre 2008, Paris, CNRS, 2010, p 150.

IV- الرّعي في منطقة البحر الأبيض المتوسّط:

سنركّز في دراستنا على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسّط بشكل خاص، ويقصد به ذلك الفضاء الجغرافي الذي يشمل الضفّة الشّمالية أي المناطق الجنوبية من القارّة الأوروبية والضفّة الجنوبيّة أي بلاد المغرب القديم الممتدَّة من ليبيا إلى المحيط الأطلسي، وقد شكّلت هذه المنطقة مجالاً للتّواصل والتّفاعل الحضاري عبر العصور بفعل تقاربها الجغرافي وتشابك مصالحها المختلفة، حيث تميّزت ثقافات الدّول المطلّة على المتوسّط في العصر الحجري الحديث بتبنّي أسلوب اقتصادي زراعي رعوي، يعتمد على تدجين النّباتات والحيوانات، وتشكّل هذه المنطقة مجالاً متميزًا لدراسة ذلك التّحول من المجتمعات القديمة للصّيادين وجامعي الثّمار إلى مجال لإنتاج الغذاء من طرف المزارعين والرّعاة.

وهناك من الباحثين من يرى أنّ هذا التّحول بدأ في شرق البحر المتوسّط، حيث عدَّلت المجتمعات تدريجياً نمط حياتها لتصبح منتجة ومستقرّة والانتقال إلى العصور التّاريخية، وانتشر هذا النّظام الجديد في المنطقة عبر آليات معقّدة مما أدّى إلى عمليات يتحكّم فيها الدّور المزدوج للقيود البيئية والإبداع البشري[1]، وقد شكّل هذا التّغير منعطفا هامّا في مسار التّطور الحضاري لبلاد المغرب القديم[2]، وكان جزءًا من النّسق العام لغرب البحر الأبيض المتوسّط[3].

[1] Manen (C.), Dynamiques spatio-temporelles et culturelles de la néolithisation ouest-méditerranéenne, La transition néolithique en Méditerranée, Où comment des chasseurs devinrent collecteurs : actes du colloque international, Toulouse, avril 2011, AEP, 2014, pp 405-418.

[2] أصبحت الدّراسات الحديثة المهتمّة بفترة ما قبل التّايخ تتّجه الى اعتبار بلاد المغرب القديم إحدى أقدم المناطق التي عرفت بداية العصر الحجري الحديث مبكّرا وذلك بعد ظهور وثائق جديدة ودراسات متعدّدة التّخصصات، ساعدت على اكتشاف أنّ بداية هذا العصر بمنطقتنا تعود على الأقل إلى الألف التّاسعة قبل الحاضر، وقد مكّنت وثائق الفنّ الصّخري من المساهمة في تجاوز المعطيات التي كانت سائدة من قبل والتي تعتبر بلاد المغرب القديم آخر المناطق التي عرفت هذه الثّورة التقنية ، للمزيد يراجع: بودرقا الحسن، المجال والتاريخ مساهمة في في تاريخ شمال افريقيا، " كتاب أضواء جديدة على تاريخ شمال افريقيا وحضارته"، ط1، المملكة المغربية، 2007، ص 60.

[3] Ouchaou (B.), Ballouche (A.), Aux origines de l'agriculture et de l'élevage en Afrique du Nord méditerranéenne. Exemple du Maroc septentrional, Qt1 - Première Rencontre pour l'Etude du Quaternaire Tunisien Tunis, 12-14 avril, 2012, p 2.

وعلى ما يبدو أنّ استئناس الحيوانات كان له الأسبقية على زراعة الحبوب في مناطق جنوب البحر الأبيض المتوسّط[1]، حيث شهد العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب القديم توسّعًا كبيرًا في مجال استئناس الحيوانات، والتّوقيت الدّقيق لظهور تدجين الحيوان غير محدّد[2]، ممّا فتح المجال أمام عدّة فرضيات، فقد يكون ظاهرة محلّية أو ذات أصل خارجي من مناطق أخرى، وبصرف النّظر عن منشئه فقد كان لهذا التّحول تأثير عميق أدّى إلى تغيير جذري في هيكلة المجتمع من الصّيد والجمع إلى حياة أكثر استقرارًا، وساهم في التّطور الحضاري للمنطقة.

وعليه فإنَّ ظاهرة الرّعي وتربية الحيوانات موغلة في القدم حيث تطور العصر الحجري الحديث الرّعوي القديم في منطقة الصّحراء من الألفية الثّامنة وحتى السّابعة قبل الميلاد في مواقع تادرارت أكاكوس وإيدين دي مرزوق في ليبيا وفي تين هناكتن (التّاسيلي- ناجر) في الجزائر، هذه الأشكال القديمة للتّدجين تخصّ الأبقار الكبيرة في المجتمعات الرّعوية في عصور ما قبل التّاريخ[3].

وترى الباحثة العقون أم الخير أنّ عملية استئناس البقريات كانت متطورة في منطقة الصّحراء وتأخّرت قرونًا قليلة بعد ذلك بالنّسبة للماعز وهي سابقة لمثيلتها في الفيوم بألف سنة، وكذلك بألف وخمسمائة سنة لموقع مرمدة بني سلامة، بل وسبقت الاستئناس في شهيناب (السودان) الذي وُجدت به مخلّفات عظمية للبقر والماعز وتعود إلى الألف الرّابعة قبل الميلاد[4].

وعلى ما يبدو أنّ الرّعي المبكّر كان نظاما بدائيا تمّ إنشاؤه من الألف السّادسة إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، ومع التّطورات الاقتصادية والاجتماعية والنّمو الدّيموغرافي المستمر، تشكّلَ طابع رعوي وسادت هوية مشتركة قوية، وبانتشار الرّعي في المنطقة أصبح امتلاك الماشية يمثّل شكلا من أشكال الثّروة المتجدّدة التي

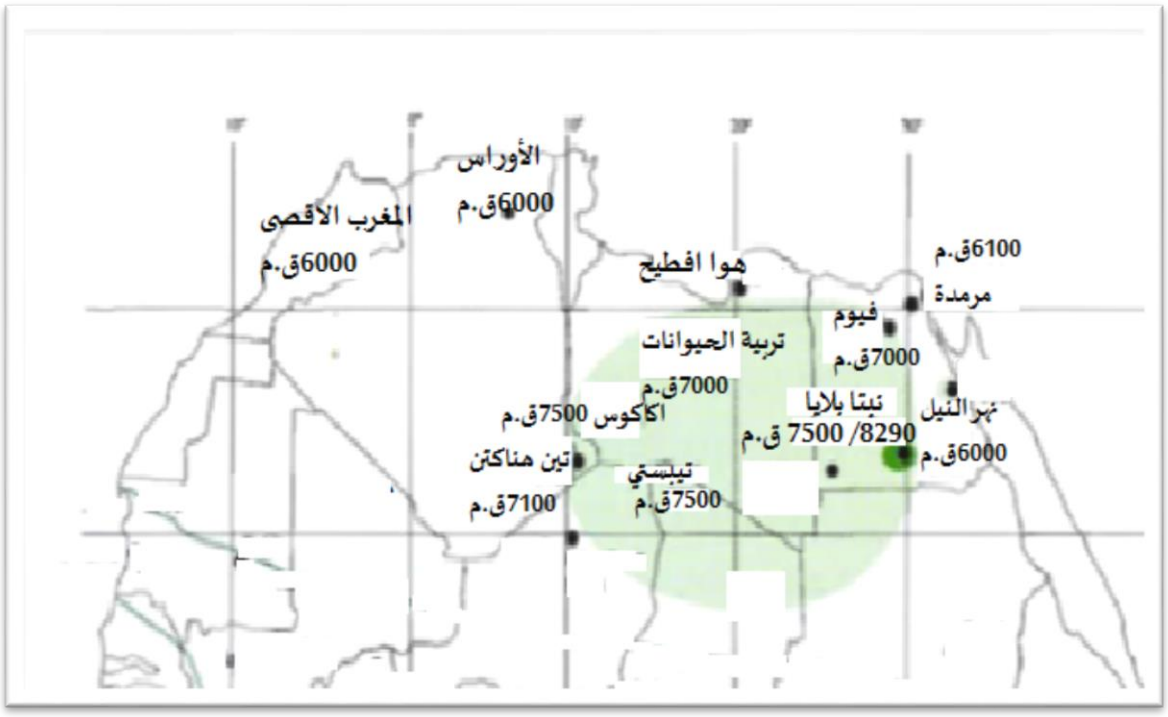
[1] هميل سميرة، العصر الحجري الحديث التلي بالساحل الغربي للجزائر (وهران أنموذجا)، أطروحة دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2017-2018، ص 12.

[2] فابريزيوموري، تادرارت أكاكوس – الفنّ الصّخري وثقافات الصّحراء ما قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني، فؤاد الكعبازي، دار الكتب، ليبيا، 1988، ص 54.

[3] Ouchaou (B.), Ballouche (A.), Op. Cit, p 2.

[4] العقون أم الخير، العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسطى بين المحلية والتأثير الخارجي، أعمال الملتقى الوطني الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، 2013، ص 200.

توفّر الاكتفاء الذّاتي بصفة دائمة، ومن خلال علاقات التبادل والتّواصل مع المجموعات الأخرى أصبح الرّعاة أكثر وعيًا وإدراكًا بدورهم المتنامي[1] وسنتطرّق إلى كلّ ذلك بالتّفصيل في الفصول القادمة.



الشكل رقم (4): خريطة تمثّل أقدم مناطق تربية الحيوانات في شمال افريقيا (بتصرف)

المصدر:

Vernet (R.), Le Sahara préhistorique entre Afrique du Nord et Sahel: état des connaissances et perspectives, Andrés. Bazzana, HamadyBocoum,Du Nord au Sud du Sahara - 50 ans d'archéologie française en Afrique de l'Ouest et au Maghreb : bilan et perspectives, actes du colloque, Paris, 13-14 mai 2002, Sépia, Paris, 2004, p 97.

[1] Roubet (C.), Ouchaou (B.), Pastoralisme néolithique initial au Maghreb, Ency-ber, XXXII, Louvain/Paris, Peeters Publishers, 2015, p 6162.

أمّا فيما يخصّ الضّفة الشّمالية للبحر الأبيض المتوسّط، فإنّ مسألة الانتقال من الصّيد إلى تربية الحيوانات في العصر الحجري الحديث في جميع أنحاء أوروبا بين الألفية السّابعة والألفية الرّابعة لا تزال غير مفهومة بشكل دقيق رغم البحوث الجادّة في هذا المجال، وظهور عدّة فرضيات حول المهاجرين خاصّة من الشّرق الأدنى القديم وانتشار ثقافتهم خاصّة تدجين الحيوانات والزّراعة والتّفاعلات بين الثّقافات المحلّية والوافدة[1] إلاّ أنّنا لسنا بصدد طرحها ومناقشتها.

وبصفة عامّة يُحتمل أنْ يكون المهاجرون الأوائل والذين وصلوا إلى المنطقة في العصر الحجري الحديث قد قدموا من إقليم الأناضول، ويبدوا أنّهم ثبّتوا أقدامهم أولا في المنطقة التي تُعرف الآن باسم البلقان، ومن هذه النّقطة كان هناك طريقان رئيسيان للهجرة: الأول امتدَّ على طول سواحل البحر الأبيض المتوسّط، والثّاني اتّجه نحو أواسط أوروبا، وقد جلب هؤلاء الذين استقرّوا في مناطق البحر الابيض المتوسّط معهم الحيوانات المستأنسة التي كانت معروفة في جنوب غربي آسيا، إلاّ أنّ البيئات الجديدة فرضت عليهم إدخال بعض التّغييرات، ما أدّى إلى ظهور نظام رعوي خاصّ بهم[2].

وخلاصة القول أنّ التّدجين ليس حدثًا فوريًا بل إنّها عملية تراكمية على المدَى الطّويل وأنّ مراكز التّدجين متعدّدة، ومن الصّعب تحديد تاريخ دقيق لتدجين الحيوانات، وأنّ البِدايات الأولى للعلاقة بين الإنسان والحيوان تعود لاحتياجات الإنسان المختلفة حيث تقرّب الإنسان من الحيوان ومرّت علاقتهما بعدّة مراحل بداية بالتعايش، مرورا بالتّرويض، والاستئناس، والتّدجين ثمّ ظهور النّشاط الرّعوي، ليتحوّل فيما بعد إلى نظام قائم بذاته، ويكون السِّمة البارزة لبعض المجتمعات التي أصبحت تعرف بالمجتمعات الرّعوية، كما تبرز قدرة الإنسان على تحويل ثروات الطّبيعة لصالحه.

[1] Larson et al., Ancient DNA, pig domestication, and the spread of the Neolithic into Europe, 104 /39 , PNAS,Cambridge, 2007, P 15276.

[2] رالف لنتون، المرجع السَّابق، ص ص 118- 120.

الفصل الثاني:

الرّعي وخصائص البيئة الطبيعية للمغرب القديم

أولا– التّضاريس

ثانيا– المنـــاخ

ثالثا– التربة والغطاء النّباتي

يعتبر الرّعي من أهمّ الأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم، حيث لعب دورا حيويا في حياة سكّان هذه المنطقة، ولفهم ديناميكيات الرّعي يجب دراسة العوامل البيئية[1] التي تؤثّر على النّشاط الرّعوي ومجال توزيعه والتي تتضمّن "التّضاريس، المناخ والغطاء النّباتي"، وهذا التّرتيب المنطقي يعكس التّسلسل الطّبيعي للتّأثيرات المختلفة، حيث نبدأ بالتّضاريس التي تحدّد توزيع المناخ، ثم ننتقل إلى المناخ الذي يؤثّر على الغطاء النّباتي، وأخيرا نتناول الغطاء النّباتي باعتباره نتاجًا للتّضاريس والمناخ وأساسًا للرّعي.

تشكّل التّضاريس في بلاد المغرب القديم العامل الأساسي الذي يحدّد توزيع المناخ والغطاء النّباتي، فالجبال والهضاب والسّهول كل منها يخلق بيئات مختلفة تؤثّر على توافر الموارد الطّبيعية ومسارات الرّعي، وفهم طبيعة المظهر التّضاريسي هو الخطوة الأولى لفهم كيفية توزيع الأنشطة الرّعوية في المنطقة.

كما يتأثّر المناخ بالتّضاريس ويؤثّر بدوره على النّبات، فهو يلعب دورا حاسما في تحديد نوعية وكمّية الغطاء النّباتي المتوفر للرّعي، وتتأثّر بلاد المغرب القديم بتنوعٍ مناخيٍّ كبير يمتدّ من المناخ المتوسّطي الرّطب في الشّمال إلى المناخ الصّحراوي الجاف في الجنوب، هذا التّنوع المناخي تفاعل مع التّضاريس وخلق مجموعة متنوعة من البيئات التي تمّ استغلالها للرّعي.

وفي المقابل نجد الغطاء النّباتي يتأثّر بالتّضاريس والمناخ ويشكّل البيئة المباشرة للرّعي، وتتنوع النّباتات في بلاد المغرب القديم من المروج الخضراء في المناطق الرّطبة إلى الشّجيرات والنّباتات المتناثرة في المناطق الجافّة، هذا التّنوع النّباتي حدّد نوعية المراعي وأشكال الرّعي.

[1] تشمل البيئة جميع العوامل الحيوية وغير الحيوية التي تؤثّر على الكائنات الحيّة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويمكن تعريف النّظام البيئي بأنه مجموعة عناصر حيّة وغير حيّة متفاعلة معا وظيفيا ضمن منطقة محدّدة، ويجب أن تكون العناصر المكونة للنّظام متوازنة من حيث الإنتاج والاستهلاك، حيث يبقى النّظام البيئي متوازنا وإذا ما حدث العكس يعرض النّظام البيئي إلى التّدهور ويفقد قدرته على صنع الحياة أو تدهور البيئة، ويتركز النّظام البيئي الحيوي أساسًا على العناصر التي تنتج أنواع نباتية ضمن حيّز معيّن، وتمثّل عنصرا مهمًّا لتكوين مملكة حيوانية يكون الضّابط فيها نباتي، ولو حدث تناقص عنصر من عناصر إنتاج النّبات سيؤثّر على درجة نموه ويؤثّر بدوره سلبيا على الحياة الحيوانية، للمزيد يراجع: عبد العباس فضيح الغريري، سعدية عاكول الصالحي، جغرافية الغلاف الحيوي " النّبات والحيوان "، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 27.

أولا– التّضاريس:

من المعلوم أنّ طبيعة التّضاريس تؤثّر على المناخ، لا سيما الجبال حيث تشكّل حاجزا طبيعيا أمام الرّطوبة، فتنخفض درجة الحرارة في الأماكن المرتفعة، وكلّ ذلك يؤثّر على الغطاء النّباتي، ولابدّ من تسليط الضّوء على هذا العامل الطّبيعي لإبراز أنواع المراعي في بلاد المغرب القديم وتأثيرها على أنماط الرّعي.

تلعب التّضاريس بتنوّع عناصرها وخصوصا الجبال بارتفاعها ودرجات انحدارها دورًا أساسيًا في تشكيل المحيط الخارجي للنّباتات[1] حيث تؤثّر على النّباتات وتوزيعها الجغرافي، ممّا يؤدّي إلى التّأثير على نوعية المراعي ففي حالة ما إذا أعطت الحيوانات إنتاجا جيّدا في منطقة ما، فهذا يعني ملاءمة العوامل الطّبيعية لتلك الحيوانات في ذات المنطقة[2]، إلى جانب العامل البشري سواء كان سلبيًا أو إيجابيًا.

وفيما يخصّ بلاد المغرب فقد أدّى الامتداد الواسع لها إلى اختلاف واضح من حيث السّطح من الشّمال إلى الجنوب، ويمكن أن نميّز ذلك التّباين الجغرافي بين ساحل البحر الأبيض المتوسّط في الشّمال والصّحراء في الجنوب، وكذلك الجبال والهضاب والسّهول، هذا التّنوع التّضاريسي له تأثير على طبيعة المراعي ونوعية الحيوانات الرّعوية، وقد أخبرنا "هيرودوت" (Herodots) في القرن الخامس قبل الميلاد عنه، حيث قال:" البدو الرّعاة الذين يسكنون السّواحل اللّيبية البحرية لليبيا، وبعدها المناطق الدّاخلية المليئة بالوحوش البرّية، ثمّ يأتي بعدها شريط رملي يمتدّ من طيبة في مصر حتّى أعمدة هرقل[3].

وقد جاء في جغرافية "سترابون" (Strabon) في القرن الأول قبل الميلاد أن ليبيا تلي آسيا ولها حدود مع مصر واثيوبيا وأنّ أحد سواحلها (أي السّاحل الشّمالي) يمتدّ من الإسكندرية حتى أعمدة هرقل على خط مستقيم، تتخلّله تجاويف ونتوءات، وأمّا السّاحل الغربي يمتدّ على طول المحيط الأطلسي بعد أن يتبع اتّجاهًا موازيًا للأول حتى مسافة معينة من اثيوبيا يتّجه بشكل ملحوظ نحو الشّمال، ممّا يُقلّل من عرض ليبيا حتّى ينتهي بنقطة تقع قليلاً بعد أعمدة هرقل، ما يعطي لليبيا شكل شبه منحرف، وقد قسّمها "سترابون" إلى ثلاث مناطق مختلفة:

[1] تشاح عبد السلام، جغرافية النبات، ط1، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1990، ص 41.

[2] يوسف عبد المجيد فايد، جغرافية المناخ والنبات، دار النهضة، 1971، ص ص 141-142.

[3] Hérodote, Histoires, IV, 181.

- منطقة ساحلية شمالية تمتدّ على طول سواحل البحر الأبيض المتوسّط، وهي منطقة ذات خصوبة عالية، لاسيما في القرى النّائية وفي جميع الأراضي التّابعة لقرطاج حتّى موروزيا وأعمدة هرقل.
- منطقة ثانية أقلّ خصوبة مقارنة بالمنطقة الأولى.
- منطقة ثالثة وسطى قاحلة تتكوّن من صحارى رملية قاسية تُنتج سوى نبات السّلفيوم[1].

وللإشارة أنّ الفاتحين العرب في القرن السّابع ميلادي، قد لاحظو الوحدة التي تربط كلّ المنطقة الممتدّة من وادي النّيل بمصر إلى المحيط الأطلسي، وهي نفسها المنطقة التي شمِلتها بلاد ليبيا القديمة فأطلقوا عليها اسم المغرب[2] والتي تتشكّل أساسا من المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا، وتمثّل وحدة جغرافية متميّزة وأعطى لها موقعها الاستراتيجي أهمية خاصّة، وهي على شكل رباعي غير منتظم[3].

وكما ذكرنا سالفًا أنّ بلاد المغرب تتميز بتنوع وتباين تضاريسي وذلك نتيجة لعمليات جيولوجية معقّدة حدثت على مدى فترات زمنية طويلة، وأحد العناصر الأساسية في هذه العمليات هو الدّفع الجيولوجي الذي حدث ضدّ القاعدة الصّحراوية القديمة، فنشأت مناطق الأطلس خلال العصر الجيولوجي الثّالث واستمرّت في الارتفاع خلال العصر الجيولوجي الرّابع، وتميّزت بتضاريسها الوعرة والمعقّدة مقارنة بالمنطقة الصّحراوية التي بقيت صلبة ومستقرّة تقريباً منذ العصر الجيولوجي الثّاني[4].

وقد شهدت تضاريس بلاد المغرب منذ بداية العصر الجيولوجي الرّابع استقرارًا نسبيًا مقارنة بالعصور السّابقة، فعلى الرّغم من استمرار تأثير العمليات الجيولوجية مثل التّعرية والنّشاط الزّلزالي، إلاّ أنَّ التّضاريس العامّة لم تتغير بشكل كبير.

[1] Strabon, Geographie, traduit par Tardieu Amédée, Paris, Hachette, 1909, II, 33.

[2] العفّون أم الخير، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية (950 ق.م- 715 ق.م)، دار القدس العربي، وهران، 2015، ص ص 18-19.

[3] Decret (F.), Fantar (M.), l'Afrique du nord dans l'antiquité, Payot, Paris, 1981, p 9.

[4] Despois (J.), La Tunisie, Librairie Armand Colin, Paris, 1961, p 13.

I- الجبـــال:

تُعتبر الجبال أهمّ المظاهر التّضاريسية في الجزء الشّمالي لبلاد المغرب القديم، وتلعب دورًا بارزًا في تشكيل البيئة الجغرافية للمنطقة وتوجيه الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية للسّكان، حيث يتميّز مجالها بامتداد سلاسل جبال الأطلس من الغرب إلى الشّرق مُشكِّلة حاجزًا طبيعيًا يفصل السّهول الشمالية الخصبة، والمناطق المتاخمة للصّحراء جنوبا الأقلّ خصوبة.

وقد نتج عن الإنطواءات التّكتونية تكوين سلسلتين جبليتين رئيسيتين، وهما سلسلتي الأطلس التّلي في الشّمال الذي ينحدر بشكل حادّ نحو البحر، والأطلس الصّحراوي في الجنوب الذي يمتدّ تحت الرّمال الكبيرة في المناطق الصّحراوية، لكنّه يظهر في المظاهر الطّبيعية عبر سلسلة تونسية تمتدّ من فريانة إلى رأس بون[1].

وتتميّز سلسلة الأطلس التّلي بقمم مسنّنة، وتبدأ من المغرب الأقصى، حيث تصل إلى أعلى نقطة لها في جبل "توبقال" بارتفاع 4165 متر، من هذه النّقطة وجانبيا ينخفض ارتفاع الأطلس بسرعة نحو الغرب باتّجاه المحيط الأطلسي، وبلطف نحو الشّرق حيث يمتدّ عبر شمال الجزائر، وينتهي عند السّاحل التّونسي[2].

وتمتدّ السّلسلة السّاحلية على طول البحر الأبيض المتوسّط، وتفسح هذه السّلسلة المتّصلة باستثناء الوسط بين الرّيف (شمال المغرب الأقصى) ومنطقة القبائل (شمال الجزائر)، المجال للهضاب والخلجان، أمّا السّلسلة الدّاخلية فتشكّل جبال تسالا (Tessala)، وكتلة الونشريس (Ouarsenis) والبيبان (Bibans) السّلاسل الرّئيسية لها.

وبين هاتين السّلسلتين المتوازيتيين توجد سهول منها السّاحلية مثل الشّلف ومتيجة، وأخرى تمتدّ إلى الدّاخل مثل سهول معسكر وسيدي بلعبّاس، ويشكّل الأطلس الكبير والأطلس الصّحراوي الحدود الجنوبية للشكل الرباعي لبلاد المغرب القديم، ويعتبرالأطلس الكبير بارتفاعاته التي تزيد عن 4000 متر حاجزا طبيعيا كبيرا، بينما الأطلس الصّحراوي أقلّ ارتفاعًا ورغم ذلك فهو يسمح بعمليات التّبادل بين شمال وجنوب

[1] Lassère (J-M.), Africa, quasi Roma (256 av. J.-C. -711 ap. J.-C.), Aix-en-Provence, France, 2015, p 22.

[2] Frizon de Lamotte (D.), et al., The two main steps of the Atlas building and geodynamics of the Western Mediterranean. Tectonics, Volume 19, N° 4, France, 2000, p 740; Ben Nasr Jaâfar, Kevin Walsh, Environment and Rock Art in the Jebel Ousselat, Atlas Mountains, Tunisia, Journal of Mediterranean Archaeology, 33, 1, 2020, p 7.

المنطقة، وفي الغرب هناك الأطلس المتوسّط الذي يشكّل حلقة وصل بين الأطلس التّلي شمالا والأطلس الكبير جنوبا[1] ، انظر الشّكل رقم (5).

ويعتبر الأطلس الكبير سلسلة جبلية ضخمة تمتدّ لمسافة تزيد عن 750 كيلومتر، ويشرف على الشّمال السّهلي والجنوب الصّحراوي بارتفاع كبير خاصّة على منطقة الحوز قرب مراكش والأحواض العليا لنهر ملوية التي تتميّز بتنوعها الطبّيعي وينحدر تدريجيا باتّجاه الهضاب العليا في شمال المغرب، ويتلّقى الأطلس الكبير والأطلس المتوسّط كمّيات كبيرة من الأمطار، أمّا الأطلس الصّحراوي في الجزائر (باستثناء منطقة الأوراس) يتميّز بالجفاف[2].

وينقسم الأطلس الكبير إلى وحدتين إحداهما غربية والأخرى شرقية، وتشير الدّراسات الأثرية إلى استيطانه منذ العصر الحجري الحديث، يضمّ العديد من الوديان والسّهول المرتفعة ويتميز بحركة موسمية مزدوجة حيث تتّجه القطعان صيفًا نحو المناطق المرتفعة، وشتاءًا نحو السّفوح والسّهول المحيطة للإستفادة من النّباتات الموسمية، وكذلك الأمر بالنّسبة للأطلس المتوسّط الذي يتميّز بوفرة المياه وموارد تربية الماشية[3].

ومن النّاحية الشّرقية ينتهي الأطلس التّلي في تونس شمال وادي مجردة بجبال خمير بينما يحتلّ الأطلس الصّحراوي مساحة أكبر بكثير، حيث يمتدّ من وادي مجردة شمالًا إلى منخفض الشّطوط جنوبًا، ويشمل سلسلة من الكتل الجبلية، وتعتبر السّلسلة الظهرية جزءًا من التّضاريس الرّئيسية في تونس، وأعلى قمّة في جبل الشّعانبي (منطقة القصرين) حوالي 1544متر[4].

[1] Decret (F.) et Fantar (M.), Op. Cit., pp 9-10.

[2] Despois (J.), L'Afrique du Nord, Dépôt légal, Paris, 1964, p 53.

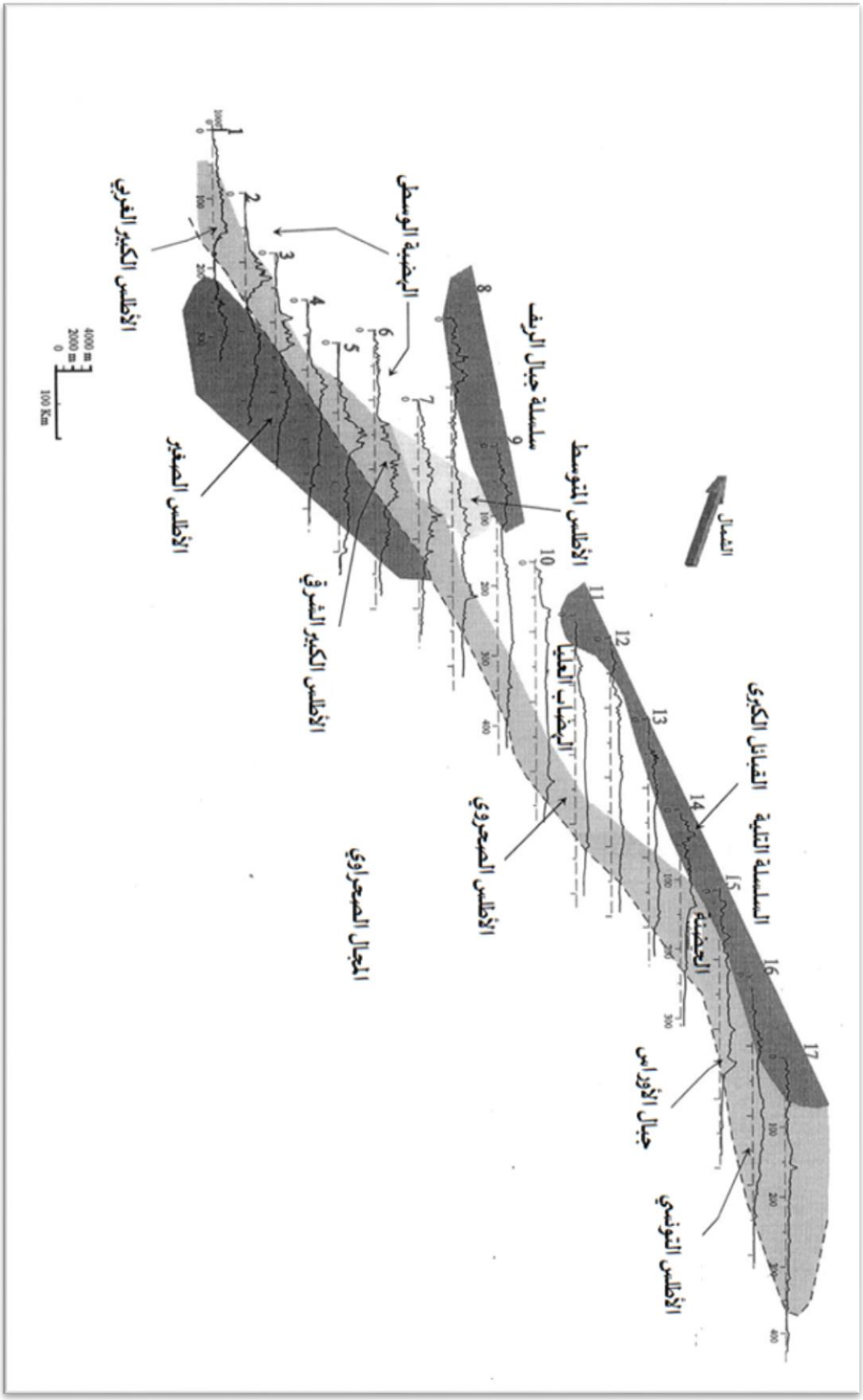
[3] عوض حسّان، الجبال المغربية مقدّمة في ملامحها الجغرافية، مجلة البحث العلمي، العدد 17، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1971م، ص 21، ص 14.

[4] Slim (H.), Mahjoubi (A.), Belkhoja (K.), Ennabli (A.), Histoire Générale de la Tunisie : l'Antiquité, T1, Sud Edition, Tunis, 2015, pp 9-10.

وإلى الجنوب أكثر تمتدّ بعض السّلاسل الصّحراوية الصّغرى، وأهمّها الأطلس الصّغير في الجنوب الغربي، والأهقّار وأدرار إفوغاس في الصّحراء الوسطى وفزّان[1] بجنوب غرب ليبيا الحالية، التي تعتبر جزءًا من الامتداد الجنوبي لجبال الأطلس الصّحراوي، وتعتبر تادرارت أكاكوس من أبرز السّلاسل الجبلية، وتقع في جنوب غرب ليبيا تحديدًا في منطقة فزّان بالقرب من الحدود مع الجزائر وتشتهر بنقوشها الصّخرية[2].

[1] بودرقا الحسن، الثّروة الحيوانية...، المرجع السّابق، ص 32.

[2] قزال ستيفان، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة التازي محمد سعود، ج1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص 40.



الشكل رقم (5) : السلاسل الجبلية في بلاد المغرب القديم (بتصرف)

المصدر: Frizon de Lamotte (D.), et al., The two main steps of the Atlas … Op. Cit., p 744.

وعليه فإنّه يمكننا القول بأنّ هناك تنوع في الجبال من حيث الارتفاع، فنجد في الجزء الشّرقي من البلاد جبال متوسّطة الارتفاع، أمّا في الغرب فتتميز الجبال بارتفاعات أعلى، وقد أوْلت الجغرافيا القديمة اهتماما كبيرا لجبال بلاد المغرب القديم وعبَّرت الأساطير عن هذا المعطى الجغرافي بطرق مختلفة، واعتبرتها أماكن مقدسّة لها أبعاد روحية بسبب ارتفاعها، وقد وصفتها عدّة مصادر مثل ما أورده "هيرودت" عندما وصف لنا جبل الأطلس حيث قال: "بعد عشرة أيام من الجرمنت هناك تلّ آخر من الملح به نبع والسّكان حوله يطلق عليهم اسم أتارانتس (Atarantes)، وبعد عشرة أيّام أخرى صادفنا تلاًّ آخر من الملح به ماء وسكان مقيمين بالمنطقة، وجبل الأطلس بالقرب من هذا التّل،... مرتفع لدرجة أنه يقال من المستحيل رؤية القمّة، بسبب الغيوم التي تغطّى بها دائما في الصّيف والشّتاء، ويسمّيه السّكان المحلّيون عمود السّماء"[1].

ويَصفه "ديودور الصّقيلي" (Diodorus Siculus) في القرن الأول قبل الميلاد بأنّه أعلى جبل ويسمّيه الإغريق أطلس[2]، أمّا "سترابون" فوصفه بأنّه سلسلة جبلية تمتدّ من الغرب إلى الشّرق، حيث قال:" أنّه بمجرد الخروج من المضيق الشّهير لأعمدة هرقل والإتّجاه إلى اليسار نحو ساحل ليبيا يمكن رؤية جبل عالٍ يعرف عند الإغريق باسم (الأطلس) (Atlas)، وعند السّكان المحليين باسم ديريس (Dyris)، بالإضافة إلى وجود سلاسل جبلية أخرى موازية لها في الدّاخل[3].

ويعتبر "بلين الأكبر" (Caius Plinius Secundus) في القرن الأول للميلاد هذا الجبل من أهمّ جبال المنطقة، فهو يبعث الرّعب والخوف من قمّته التي ترتفع على السّحب[4]، ويضيف لنا ذات المؤلّف أنه مُغطّى بغابات كثيفة وتنبع فيه عيون، وتوجد هناك أنواع من الفواكه التّي تنمو من ذاتها وهي ذات لذّة ووفرة لا تنتهي[5] وكذلك يصف "بومبينيوس ميلا" (Pomponius Mela) في القرن الأول ميلادي الجبل بأنّه عالٍ وشديد الانحدار ويتعذّر الوصول إليه ويتناقص كلمّا ارتفع حتى تختفي قمّته عن الأنظار[6]، ويصفه "ديون

[1] Hérodote, Histoires, IV, 184.
[2] Diodore de Sicile, La Bibliothèque historique, III, 53.
[3] Strabon, Geographie, XVII, 3,2.
[4] بلين الأكبر، المصدر السَّابق، الفقرة 7، ص 17.
[5] نفسه، الفقرة 6، ص 16.
[6] Pomponius Mela, Géographie, traduit par Louis Baudet, Paris, Panckoucke, 1843, III, 10. https://remacle.org/bloodwolf/erudits/mela/livre1.htm

كاسيوس" (Dion Casus) لاحقا في القرن الثّاني ميلادي أنّه مغطّى باستمرار بالثّلج الذّي يوفّر كمّية هائلة من المياه في فصل الصّيف[1].

وهناك من السّلاسل الجبلية التّي أشارت إليها بعض المصادر القديمة كتلك الجبال التي حدّثنا عنها "بلين الأكبر" والمعروفة بالإخوة السّبعة[2]، وجبل أبِيلا الذّي يطلّ على البحر المتوسّط قرب سبتة[3] المليء بالحيوانات البرّية والمغطّى بالأشجار العالية، ونجد "سترابون" أيضا يصف لنا بلاد الماسيسيل حتى السّرت تتميز بالجبال والصّحاري[4].

وبذلك يمكن القول أنّ جبال الأطلس وغيرها من السّلاسل الجبلية في بلاد المغرب القديم كانت تحظى بمكانة كبيرة لدى المؤرّخين والجغرافيين القدامى بدليل الإشارات المتكرّرة لهذا المظهر التّضاريسي في النّصوص التّاريخية القديمة.

II- الهضـــاب:

تختلف الهضاب عن السّهول والجبال من حيث الطّبوغرافيا والارتفاع والاستخدامات البشرية فهي أعلى من السّهول وأقلّ خصوبة منها ومستوية نسبيا، وأقلّ ارتفاعًا من الجبال وغالبًا ما تكون محاطة بالسّلاسل الجبلية، حيث تقع في المناطق التي تنقطع فيها السلسلة الساحلية خصوصًا بين الرّيف في المغرب الأقصى ومنطقة القبائل في الجزائر.

وقد لعبت الهضاب دورا بارزا خلال العصور القديمة بفضل موقعها الجغرافي، فهي مناسبة للرّعي خاصّة في المناطق ذات الأمطار الموسمية حيث وفّرت غطاءًا نباتيًا يتضمّن الأعشاب والشّجيرات الصّغيرة التي تشكّل غذاءً أساسيًا للقطعان مثل الأغنام والماعز، وشكّلت ممرّات رئيسية بين المناطق السّاحلية والدّاخلية ممّا ساهم في تسهيل حركة القطعان والتّنقل الموسمي (التّرحال) بين مناطق الرّعي الصّيفية والشّتوية.

[1] Dion Cassius, L'Histoire Romaine, traduit par: E. GROS,. t 8, Paris, Firmin Didot, 1865, LXXV, 13. https://remacle.org/bloodwolf/historiens/Dion/livre75.htm

[2] بلين الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة 18، ص 20.

[3]Desanges (J.), Pline L'Ancien, Histoire Naturelle, traduction et commentaire du Livre V (l'Afrique du Nord), éd. Les Belles Lettres, Paris, 1980, p 148.

[4] Strabon, Geographie, XVII, 3,4.

لا يوجد في بلاد المغرب القديم منطقة واحدة متّصلة من الهضاب العليا تمتدّ من المحيط الأطلسي إلى السّاحل التّونسي، ففي المغرب الأقصى تمثّل امتدادا طبيعيا للانحدار التّدريجي لجبال الأطلس، وتبدأ منطقة الهضاب العليا من المغرب الأقصى في المنطقة الواقعة بين الأطلس المتوسّط والأطلس الكبير ويطلق عليها اسم "الدّهرة المغربية" وتمتدّ إلى الشّرق من نهر ملوية وتحاط بسلسلة من الجبال تعرف باسم (ريكام)، ويتراوح ارتفاعها بين 1000 و1200 متر فوق مستوى سطح البحر وهي منطقة انتقالية بين التّضاريس الجبلية والأراضي المنخفضة المحيطة وهي غير صالحة للزّراعة وأكثر ملاءمة للرّعي[1].

وفي الجزائر تقع الهضاب العليا في الغرب والوسط وتتميز بمساحات واسعة، وهذه المناطق مخصّصة بشكل رئيسي للرّعي المتنقّل، حيث أنّ الهضاب تعتبر بداية للمناطق الصّحراوية أو شبه الصّحراوية مع تداخل واضح للصّحراء في منطقة الحضنة، أمّا الهضاب العليا القسنطينية والتّونسية فهي مخصّصة للزّراعة وتربية المواشي[2].

وتشارك الحضنة بالطّبع في المظهر التّضاريسي العام لبلاد المغرب، فهي عبارة عن سهوب ما قبل الصّحراء مخصّصة بشكل شبه حصري لتربية الماشية والتّرحال[3]، ويتميّز هذا الإقليم بخصائص تضاريسية فريدة من نوعها، حيث تمثّل الحضنة الحدّ الفاصل للهضاب الشّرقية والهضاب الغربية، كما تعتبر منطقة حيوية تربط بين التّل والصّحراء، ولها دور مزدوج كمنطقة فاصلة بين بيئتين مختلفتين وكحلقة وصل بينهما.

- **في الشّمال:** نجد مرتفعات جبلية تشكّل شبه قوس وتفصل بين منطقة التّل والأطراف الشّمالية للصّحراء، وتشمل هذه المرتفعات جبال بلزمة، توغة، والمعاضيد.
- **في الشّرق والجنوب:** تواصل امتدادها نحو الشرق والجنوب لتشكّل جبال متليلي وجبال أولاد نايل التي تفصل بين منطقتي الحضنة والزّيبان.

[1] Bernard (A.), Ficheur (É.), Les régions naturelles de l'Algérie, dans Annales de Géographie, T 11, N°60, 1902, pp 419- 420.

[2] Despois (J.), La bordure saharienne de l'Algérie orientale, Rev. Afr, Volume 86, 1942, p 198.

[3] Despois (J.), Le Hodna (Algerie), DEPOT LEGAL, Paris, 1953, P 73.

- **في الغرب:** على عكس الجهات الأخرى المحاطة بالمرتفعات، يفتح الغرب على الهضاب العليا، ممّا يسمح بمرور التّأثيرات المناخية المختلفة إلى إقليم الحضنة[1].

III- السّهـول:

رغم أنّ الجبال تشكّل جزءًا بارزًا من جغرافيا بلاد المغرب القديم وامتدادها حتّى البحر والمحيط الأطلسي والصّحراء، إلاّ أنّ السّهول تلعب دورًا حيويًا في توفير الأراضي الصّالحة للزّراعة وكذلك لتربية الماشية، وقد تميزت بلاد المغرب القديم بغنى وخصوبة أراضيها، وبشكل عام تقسّم السّهول في هذه المنطقة إلى ثلاثة أصناف رئيسية، فنجد سهولاً ساحلية تمتدّ بمحاذاة ساحل البحر الأبيض المتوسّط وتتميز بتربتها الخصبة، ومع ذلك فإنّ امتدادها محدود بسبب الجبال السّاحلية، وسهولا داخلية توجد في المناطق الواقعة بين الجبال، وهي أقلّ خصوبة مقارنة بالسّهول السّاحلية، وسهولا عليا (سهبية) ممتدّة بين سلسلتي جبال الأطلس التلّي والصّحراوي.

وعليه فإنّنا نجد على طول سواحل المغرب الأقصى منطقة خصبة بها أحسن الأراضي وخصوصا التّربة السّوداء والتّي يسمّيها السّكان بالتّيرس (Tirs)، حيث توجد بها مراعي غنية تناسب تربية الماشية مثل الخيول والتّيران، وتمتدّ في الخلف منطقة للبراري سبب جدبها قلّة الأمطار، وترّبى هناك القطعان التي تضطرّ للرّحيل أثناء الصّيف، ونجد من شرق نهر ملوية إلى ما بعد مدينة معسكر عدّة سهول بشكل متتابع معدّل ارتفاعها 400 متر[2]، وهناك سهول على طول السّواحل تتميّز بالخصوبة مثل السّهل الممتدّ من الرّباط إلى موغادور (المغرب الأقصى)، وسهل وادي مجردة وسهل السّاحل التّونسي (تونس) [3].

وتتميز الجزائر من جهتها بتباين تضاريسي واضح ليس فقط من الشّمال إلى الجنوب ولكن أيضا من الغرب إلى الشّرق، وتشتمل على منطقة وسطى هي منطقة السّهول الكبرى الواقعة على علوٍّ مرتفع[4]، وتعتبر

---

[1] العقون أم الخير، الموقع الإستراتيجي ل"منطقة الحضنة" في التاريخ القديم، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 1، العدد 1، 2012، ص 173-175.

[2] قزال ستيفان، المرجع السَّابق، ص ص 18- 22.

[3] Decret (F.), Fantar (M.), Op. Cit., p10.

[4] قزال ستيفان، المرجع السَّابق، ص 19.

السّهول العليا من المناطق الواقعة تحت تأثير المناخين معًا (المناخ المتوسّطي والمناخ الصّحراوي)، فهي تتعرّض في الشّتاء لغلبة المناخ المتوسّطي البارد ومن ثمّ تتلقّى بعض الأمطار والثّلوج وتجتاحها موجات من الصّقيع المؤثّر على النّبات، بينما تصبح في الفصول الأخرى مجالاً للمناخ الصّحراوي فتصيبها الحرارة الشّديدة صيفا[1].

وتمتدّ السّهول العليا على الجانب الشّمالي من الأطلس الصّحراوي في الجزائر، وتغطّي مساحات واسعة، خصوصًا في مناطق وهران والجزائر، ممّا يجعلها جزءًا مميزًا من تضاريس البلاد، وتوجد في وسطها منخفضات مغلقة تُعرف بالشّطوط[2].

وعندما نتّجه شرقا إلى تونس، نجد منطقة ساحلية تطلّ هي كذلك على البحر الأبيض المتوسّط وتمتدّ بين قابس ومصراتة وتعرف بالسّاحل المنخفض وتمتدّ خلفها مستنقعات وتتناثر فيها واحات تفصل بينها مساحات صحراوية، والسّاحل يتقدّم أرضًا تُكوّنها سهول متموّجة قليلا وعلى ارتفاع نحو الدّاخل ويطلق عليها اسم الجفارة (Djeffara)، ويبلغ تغلغلها إلى الدّاخل 100كلم عند الحدود التّونسية، وتشرف على الجفارة سلسلة طويلة من المنحدرات وتشكّل دائرة واسعة مفتوحة على الجنوب من نواحي قابس إلى ما يقارب رأس مصراتة بشمال غرب ليبيا[3].

IV –الصّحـراء:

تميّزت بلاد المغرب القديم عن غيرها من المناطق المتوسّطية بامتداد المجال الصّحراوي الواسع، وكانت الصّحراء وما زالت تشكّل تحدّيًا بيئيًا كبيرًا بسبب طبيعتها القاسية والمناخ الحارّ والجافّ، حيث تشكّلت نتيجة عوامل جيولوجية ومناخية معقدة تفاعلت على مدار ملايين السّنين.

كانت الصّحراء خلال فترة ما قبل التاريخ تحتوي على بحيرات وأنهار، كما كانت تغطّيها الغابات والنّباتات الكثيفة، ومع مرور الوقت بدأت المنطقة تشهد تغييرات مناخية جعلتها أكثر جفافًا، وكان التّحول إلى المناخ الجاف نتيجة لتغيرات في الأنظمة الجوية وتأثيرات الصّفائح التّكتونية، وقد ساهم العديد من الباحثين بدراساتهم من أجل فهم التّاريخ الجيولوجي للصّحراء وتوضيح التّباين بين المناطق الجيولوجية المختلفة[4] حيث

[1] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص 8.

[2] Bernard (A.), Ficheur (É.), Op. Cit., P 419.

[3] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص39.

[4] Larnaude Marcel, La géographie du Sahara et l'institut de recherches sahariennes. In: Annales de Géographie, T 55, N° 300, 1946, pp 294-299.

اعتبروا سلاسل جبال الأطلس من أهمّ العوامل التي أثّرت على مناخ الصّحراء، ممّا ساهم في الجفاف الذّي ميّز المنطقة.

وتمّ ذكر الصّحراء في النّصوص القديمة، ومن بين المؤرّخين القدامى الذّين تناولوا موضوع الصّحراء نجد "هيرودوت" الذّي أخبرنا بأنّها غير مطيرة وتتميّز بالجفاف، وأنّها خالية من الغابات والحيوانات"[1]، أمّا "سترابون" فقد تحدّث عن الصّحراء من خلال تقسيمه للمنطقة إلى ثلاث أجزاء واصفًا الأراضي خاصّة في برقة، ومن قرطاج حتى أعمدة هرقل بأنّها تتميّز بالخصوبة، ومناطق أخرى أقلّ خصوبة، ثم تليها الصّحراء وتميزت بطبيعة قاسية ورملية[2].

وكذلك الأمر بالنّسبة لديودور الصّقلي الذّي وصفها بأنّها المنطقة تمتدّ باتجاه الجنوب وتتميّز بنقص في المياه ولا توجد بها نباتات وخالية من الطّيور والحيوانات سوى الغزال والثّور[3]، كما تحدّث عنها "بومبينيوس ميلا" حيث وصفها بأنّها صحراء شاسعة[4].

وإذا أجمع هؤلاء على جفاف الصّحراء إلاّ أنه توجد مناطق صحراوية تتمتّع بالمياه الجوفية والقريبة من سطح الأرض، وهذا ما أكّده لنا "بلين الأكبر" قائلا:"بعد النّسامونيس يعيش الأسبيتي (Asbytae) والماكاي (Macae) ووراءهم على بعد 12يوما من المسير بعد خليج السّرت الكبير الأمانتيس (Amantes)، ورغم الرّمال المحيطة بهم لكنّهم يجدون المياه بدون صعوبة في آبار على عمق ذراعين[5].

ويبدو أنّ العوامل الجغرافية كانت من بين أهمّ الأسباب التي أدّت إلى ظهور نمط حياة البدو في بلاد المغرب، وتشير النّصوص التّاريخية المتعلّقة بالمنطقة أنّ سكّان هذه البلاد قسمان: مستقرّون في الشمال (بلاد التّل) ورحّل في الجنوب (السّهوب والصّحراء).

ومن خلال عرضنا للطّبيعة الجغرافية لبلاد المغرب القديم باعتبارها منطقة تتكوّن من إقليم جبلي زراعي في الشّمال، يليه إقليم داخلي تكثر فيه البحيرات والسّباسب، ثم الصّحراء الممتدّة بحرارتها الشّديدة، ندرك أنّ ظاهرة البداوة موغلة في القِدم، وأنّ العوامل البيئية قديمة قِدَمَ المناخ السّائد حاليا في شمال القارّة الافريقية،

[1] هيرودوت، التاريخ، الكتاب الرابع، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2003، الفقرة 181، ص 124.

[2] Strabon, Geographie, II, 5, 33.

[3] Diodore De Sicile, Bibliothèque historique, III, 50.

[4] Pomponius Mela, Géographie, I, 4.

[5] بلين الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة 34، ص 26.

غير أنّ أشكال التّرحل ومَدَاه الجغرافي وتغير اتّجاهاته وحِدَّتِه ساهمت فيها عوامل تاريخية ارتبطت بالسّيطرة الأجنبية المتّصفة بالنّشاط الزّراعي وترجيح العمران المدني ونبذ أشكال التّحرك البشري المقلق[1].

V- المجاري المائية:

لعبت المياه دورًا مهمًّا في حياة إنسان المغرب القديم، إذْ تتبّعَ منابعها واستقرّ بالقرب منها، وشكّلت الأنهار والأودية والعيون عوامل جذب رئيسية لاستقرار الإنسان منذ فترة ما قبل التّاريخ، حيث كان الإنجذاب إلى المناطق القريبة من مصادر المياه بدافع الحاجة إلى الشّرب والصّيد، ومع مرور الزّمن تطورت هذه العلاقة لتشمل ممارسة الزّراعة وتربية الماشية ابتداءً من العصر الحجري الحديث، وخلال مرحلة فجر التّاريخ ظلّ البحث عن الموارد المائية عاملاً أساسيًا في تحديد مواقع الاستقرار، حيث استفاد الإنسان من هذه الموارد في الشّرب والزّراعة والصّيد والرّعي، وتشير الدّلائل الأثرية إلى تركّزٍ واضحٍ للمنشآت السّكنية والمواقع الجنائزية على امتداد الممرّات الجغرافية الطّبيعية وضفاف الأودية[2].

ولم تقتصر أهمّية المياه على حياة الإنسان فقط بل كانت أيضًا عنصرًا حيويًا للحيوانات التي تعتمد على المراعي الطّبيعية، حيث ساهمت المسطّحات المائية بما في ذلك الأنهار والوديان والينابيع في انتشار السّهول الخصبة والمراعي، وقد تميزت المنطقة بوجود أودية متنوّعة يمكن تصنيفها إلى أودية دائمة الجريان وأخرى موسمية تختلف مصبّاتها بين البحر والأحواض الدّاخلية والصّحراء، إضافة إلى انتشار المنابع والعيون المائية.

1- الأودية دائمة الجريان:

وفّرت هذه الأودية مصادر دائمة للمياه ومراعي خصبة على ضفافها، ما جعلها مراكز استقرار مهمّة للرّعاة وساهمت في نشوء نمط الرّعي المستقرّ إلى جانب الأنشطة الزّراعية، واختلف توزيع هذه الأودية تبِعًا لاختلاف التّضاريس والمناخ، إذْ تنبع من المرتفعات الجبلية في الدّاخل وتتّجه نحو البحر الأبيض المتوسّط أو المحيط الأطلسي، وتميزت هذه الأودية بتدفّق مستمرّ للمياه على مدار السّنة.

[1] شنيتي محمد البشير، روما الإمبراطورية وبلاد المغرب (سجال عسكري وتفاعل حضاري)، موفم للنشر، الجزائر، 2019، ص 189.

[2] آيت أومغار سمير، الماء والإستقرار في شمال افريقيا خلال الحقبة القديمة، مجلة أسطور، المجلد 6، العدد 11، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020، ص 103.

ففي المغرب الأقصى يُعدّ وادي ملوية (Mulucha) من أهمّ الأودية دائمة الجريان، والذي يقع في الشّمال الشّرقي وينبع من جبال الأطلس ويصبّ في البحر الأبيض المتوسّط، حيث أشار إليه ساليست (Sallustius) بأنه شكّل حدًّا فاصلا بين مملكة بوخوس ومملكة يوغرطة[1].

وفي الجزائر يعتبر واد الشّلف (Chylémath Flumen) من أبرز هذه الأودية حيث ينبع من الأطلس الصّحراوي ويمرّ عبر الهضاب العليا قبل أن يدخل منطقة التّل عند البخاري ويتّجه نحو الغرب ليصبّ في البحر الأبيض المتوسّط ، وقد لعب هذا الوادي دورًا مهمًّا في الزّراعة كما وفّر بيئة ملاءمة لتربية الماشية، كما كان للوادي أهمّية استراتيجية حيث استخدِم كطريق عسكري خلال الفترة الرّومانية، ويضاف إلى ذلك وادي الصّومام (Nasavah Flumen) الذي يحدّ منطقة القبائل الكبرى من الجنوب والشّرق ويصبّ في البحر الأبيض المتوسّط، ويتميز بتربته الخصبة[2] وقد أشار "سترابون" بوجود ميناء واسع بقربه يعرف بصالداي (Saldae) بجاية[3].

ونجد في الشّرق أيضا وادي سيبوس الذي ينبع من الجبل الأزرق بعين البيضاء ويمر عبر حوض قالمة ليصبّ في السّاحل العنّابي، وكغيره من الأودية السّاحلية ساهم هذا الوادي في تشكيل بيئة خصبة، حيث ترك وراءه تربة كلسية صالحة للزّراعة[4]، أمّا في تونس فنجد وادي مجردة (Bagradas)[5] أهمّ محور مائي دائم الجريان[6] حيث يصبّ في البحر الأبيض المتوسّط[7].

2-الأودية الموسمية:

تتميز الأودية الموسمية بقصرها وتذبذب جريانها وقلّة مياهها مقارنة بالأودية السّابقة إذْ تتدفّق فيها المياه خلال فترات الأمطار فقط بينما تجفّ خلال بقيّة العام وكانت هذه الأودية ذات أهمّية كبرى للرّعاة في بلاد المغرب القديم حيث اعتمدوا عليها خلال المواسم الرّطبة للحصول على المياه والمراعي، بينما كانوا يضطرّون إلى مغادرتها نحو مصادر أخرى عند جفافها ما ساهم في تشكيل نمط التّرحال الموسمي.

---

[1] ساليست، يوغرطة – الملك في مواجهة روما، ترجمة محمد الهادي حارش، موفم للنشر، الجزائر، 2019، الفقرة 110، ص 154.

[2] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص 24.

[3] Strabon, Géographie, XVII, 3,12.

[4] حديدي علي، الماء والإنسان في المغرب القديم، اطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة غرداية، الجزائر، 2023-2024، ص 50.

[5] تم التطرق اليه بشكل مفصل في المبحث الخاص بتأثير كميات التساقط على المراعي، ص ص 100-101

[6] آيت أومغار سمير، المرجع السّابق، ص 114.

[7] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص 33.

وغالبا ما تتركّز الأودية الموسمية في المناطق الدّاخلية ولا تصل البحر حيث تنبع داخل المناطق القارّية وتنتهي في أحواض مغلقة، وتتّخذ الأودية الدّاخلية اتجاهات متباينة تبعا لطبيعة التّضاريس، إذ تجري تارة من الشّمال إلى الجنوب أو العكس، وأحيانًا من الشّرق إلى الغرب أو العكس، ومن أبرز الأمثلة على ذلك نجد وادي لقمان، وادي بوسعادة، وادي فم القيس[1]، حيث كانت وجهة للرّعاة الذين يبحثون عن المراعي الموسمية.

ويعتبر إقليم الحضنة أحد أهمّ المناطق الغنيّة بالمياه الجوفية التي تغذّيها الأمطار المنحدرة من المرتفعات الشّمالية وتصبّ نحو السّفوح الجنوبية عبر أودية مثل واد القصب (المسيلة) وواد القنطرة وواد بريكة، الأمر الذي جعل المنطقة مركزا لاستقرار بشري مبكّر[2].

3- العيون والمنابع المائية:

ساهمت العيون والمنابع المائية في خلق بيئة مواتية لرعي الماشية على مدار العام وتنتشر هذه العيون على امتداد السّلاسل الجبلية مثل الأطلس الصّحراوي والتّل والهضاب العليا، حيث تتسرّب مياه الأمطار والثّلوج إلى الطّبقات الجوفية ثمّ تخرج إلى السّطح على شكل عيون طبيعية[3] وظهور نباتات حولها، واعتمد الرّعاة على العيون كمحطّات خلال تنقّلاتهم بين المراعي الصّيفية والشّتوية.

ولابد من الإشارة إلى صعوبة تحديد العيون الموجودة في بلاد المغرب القديم بسبب عدّة عوامل من أبرزها الجفاف والإندثار لبعض العيون والينابيع نتيجة التّغيرات المناخية ما جعل من الصّعب تتبّع أماكنها الحالية ومقارنتها بوضعها في العصور القديمة، إضافة إلى قلّة التّوثيق التّاريخي، ولم تكن كتابات المؤرّخين القدامى شاملة لكلّ المصادر المائية.

ورغم ذلك فإنّه يمكننا الاستدلال ببعض المواقع الأثرية التي تكشف لنا ارتباط الانسان بالمجاري المائية مثل ي تونس حيث نجد النّماذج كثيرة منها مدافن وبقايا منشآت سكنية قرب وادي وزّافة والتي أقيمت في مجال تميز بوفرة الأراضي الصالحة للزراعة والمنابع المائية، وفي الجزائر نجد عددا كبيرا من المنشآت الجنائزية قبيل

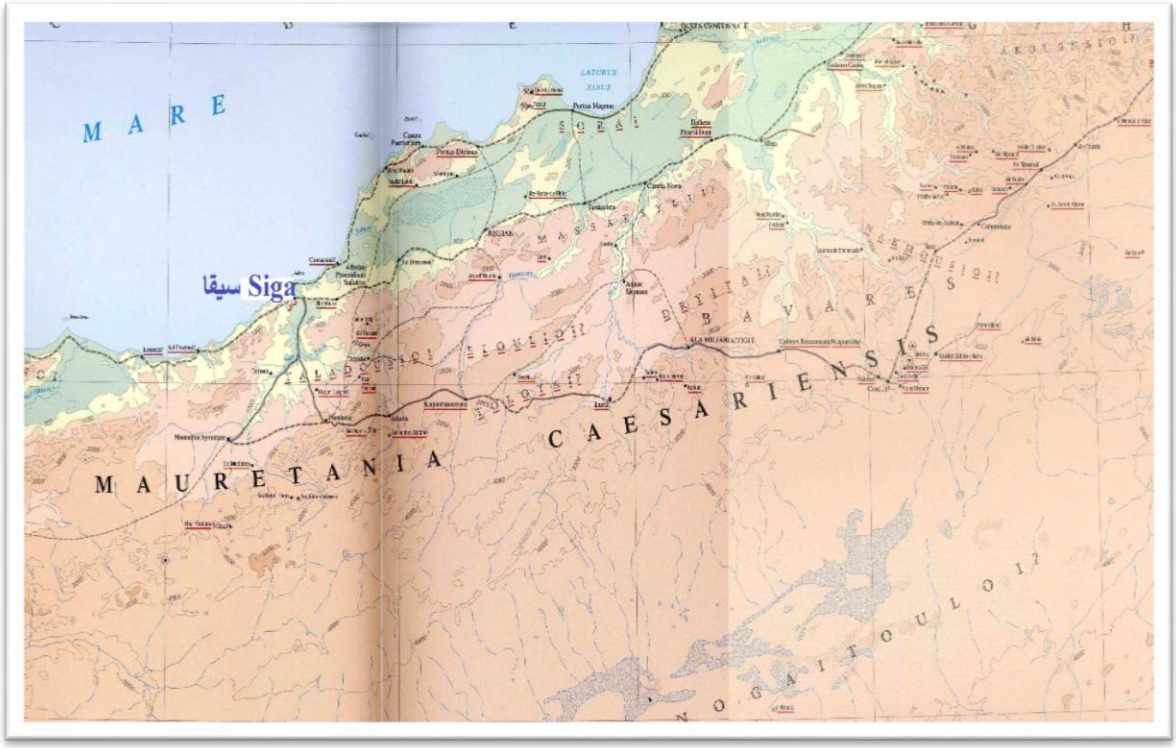
[1] حديدي على، المرجع السّابق، ص ص 53-54.

[2] العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص 174.

[3] حديدي على، المرجع السّابق، ص 50

التاريخية تتوزّع قرب المنابع المائية، والملفت للانتباه أن المدافن العائدة إلى مرحلة ما قبيل التاريخ غالبا ما تجاور مواقع المدن القديمة[1].

كما بحث الفينيقيون ومن بعدهم القرطاجيون عن المنابع ومصبّات الأنهار ويتجلّى في عدد من مستوطناتهم ومن أمثلة ذلك نجد ليكسوس المشيّدة على الضّفة اليمنى لوادي ليكسوس، ورشقون قرب وادي التافنة، وأوتيكا في جوار مصبّ وادي مجردة، وهيبون قرب سيبوس، كما استقرّ السّكان المحلّيون (النّوميديون والموريون) في مراكز ساحلية وداخلية ارتبطت نشأتها وتطورها بالماء من بينها مدينة سيقا (Siga) المرتبطة بوادي التّافنة وهي عاصمة الملك سيفاكس[2] التي أوردها "سترابون" في كتاباته وهي واحدة من المدن البارزة في العصور القديمة[3]. انظر الشّكل رقم (6)



الشكل رقم (6) : خريطة توضح موقع مدينة سيقا

المصدر: Talbert Richard (J- A.), Barrington Atlas of the Greek and Roman World, Princeton, 2000

[1] آيت أومغار سمير، المرجع السّابق، ص ص 103-104.

[2] Jean-Pierre Laporte," siga et L'ile de Rachgoun" in: Aomar Akerraz et al(eds),L'Afrique romana :Mobiliti delle persone e dei popoli,dinamiche migratorie, emigrazioni nelle province occidentali dell I'mpero romano, Atti del XVI convegno di studio Rabat,15- 16 dicembre 2004, Roma :Carocci editore,2006, pp 2535.

[3] Strabon, Géographie, XVII, 3,9.

أمّا فيما يخصّ الفترة الرّومانية فقد حافظ الرّومان على تقاليد سابقة في اختيار مواقع الاستقرار بالقرب من المياه حيث أسّسوا مدنهم في جوار الأودية والمنابع مستفيدين من المواقع المحلّية السّابقة، ومن أمثلة ذلك نجد مدينة تيمقاد التي شُيِّدت قرب منبع مائي، كما تنبَّه الانسان خلال الفترة الرّومانية للقيمة الإقتصادية لوادي كبير – مليان في شمال شرق البروقنصلية والفائدة التي يمكن أن توفرها مياهه سواء للشّرب أو الزّراعة أو للماشية، وفي مكتاريس(مكثر حاليا) المميزة بوفرة منابعها المائية وموقعها على هضبة تشرف على أودية وزّافة والصّابون فوجدت مجموعة من المدافن قرب المباني الرّومانية، ووليلي الغنيّة بالمنابع المائية والمجاورة لأودية فرطاسة وخومان[1].

ويضاف إلى ذلك منطقة الشّرق الجزائري التي تميّزت بوفرة العيون وارتباطها بالمدن مثل لمبايزيس (Lambaesis) التي كانت تتزوّد بمنبعين كبيرين وهما عين درين وعين بوبينانة وجميلة حيث تقع العين جنوب المدينة، إضافة إلى ميلة التي احتوت عدّة عيون منها عين أبي السباع وعين الحمى[2]، وكان من بين الدّوافع التي جعلت الرّومان يختارون المجاري المائية لإقامة مدنهم هي الرّغبة في التّحكم في نقاط العبور[3].

كما لا ننسى الأودية التي تصبّ في الصّحراء وكذلك الواحات والعيون المائية التي شكّلت ملاذًا للرّعاة خلال فترات الجفاف في المناطق الصّحراوية وشبه الصحراوية حيث تشكّلت الأودية التي تصبّ في الصّحراء نتيجة لتساقط الأمطار على المرتفعات مثل الأطلس الصّحراوي لتتجّه جنوبا نحو الصّحراء، وتتميّز بعدم الانتظام وفجائية الفيضانات، وتساهم في تغذية المخزون الجوفي وتعتبر شريان الحياة التي تزوّد باطن الأرض بثروة متجدّدة من الماء[4]، وبذلك يتبيّن أنّ المياه لم تكن مجرّد مورد طبيعي بل كانت إحدى العوامل في تشكيل أنماط الحياة في بلاد المغرب القديم.

[1] آيت اومغار سمير، المرجع السّابق، ص ص 107-113.

[2] حديدي علي، المرجع السّابق، ص ص 58-59.

[3] آيت اومغار سمير، المرجع السّابق، ص 116.

[4] حديدي علي، المرجع السّابق، ص 55.

ثانيا– المنـــاخ:

تُعدّ دراسة المناخ القديم (Paleoclimatology) جزءًا رئيسيًا من دراسة البيئة الجغرافية القديمة، ويعتبر تغيّر المناخ من الظّواهر الطّبيعية التّي تحمل مع تطورها العديد من الآثار على مستويات شتّى (بيئية، اقتصادية، واجتماعية)، حيث كان دائما عنصرًا متفاعلاً مع باقي العوامل، وتؤكّد الشّواهد في العديد من الحالات دور المناخ البالغ الأهمّية في الكثير من التّحولات والتّطورات التّي تشهدها منطقة معينة، وفي نفس الوقت يجب ألاّ يحتلّ موقع العامل المفسِّر الوحيد للتّاريخ، ومن ثمّ السّقوط[1] في فخّ تفسير الحتمية الطّبيعية[2].

ومهما يكن فإنّ التّعرف على طبيعة المناخ وتحديدًا في بلاد المغرب القديم يكمن في معرفة تأثيراته المختلفة على الحياة الطّبيعية وعلى وجه الخصوص الحيوانات الموجّهة للرّعي حيث مثّل المناخ عاملا جغرافيا في غاية الأهمية لما له من دور بارز في تحديد مجالات الرّعي.

وبعيدا عن المقاربات التي طرحها عدّة باحثين بشأن المناخ سواء في فترة ما قبل التّاريخ أو الفترة التّاريخية والتي أفضت إلى عدّة نظريات مختلفة لا داعي للخوض فيها، فنحن ما يهمّنا هو معرفة مدى تأثير المناخ على الرّعي.

[1] آيت اومغار سمير، ملاحظات حول مناخ المغرب القديم، مجلة أسطور، المجلد، العدد 3، الرباط، 2016، ص 53.

[2] تعدّدت النّظريات حول التّأثير والتّأثر بين الإنسان وبيئته، ومن أبرزها نظرية **الحتمية الطّبيعية** التي ترجح أن الإنسان هو نتاج بيئته، وأنّه يخضع للطّبيعة وتوجّه أفكاره وتحدّد نشاطه، وفي المقابل ظهرت نظرية أخرى تقول أن علاقة الإنسان بالبيئة تحدّدها إمكانيات الانسان وقدراته على استغلال المصادر البيئية وتعرف **بنظرية الإمكانية**، أي أنّ الانسان هو سيد البيئة، ودليلهم هو أنّه لو كانت البيئة هي العنصر الحاكم في أنشطة الإنسان لتشابهت الأنشطة البشرية في البيئات الطّبيعية المتشابهة، ويرى بعض الباحثين أن العلاقة بين الإنسان وبيئته ليست حتمية مُطلقة ولا إمكانية مُطلقة، ومن ثم ظهرت **نظرية الاحتمالية** التي ينادي بها علماء البيئة المعاصرون، حيث يرون أنّ دور البيئة الطّبيعية يتعاظم في بعض البيئات في مواجهة الإنسان حيث تكون البيئة صعبة وقدرات الإنسان محدودة في حين يتعاظم دور الإنسان في بيئات أخرى في مواجهة صعوباتها وتحدّياتها، ومن هنا يمكن القول أن علاقة الإنسان بالبيئة تحدّد على أساس طبيعة البيئة من ناحية، وقدرة الإنسان وإمكانياته من جهة أخرى، للمزيد يراجع: عبد الفتّاح بدر، عبد العزيز عبد الله قاسم، أسس علم البيئة النّباتية، مركز النشر العلمي، المملكة العربية السعودية، 1441هـ، ص 128.

وفي هذا السّياق نطرح التّساؤلات التّالية:

ما طبيعة مناخ بلاد المغرب القديم؟ وهل كان مواتيا لتربية الحيوانات ورعيها؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ المناخ يؤثّر في الحيوانات من خلال تأثيره على النّباتات التّي تمثّل الكلأ الذي تعتمد عليه الحيوانات في غذائها، والمناخ الجيّد يوفّر مراعي جيّدة لها، ولتحديد خصائص مناخ بلاد المغرب لجأ الباحثون إلى مجموعة متنوعة من المصادر والنّظريات.

يعتبر موضوع المناخ القديم من المواضيع الشّائكة والمعقدة في الدّراسات التّاريخية الحديثة[1]، حيث تواجه الباحثين تحدّيات كبيرة في محاولة تحديد المناخ في بلاد المغرب القديم خاصّة في فترة ما قبل التّاريخ بالإضافة إلى نوعية وطبيعة المصادر القديمة التي تقدّم شهادات غامضة ومعلومات غير مباشرة عن المناخ القديم في المنطقة.

وتعدّ دراسة ستيفان قزال من أبرز الدّراسات التي تناولت مناخ بلاد المغرب القديم[2] حيث استند إلى الأدّلة البيولوجية (بقايا النّباتات والحيوانات) التي تقدّم معلومات غير مباشرة حول البيئة والمناخ القديم، كما قام العديد من الباحثين المغاربة بمحاولات متعدّدة لدراسة هذا الموضوع من زوايا مختلفة[3].

وكما أسلفنا الذّكر أنّنا لسنا بصدد دراسة معمّقة أو دراسة مقارنة للأبحاث التي تناولت موضوع المناخ لأنّ ذلك يستوجب بحوثا دقيقة وجديدة خاصّة وأنّ المجالين الجغرافي والزّمني لموضوع الدّراسة واسعين ويستدعي ذلك تظافر كلّ الجهود حتى تتّضح الرّؤية وتتبّين التّغيرات المناخية بشكل دقيق وشامل خاصّة في فترة ما قبل التّاريخ، إذْ لا يمكن إطلاق الأحكام واستنباط النّتائج انطلاقا من مناطق دون أخرى.

[1] Emmanuel Le Roy Ladurie, Histoire et Climat, Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 14, N°1, Paris, 1959, p3.

[2] Gsell (S.), Le climat de l'Afrique du nord dans l'antiquité, Rev. Afr, Vol 55, Paris, 1911, pp 343-410.

[3] بودرقا الحسن، الثّروة الحيوانية بشمال افريقيا القديم...، المرجع السّابق & البوزيدي سعيد، الخصوصيات المناخية للمغرب القديم: مقاربة تاريخية لتناول ظاهرة التّقلبات المناخية، ضمن أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته"، أعمال تكريم الأستاذ المصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي بن ميس والبضاوية بلكامل، مطبعة دار السلام، الرباط، 2007، ص ص 183-204 & بن بوزيد لخضر، التّحولات المناخية في الصّحراء الوسطى خلال العشرة الآف سنة الأخيرة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلّد 2، العدد 5، 2016، ص ص 269-297 & آيت أومغار سمير، مناخ شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية، مقاربات جديدة، مجلة هسبريد، تامودة، العدد الأول، الرباط، 2017، ص ص 49-81.

وعليه سنكتفي بإعطاء لمحة موجزة حول مناخ بلاد المغرب القديم منذ ما قبل التّاريخ وحتّى نهاية الفترة الرّومانية لرسم صورة عامّة على المناخ الذي شهدته المنطقة وملاءمته للنّشاط الرّعوي.

1- المناخ خلال فترة ما قبل التّاريخ:

شهدت بلاد المغرب القديم مثل بقية مناطق البحر الأبيض المتوسّط تغيّرات وتحولات مناخية كبيرة منذ زمن طويل، والمثير للانتباه أنها لم تشهد فترات جليدية مثل أوروبا بل كانت التّغيرات تتمثل في فترات مناخية باردة ورطبة تُعرف بـ"الفترات المطيرة"، وفترات حارة وجافة تُعرف بـ"الفترات الجافّة بين المطيرة" وأثّر ذلك على البيئة والمجتمعات البشرية[1].

وقد كان المناخ في عصر البلايستوسين (pleistocène) وخلال الفترة التي تنتمي إليها أقدم الأدوات الحجرية الموجودة ببلاد المغرب القديم أكثر رطوبة مقارنة بالمناخ الحالي، وتشير الدّلائل الأثرية إلى ذلك من خلال بقايا عظام حيوانات كبيرة والتي وُجدت مع الأدوات الحجرية مثل الفيلة، وحيد القرن، وفرس النهر، ما دلّ على أن الظّروف البيئية آنذاك كانت مواتية لحياة هذه الحيوانات، وخلال الزّمن الرّابع (quaternaire) مرّت أوروبا بفترات مناخية متعاقبة وأهمّها موجة البرد والتي كان لها تأثير قوي على معظم أنحاء بلاد المغرب القديم ما تسبّب في اختفاء تدريجي لبعض الأنواع الحيوانية[2].

وما تمّ ملاحظته أنّ التّحول من الرّطوبة إلى الجفاف والعكس قد حدث أكثر من مرّة في ما قبل التّاريخ، وأنّ أدوار الرّطوبة والجفاف التي حدثت في البلايستوسين غير معروفة بدقّة، ولعلّها استغرقت آلاف السّنين[3] وقد تمّت دراسة المناخ القديم باستخدام بيانات من عدّة مواقع أثرية وشملت التّربة القديمة والرّواسب الطّمية وتحليل حبوب اللّقاح وبعض البقايا الأثرية، ومع ذلك فإن البيانات لا تزال مجزّأة وليست كافية لرسم صورة شاملة.

وقد ركّزت الدّراسة على الفترة العائدة إلى حوالي 40000 الف سنة قبل الحاضر، وأشارت إلى أنّ البيانات الخاصّة بالفترة الممتدّة بين (40000 سنة و20000 سنة قبل الحاضر) لا تزال غير مكتملة لكنّها

[1] Robert (J-B.), A propos de l'évolution du climat en Afrique du Nord depuis le début de la période historique, In: RGBSG de Lyon et de la région Iyonnaise. Vol 25, N°1, 1950, p 54.

[2] Gsell (S.), Op. Cit., p 356-357.

[3] بن بوزيد لخضر، المرجع السّابق، ص 272.

تتّفق في الإشارة إلى بيئات أكثر رطوبة، ولكن بين 20000 سنة و18000 سنة قبل الحاضر أصبحت الأمطار تتميّز بعدم الانتظام تدريجيا، ومع ذلك فإن الأدّلة على الجفاف خاصة في الصّحراء تظهر بوضوح خلال الفترة الممتدّة بين 12000 و10000 سنة قبل الحاضر، وبعد 6000 سنة قبل الحاضر أصبح المناخ أكثر رطوبة مرّة أخرى لكن الظّروف كانت مختلفة عمّا سبق[1].

وعليه فإنّ طبيعة المناخ في بلاد المغرب القديم كان يغلب عليها طابع التّذبذب والتّناوب بين فترات الرّطوبة والجفاف[2]، كما نجد اختلافات بين المناطق نفسها وعدم التّجانس من حيث المناخ وهذا ما يفسّر وجود تداخل بين أنواع مختلفة من الحياة البرّية، حيث تمّ العثور على آثار النّعام والتي تشير إلى فترات من الجفاف النّسبي، وانتشار القواقع دليل على فترات من الرّطوبة المعتدلة[3] هذا التّمازج والتّعايش في نفس المنطقة أو مناطق متقاربة يدلّ على أنّ المناخ لم يكن ثابتًا.

وقد أماطت لوحات الفنّ الصّخري اللّثام عن صحراء خضراء وفيرة المياه كانت مرتعًا لحيوانات مختلفة مثل الفيلة وحيد القرن، الزّرافات، كما كانت عبارة عن مرعى كبير لقطعان البقريات المتوحّشة، هذه الرّسومات تظهر بيئة رطبة وأكثر خصوبة وتنوعًا في الحياة البرّية[4]، ومن خلال هذا الفنّ ظهر الإنسان أيضا وظهرت علاقته بهذه البيئة المتوحّشة المتميّزة بانتشار الحيوانات الضّخمة التي كانت بشكل وفير، ووجدها الإنسان المحلّي فرصة لممارسة القنص لتوفير حاجياته من الغذاء واللّباس[5].

وتعرّضت الصّحراء إلى الجفاف أكثر من مرّة بين 5000 ق.م و4500 ق.م، وعادت بعد ذلك الأمطار بقوة إلى المنطقة في الفترة ما بين 4500 ق.م و2500 ق.م، وعمّ الازدهار كلّ أنحاء بلاد المغرب القديم، واتّفق الباحثون أنّ هذه الرّطوبة والظّروف الملائمة أدّت إلى الاستقرار البشري وبداية الحياة الرّعوية وازدهار حضارة رعاة الأبقار وانتشارهم في كافّة الأماكن خلال العصر الحجري الحديث[6].

---

[1] Rognon (P.), Late quaternary climatic reconstruction for the maghreb (North Africa), Palaeogeography, Palaeoclimatology, Palaeoecology, 58, 1987, 11-34.

[2] Hachid (M.), Les premiers berbères entre méditerranée, Tassili et Nil, INA-Yas-, Alger, 2001, p12.

[3] Gsell (S.), Op. Cit., p 358.

[4] Mercuri (A.), et al., Mediterranean and north-African cultural adaptations to mid-Holocene environmental and climatic changes. The Holocene, Sage, 21 (1), 2011, p 202.

[5] بودرقا الحسن، المجال والتّاريخ ...المرجع السّابق، ص 61.

[6] بن بوزيد لخضر، المرجع السّابق، ص 272.

2- المناخ خلال الفترة التّاريخية:

يحتمل أنّه في بداية العصر التّاريخي اكتمل تصحّر الصّحراء، ودخلت بلاد المغرب مرحلة مناخية جافة استمرّت حتّى يومنا هذا، ويعتقد المؤرّخون أنّ المناخ كان خلال العصرين القرطاجي والرّوماني مشابهًا للمناخ الحالي[1]، ويرى باحثون آخرون أنّ المناخ في نهاية فترة القرطاجيين والنّوميديين مقارنة بالعصر الحجري الحديث قد تدهور في اتّجاه الجفاف[2] وأنّ مناخ الصّحراء في الفترة التّاريخية كان جافًّا لكنّه أقلّ ممّا عليه اليوم[3].

إلى جانب الجفاف كانت منطقة المغرب القديم تتعرّض خلال فصلي الرّبيع والصّيف لرياح جافّة تُعرف برياح السّيروكو (Sirocco) التي تلحق أضرارًا بالإنسان والحيوان والنّبات على حدٍّ سواء، كما شهدت عبر عصورها القديمة ظاهرة الجراد الذي كان يتسبّب في تلف المحاصيل وكلّ ما يعترض طريقه، ورغم أنّ هذه الكوارث الطّبيعية لم تكن دائمة إلاّ أنّها كانت عند حدوثها تخلّف خسائر جسيمة[4].

وقد أثّرت التّغيرات المناخية التي شهدتها الصّحراء في منطقة المغرب القديم بشكل كبير، إذ أدّت إلى تقلّص المجالات الخصبة، وتركّز الموارد المائية الذّي صاحب التّراجع المناخي، ممّا أدى ذلك إلى تكّتل بشري حول نقاط الماء والمناطق الملائمة للعيش وكذا تكتّل حيواني، وكان لنتيجة هذا التّكتل البشري والحيواني نشوء أنماط من الاستقرار مهّدت لظهور الزّراعة وتدجين الحيوانات[5].

وإذا كانت الصّحراء تتميّز بالجفاف فإنّ المناطق الدّاخلية تُظهر اختلافًا واضحًا بين فصلي الشّتاء والصّيف، فهناك فارق كبير في درجات الحرارة بين المناطق السّاحلية والدّاخلية[6]، كما يمكن أن تبقى الثّلوج لعدّة أشهر تغطّي مرتفعات الأطلس الكبير[7].

---

[1] Robert (J-B.), Op. Cit., p54.

[2] Ballais (J-L.), Les grandes phases de modification de l'environnement dans les Aurès (Algérie) au cours de la période historique, Bulletin de l'Association de géographes français, N° 499, Paris, 1984, P 74.

[3] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص 104.

[4] بشاري محمد الحبيب، روما وزراعة المقاطعات الإفريقية " بين 146ق.م و285م "، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص ص 16 – 18.

[5] بودرقا الحسن، الثّروة الحيوانية...، المرجع السّابق، ص 35.

[6] Despois (J.), L'Afrique blanche, T I, l'Afrique du Nord, Paris 1964, pp 11-12.

[7] Ibid., p 14.

وبالرّغم من أنّ المناطق الدّاخلية تميّزت بقلّة كمّية التّساقط إذا ما قُورنت بالمناطق السّاحلية إلاّ أنّها في بعض الأحيان اتّسمت بعدم الانتظام وشدّة الغزارة كما هو الحال اليوم، ممّا أدّت إلى فيضانات مدمِّرة تسبّبت في إتلاف المحاصيل وجرف الأودية، ومن أمثلة ذلك ماحدث لجيش قيصر الذي تمركز قرب سوسة سنة 46 ق.م، حيث تعرّض لأمطار طوفانية دمّرت معسكره[1]، كما أشار "ساليست" إلى الأمطار الطّوفانية عندما تحدّث عن القوات الرّومانية التّي فوجئت بغزارة الأمطار خلال حربها ضدّ يوغرطة، حيث كانت متوجّهة نحو تالة (Thala) بتونس وهي منطقة كبيرة وغنية[2]، ممّا أثّر على تحركات الجيش.

وفيما يخصّ السّاحل فقد شهد هو أيضا تذبذبات مناخية فقبل حوالي 8500 ق.م كان المناخ جافًا، وما بين 8500 ق.م و8000 ق.م تمّ تسجيل زيادة في الرّطوبة على السّواحل وفي المناطق الجبلية كان المناخ رطبا وباردا، وما بين 6000 ق.م و4500 ق.م ارتفعت درجة الحرارة، وما بين 4500 ق.م و2000 ق.م أصبحت المناطق الجبلية أكثر برودة، ومنذ حوالي 2000 ق.م أصبحت أنشطة الإنسان من بين أهمّ الأسباب التي أدّت إلى التّصحر[3].

وقد تحدّث المؤرّخون القدامى عن المناطق السّاحلية رغم أنّهم لم يقومو بوصف شامل ودقيق لها، إلاّ أنّه يمكننا تصور طبيعة المناخ في تلك الفترة، ويصف "هيرودوت" في هذا المجال منطقة كنيبس (Cinyps) على أنّها من أفضل الأراضي ولا تشبه باقي مناطق ليبيا حيث عرفت أمطارا غزيرة[4]، وأضاف نفس المؤلف أنّ الأراضي عند نبع أبولو في قورينائية بليبيا تتميز بخصوبة التربة وتعرف تساقطا كبيرا للأمطار[5].

كما وصف "سترابون" في القرن الأول قبل الميلاد خصائص الشّريط السّاحلي، فعلى طول ساحل البحر الأبيض المتوسط أراضي خصبة وبشكل خاصّ في برقة، والأراضي الممتدّة من قرطاج إلى أعمدة هرقل وعلى طول المحيط[6]، ووصف كذلك موروزيا (Maurusie) بأنّها غنيّة بالمجاري المائية والبحيرات[7]، وبالرّغم من

[1] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص 16.

[2] ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 75، 7، ص 119.

[3] Ballouche (A.) et al., Holocene environments of coastal and continental Morocco, in Quaternaty Climate in western Mediterranean, López-Vera, F., Madrid: Universidad Autónoma de Madrid, 1986, p 529.

[4] Herodote, Histoires, IV, 198.

[5] Herodote, Histoires, IV, 158.

[6] Strabon, Geographie, II, 5, 33.

[7] Strabon, Geographie, XVII, 3,4.

أنّ الموريين يسكنون بلدًا خصبًا إلا أنهّم يحتفظون بالحياة البدوية[1]، وهذا ما يعني بالتّأكيد المحافظة على تربية الماشية.

وعلى ضوء شهادات الكتّاب القدامى يُمكننا القول أنّ العوامل المناخية في بلاد المغرب القديم كانت عمومًا مواتية لتربية الماشية غير أنّها عرفت بعض الاختلالات من حين لآخر كظاهرة الجفاف، حيث يتأخّر سقوط المطر فيعيق عمليتي الحرث والزّرع، ففي سنة 128 م مثلا سقطت الأمطار بعد خمس سنوات من الجفاف وتزامن ذلك مع زيارة الامبراطور هادريانوس إلى المنطقة، وذكر ترتليانوس أنّ الحصاد لم يتم سنة 202م بسبب الجفاف، ونفس الظّاهرة تكرّرت في القرن الخامس ميلادي، وخلافًا للجفاف يحدث أنْ تسقط الأمطار بغزارة كما هو الحال اليوم وهي أمطار مدمّرة [2].

ويُحتمل أنّ مناخ بلاد المغرب القديم عرف تشابها مابين الفترة الرّومانية والفترة الحالية، إلاّ أنّ لكلّ إقليم مميزاته المناخية[3]، وبالرّغم من صعوبة إجراء مقارنة دقيقة بين المناخ الحالي والمناخ القديم بسبب عدم توفر معطيات إحصائية دقيقة متعلّقة بدرجات الحرارة، بالإضافة إلى كمّية الأمطار المتساقطة، إلاّ أنّه يُمكننا رسم صورة تقريبية وعامّة لمناخ بلاد المغرب القديم استنادًا إلى السّمات المناخية السّائدة في الفترة الحالية.

اتّسم المناخ في بلاد المغرب بتباين خصوصياته بسبب طبيعة التّضاريس وتقسيمها وهذا ما أدّى إلى اختلافات كبيرة في المناخ على مسافات قصيرة نسبيًا، هذا التّقسيم يخلق مناطق مناخية مختلفة تتراوح بين المناخ المتوسّطي على السّواحل إلى المناخ القارّي شبه الجاف في المناطق الدّاخلية، ثم إلى الصّحراء الكبرى في الجنوب، هذا التّباين كان مفهوما جيّدا من قبل "هيرودوت" الذّي ميّز بين المنطقة المأهولة وتلك التّي تأوي الحيوانات الكبيرة والصّحراء، ولاحظ تأثير المناخ على الحيوانات كذلك تأثير الاختلافات المناخية على النّبات، فهناك خطوط معينة من الكثافة المطرية التي تحدّد التّحولات في الغطاء النّباتي، ومن أهمّها خط المطر المتساوي 400 ملم[4] وسنفصّل في ذلك حين تناول موضوع الغطاء النّباتي.

[1] Strabon, Geographie, XVII, 7.

[2] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص 16.

[3] البوزيدي سعيد، المرجع السّابق، ص 202.

[4] Lassère (J-M.), Op. Cit., p 24.

إنّ تأثير الموقع الجغرافي على بلاد المغرب جعلها عرضة لمجموعة متنوعة من التّغيرات المناخية، ويظهر ذلك في التّأثيرات الواضحة لكلّ من المناخين المتوسّطي والصّحراوي، هذه الإزدواجية أدّت إلى تنوع بيئي كبير في المنطقة، حيث نجد معدّل الحرارة في المناطق السّاحلية لا يتجاوز 25 درجة، وتعرف فترة صيف حار وجاف، أمّا فصل الشّتاء فيكون معتدلا ورطبًا نسبيًا، ولا يتعدّى معدّل الحرارة فيه 10 درجات[1].

وبالنّسبة للمناطق الدّاخلية فمعدّل الحرارة لشهر جانفي في سطيف مثلا يصل الى 5 درجات وفي تبسّة 6 درجات، وفي شهر جويلية يصل المعدّل في سطيف الى 25 درجة وفي تبسّة 27 درجة، وفي صفاقس يصل معدّل الحرارة في جانفي الى 11 درجة، وفي جويلية الى 26.5 درجة[2].

والجدير بالذّكر أنّ الفترة التّي تتميز بالتّهاطل الغزير للأمطار تمتدّ بين النّصف الثّاني من الخريف وبداية الرّبيع، وتكون كمّية التّساقط أقل بين ماي وأكتوبر، وفي جويلية وأوت تكاد تنعدم الأمطار، وفوق الجبال ينشأ عن الحرارة ذوبان الكتل الثّلجية، وبذلك تغذّي الأنهار في نهاية الرّبيع وجزء من الصّيف، وتتلقّى مختلف مناطق بلاد المغرب كمّيات مختلفة من الأمطار، ويرجع هذا التّفاوت لعدّة أسباب كالقرب أو البعد عن البحر وطبيعة التّضاريس، وسهولة أو صعوبة وصول التّيارات الهوائية المحمّلة ببخار الماء لهذه الأرض، وحرارة لا تطاق ممّا يُسبّب جفاف الغطاء النّباتي، وتأثيره على الكائنات الحيّة[3] بما في ذلك الحيوانات، وعليه فإنّ بلاد المغرب تشكل منطقة انتقالية بين مناخين متباينين (متوسطي وصحراوي)، نتج عنه اختلاف واضح في أنماط حياة السّكان.

[1] Leveau (Ph.), L'environnement de l'Afrique dans l'Antiquité. Climat et société, un état de la question, IKOSIM, N° 5, 2016, p 59.

[2] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص 15.

[3] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص ص 59-63.

ثالثا –التّربة والغطاءالنّباتي:

يُشكّل الغطاء النّباتي أحد عناصر النّظام البيئي الرّئيسي باعتباره مصدر غذاء للحيوانات ويساهم في المحافظة على التّوازن البيئي، ومن المعلوم أنّ الغطاء النّباتي يعتمد على نوعية التربّة وكذلك المناخ، فهو مرآة عاكسة لطبيعة المناخ والتّنوع التّضاريسي، فالنّبات الطّبيعي نتاج البيئة الطّبيعية وله علاقة بحياة الحيوان، هذه العلاقة هي بالدّرجة الأولى علاقة اعتمادية للحيوانات على النّباتات[1].

ويعدّ موضوع النّبات في بلاد المغرب القديم من المواضيع التي لم تحظَ بالدّراسة حسب حدود علمنا من قبل الباحثين كموضوع مستقلّ، وما توفر لدينا في هذا المجال الدّراسة التي قام بها الباحث منير الحاج الطاهر، من خلال أطروحته والموسومة بعنوان " الثّروة النّباتية في شمال افريقيا القديم"[2]، وكذلك دراسة الباحثة صندوق ستّي التي تناولت فيها النّبات في الجزائر تحت عنوان "الثّروة الحيوانية والنّباتية في الجزائر القديمة"[3].

وفي المقابل اكتفى ستيفان قزال بإدراج موضوع الغطاء النّباتي كعنصر في مُجلّده الأول[4] "تاريخ شمال افريقيا"، ولم يخصِّص له بحثًا قائمًا بذاته كما هو الشّأن بالنّسبة للمناخ، ورغم ذلك كشف أهمية الثّروة الغابية حيث حدّد الخاصّيات التّرابية الملاءمة لأنواع الأشجار المنتشرة في بلاد المغرب القديم[5].

وكما أشرنا سابقا أنّ بلاد المغرب القديم شهدت تغيرات مناخية وتحولات كبيرة أثرّت على الغطاء النّباتي نتيجة لتوجّه المناخ نحو الجفاف خاصة في الصّحراء، وأدّى ذلك إلى تغيرات في توزيع النّباتات وكثافتها

[1] إنّ العلاقات بين النّباتات والحيوانات لا تقتصر على الغذاء فقط، بل هناك صور أخرى تمثلت في إنتاج المواد العضوية في التّربة تساعد النّباتات على النّمو، وكذلك تساعد في انتشار البذور وإنباتها بسبب تنقلها الدائم، وتحرّكها من مكان إلى آخر من خلال التصاق بعض النّباتات المزودة بأشواك وخطاطيف بجسم الحيوان، أو الانتقال داخل الجهاز الهضمي حيث تمرّ البذور بالقنوات الهضمية للحيوان، وتخرج إلى التّربة محتفظة بقدرتها على الإنبات من جديد، والجدير بالذّكر أن الحيوانات عند رعيها تفضّل أنواعا معينة من النّباتات على أنواع أخرى، وتتفاوت النباتات في قيمتها الغذائية، للمزيد يراجع: عبد الفتاح بدر، عبد العزيز عبد الله قاسم، المرجع السّابق، ص ص 120- 123.

[2] الطّاهر منير الحاج، الثروة النباتية في شمال افريفيا القديم، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1999-2000.

[3] صندوق ستي، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2020.

[4] قزال ستيفان، ج 1، المرجع السّابق، ص ص 126-141.

[5] البوزيدي سعيد، دور المجال الغابوي في حفظ التوازنات البيئية والاقتصادية في المغرب القديم، البيئة بالمغرب القديم، معطيات تاريخية وآفاق تنموية: منطقة درعة نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الندوات والناضرات، رقم 9، الرباط، 2005، ص 22.

ولا يمكننا تتبّع هذه التّغيرات النّباتية نتيجة لقلّة المعلومات، ومع ذلك فمن المؤكّد أنّ تراجع الغطاء النّباتي كان نتيجة للتّغيرات المناخية إضافة إلى العامل البشري والحيواني.

ومهما يكن فلابدّ أنْ نشير إلى أنّ تحاليل حبوب اللّقاح بيَّنت أنه في الألف السّابعة قبل الحاضر كانت الجبال تغطّي منطقة الصّحراء وتنعم بمناخ شديد الرّطوبة بحيث أنّ القمم الجبلية العالية مثل جبل تاهات (Tahat) كانت تغطّيها الأشجار الوارفة مثل أشجار البلّوط، الزّيزفون، الجوز، المغث والدّردار، وكذلك أشجار الوزال، الميس، المصطكا والزّيتون، بينما كانت أشجار الصّنوبر تغطّي السّفوح والمناطق المنخفضة[1].

وبالنّسبة للمنطقة السّاحلية فقد تأرجحت بين الرّطوبة والبرودة من جهة، والحرارة والجفاف من جهة أخرى، خلال الفترة الممتدّة بين الألفية الثّامنة قبل الميلاد والألفية الثانية قبل الميلاد، وقد غطّت الغابات إلى حدّ كبير التّل والهضاب العليا[2].

أمّا إذا عدنا إلى الفترة الرّومانية فنجد أنّ الوضع كان يشبه ما هو عليه اليوم وخصوصا المناطق السّاحلية الممتدّة من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي، وعلى طول البحر نجد منطقة خصبة ومؤهولة بالسّكان، وصالحة للزّراعة وتربية القطعان، حيث أعطت الخصائص الطّبيعية لبلاد المغرب بيئة مناسبة لتربية الحيوان[3]، فوُجِدَ المستقرّون وكذلك البدو وهو ما يتوافق مع طبيعة التّربة والمناخ.

I- التّربة والغطاء النّباتي من خلال المصادر الأدبية:

أظهرت النّصوص القديمة أنّ بلاد المغرب القديم كانت مشهورة بتربية الماشية وتتوفّر على أعداد كبيرة من قطعان الأبقار والأغنام والماعز، وسنركّز على بعض المواقع حسب ما جاء في شهادات المؤرّخين القدامى الّذين أشارو إلى الخصائص الجغرافية لافريقيا من مناخ وتربة، ومن بينهم نجد "بوليب" الّذي أشار إلى خصوبة التّربة في افريقيا المواتية لتربية الماشية حيث قال:" أنّ افريقيا تتميز بخصوبة التّربة وهي مثيرة للإعجاب، وتوجد بها الخيول والثّيران والأغنام والماعز بأعداد كبيرة، بحيث لا يمكن للمرء أن يجد مثل هذا العدد الكبير في أيّ

[1] كامبس قابريال، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 93.

[2] Ballouche. (A.) et al, Op. Cit., p 529.

[3] Camps (G.), Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara. Le sol, la parole et l'écrit, Mélanges en hommage à Raymond Mauny, Tome II, 2000 ans d'histoire africaine, Société française d'histoire d'outre-mer, Paris, 1981, pp 548-549.

مكان من العالم"[1]، ومثل هذا التّصريح يعطينا صورة جليّة عن مدى وفرة الماشية في المغرب القديم بفضل توفّر المراعي الطّبيعية.

وذكر "ساليست" باختصار شديد جغرافية افريقيا، وأشار إلى خصوبة أرضها حيث قال: "إنّ افريقيا يحدّها الغرب الذي يربط البحر المتوسّط بالمحيط، إلى الشّرق هضبة عريضة ومائلة، يسمّيها سكّانها كاتاباثموس (Catabathmos) البحر هائج، دون موانئ، الأرض خصبة منتجة للحبوب وملائمة لتربية الماشية[2]، كما أورد "بومبينيوس ميلا" معلومات عامّة حول خصوبة الأراضي الافريقية الواقعة غرب النّيل وقال: "إنّها خصبة بشكل رائع في المناطق المأهولة "[3].

وإذا أردنا أنْ نلقي نظرة على الجهة الغربية نجد "هيرودوت" الذي أشار إلى الأراضي الواقعة إلى الغرب من نهر تريتون والتي تتميز بغطاء نباتي كثيف[4]، وقد وصف ذات المؤلّف أنّ منطقة كنيبس[5] (Cinyps) التي تحمل نفس الاسم الذي يحمله النّهر على أنّها من أفضل الأراضي الخصبة في ليبيا، تتميز بتربة سوداء، ولا تخشى لا من الجفاف ولا من الأضرار النّاجمة عن الأمطار الغزيرة [6].

ويضيف "ساليست" قائلا: " غير بعيد عن نهر الملوية الذي يفصل مملكتي يوغرطة وبوخوس كان يوجد وسط بلاد سهلية جبل شديد العلو ينتهي بأرض مسطّحة[7]، كما وصف "سترابون" أراضي موروزيا (Maurusie) بأنّها خصبة وغنية بالأشجار وتصل إلى ارتفاع مذهل، وبها جداول وبحيرات كثيرة[8].

---

[1] Polybe, Histoires, traduit par Félix Bouchot, Paris, Charpentier, 1847, XII, 3. https://remacle.org/bloodwolf/historiens/polybe/douze1.htm

[2] ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 17، ص 65.

[3] Pomponius Mela, Geographie, I, IV.

[4] Hérodote, Histoires, IV, 191.

[5] كينيبس حاليا هو وادي كعام الواقع غرب مدينة زليتن بالجماهيرية اللّيبية، وقد اشتهرت كنيبيس منذ القديم بخصوبة أراضيها وغنية بالموارد الطّبيعية، ومصدر دائم للمياه ما ساهم في نمو الغطاء النّباتي، وشكّلت مركزا مهما لرعي الماشية، ممّا جعلها هدفًا لمحاولات الإستيلاء عليها، للمزيد انظر: أعشي مصطفى، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، ترجمة وتعليق وشرح مصطفى أعشي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009، ص 110.

[6] Herodote, Histoires, IV, 198.

[7] ساليست، المصدر السّايق، الفقرة 92، ص 137.

[8] Strabon, Geographie, XVII, 3,4.

وقد بيّن لنا ذات المؤلف أنّ المناطق السّاحلية الممتدة من حدود مصر إلى أعمدة هرقل أرض خصبة ومكتظّة بالسّكان[1]، كما وصف "بلين الأكبر" خصوبة الأراضي حول جبل الأطلس قائلا: "أنّ السّكان المحلّيين يَروُون لنا أنّه على السّاحل وعلى بعد 150 ألف ميلا من سالا (Salat) يوجد نهر أسَانا (Assana)،وبعد ذلك مباشرة يوجد النّهر المسمّى فوت (Fut) ،والمسافة منه إلى ديريس (Dyris) 200 ألف خطوة، وتوجد في الأماكن المجاورة آثارًا تشير إلى أنّ الأرض كانت مأهولة، إضافة إلى وفرة كروم العنب[2].

وأما فيما يخص نوميديا أورد "ساليست" في عدة مواضع أنّ النّوميديين كانوا يولون اهتماما أكبر بتربية المواشي مقارنة بالزّراعة[3]، ويعتمدون بشكل أساسي على الرّعي، وأبرزَ أنّ قطعان الماشية تمثّل الثّروة الرّئيسية للنّوميديين حيث ذكر في سياق حديثه عن الملك يوغرطة: "قام يوغرطة بمهاجمة مملكة عزربعل بشكل مفاجئ على رأس قوات معتبرة وأسَرَ كثيرا من الرّجال واستولى على القطعان وغنائم أخرى"[4].

ويضيف "ساليست" في موضع آخر واصفا توغّل ميتيلوس في نوميديا حيث قال: " أنّ ميتيلوس تقدّم في نوميديا على رأس جيش قوي، جيّد التّدريب ومستعدّ للقتال، لكن لم يكن هناك ما يوحي بالحرب في هذه البلاد، إذْ كانت الدّور عامرة بالحياة وآهلة بالسّكان بينما كانت القطعان ترعى في المراعي[5].

وتحدث "تيت-ليف" (Titus Livius) عن القطعان النّوميدية وتوفر الكلأ، ويظهر ذلك من خلال كتاباته عن ماسينيسا وحربه ضدّ سيفاقس، فبعد هزيمة ماسينيسا اتّبعت بعض العائلات الماسيلية مَلِكَها بخيامِها وقطعانها إلى جبل يسمّى بِيلوس (Bellus)، حيث كان هناك العشب والماء وفيرا لتغذية قطعان الماشية[6].

[1] Strabon, Geographie, XVII-3,1.

[2] بلين الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة 13، ص 19.

[3] ساليست، المصدر السَّابق، الفقرة 90، 1، ص 135.

[4] نفسه، الفقرة 20، 1، 3، ص 69.

[5] نفسه، الفقرة 46، 1، 2، 3، 4، 5، ص ص 93-94.

[6] Tite live, Histoire romaine, traduit par Eugène Lasserre, Classiques Garnier, 1949. XXIX, 31.

كما وصف "ساليست" سهلا ممتدًّا بين الجبل وواد يُعرف بالمثول (Muthul) الذي يقع في نوميديا في معرض حديثه عن معركة المثول عام 108 ق.م، حيث واجه القائد الرّوماني ميتيلوس قوات الملك النّوميدي يوغرطة، وقد أشار إلى هذا الوادي أنّه ينبع من الجنوب وتوازيه كتلة جبلية جدباء، ووسط هذه الكتلة تمتدّ على مدى البصر هضبة مغطّاة بأشجار الزيّتون وأنواع أخرى من الشّجيرات التي تنمو في الأراضي الجّافة والرّملية، أمّا فيما يخصّ السّهل الواقع بين الجبل والوادي فإنّ الأراضي المحاذية له تتميّز بغطاء كثيف من الشّجيرات، ما جعله موقعًا يرتادُه المزارعون وفضاء مناسبًا لرعي قطعان الماشية[1]، وهذا ما يدلّ على أنّ الطّبيعة الجغرافية كانت عاملاً في تحديد أنماط الحياة.

أمّا بالنسبة للمناطق الشّرقية فقد تحدّث "هيرودوت" عن خصوبتها وتحديدا قورينائية (برقة) التي تمثّل أعلى جزء من ليبيا، يسكنها البدو الرّحل، وتتمتّع بثلاث مواسم للحصاد[2]، ويضيف "ديودور الصّقلي" أنّ المنطقة المجاورة لقورينائية تمتاز بتربة خصبة تنتج محاصيل متنوعة من فواكه وقمح وتنتج أيضا الكروم وأشجار الزّيتون والأشجار البرّية[3].

ويظهر أنّ قرطاجة لم تهمل المورد الحيواني لأنّه مصدر للغذاء من جهة والمواد الأولية الضّرورية للصّناعة الجلدية والنّسيجية من جهة أخرى، وفي هذا المجال شاهد أغاثوكليس (Agathocle)[4] وهو يزحف اتجاه قرطاجة، ومن بعده القائد الرّوماني روغولوس قطعان الماشية ترعى في مروج خضراء تملكها الطّبقة الأرستقراطية القرطاجية بمنطقة الرّأس الطّيب ومناطق أخرى مثل اوتيكا وسهول السّاحل[5].

وفي هذا الشّأن قدم لنا "ديودور الصقيلي" (Diodorus Siculus) شهادة في غاية الأهمّية حول خصوبة الأرض في بلاد المغرب القديم، ووصف لنا المناطق التي كان قد مرّ بها أغاثوكليس وجيشه عند حملتهم

[1] ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 48، 1، 2، 3، 4، ص 95.

[2] Herodote, Histoires, IV.199.

[3] Diodore de Sicile, La Bibliothèque historique, III, 50.

[4] على إثر وصول أغاثوكليس الى الحكم سنة 317 ق.م وإعلانه الحرب عل قرطاجة وبينما كان البونيقيون يسيطرون على كامل صقيلية قرّر أغاثوكليس نقل الحرب إلى افريقيا التي نزل بها سنة 310 ق.م برأس الطّيب على راس 14000 مقاتل، واتّجه نحو قرطاجة التي لم تتوقّع الّضربة وفي طريقه خرب الحصون والمزارع والحقول، للمزيد يراجع: حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 46.

[5] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص 32.

على قرطاجة، حيث كانت تتخلّلها الحدائق والبساتين التّي ترويها العديد من الينابيع، وكانت الأرض مزروعة بالكروم وأشجار الزّيتون ومجموعة من الأشجار المثمرة، وسهل تتغذّى منه قطعان من الثّيران والأغنام وشاهد كذلك الخيول حول المراعي الغنية[1].

وما يُبرز كذلك مدى غِنى المنطقة بالثّروة الحيوانية أنّ القائد القرطاجي حملقار الذي قاد الحملة العسكرية سنة 254 ق.م لمعاقبة اللّيبيين الذين استغلّوا حملة روغولوس للثّورة ضد السّيادة القرطاجية أنّه بالإضافة إلى تنكيله بزعماء الثورة وفرضه غرامة مالية على الأهالي، غنمَ أيضا 20 ألف رأس من الأبقار[2].

وتحدّث "هيرودوت" عن إقليم الواحات الصّحراوية، وأشار إلى النّاسمونيين (les Nasamons) الّذين يعيشون على السّاحل، ويتنقّلون بين السّاحل والواحات، وعددهم كبير وهم رعاة ومزارعون، حيث يتركون قطعانهم في الصّيف على السّاحل ويذهبون إلى منطقة تعرف بواحة أوجلة لجمع التّمور في الخريف حيث تنمو أشجار النّخيل هناك بوفرة[3]، كما أعطى لنا "فيرجيل" صورة عن الصّحراء من خلال قصيدته ووصفها بأنّها شاسعة وكانت مرعى للماشية[4].

وقد عكست الأساطير القديمة خصوبة التّربة والنّبات الطّبيعي في المنطقة بجعلها موطن حدائق الهيسبيريد (Hespirides)[5] المشهورة، والتي تفنّنت الرّوايات في وصف خيراتها الفلاحية، والرّاجح أنّ المعطيات الجغرافية المتداولة حول الشّريط السّاحلي الافريقي الخصب هي التي أفضت إلى التّفسير الذي ربط ذلك بمشيئة الآلهة[6]، فنجد أنّ بعض الأساطير حاولت أن تنسب لهرقل الاغريقي دورًا في جعل الأراضي اللّيبية خصبة أو على الأقل جزءا منها، وأنّ هرقل عمل على زرع بعض المناطق الصّحراوية التي كانت جرداء قبل ذلك، ويحتمل

---

[1] Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, XX, 8.

[2] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص ص 32-33.

[3] Herodote, Histoires, IV, 172.

[4] Virgile, Géorgiques, Les Belles Lettres, 1963, III, 339-348

[5] حرصت الأسطورة القديمة على توطين حدائق الهيسبيريد المناطق المحاذية للسّاحل المتوسّطي، وارتبط كذلك توطين حدائق الهيسبيريد بأراضي الماسيليين (**Massyles**) الخصبة، ويتزعّمهم الإله باخوس (**bacchs**)، حيث الأشجار المورقة والمزدهرة بأغصانها التي تثمر الفواكه الذّهبية، للمزيد يراجع: أعشي مصطفى، المرجع السّابق، ص ص111-112.

[6] قمش خديجة، صورة مجال شمال افريقيا من خلال " الجغرافية الأسطورية " القديمة، أضواء حديدة على تاريخ شمال افريقيا القديم وحضارته، تكريم الأستاذ المصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي-بن ميس، البيضاوية بلكامل، ط1، مكتبة دار السلام، 2007، ص 44.

أنّ هذه الأسطورة محاولة لتفسير خصوبة بعض الواحات الصّحراوية المتناثرة في صحراء بلاد المغرب القديم[1] وقد تحدّث "هيرودوت" كذلك عن أراض خصبة يسكنها اللّيبيون الشّرقيون تعرف باسم قريب من اسم الهيسبيريد وهي إيفيسبيريد (Évespérides) [2].

أظهرت بعض النّصوص القديمة أنّ الغطاء النّباتي في بلاد المغرب القديم كان متنوعا، ومن بين الأشجار التي اشتهرت بها المنطقة هي شجرة اللّوتس التي وصفها "بلين الأكبر" بشيء من التفصيل[3]، كما أخبرنا "سترابون" بأنّ إقليم قورينائية كان ينتج نبات[4] السّيلفيوم (silphium) [5]، وهو نبات مشهور جدًّا ويسمّيه الاغريق السّيليفيون (silphion) وله استخدامات متعدّدة، حتّى أنّ القطعان كانت ترعى في المناطق التي يتوفّر فيها هذا النّبات[6].

وبعد عرض شهادات الكتّاب الكلاسيكيين اغريقًا ورومانًا، يمكننا القول أنّه بالرّغم ممّا قدّمته لنا بعض النّصوص القديمة التّي بين أيدينا من بيانات ومعلومات عامّة وغير دقيقة، والتّي حالت دون رسم صورة واضحة على النّبات في بلاد المغرب القديم، إلاّ أنّنا نعتبر تلك المعطيات مهمّة، حيث أجمعت على أنّ لهذه المنطقة إمكانيات طبيعية من تربة وغطاء نباتي متنوّع نتيجة تنوع المناخ وتباينه من الشّمال إلى الجنوب، كلّ ذلك شجّع سكّانها على ممارسة تربية الحيوانات ورعيها.

[1] أعشي مصطفى، المرجع السّابق، ص 112.

[2] Herodote, Histoires, IV, 198.

[3] Pline l'Ancien, Histoire naturelle, traduit par E. Littre dans la Collection des auteurs latins de M. Nisard, Paris, 1877, XIII, 32.
https://remacle.org/bloodwolf/erudits/plineancien/livre13.htm

[4] Strabon, Géographie, XVII, 3, 22.

[5] قام الباحث الطاهر منير الحاج بدراسة النّباتات البرّية والمدجّنة وأسهب في دراستهما، وتطرّق إلى السّيلفيوم بشيء من التّفصيل واعتمد على المصادر القديمة التي تحدّثت على النّبات، حيث أشار هيرودوت إلى أنّه كان كنبات خاصّ بقورينائية ، أمّا سترابون يقول أن منطقة انتاج السّلفيوم لها شكل مستطيل، وهو نبات برّي طوعي لا يحتاج إلى عناية، إلا أنّ هذا النّبات القيّم عرف تراجعا كبيرا لدرجة الانقراض وهذا ما يؤكّده بلين الأكبر بقوله :"لقد مرّت سنوات على انقراض السّلفيوم سبب ذلك راجع إلى جشع المزارعين الين قاموا بالاستيلاء على أراضيه وإدخال قطعانهم لكي ترعى فيها، ممّا أدّى إلى اختفائه وقد عثر في وقتنا على ساق واحد للسّلفيوم قدّم كهدية للامبراطور نيرون (Neron)". وانقرض هذا النّبات وذلك راجع لاستغلاله المكثّف، للمزيد راجع: الطّاهر منير الحاج، المرجع السّابق، ص ص 113-116.

[6] Pline l'Ancien, Histoire naturelle, XIX, 15.

وبما أنّ المناخ خلال الفترة الرّومانية يشبه إلى حدٍّ مَا المناخ الحالي مع بعض الفُروقات، وكذلك التّباين في التّضاريس، لذلك نحاول أنْ نسّلط الضّوء على المراعي وعلاقتها بكمية الأمطار من خلال إسقاط هذا التّشابه على فهمنا للعلاقة بين التّساقط والغطاء النّباتي الحالي.

II- تأثير كمّيات التّساقط على المراعي:

تتميّز بلاد المغرب القديم بتنوع بيئي كبير أثَّرَ على توزيع النّباتات حيث تتكيّف مع الظّروف الطّبيعية ممّا نتج عن ذلك تشكيلات نباتية متنوعة من حيث الأصناف والكثافة، وارتبط توزيع الموارد الحيوانية أوثق الارتباط بتوزيع الموارد النّباتية وتنوعها، وتدلّ الآثار المتحجّرة على أنّ جميع المناطق كانت عامرة في وقت من الأوقات بأنواع مختلفة من الحيوانات الوحشية، وقد أسهمت وفرة هذه الموارد الحيوانية في تقديم خدمات كبيرة للإنسان منذ أقدم العصور[1].

ومن المعلوم أنّ المراعي تعتمد على كمّيات وتوزيع الأمطار والّتي تميّزت بعدم الإنتظام، حيث تتلقّى مختلف مناطق بلاد المغرب القديم كمّيات أمطار بنسب متفاوتة، فنجد مناطق لا تتعدّى كمّية التّساقط بها 200 ملم، ومناطق أخرى تتجاوز فيها كمّية الأمطار المتساقطة 400 ملم، ومناطق تتجاوز كمّية التّساقط بها أكثر من 800 ملم[2]، انظر الشّكل رقم (7).

وعليه نجد المناطق ذات المناخ المتوسّطي والتي يتجاوز معدّل سقوط الأمطار 400 ملم توجد بها مراعي دائمة، أمّا المناطق التي يتميز مناخها بالشّبه الجاف أو الجاف ويكون معدّل هطول الأمطار بها لا يتعدّى 400 ملم غالبا ما كان على الرّعاة البحث في المناطق الجبلية الّتي تتوفّر على المياه أو في المناطق ذات المناخ المتوسّطي عن المراعي الصّيفية اللّازمة لقطعانهم[3]، ممّا نتج عنه رعاة شبه مستقرّين يقومون بتنقّلات محدودة بين السّهول شتاءا والمرتفعات صيفًا والرّحل دائمِي التّنقل بحثا عن الكلأ والماء[4].

---

[1] آكن مابوكونجي، الجغرافيا التاريخية: الجوانب الاقتصادية، تاريخ افريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في افريقيا، جين أفريك، اليونسكو، 1980، ص ص 352-353.

[2] Despois (J.), L'Afrique blanche…, Op. Cit., p15.

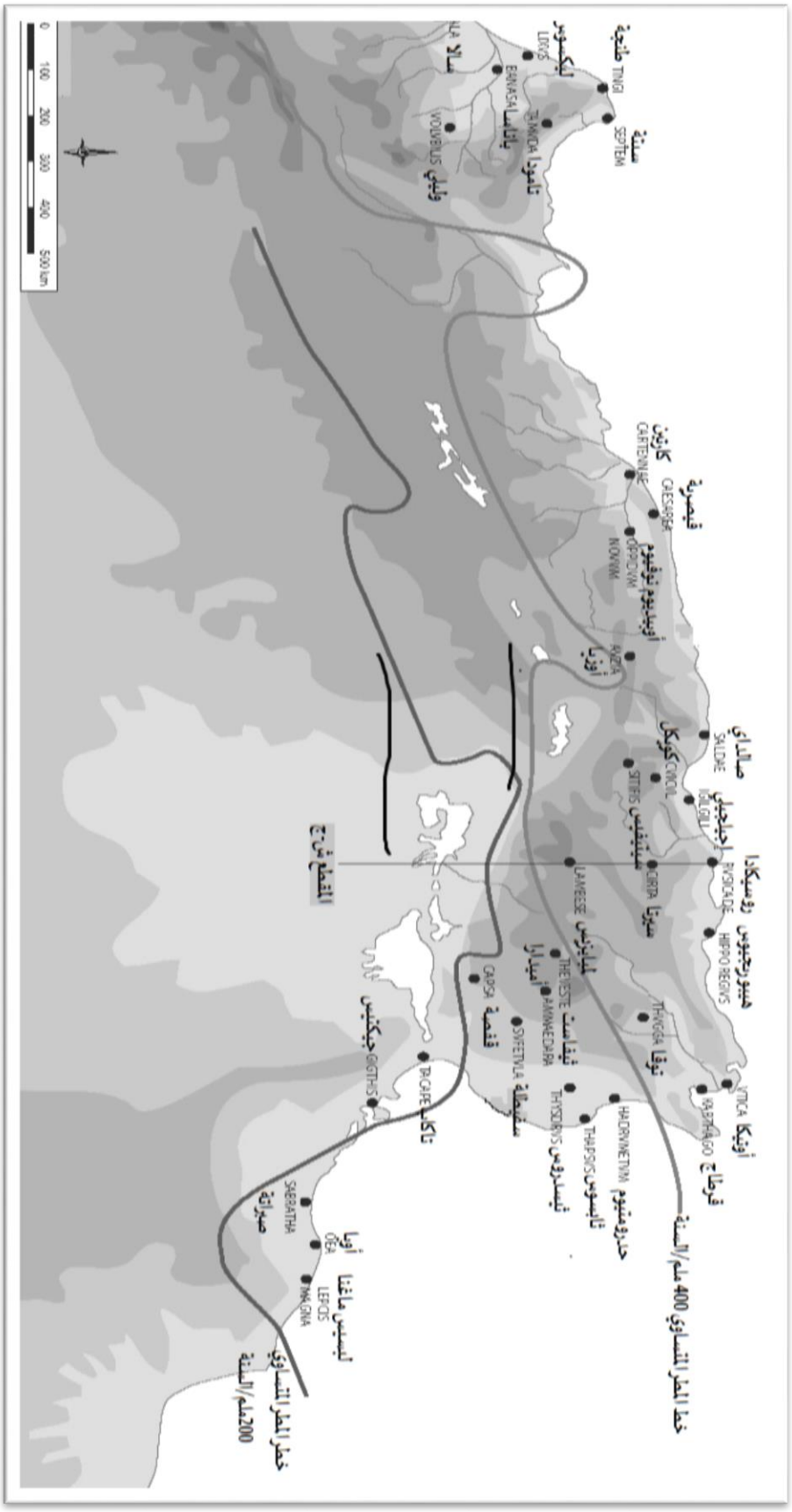
[3] Lassère. (J-M.), Op. Cit., pp 24-26.

[4] حارش محمد الهادي، مملكة نوميديا – دراسة حضارية – منذ اواخر القرن التاسع الى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 154.

ويُميّز علماء الجغرافيا النّباتية عدّة مجالات نباتية تتوافق مع الخصائص المناخية السّائدة في المنطقة:

- **المجال المتوسّطي**: يغطّي هذا المجال المناطق السّاحلية والجبلية في بلاد المغرب القديم بما في ذلك شمال المغرب الأقصى والأطلس التّلي في الجزائر والجزء الشّمالي من تونس، ويتميز بغطاء نباتي يضمّ تشكيلات شجرية متوسّطية مثل الزيتون والصّنوبر والبلّوط الأخضر.
- **المجال السّهبي**: يمتدّ عبر المناطق الدّاخلية من بلاد المغرب بما في ذلك جنوب غرب المغرب الأقصى، والسّهول العليا في الجزائر والمغرب وجنوب تونس، وتُهيمن الأعشاب والشّجيرات المنخفضة على هذا المجال، وتتميّز نباتاته بقدرتها على التّكيف مع المناخ الجاف مثل الحلفاء والشّيح.
- **المجال شبه الصّحراوي**: يشمل مناطق مثل هضبة الحضنة والسّهول المحيطة بخليج قابس في تونس ومنطقة الجفارة، ويتميز بغطاء نباتي فقير ومتناثر[1].

[1] Leveau (Ph.), L'environnement…, Op. Cit., p 60.



الشكل رقم (7): خريطة توزيع كمية تساقط الأمطار في بلاد المغرب القديم (بتصرف)

المصدر: Lassère (J-M.), Africa …, Op. Cit., p 25.

1- المغرب الأقصى:

يتميز المناخ المتوسّطي في المغرب بفصل شتوي بارد مطير تتخلّله إعصارات محيطية محمّلة بالرطوبة، ويشهد أحيانا زحف الهواء القطبي متسبّبا في برد قاس يتبعه جليد وتساقط للثّلوج، ولا سيما على السّلاسل الجبلية بالمغرب، وأمّا فصل الصّيف يتميز بالحرارة الشّديدة والجفاف نتيجة الرّياح الآتية من الصّحاري المجاورة[1].

وبذلك تتلقّى المناطق السّاحلية للمغرب الأقصى كمّيات كافية من الأمطار حيث توجد بها أحسن الأراضي خاصّة ذات التّربة السّوداء، ومساحات شاسعة صالحة لزراعة الحبوب كما توفّر مراعي غنية للماشية وتمتدّ بالخلف منطقة السّهوب التّي تقلّ بها الأمطار وتُربِّ فيها القطعان الّتي تضطرّ للرّحيل أثناء الصّيف[2]، وهذا ما يدلّ على أنّ الأراضي التي لا تتلقّى كمّية كافية من التّساقط وأراضيها قاحلة تمّ التّكيف مع ظروفها فتُنقل القطعان إلى مراعي تُزوِدها بالكلأ خلال موسم الصّيف.

وقد حظيت غابات جبال الأطلس[3] بمكانة متميّزة تعود أساسًا إلى الأهمّية الجغرافية لهذه السّلسلة الجبلية التي تفصل بين المناطق الصّحراوية الجنوبية والمناطق الدّاخلية في الشّمال، وتُعزى هذه المكانة أيضا إلى الخصائص الطّبيعية الّتي تتميّز بها أشجار غابات الأطلس، ويمكن أن نميّز بين غابات الأطلس المتوسّط التي تحتوي على أشجار مختلفة من النّوع المتوسّط، والّتي تكسو أقدام جبالها مروج خضراء تجعلها قبلة للقبائل الرّحل خلال موسم الصّيف، وكذا جبال الأطلس الغربية المغطّاة بغابات ذات الأشجار الكثيفة والفواكه المتنوّعة والتي تدلّ على وجود أشجار من النّوع الطّويل الذي يترك فراغا في مستوى سطح الأرض، ما أدّى إلى انتشار أشجار ثانوية مثل العرعار، وتمتدّ هذه الغابات إلى جبال الأطلس الجنوبية وتستمرّ هذه المجالات الغابوية إلى جنوب الأطلس الصّغير وحدود نهر أناتيس حيث تعيش فيها الحيوانات المفترسة[4].

---

[1] د. دايارا، الجغرافيا التاريخية: المظاهر الطبيعية، تاريخ افريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في افريقيا، جين أفريك، اليونسكو، 1980، ص 337.

[2] قزال ستيفان، المرجع السَّابق، ص 18.

[3] Hérodote, Histoires, IV, 184.

[4] البوزيدي سعيد، المرجع السَّابق، ص ص 29-30.

2- الجزائر:

تتميّز الجزائر بوجود منطقتين طبيعيتين رئيسيتين: التّل والصّحراء، الأولى ذات طبيعة متوسّطية، وتتميّز عن الثّانية بالانتظام النّسبي للمحاصيل، ويظلّ جزء من المراعي في هذه المنطقة متاحًا خلال الصّيف الحارّ والجافّ[1]، ولتربية الماشية لابد من مراعاة توزيع الأمطار، ففي المناطق التي يتعدّى المعدّل السّنوي للأمطار فيها 350 ملم تكون الظّروف ملاءمة لحياة الماشية حيث تكتسي الأرض في شهر اكتوبر بِساطًا من الكلأ الطّبيعي، وتوفّر بذلك مراعي جيّدة لقطعان الماشية، وتكون التغذية أكثر فائدة في الجهات المرتفعة كالجبال بشمال قسنطينة والسّهول العليا بسطيف وتيارت، ولكن نموها يكون أحسن بالجهات السّفلى للسّاحل حيث المناخ أكثر اعتدالا، أمّا في المناطق ذات الارتفاع العالي فإنّ البرد يعيق حياة النّبات وسقوط الثّلج يمنع الماشية من الرّعي.

وابتداء من شهر جوان تكون الشّمس حارقة ممّا يؤدّي إلى جفاف المراعي نتيجة قلّة الأمطار، وفي جويلية إلى غاية أوت ترعى الماشية على الأعشاب اليابسة وبقايا الحصاد، غير أنّه ابتداء من شهر أوت حتّى نهاية نوفمبر تصبح الأرض غير قادرة تقريبًا على تقديم غذاء كافٍ ممّا يدفع مرّبي الماشية إلى الاعتماد على الأعلاف المخزّنة خاصّة لتغذية الماشية الكبيرة[2].

وانتشرت حرفة الرعي بشكل واسع في المناطق الفقيرة من حيث التّربة، بينما أتاحت زراعة الحبوب للفلاحين إمكانية استغلال الأراضي الزّراعية كمراع كذلك، فقد كانت الأراضي المستراحة توفّر مراعي هامّة للحيوانات، هذه الأخيرة تُسهم في تخصيب التّربة بفضلاتها، كما كانت هذه الحيوانات تقتات على القشّ بعد موسم الحصاد[3].

ونجد في السّهول المرتفعة في جنوب وهران وجنوب الجزائر العاصمة منطقتي الحلفاء والشّيح الذي يعتبر علفا ملائمًا للمواشي[4]حيث تمتدّ جنوب التّل بولايتي وهران والجزائر منطقة السّهوب التي تبدأ من المغرب وتضيق وتنخفض من الغرب إلى الشّرق، وتتكوّن هذه المنطقة من سهول شاسعة تفصل بينها تجاعيد خفيفة

[1] Despois (J.), La bordure saharienne..., Op. Cit., P197.

[2] قزال ستيفان، المرجع السَّابق، ص ص150-151.

[3] حارش محمد الهادي، المرجع السَّابق، ص 156.

[4] Despois. (J.), Op. Cit., P 198.

أحواضها ليست عميقة، وتتجمّع بها المياه في فصل الشّتاء لكنّها تكاد تجفّ في فصل الصّيف وتتكوّن تربة هذه السّهوب من رسوبات صوانية ليّنة أو متكتّلة يكاد جميعها يكون مغطّى بقشرة كلكيرية خلطت بالحصى، ووجود هذه القشرة والطّبيعة المِلحية لكثير من الأراضي جعل المنطقة غير صالحة للأشجار والزّراعة حتى ولو تهاطلت الأمطار عليها بكمّيات كبيرة[1].

وتقع السّهوب في بلاد المغرب القديم بالكامل ضمن المنطقة الجافّة وذات أهمية اقتصادية وبيئية كبيرة وتحتوي على أنواع متعدّدة من النُّباتات وتعدّ مصدرًا للموارد العلفية للحيوانات[2] وقد تمّ تصنيف السّهوب إلى أربعة أنواع رئيسية: السّهوب الصّخرية التي تهيمن عليها نباتات الحلفاء بفضل قدرتها العالية على مقاومة الجفاف، والسّهوب الطّينية التي تحتفظ بمياه الأمطار لفترة أطول، ممّا يتيح نمو نباتات معينة مثل الشّيح بالإضافة إلى ذلك هناك السّهوب الرّملية والسّهوب الملحية[3].

وعليه فإنّ هذا التّنوع في السّهوب يعكس التأثير المباشر للتّربة ومستويات الرّطوبة والملوحة على الغطاء النّباتي، هذه البيئات مناسبة لحياة الرّعي وتربية الحيوانات حيث وفّرت موارد غذائية طبيعية اعتمدت عليها هذه الأنشطة بشكل أساسي.

وإذا اتّجهنا إلى سلسلة الونشريس نجد أنّها تتكوّن من طيّات متراكمة حول تلّة تقطعها روافد وادي الشّلف، وتتميز بغاباتها الجميلة التي تشكّل بيئة ملاءمة لتربية الماشية، وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسّط بشرق بلاد القبائل الكبرى حتى قرب عنّابة يؤدي ارتفاع المنطقة وتعرّضها للرّياح المطيرة إلى توفير أمطار غزيرة تنعش المراعي الخصبة والحدائق اليانعة المحيطة بالعديد من ينابيع الماء[4].

وفي شمال قسنطينة نجد بيئة طبيعية مُتفرّدة تمتدّ خلف السّلسلة الكلسية، حيث تتراصّ الجبال في صفوف متدرّجة وصولًا إلى السّهول العليا في المنطقة الوسطى، وتشقّ الأنهار طريقها عبر شعاب أو أودية

[1] قزال ستيفان، المرجع السَّابق، ص 27-28.

[2] Madihi (M.), et al., Vegetation Dynamics of North African Steppe (Case Study of the Moulouya Plateau In Morocco). Ekológia (Bratislava), 42, 2023, p 354.

[3] Bernard (A.), Ficheur (É.), Op. Cit., P 421.

[4] قزال ستيفان، المرجع السَّابق، ص 22-24.

ضيقة، وتتميز المنطقة بالأمطار الغزيرة ممّا ساهم في نمو النّباتات الطّبيعية وهذا ما جعل أراضيها صالحة لتربية الماشية[1].

كما لا ننسى إقليم الحضنة الذي يتميّز بمناخ حارّ وجافّ مع تساقط محدود للأمطار القادمة من البحر الأبيض المتوسّط، وفي المقابل لا تشكّل مرتفعات الأطلس الصّحراوي حاجزًا كافيًا لمنع التّأثيرات الصّحراوية الجافّة ممّا يجعل المنطقة عرضة للجفاف الشّديد، وهكذا انعكست هذه الظّروف المناخية سلبًا على الغطاء النّباتي ممّا يدفع بنقل قطعان الماشية إلى التّل مع بداية فصل الصّيف وبأعداد متغيّرة حسب وفرة الموارد[2].

3- تونس:

أظهرت دراسة بيئية ومناخية أجريت في منطقة سبخة بوجمل جنوب تونس أنّ المنطقة شهدت تغيّرات مناخية كبيرة خلال الفترة الممتدّة بين 8000 سنة و 3000 سنة قبل الحاضر، حيث عرفت تناوبًا بين فترات الجفاف والرّطوبة وانتشرت الغابات والمراعي خلال الفترات الدّافئة والرّطبة، وكانت فترة الجفاف الشّديدة بين 5000 و 4000 سنة قبل الحاضر، وتمثل هذه الفترة بداية مسار طويل نحو الجفاف والتّصحر في المنطقة ممّا أدّى إلى تقلّص موارد المياه وانعكس سلبًا على الغطاء النّباتي، وتشير الدّراسة إلى أنّ هذه التّغيرات المناخية لم تقتصر على المنطقة فحسب بل كانت جزءًا من تحولاّت مناخية إقليمية[3].

وخلال الثّلاثة آلاف سنة الأخيرة قبل الميلاد تميّزت تونس بمناخ مطير خاضع لتأثيرات أمطار شتوية غزيرة أثّرت إيجابا على البيئة الطّبيعية والأنشطة البشرية، واستمرّ هذا الوضع المناخي الملائم خلال الفترتين البونية والرّومانية، أمّا بالنّسبة للمرحلة التي تميّزت بالتّراجع والجفاف وانتشار نبات الشّيح فقد بدأت في القرن الخامس الميلادي[4]، وكان لهذا التّحول المناخي تأثيرات كبيرة على المراعي.

[1] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص ص 26 – 27.

[2] Despois (J.), Le Hodna …, Op. Cit., p15-16.

[3] Jaouadi (S.), et al., Environmental changes, climate and anthropogenic impact in south-east Tunisia during the last 8 kyr. Climate of The Past, 12, 2016 1339-1359.

[4] آيت أومغار سمير، مناخ شمال افريقيا …، المرجع السّابق، ص 64.

ومن الضّروري الإشارة إلى أنّ تونس هي كذلك تخضع لتأثير مزدوج من البحر الأبيض المتوسّط والصّحراء، وهو ما يفسّر تدرّج المناخ والغطاء النّباتي من الشّمال الرّطب إلى الجنوب الجافّ[1]، ويلعب وادي مجردة دورًا بارزًا في هذا المشهد الجغرافي، إذْ ينبع من جبال جنوب قالمة بالجزائر ويتابع سيره ليصبّ في خليج تونس ويمرّ عبر خانق ضيّق قبل دخوله تونس ويتدفّق بين جبال خمير والمقعد شمالًا، وتهيمن المنحدرات على البحر الأبيض المتوسّط بين سهل عنّابة والرّأس الطّيب بالقرب من بنزرت، والتي تقطعها الكثبان الرّملية شرقي طبرقة، ويتواصل الخط السّاحلي مع وادي مجردة وبالهضبة حجر رملي كباقي الهضاب التي تمتدّ إلى الغرب حتّى بلاد القبائل الكبرى مغطّاة بغابات السّنديان، وتتميّز بغزارة الأمطار ووفرة الينابيع ممّا يسهم في تكوين مراعي خصبة على ضفاف الأودية[2].

وفي شمال قفصة تمتدّ في اتجّاهات مختلفة نتوؤات صغيرة بعضها منعزل والبعض الآخر متّصل، وتشرف على نجود واسعة تكاد تخلو من الغطاء النّباتي باستثناء نباتات قليلة ترعى عليها الأغنام والماعز والجمال، أمّا شرق تونس فتوجد مساحات مالحة مناسبة فقط لتربية الضّأن، وفي الجنوب والمناطق الدّاخلية تساهم خصوبة التّربة في زراعة الأشجار حيث غطّت بساتين الزّيتون خاصّة في العهد الرّوماني جزءا كبيرا من السّهوب والتي كانت قطعان الرّحل تجوبها من قبل[3].

4- ليبيا:

يدخل القسم الأكبر من ليبيا في المناخ الحارّ الذي يزيد من قسوته انتشار الصّحراء، أمّا شمال البلاد يدخل في المناخ المعتدل وخاصة الشّريط السّاحلي والمناطق الجبلية[4] ويختلف سقوط الأمطار في ليبيا بين المناطق السّاحلية والدّاخلية، وتكون كمّية التّساقط أكبر في المناطق المرتفعة والقريبة من البحر، وبذلك يكون القسم الشّمالي من ليبيا أكثر أمطارا من بقية المناطق[5].

---

[1] Despois (J), La Tunisie…, Op. Cit., p 5.

[2] قزال ستيفان، المرجع السّابق، ص ص 33-34.

[3] نفسه، ص 37-38.

[4] عياد مصطفى محمد اعبيليكة، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي منذ زمن الامبراطور قسطنطين حتى قبيل الفتح العربي الإسلامي (-642 306م)، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1 ، ليبيا، 2011، ص 48.

[5] نفسه، ص 52.

وقد أُجريت دراسة قيّمة على موقع هوا افتيح في الجبل الأخضر بليبيا الذي يعدّ مرجعا رئيسيا لدراسة التّفاعل بين الإنسان وبيئته عبر عشرات الآلاف من السّنين، ويتميز الكهف باحتوائه على واحدة من أطول وأكمل التّسلسلات الزّمنية للاستيطان البشري في بلاد المغرب القديم، وقد تمّ اعتماد تقنيات علمية حديثة لإعادة بناء وتفسير المناخ القديم، وأظهرت نتائج الدّراسة أنّ التّحولات المسجلة في هذا الموقع تتوافق مع التغيرات التي شملت باقي مناطق البحر الأبيض المتوسّط[1].

ويعتبر إقليم برقة (قورينائية) من أشهر مناطق الرّعي في العالم القديم، حيث تكثر به الأغنام والأبقار والخيول خاصّة "هضبة مارماريكا" التي تتلقىّ كمّية من الأمطار ما يكفي لنمو الحشائش التي ترعى عليها الحيوانات، أمّا إقليم الواحات الصّحراوية فمناخه صحراوي قليل الأمطار، حيث يتمّ ترك القطعان صيفا على السّاحل، ومن أشهر العيون الطبيعية في إقليم قورينائية نبع أبللون الذي قامت عليه مدينة قورينائية وعيون وادي درنة ورأس الهلال[2].

وعليه يتبيّن لنا أنّ العديد من المناطق تمتعّت أراضيها بالخصوبة ووفرة المياه خاصّة السّاحلية منها حسب المصادر والتي لم تغطّ جميع المناطق، وبالرّغم من الوصف غير الدّقيق والمعلومات غير الواضحة وبتطبيق خصائص المناخ الحالي على الفترة القديمة يمكننا استنتاج أنّ المناطق التي كانت تشهد تساقطًا كافيًا كانت توفّر مراعٍ مثالية لتربية الحيوانات، وتحديدا في فصل الشّتاء، أمّا في فصل الصّيف وحينما تزداد درجة الحرارة وتقلّ الأمطار ينتج عن ذلك نقص في النّبات، وهذا ما يؤدّي إلى إجبارية وإلزامية التّنقل بالقطعان إلى الأماكن التي تحوي على غطاء نباتي وفير، وهذا ما نلاحظه في الفترة الحالية، ومن المؤكّد أنّ ذلك له علاقة بالماضي حيث يتمّ نقل القطعان من الجنوب إلى التّل شمالا أو إلى الجبال وبذلك تظهر لنا أنماط مختلقة في العيش من استقرار وشبه ترحال وترحال.

[1] Prendergast (A.), et al., A late Pleistocene refugium in Mediterranean North Africa? Palaeoenvironmental reconstruction from stable isotope analyses of land snail shells (Haua Fteah, Libya), Quaternary Science Reviews, 139, 2016, 94-109.

[2] الأثرم رجب عبد الحميد، تاريخ برقة السّياسي والإقتصادي من القرن السّابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1975، ص 67- 68.

وليس خفيًا عن المختصّين في الجغرافيا البشرية أنّ لظاهرة الترّحال عوامل متعدّدة ولعلّ أبرزها العامل المناخي والمتمثل في خاصّية الجفاف الذي يعمّ المناطق الانتقالية بين التّل والصّحراء، فيتسبّب في فقدان العشب ونقص المياه وفقر التّربة، وهو ما يجبر السّكان إلى ارتياد مساحات شاسعة جريا وراء عنصري الماء والكلأ ضمانا لحياة قطعانهم، فهي موردهم الأول في تحصيل معاشهم[1].

إنّ هذه الظّاهرة لم تغفل عن المؤرّخين القدامى أيضا، إذْ وضّح ذلك "ساليست" من خلال ما أورده قائلا:" وشغل النّوميديون باقي الأرض حتى موريطانيا، ويوجد الموريون على مقربة من اسبانيا، ويعيش وراء نوميديا الجيتوليون، البعض في أكواخ والبعض الآخر دائم التّنقل"[2].

كما وصف "بلين الأكبر" في هذا الشّأن البدو الرّحل قائلا: " يسمّون النّوميدين Numidae أو النّوماديس Nomades، لأنهم يتنقّلون بحثا عن المرعى[3]، أمّا "ديودور الصّقلي فقد أشار إلى فئة من السّكان اللّيبيين اللّذين وصفهم بأنّهم بدو رعاة اعتمدوا في معيشتهم على قطعانهم[4] .

وفي المقابل يُعتبر الرّعي نشاطا ذا تأثير مزدوج، فمن جهة يساهم في تلبية احتياجات الإنسان، ومن جهة أخرى يمكن أن يؤثّر سلبا على البيئة، حيث أنّ الماشية وخاصّة الماعز، تهاجم البراعم الصغيرة التي تعتبر حيوية وضرورية لتجديد الغطاء النّباتي بشكل مستمرّ[5].

وبصفة عامّة فإنّ الخصائص الجغرافية لبلاد المغرب القديم لعبت دورًا مهمًّا في ظهور النّشاط الرّعوي الذي ظلّ أساسيا حتىّ بعد ظهور الزّراعة، كما هيّأت له الخصائص المناخية والنّباتية بيئة مناسبة بامتياز ممّا جعل الماشية موردا اقتصاديًا أساسيًا ومتجدّدا، وعليه يمكننا أن نصل إلى رسم صورة عامّة للمجال الطبّيعي لبلاد المغرب القديم، فما ميّزه ذلك التّنوع والتّباين الواضحين من شمال المنطقة إلى وسطها وجنوبها، حيث تدرّج الغطاء النّباتي حسب تدرج المناخ ونوعية التّربة وطبيعة التّضاريس.

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السّابق، ص 189.

[2] ساليست، المصدر السّايق، الفقرة 19، ص 68.

[3] بلين الأكبر، المصدر السّابق، الفقرة 22، ص22.

[4] Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, III, 49

[5] Decret. (F.), Fantar. (M.), Op. Cit., p13.

ولذلك يمكننا القول أنّ التّوجه للرّعي لم يكن اختيارا، وإنّما حتّمته الظّروف الطّبيعية بفعل المناخ في البداية ليصبح فيما بعد نشاطا رئيسيا ومهنة احترفها سكان بلاد المغرب القديم، ونضيف إلى هذا الواقع المناخي الواقع الفكري للإنسان المغاربي القديم الذي أملى عليه فكرة ممارسة حرفة الرّعي والانتقال بحثا عن الكلأ والمراعي ثم الاستقرار، والخروج تدريجيا من فكرة الحتمية الجغرافية، وهذا ماسنبيّنه في الفصول القادمة حيث تتداخل مجموعة من العوامل الاقتصادية، السّياسية، القانونية، العسكرية، وكذلك الدّينية لتوجيه النّشاط الرّعوي وممارساته، وتحديد مجالاته في مختلف أقاليم بلاد المغرب القديم وفق المعطيات المتوفّرة لدينا.

الفصل الثالث:

الرّعي : أصوله وأنواعه

أولا – أصناف الحيوانات المدجّنة في بلاد المغرب القديم (تحدّيات التّوثيق والتّأكيد)

ثانيا – تكوين القطعان ومستويات رعيها

تميّزت بلاد المغرب القديم بظروف بيئية ملاءمة ومواتية للنّشاط الرّعوي وتربية الحيوانات من مناخ وتربة وغطاء نباتي، وللرّعي أهمية بالغة في حياة الإنسان المغاربي القديم حيث تطورت العلاقات الأولى للإنسان بالحيوان إلى استئناسه وتدجينه ليصل إلى مرحلة ممارسة النّشاط الرّعوي واكتساب القطعان وامتلاكها كَثَروة متجدّدة ليصبح فيما بعد اقتصادا قائمًا بذاته له نظمه وقوانينه التي تَحكمه.

لذلك وجب علينا طرح السُّؤال التّالي: كيف تمّ تدجين الحيوانات في بلاد المغرب القديم؟ وكيف كانت بداياته، وما هي أشكال الرّعي وأنواعه؟

انتقل الإنسان المغاربي القديم من حياة الصّيد والجمع والالتقاط إلى حياة الاستقرار وممارسة الرّعي والزّراعة، ويمثّل هذا الانتقال تحولاً هامًّا في تطوّر الحضارة في بلاد المغرب القديم، فقد أصبحت بعض الحيوانات رفيقة حياة المغاربة القدامى عبر مختلف العصور، حيث قدّموا لها عناية ورعاية خاصّة، وقد ترك لنا الرّعاة دلائل على وجودهم من خلال الرّسومات الصّخرية التي تعتبر مصدرا أساسيا لاكتشاف طبيعة الحياة اليومية حيث تبرز مشاهد التّدجين والتّربية، وكذلك بعض المشاهد الرّعوية التي جسّدتها اللّوحات الفسيفسائية أثناء الفترة الرّومانية وغيرها من المصادر التي تُمكّننا بشكل نسبي من فهم الدّور البالغ الأهمية لتربية الماشية في بلاد المغرب القديم.

وتُعدّ دراسة تربية الحيوانات في هذه المنطقة إلى حدٍّ ما مهمّة معقّدة نظرا لما يواجهه الباحث من صّعوبات وتحدّيات مختلفة ناجمة عن ندرة المصادر وغموضها، ومع ذلك حاولنا توظيف ماهو مُتاح من معطيات ومصادر والعمل على تحليلها لفهم الدّور الذي لعبه رعي الحيوانات وتأثيره على حياة الإنسان المغاربي القديم وتطوّره عبر العصور.

أولا– أصناف الحيوانات المدجّنة في بلاد المغرب القديم: (تحدّيات التّوثيق والتّأكيد)

ممّا لا شكّ فيه أنّ تدجين الحيوانات من العناصر الأساسية للعصر الحجري الحديث حيث كانت خطوة حاسمة في تطور الحضارة الإنسانية أدّت إلى تحول كبير في نمط الحياة والاقتصاد، وأصبحت تربية الماشية من بين المصادر الرّئيسية للغذاء والمواد الخام.

وتُعدّ مسألة تدجين الحيوانات في بلاد المغرب القديم غير مفهومة نسبيا، لأنّ المعطيات المتوفّرة حاليا والمتفرّقة لا تكفي لتوثيق عمليات الانتقال من الأشكال البرّية إلى الأشكال المدجَّنة بدقّة، كما أنّ المسارات المحتملة لم تُرسم بشكل دقيق.

والبحث في هذا الموضوع مهمّة صعبة، رغم محاولات عدد من الباحثين في هذا المجال إلاّ أنّها لم تغطّي المجال الجغرافي للمنطقة حيث تمّ التّركيز على مواقع دون سواها، وهذا ما فتح المجال للمشكّكين في أيّ مساهمة لبلاد المغرب القديم في عمليات الاستئناس والتّدجين المحلّي، خاصّة وأن الأدّلة الأثرية على التّدجين مثل بقايا الأدوات المستخدمة غالبًا ما تكون نادرة أو غير موجودة، وبالتّالي فإنّ أفضل طريقة يمكن الإعتماد عليها هي دراسة بقايا عظام الحيوانات، ومع ذلك تطرح عدة إشكاليات تعيق إلى حدّ ما تطبيق هذا النّهج ممّا يُبقي ثغرات في فهمنا لكيفية التّدجين وامتلاك القطعان.

ويعتمد الباحثون كذلك على الفنّ الصّخري كمصدر لا يقلّ أهميّة عن المصدر الأول لدراسة التّدجين إذْ يعتبر الدّعامة الأساسية التي وجب الارتكاز عليها إلى جانب البقايا العظمية، لكن في نفس الوقت وجب التّعامل معها بحذر، وكذلك الاستناد إلى مصادر أثرية وأدبية أخرى لتقديم فهم أفضل لكيفية تطور العلاقة بين الإنسان والحيوان في بلاد المغرب القديم.

قام الإنسان المغاربي القديم بتكوين روابط قوية مع مجموعة متنوّعة من الحيوانات على مرّ العصور، وكان له دور مهمٌّ في تدجين بعضها حيث قام بتطوير سلالات معيّنة تُلبّي احتياجاته وتتأقلم مع بيئته، وقد قسّمها الباحثون إلى نوعين بعضها أصلي مثل البقر والحمار والخنزير بالإضافة إلى الكلب، وبعضها تمّ تدجينه في الشّرق الأدنى وفي مناطق أخرى، وتمّ إدخالها في فترات مختلفة كالأغنام والماعز والحصان والجمل وفقًا للرّأي التّقليدي الذي أصبح محلّ جدلٍ وتشكيكٍ اليوم[1].

[1] Lassère (J-M.), Africa…, Op. Cit., p 216.

وبسبب الغموض والتّردّد حول مدى تأكيد أو نفي عملية تدجين الحيوانات في بلاد المغرب تتضارب الآراء بين الباحثين والمتخصّصين حول ما إذا كانت هذه الأنواع قد دُجِّنت بالفعل أم لا، ويرجع هذا التّحفّظ إلى غياب أدلّة قاطعة أو إتفاق شامل بين الباحثين بشأن هذا الموضوع، فبينما يميل البعض إلى الاعتقاد بأنّ تدجين هذه الحيوانات قد حدث بشكل محلّي، يُشير آخرون إلى احتمالية أن يكون التّدجين قد تمّ بتأثيرات خارجية ممَّا جعل من الصّعب الحسم في هذا الشّأن، لذلك ارتأينا عرضها مرتبة دون تصنيفها.

I- الكلب (canis):

يعتبر الكلب من الحيوانات الأليفة التي ارتبطت دوما بصفات الوفاء والولاء والخضوع والإخلاص فالعلاقة بينه وبين الإنسان تتميّز بالمصلحة المتبادلة، ويتمتّع الكلب بحاسّة قوية في السّمع والشمّ ما يُمكِّنه من تتبّع أثر الفريسة، كما يُعدّ جزءًا من الحياة الرّعوية.

1- الكلب من خلال المواقع الأثرية:

يُعتقد أنّ الكلاب كانت واحدة من أوائل الحيوانات التي تمّ ترويضها وتدجينها من قبل الإنسان لأغراض متنوعة مثل الصّيد والحماية والمساعدة في المهام اليومية، وقد وجد الكلب في منطقة البحر الأبيض المتوسّط منذ أقدم مراحل العصر الحجري الحديث[1]، ورغم ذلك لا توجد سوى مؤشّرات نادرة حوله في بلاد المغرب القديم ولا يمكن تحديد تاريخ ظهور الكلب مدجّنًا بدقّة، ومع ذلك تبرز لنا الأدلّة الأثرية أنّه كان حاضرا إلى جانب الماشية، ومن بين المواقع الأثرية التي تمّ العثور فيها على بقاياه العظمية نجد كهف كابيليتي بخنقة سي محمد الطاهر في منطقة الأوراس بالجزائر[2]، وحسب الباحث اسبرنديو (Espérandieu) فإنّ الدّراسات الحديثة تنسب تقريبا بقايا عظام الكلاب المدجنة إلى ابن آوى (Canis aureus)[3].

[1] Camps (G.), Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du sahara, Paris, 1974, p 275.

[2] Colette (R.), Économie pastorale pré-agricole en Algérie orientale: Le Néolithique de tradition capsienne, exemple de l'Aurès, CNRS, Paris, 1979, p 385.

[3] يعرف ابن آوى باللهجة المحلية ب" أوشن" ويعتبر (Canis aureus) النّوع المعروف في جميع أنحاء شمال افريقيا والصحراء، ويبلغ طول هذا الحيوان حوالي متر وارتفاعه 50 سم وطول ذيله من 20 إلى 24 سم ومتوسط وزنه 10 كغ ، ويمكن أن يصل إلى 20 كغ، له آذان قصيرة نسبيًا، وتتم ولادة ما بين اثنين إلى ستة صغار بعد فترة حمل تبلغ حوالي تسعة أسابيع، ويوجد ابن آوى في عدة مواقع ما قبل التاريخ، للمزيد راجع:
Trécolle (G.), Camps (G.), Chacal, Encyclopédie berbère, Edisud, Aix-en-Provence, Vol 12, 1993, p 1857.

2- الكلب من خلال الرّسوم الصّخرية:

ظهر الكلب في الرسّوم صخرية لكن في وقت متأخّر رفقة الرّعاة كما تمّ الإعتماد عليه في الصّيد أيضا[1]، ويمكن أن نميّز نوعين من الكلاب، الأوّل هو سلف النّوع المعروف براعي الأطلس الحالي، ويتميّز بالقوة واليقظة وكذلك العدوانية ممّا جعله مناسبا لدور الحراسة بسبب شراسته، بينما الصّنف الثاني فقد انتشر استخدامه على نطاق واسع في نهاية العصر الحجري الحديث ويعرف باسم (Canis familaris getulus) وهو سلف السّلوقي الافريقي[2].

3- الكلب من خلال الفسيفساء:

تبرز لنا بعض اللّوحات الفسيفسائية حضور الكلاب في بلاد المغرب القديم، مثل فسيفساء الجمّ بتونس التي صوّرت لنا في جزءٍ من مشاهدها المتنوّعة عملية مطاردة كلب من النّوع السّلوقي لأرنب، انظر الشّكل رقم (8).

كما تظهر لنا فسيفساء السّيد يوليوس بقرطاج التي تعود إلى أواخر القرن الثالث ميلادي كلبًا يقوم بدوره الحيوي المتمثّل في حماية القطعان من التّهديدات المحتملة ويظهر في الجزء الخلفي للمتلكات بالقرب من الماشية[3]، انظر الشّكل رقم (9)، وتعتبر فسيفساء السيّد يوليوس من أهمّ المصادر الأثرية حول الحياة الرّيفية والاقتصادية في نهاية الفترة الرّومانية، وتوضّح العديد من التّفاصيل المتعلّقة بحياة الملاّك من خلال تصوير أنشطة متنوعة.

[1]Aumassip (G.), et al, L'elevage au sahara, Milieux, hommes et techniques du sahara préhistoire: Problèmes actuels, Paris, 1988, p 147.

[2] Esperandieu (G.), Chien Préhistoire et Antiquité, Ency – ber, T 13, 1994, pp 1919- 1920.

[3] Precheur-Canonge Thérèse, la vie rurale en Afrique romaine d'Après les Mosaïques, pressesuniversitaires de France, Paris, 1962, pp 71-72.



الشكل رقم (8): مشهد لكلب سلوقي في حالة مطاردة لأرنب

المصدر: Aounallah (S.), Un Monumet, Un Musée BARDO, Institut Nationel du Patrimoine,Tunis, 2016, p 280.



الشكل رقم (9): فسيفساء السّيد يوليوس تبرز مشهدا يحوي كلبًا لحماية قطعان الماشية

المصدر: Aounallah (S.) , Un Monumet…, Op. Cit., p 289

وتوضّح لنا المشاهد الرّعوية أنّ الكلب كان رفيق الرّاعي حيث يظهر بالقرب من سيّده، ونجده أيضًا ممثّلاً على فسيفساء الفصول الأربعة بتونس، ويشير الكلب إلى فصل الرّبيع خاصّة وأنّ هذا الموسم مرتبط بالحياة الرّعوية والقطعان، ودليلنا على ذلك فسيفساء الشّابّة بتونس تعود إلى القرن الثاني ميلادي، انظر الشّكل رقم (10).



الشكل رقم (10): تمثيل الكلب على فسيفساء الشّابة

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur des mosaïques, Tunis, 1995, p150

4- الكلب من خلال النّصوص الأدبية:

تناولت المصادر الأدبية القديمة علاقة الكلب بالإنسان في بلاد المغرب القديم، وعلى الرغّم من أنّها أعطتنا معلومات عامّة إلاّ أنّها مهمّة، ومن بينها ما أورده "بلين الأكبر" الذي تحدّث عن قوّة وفاء الكلاب لأصحابها رغم المبالغة بقوله:" أنّ مائتي كلب الذين أعادو ملك الجرمنت (قبائل رعوية) من النّفي بمحاربة أولئك الذين عارضوا عودته"[1]، وتعكس لنا هذه السّردية القديمة التّرابط العميق بين الإنسان وحيوانه المفضّل، وتصف كيف كانت تلك العلاقة تتجاوز البساطة الوظيفية لتصبح علاقة حميمية ومتينة.

[1] Pline, Histoire naturelle, VIII, 142.

واستخدِم الكلب في مهامّ متعدّدة، وأشار "بلين الأكبر" إلى ذكاء الكلب[1]، ما جعله شريكا جيّدا للإنسان في مجال الصّيد والرّعي، فقد مكّنه ذكاؤه الطّبيعي من فهم تعليمات صاحبه وقدرته على حماية الماشية من الحيوانات المفترسة ومساعدة الرّعاة في إدارة وتوجيه القطعان، وقد أوضح "فارون" (Marcus Terentius Varro) أن الأداء الجيّد للكلاب في الرّعي يعتمد بشكل كبير على اختيار الكلاب ذات السّن المناسب، إذْ لا يمكن لصغار السّن أو كبارها الدّفاع عن الماشية[2].

وحدّد "كولوميل" (Columella) بدوره خصائص الكلاب المستخدمة في الحراسة وكلاب الرّعاة ولكلّ نوع منها كان لديها مجموعة من الصّفات المطلوبة لضمان أداء الدّور المخصّص لها مثل (الحجم واللّون والقوّة والحيوية...الخ)، فإذا كان كلب الحراسة حسب "كولوميل" يتطلّب مواصفات مثل أن يكون ذو جسم كبير، وبالقدرة على النّباح بصوت عال، وأن يكون يقظًا وغير متشرد، فإن كلب الرّاعي، يجب أن لا يكون نحيفًا أو خفيفا ولا سمينًا أو ثقيلاً، ولكن قويًّا وشجاعًا، وله القدرة على إجبار الحيوانات الرّعوية على الجري[3]، ومن خلال هذه الصّفات وأخرى يتمّ تحديد دور الكلب وفقا لقدراته الطّبيعية وتحسينها من خلال تدريبها وتشكيل سلوكها.

وبالرّغم من ندرة ذكر الكلب في النّصوص القديمة، فمن المؤكّد أنّ هذا الحيوان المستأنس منذ العصر الحجري الحديث كان موجودًا ونذكر على سبيل المثال أرض قرطاج حيث تمّ التّعرف على عظامه تحديدا في منطقة بيرسا (Byrsa)[4] من خلال الدّراسات الأثرية الحيوانية التي تمّ إجراؤها في المنطقة[5].

---

[1] Pline, Histoire naturelle, VIII, 146.

[2] Varron, Economie rurale, II, 9.

[3] Columelle, De l'Agriculture, , traduit par M. Louis Du Bois, C. L. F. Panckoucke, 1844, VII, 12. https://remacle.org/bloodwolf/erudits/columelle/livre7.htm

[4] بيرسا (**Byrsa**) هي موقع أثري بقرطاج في تونس، للمزيد يراجع:

Serge (L.), Fouilles françaises à Carthage, La colline de Byrsa et l'occupation punique (VIIe siècle - 146 av. J.-C.), Bilan de sept années de fouilles. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 125e année, N) 2, 1981, pp156-193.

[5] Zeghal Yazidi (S.), le bestiaire dans l'imaginaire des puniques, Thèse de Doctorat, volume 2, université de Tunis, Année universitaire 2005 -2006, p 244.

II– الأغنام: (Les Ovins)

يعتبر البحث حول أصل الأغنام في بلاد المغرب القديم موضوعا مثيرًا للجدل، إذْ تعدّدت الفرضيات المتعلّقة بذلك، فبينما يحتمل بعض الباحثين أن تدجين الأغنام قد حدث محلّيًا في المنطقة، تُدعّم فرضية أخرى فكرة الأصل الخارجي لهذا الحيوان.

1– الأغنام من خلال المواقع الأثرية:

إنّ فرضية التّدجين المحلّي للأغنام في بلاد المغرب القديم تستند إلى أدلّة أثرية رغم الجدل المستمرّ بين الباحثين، حيث نجد موزوليني (Muzzolini) يُصرّ على وجود السّلالات البرّية للأغنام المستأنسة في افريقيا والتي تمّ تدجينها لاحقا حيث عُثر على بقايا عظمية لأغنام مدجّنة في مواقع متعدّدة تعود لفترات تاريخية مختلفة ممّا يُدعّم الفرضية المحلّية من بينها:

– **موقع هوا افتيح**: هو كهف ضخم يقع في شمال الجبل الأخضر في برقة (ليبيا)، وهو من بين أقدم المناطق في بلاد المغرب حيث عُثر على بقايا الأغنام المدجّنة يعود تأريخها إلى حوالي 4800 ق.م[1].

– **موقع كهف كابيليتي**: بجبال الأوراس حيث عُثر على العديد من البقايا العظمية والتي يعود تأريخها حسب (L. Chaix) إلى حوالي 4500 قبل الميلاد[2].

– **موقع داموس الأحمر**: في جبل أنوال بتبسّة والذي يعتبر نموذجا يعكس أسلوب حياة الرّعاة الجبليين وممارستهم للتّرحال الموسمي[3].

كما أظهرت دراسة الحيوانات في الطّبقات العليا لبعض مواقع ما قبل التّاريخ في شرق المغرب الأقصى انتشار الأغنام والماعز كعنصرين أساسيين في النّشاط الرّعوي بتلك المناطق السّاحلية[4]، ويعتبر كهف تحت الغار

[1] Muzzolini (A.), les premières moutons saharien d'après les figurations rupestres, Archaeozoologia, vol I(2), 1987, p 133.

[2] Chaix (L.), Bœufs à cornes déformées et béliers à sphéroïde : de l'art rupestre à l'archéozoologie, Hic sunt leones. Mélanges sahariens en l'honneur d'Alfred Muzzolini, Cahiers de l'AARS - N° 10 - Août 2006, p52.

[3] Hachid (M.), La domestication des ovins, des caprins et des bœufs domestiques au Maghreb, INORA, N° 73, 2015, pp 18-31.

[4] Ouchaou (B.), Néolithisation au Maroc: comportements de subsistance et domestication animale, Encyclopédie berbère, Paris, 2012 , p 5512.

(Kaf Taht el-Ghar)[1] أحد المواقع الرّئيسية لدراسة حيوانات العصر الحجري الحديث في المغرب الأقصى[2]، وقد أوضحت دراسة البقايا العظمية المستخرجة من هذا الموقع وجود عدد من عظام الثّدييات البرّية، ووفرة بقايا الأغنام والماعز في الطّبقات العليا التي تعود إلى العصر الحجري الحديث[3].

وفي المقابل يتبنّى العديد من الباحثين فرضية التّدجين الأجنبي مرجّحين أن تكون الأغنام المدجّنة قد تمّ ادخالها من منطقة الشّرق الأدنى، ويعتبر قابريال كامبس واحدًا من بين هؤلاء الذين يُدعّمون هذه الأطروحة ويعتقد أنّه لا توجد سلالة محلّية للأغنام[4].

وتتّبع أنجيلا كلوز (Angela Close) نفس الإتّجاه، رغم الجدل العلمي حول منشأ الأغنام المستأنسة، حيث يرى البعض مثل موزوليني أن أسلافها البرّية كانت موجودة في إفريقيا، وتقترح الباحثة أنه تمّ تدجين الأغنام في جنوب غرب آسيا قبل حوالي 8000 سنة قبل الحاضر، ومن هناك انتشرت إلى مناطق مختلفة بما في ذلك بلاد المغرب القديم[5].

ويشترك مع هذا الرّأي جون ليكلاك (Jean-Loïc Le Quellec) حيث يشير إلى احتمالية إدخال الأغنام من الشّرق الأدنى القديم عبر شمال سيناء وهو ممرٌّ طبيعيّ إلى دلتا النّيل ثم انتشارها غربا على طول السّواحل اللّيبية وتحديدا في منطقة الجبل الأخضر ببرقة حوالي 6800 قبل الحاضر، ثمّ ظهرت لاحقا في جبال الأوراس في الجزائر حوالي 6530 قبل الحاضر، إضافة إلى أنّه لم يتم تأكيد فرضية موزوليني بعد بشكل قاطع،

[1] يقع كهف تحت الغار على بعد عشرة كيلومترات جنوب تطوان بالمغرب الأقصى، ويعتبر موقعا أثريا مهمًّا تمّ التنقيب فيه عام 1955. الكهف ويقع بين قريتي ياهريت ومشكورة على ارتفاع 410 م ويشغل الضّفة اليمنى لمصب نهر مارتيل، ويُعدّ هذا الكهف واحدًا من المواقع الرئيسية في العصر الحجري الحديث، للمزيد يراجع:

Daugas Jean-Pierre, El Idrissi Abdelaziz, Neolítico Antiguo de Marruecos en su contexto regional, in: Las ocupaciones humanas de la cueva de Caf taht el Ghar (Tetuán), Ramos (J.), et al, Collection des Monographies du Musée Archéologique de Tétouan, I, 2008, p 63.

[2] Ouchaou (B.), Op. Cit., p 5513.

[3] Ouchaou (B.), Hossini (S.), Los restos óseos de Caf taht el Ghar. Imagen de la zoocenosis de la región de Tetuán del Epipaleolítico a la Protohistoria", in: Las ocupaciones humanas de la cueva de Caf taht el Ghar (Tetuán), Ramos (J.), et al, Collection des Monographies du Musée Archéologique de Tétouan, I, 2008, p37.

[4] Camps (G.), Elevage du mouton et premières navigations en Méditerranée occidentale, Empuries, N° 48-50, 1986-1989, p 170.

[5] Angela Close, Sinai, Sahara, Sahel: The Introduction Of Domestic Caprines To Africa,. In Tides of the Desert / Dezeiten Der Wüste. Contributions To The Archaeology And Environmental History Of Africa In Honour Of Rudolph Kuper, edited by Jennerstrasse 8, 2002, p 459.

والتي تقترح وجود سلالة من الأغنام يمكن أن تكون قد أدّت إلى نشوء مركز تدجين مستقلّ، هذه الفرضية لم يتم تأكيدها بعد[1].

ونجد الباحثة أوماسيب تساند نظرية الأصل الأجنبي للأغنام في بلاد المغرب القديم وتؤكّد أنّ أقدم آثار للتّدجين تمّ العثور عليها في تركيا حيث تعود إلى بداية الألف السّابعة قبل الميلاد، وفي آسيا الوسطى تمّ التّدجين في الألف السّادسة قبل الميلاد، وفي مصر تمّ في الألف الخامسة قبل الميلاد، وترى بأنّ مسألة إدخال هذا الحيوان دائما ما تثير إشكالاً خاصّة في الصّحراء[2] حيث تكون البيئة أقلّ ملائمة للحياة الزّراعية وتربية الماشية.

ويُعتقد لفترة طويلة أنّ الأغنام وصلت إلى الصّحراء الوسطى عن طريق الشّمال بعد انتشارها على طول السّاحل اللّيبي، حيث تمّ العثور عليها في منطقة أكاكوس بليبيا ضمن طبقة أثرية تعود إلى 7438 قبل الحاضر، وفي السّنوات الأخيرة تمّ اكتشاف بقايا لأغنام في نبتة بلايا في مصر حيث تشير الأدلّة إلى أنّ الأغنام ظهرت في المنطقة حوالي 7000 سنة قبل الحاضر[3].

وبذلك تُثير هذه التّواريخ تساؤلات حول صحّة فرضية الانتشار عبر السّاحل اللّيبي، فهناك فجوة زمنية وتناقض واضح يُضعف من هذه الفرضية، فمن غير المنطقي أن تصل الأغنام القادمة من الشّرق إلى ليبيا حوالي 6000 سنة بينما تشير الأدلّة إلى وجودها في الصّحراء الوسطى قبل ذلك بوقت طويل، ما دفع بالباحثين إلى مراجعة استنتاجاتهم حيث لم يتم العثور على أدلّة تشير إلى وجود بقاياها في شمال مصر بنفس القدم الذي وُجِد في ليبيا، كما تأتي أقدم الأدلّة من صعيد مصر والجزء الجنوبي من الصّحراء[4].

واستنادًا إلى هذه الأبحاث فإنّه يُحتمل أن تكون الأغنام المدجّنة وصلت إلى الصّحراء الوسطى قبل وصولها إلى وادي النّيل، وهو ما يعكس النّظرية التّقليدية لمسار الانتشار، كما يُحتمل أن تكون هناك مسارات متعدّدة، بالإضافة إلى ذلك يمكننا القول أنّ العثور على بقايا الأغنام المدجّنة في مواقع يعود تاريخها إلى فترات قبل انتشار الزّراعة في بلاد المغرب القديم يدعّم فرضية وجود سلالات برّية من الأغنام في المنطقة في الفترة السّابقة

[1]Le Quellec Jean-Loïc, L'adaptation aux variations climatiques survenues au Sahara central durant Holocène,In book: Le Sahara et l'Homme: un savoir pour un savoir-faire. Actes du colloque organisé à Douz du 27 au 29 décembre 2003, Université de Tunis, 2006, pp.109- 129.

[2] Aumassip (G.) et al, Op. Cit., p 142.

[3] Le Quellec Jean-Loïc, Op. Cit., p 216.

[4] Angela Close, Op. Cit., p 459-460.

بقليل لفترة التّدجين وهي العصر الحجري الحديث حيث تمّ تدجينها في فترات مبكّرة من التّاريخ، وهذا ما يشير إلى أنّ هناك حاجة لمزيد من البحث لفهم تسلسل الأحداث بشكل دقيق.

2- الأغنام من خلال الرّسوم الصّخرية:

كانت رسوم الأغنام على الصّخور جزءا من تعبير الإنسان عن حياته اليومية والثّقافية وظهرت منذ بداية العصر الحجري الحديث، وقد تمّ تصنيف الأغنام بناءا على مظهرها حيث تتميّز المجموعة الأولى بذيل طويل وأذنين متدليّتين، بينما المجموعة الثّانية لها ذيل قصير وأذنان مستقيمتان[1]، ويحتمل هنري لوط أنّها تنتمي إلى نمط بوبالين الطّبيعي، ومن أمثلة ذلك نجد خنق الهلال (Kheneg el Hilal) والحصباية (Hasbaïa) وعين النّاقا (Ain Naga) وفي خلوة سيدي الشّيخ إلى غير ذلك من المحطّات[2].

وحسب اسبرنديو (Espérandieu) يبدو أنّ هناك أنواعا مختلفة من الأغنام في مناطق متعدّدة من افريقيا حيث تظهر بمختلف السّمات بما في ذلك الصوف، إذْ تمّ العثور على هذا النّوع من الأغنام في مصر خلال الفترة الهيلينية، وفي وقت لاحق في بلاد المغرب القديم، ونجد أغنامًا ذات الجلد ممثّلة على الصّخور وتحديدًا في الأطلس الصّحراوي الجزائري محاذية للأغنام ذات الصّوف في تلك المناطق، بالإضافة إلى أنواع أخرى مختلفة بما في ذلك الأغنام السّودانية من نوع (longipes) ذات المظهر المحدّب، كما نجد نوعا آخر يتميّز بتقوّس في الأنف وذيل طويل يعرف باسم البربري (barbarins)، ويوجد في جنوب تونس وكذلك قسنطينة[3].

كما نشير إلى رسومات صخرية عُثر عليها بالجنوب الوهراني تظهر بها كباشًا على رؤوسها أقراص تمسكها أربطة تمرّ تحت الأحناك[4]، ويُعدّ الكبش المتوّج نوعا مميّزًا أثار اهتمام علماء الآثار والباحثين بسبب سِماته الفريدة والغامضة، وقد طرح الباحث كامبس العديد من الإشكاليات المتعلّقة بهذا الكبش[5]، وتظهر لنا الرّسومات الصّخرية أدناه الخصائص المختلفة للأغنام السّالفة الذّكر، انظر الشّكل رقم (11).

---

[1] Chaix (L.), Op. Cit., p52.

[2] Lhote (H.), Les Gravures rupestres…, Op. Cit., p 224.

[3] Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans le Nord de l'Afrique au Néolithique et dans la protohistoire d'après les figuration rupestres, dans Actes du congrès Panafricain de Préhistoire, IV session, Alger, 1952, p 565.

[4] قزال ستيفان، ج1، المرجع السّابق، ص ص 210-211.

[5] Camps (G.), Le Bélier à sphéroïde, Encyclopédie berbère, in Aix-en-Provence, Edisud, 9, 1991, pp.1417-1433.



الشكل (11): أنواع الأغنام على جداريات الفن الصّخري

المصدر: Esperandieu (G.), Domestication et élevage…, Op. Cit., p 565

وعلى ما يبدو أنّ هذه الرّسوم الصّخرية تشير إلى دلائل وجود الأغنام المدجّنة في المنطقة منذ فترات أقدم بكثير ممّا كان يُعتقد في السّابق، فإذا تمّ اعتبار أنّ بداية الفنّ الصخري والمرحلة الجاموسية تعود إلى ما بين 12000 و 10000 سنة قبل الحاضر على الأقل، وهذا يعني أنّ الأغنام المدجّنة كانت موجودة في المنطقة في هذه الفترة، بالإضافة إلى ذلك إذا اعتبر الكبش المتوّج حيوانا مدجّنا فإنّ ذلك يمكن أن يفسح المجال للنّظر في إمكانية تدجين الأغنام في بلاد المغرب القديم منذ فترات مبكّرة جدًّا، ربّما قبل تاريخ تدجينها في الشّرق الأدنى القديم[1]، وهذا ما يؤدّي بالضّرورة إلى إعادة النّظر في الفرضيات التّقليدية المتعلّقة بتدجين الأغنام في المنطقة.

[1] بودرقا الحسن، الثروة الحيوانية...، المرجع السَّابق، ص 86.

3- الأغنام من خلال الفنّ البوني:

كان موضوع الحيوانات موجودًا في النحت البوني منذ فترة مبكّرة جدًّا، ومن بين أقدم التّماثيل الحيوانية التي تمّ اكتشافها في قرطاجة كان تمثال لخروف مصنوع من الطّين المشكّل، والملفت للانتباه هو انتشار صورة الخروف ورأسه بشكل واسع في الفترة الزّمنية الممتدّة بين القرنين الرّابع والثّالث قبل الميلاد، وكانت هذه الصّور تظهر على مجموعة متنوعة من الأدوات والمواد كالتّماثيل والمجوهرات المصنوعة، بالإضافة إلى النّقوش التّذكارية الخاصّة بالأضاحي، وتتميّز الخراف المصوّرة بذيولها العريضة وهي سِمة تميّز سلالة الأغنام البربرية المنتشرة حتّى يومنا هذا[1].

4- الأغنام من خلال الفسيفساء:

تعتبر الفسيفساء شاهدًا على تنوّع الأغنام في بلاد المغرب القديم، فعلى سبيل المثال في فسيفساء أودنة (Oudna) في القرن الثّالث الميلادي تمّ تصوير مشاهد الرّعي، انظر الشّكل رقم (12)، وكذلك الأمر بالنّسبة لفسيفساء السّيد يوليوس في قرطاج[2].

[1] Zeghal Yazidi (S.), Op. Cit., p 242-243.

[2] بلكامل البيضاوية، المرجع السّابق، ص 27.



الشّكل (12): مشهد رعوي لقطيع من الأغنام والماعز ممثل على فسيفساء أودنة

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur…, Op. Cit., p 201

5- الأغنام من خلال النّصب:

ظهرت الأغنام على الأنصاب حيث عُثِر على نُصب تذكاري في هنشير السّريرة (Henchir-Es-Srira) يتألّف من أربع سجّلات، كلّ واحد منها يحمل رموزًا مختلفة، وظهر في الجزء الثّالث اثنين من الأغنام على جانبي نخلة[1].

[1] Benzina Ben Abdallah Zeïneb. Catalogue des inscriptions latines païennes du musée du Bardo. Préface de Azedine Beschaouch, École Française de Rome, 1986, pp 48-49.

6- الأغنام من خلال المصادر الأدبية:

تحدّثت المصادر الأدبية القديمة عن وفرة الأغنام في بلاد المغرب القديم، إذْ تعتبر موردًا حيويًا للغذاء والمواد الخام، وتمّ وصف النّعاج بأنّها تلد حِملانًا بقرون، وبالرّغم من أنّ هذا الوصف يتعارض مع المنطق العلمي إلاّ أنّ ذلك يشير إلى قوتها وصحّتها وتُقدّم في كل فصل من السّنة للأمير والرّاعي اللّحم والحليب ومن يرعاها لا يعرف الرّاحة[1].

وقد أشار "بوليب" إلى وجود مجموعة متنوّعة من الحيوانات بما في ذلك الخيول والبقر والأغنام والماعز، وأكّد أنّه لا يمكن العثور على عدد كبير من هذه الحيوانات في أيّ مكان آخر من العالم[2]، وأخبرنا كذلك "ديودور الصقلي" عن ثراء المنطقة بقطعان كبيرة من الماشية مؤكّدا أنّها كانت تلبّي احتياجات سكّانها الغذائية[3]، وما نلاحظه عن هذه النّصوص المتاحة لدينا هو رغم إقرار المؤرّخين القدامى بغنى المنطقة بالأغنام إلاّ أنّهم اكتفوا بذلك ولم يقدّمو أوصافًا تفصيلية لها، ومن المرجّح أن يعود ذلك إلى اهتمام الكتّاب والمؤرّخين في تلك الفترة بالأحداث السّياسية والعسكرية الرّئيسية.

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أنّ إشكالية تدجين الأغنام تبقى مطروحة وموضِع جدلٍ بين الباحثين، ومن الضّروري تسليط الضّوء على الدّراسات السّابقة وإعادة البحث والتعمّق فيها، إلى جانب التّركيز والبحث في مواقع أثرية جديدة لعلّها تأكّد لنا فرضية التّدجين المحلّي للأغنام في بلاد المغرب القديم.

III- الماعز: (Les Caprinés)

تمّ تدجين الماعز بسبب أهمّيته الكبيرة والدّور الذي لعبه في النّظام الغذائي لسكّان بلاد المغرب القديم، فهو مصدر للّحوم والحليب وكذلك الجلود، وقد تمّ العثور على بقاياه في عدّة مواقع أثرية تعود إلى العصر الحجري الحديث، ويعتقد الباحثون أنّه تمّ إدخاله في نفس الوقت الذي تمّ فيه إدخال الأغنام[4].

هذه النّظرية التّقليدية التي تدحض فكرة التّدجين المحلّي أثارت الكثير من النّقاشات من طرف عدّة باحثين حيث أشاروا إلى ضرورة النّظر في فكرة التّدجين المحلّي وإمكانية وجود سلالات برّية محلّية للماعز لم يتم دراستها

[1] Homére, L'odyssée, Paris, E. Flammarion, 1937, IV,50-99.
[2] Polybe, Histoires, XII,3,
[3] Diodore de sicile, La Bibliothèque historique, III, 53.
[4] Espérandieu (G.), Chaker (S.), Chèvre, Encyclopédie berbère, 13, Chèvre – Columnatien, Aix-en Provence, Edisud, 1994, p 191.

بشكل كاف، وكان موزوليني من أهمّ الباحثين الذين تبنّوا هذه الفكرة ويشير إلى أنّ عملية تدجين الماعز قد حدثت في موقع تين هناكتن بجنوب التّاسيلي ويعود ذلك إلى حوالي 7000 ق.م[1]، وعُثر عليه أيضا بأعداد كبيرة إلى جانب بقايا أغنام في موقع كابيليتي الذي يعدّ شاهدًا على نشأة نمط حياة رعوي ساهم في تأسيس استقرار أولى لمجتمعات نصف رحّل يعود إلى العصر الحجري الحديث[2].

كما أُجريت دراسة على مستوى حفرية العالية قرب المهدية (السّاحل الشّرقي التّونسي) وتبيّن وجود تدجين الماعز منذ العصر الحجري الحديث، حيث كانت أغلب العظام المستخرجة صغيرة الحجم بها نسبة تكسّر عالية[3]، هذا ما يتطلّب عملية التّمييز بينها بشكل دقيق لفهم نسبة وتوزيع الماعز مقارنة بالأغنام.

بالإضافة إلى ذلك نجد موقع بشمال غرب تونس وتحديدًا كاف العقاب (Kef elAgab) الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث، والذي حافظ على على أدلّة تثبت تربية الماعز وأيضا في شمال غرب المغرب الأقصى[4].

كما ظهر الماعز في عدّة محطّات ومشاهد رعوية على الفنّ الصّخري ضمن القطيع مع الأغنام، ويأتي في المرتبة الثّانية بعد الأبقار عكس المناطق الشّمالية، ومن أمثلة ذلك نجد رسم صخري في "إهرن-تاهيلاهي" (Tahilahi-Iheren) بالطاسيلي- ناجر يعود إلى الفترة البقرية الحديثة[5].

أمّا خلال الفترة الرّومانية فنجد عددا من النّقائش تم العثور عليها في بلاد المغرب القديم ونخصّ بالذّكر نوميديا حيث تُظهر بعض النّصوص لنقيشات لاتينية أسماء الحِرف والمهن المتعلّقة بالنّشاط الرّعوي، ولعلّ أهمّها مربيّ أو راعي الماعز[6].

---

[1] Muzzolini (A.), Les débuts de la domestication au Sahara et les gravures rupestres les plus anciennes école bubaline, Bulletin de la Société Préhistorique Ariège-Pyrénées ,T46, 1991, pp 224-225.

[2] Colette (R.), Économie pastorale..., Op. Cit., p 486.

[3] ماجي ليندة، العقون أم الخير، الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر الأدبية، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4 وهران، 2020، ص26.

[4] نفسه، ص 25.

[5] Muzzolini (A.), Le groupe europoïde d'Iheren-Tahilahi, étage « bovidien final» des peintures du Tassili. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°32, 1981, pp 121-138.

[6] بوشارب سلوى، ممارسة حرفتي الرعي وتربية الماشية في نوميديا من خلال نصوص النّقيشات اللاتينية، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد1، الجزائر، 2021، 299-310.

كما تمّ تصوير الماعز على اللّوحات الفسيفسائية في عدّة مشاهد رعوية منها فسيفساء أودنة المحفوظة بمتحف باردو بتونس، وتمثّل الحياة الرّعوية في عدّة زوايا من أبرزها تصوير شخص يحلب الماعز إلى جانب المهام اليومية مثل الصّيد[1]، وجاء ذكر الماعز أيضا في العديد من النّصوص الأدبية من أهمها ما ورد في كتابات "هيرودوت" الذي تحدّث عن ملابس النّساء اللّيبيات المصنوعة من جلود الماعز[2]، ورغم أهمّية الماعز إلاّ أنّ مسألة تدجينه من سلالة محلّية برّية أو العكس من ذلك مازالت محلَّ جدل، وتبقى البحوث الأثرية حول البقايا العظمية هي الدّليل الأدّق لتأكيد أو نفي ذلك.

IV – الأبقــار: (Les Bovines)

تُعدّ الأبقار من أهمّ مكوّنات الثّروة الحيوانية في بلاد المغرب القديم نظرا لما تقدّمه من فوائد متعدّدة، وقد أشارت إلى ذلك العديد من الأدلّة المادّية والأدبية، ويَعتقِد بعض الباحثين أن تدجين الأبقار قد بدأ في المنطقة منذ فترة مبكّرة، وأنّ المناطق الصّحراوية قد شهدت عمليات تدجين متقدّمة مقارنة بتدجين أنواع حيوانات أخرى مثل الأغنام والماعز.

1– الأبقار من خلال المواقع الأثرية:

أثار العديد من الباحثين مسألة أصل أنواع الأبقار، فيرى الباحث لخضر بن بوزيد أنّ فرضية التدجين المحلّي للأبقار جدّ قوية، وأنّ المنطقة الصّحراوية عرفت تدجين الأبقار مبكّرا مقارنة بالأغنام[3] وقد تمّ العثور على مواقع لبقايا عظام الأبقار بالتّاسيلي والأهقار وكذلك موقع وان تيلوكات (Uan Telocat) في أكاكوس (ليبيا حاليا) حيث تمّ توثيق أقدم تدجين للبقريات وأُرّخ بحوالي 6900 ق.م، وهو معاصر تقريبا لموقع زاغروس في إيران (7500–7000ق.م)[4].

[1] Yacoub Mohamed, Op.Cit, p 201.

[2] Hérodote, Histoires,, IV, 189.

[3] بن بوزيد لخضر، حضارات الرّعاة في النّيوليتي بالطاسيلي والهقار، ... ، المرجع السّابق، ص ص 318–321.

[4] Cornevin (M.), les Néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique, Bulletin de la Société préhistorique française, Volume 79, 1982, p 444.

وتبدو نتائج بحث شايد سعودي ياسمينة حول مقبرة البقريات في موقع منخور (Mankhor)[1] مهمّة جدًّا لفهم علاقة الإنسان بالأبقار في منطقة الصّحراء الوسطى هذه الأخيرة التي تعتبرها مركز إشعاع حضاري قديم لاستئناس البقر ولديه تأثير واسع النّطاق نحو الشرق، ممّا يظهر أنّ الثّقافة المرتبطة برعاية الأبقار وتربيتها امتدّت إلى مناطق أخرى نظرًا لأسبقيتها التّاريخية[2]، وهذا ما يدعّم فكرة التّبادل الثقافي والاقتصادي الذي حدث عبر الصّحراء ومختلف الحضارات القديمة.

وتؤكّد ذلك الباحثة العقون أم الخير حيث أقرّت بأنّه رغم افتقار بلاد المغرب للوثائق المدوّنة حول تاريخها إلاّ أنّ سكّانها خلّفوا لنا إرثًا من الفنّ الصّخري خاصّة في الصّحراء ومرتفعات الأطلس الصّحراوي، وأنّه منذ الألف السّادسة قبل الميلاد لم ينقطع هذا العطاء ليشهد عن ذلك التّميز الحضاري الذي عرفه المغرب القديم بامتداده الطّبيعي للصّحراء الوسطى، وهذا ما ينفي الآراء التي تشير إلى أيّ تأخّر أوعجز حضاري في بلاد المغرب القديم خاصّة تلك التي قدّمها بعض الباحثين الأوروبيين[3].

يرى موزوليني (Muzzolini) أنّ مسألة تدجين الأبقار محلّيا لا تزال قائمة خاصّة وأنّ بقايا العظام المكتشفة لحدِّ الآن لا تمدّنا بصورة واضحة عن أقدم تدجين لهذا الحيوان في المنطقة ولاحظ أنّ التّوارخ التي قدّمتها الحفريات قليلة جدًّا وغير كافية وغالبا ما تكون محلّ نقاش[4].

[1] يقع موقع منخور (Mankhor) على أحد المنافذ التي تطل على تادرارت، تقع بين هضبة الطاسيلي ناجر شمالا وهضبة جادو جنوبا، يحتوي هذا الموقع على بقايا عظمية للبقريات والتي تعود إلى العصر الحجري الحديث، للمزيد يراجع:

Chaid Saoudi Yasmina, Contribution à la connaissance des faunes préhistoriques d'Algérie, Ikosim1, 2012, p 10.

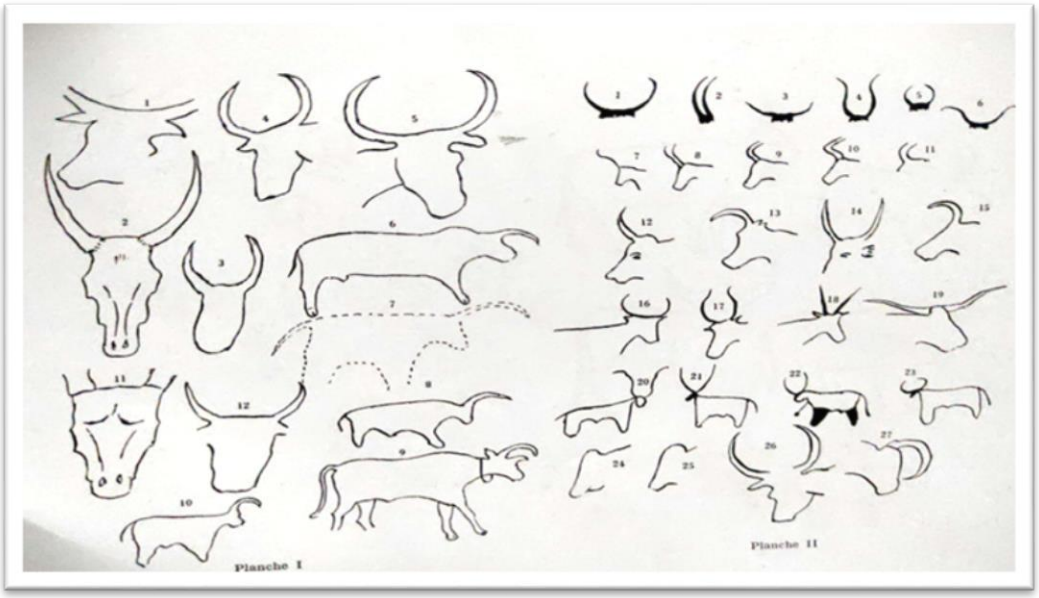
[2] شايد سعودي ياسمينة، فرحات نجيب، مقبرة البقريات لموقع منخور بالصّحراء الوسطى، مجلة الدراسات الأثرية، العدد 1، الجزائر، 1999، ص ص 97-106.

[3] العقون أم الخير، من مصادر تاريخ المغرب القديم " الرّسوم الصخّرية والأثار المصرية"، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، وهران، 2016، ص 92.

[4] Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Bœuf (Préhistoire), Encyclopédie berbère, T 10, 1991, p 1550.

2-الأبقار من خلال الرّسوم الصّخرية:

يوجد عدد لا يحصى من الرّسوم الصّخرية التي تبيّن تدجين أنواع مختلفة من البقريات وبكثافة عالية في المغرب القديم، وما يميّزها عن بعضها خاصّية القرون[1]، انظر الشّكل رقم (13).



الشكل رقم (13): رسوم صخرية لأنواع مختلفة من الأبقار
المصدر: Esperandieu (G.), Domestication et élevage… Op.Cit, p 559.

إلاّ أنّ هناك إشكالية شائعة تطرح دائما في مجال علم الآثار تتمثّل في دقّة تأريخ هذه الرّسوم على الرّغم من وجود سِمات واضحة للتّدجين مثل قربها من الإنسان، ووجود طوق في عنقها، وتنوع أشكال قرونها بين المفتوحة والقصيرة، وأحيانًا تكون غائبة تمامًا، بالإضافة إلى تنوّع ألوان أجسامها وتمثيلها بضروع منتفخة واستغلال حليبها، فضلاً عن دورها في وظائف متعدّدة مثل الأعمال الزّراعية والنّقل.

ومهما يكن فإنّ المتتبّع لمختلف الرّسوم والأشكال التي يظهر فيها الثّور أو البقريات في النّقوش الصّخرية يلاحظ تطورًا يمثّل مختلف المراحل التي مّر بها الثّور في علاقته مع الإنسان منذ أنْ كان متوحّشًا إلى مرحلة ما قبيل الاستئناس ثمّ أثناءه، وتعتبر مرحلة الثّور الشّعائري الطّقوسي (Boeuf Rituel) مرحلة انتقالية بين الثّور البّري و الثّور الممتطى أو الحاملِ للإنسان (Boeuf Porteur)، هذا الأخير الذي يُحتمل أنّه يعبّر عن نمط عيش

[1] Esperandieu (G.), Les animaux domestiques du Nord de l'Afrique d'après les figurations rupestres, au cours des périodes préhistoriques et protohistoriques, Bulletin de la societe veterinaire de zootechnie d'algerie, N°2, 1954, pp 23-68.

نصف التّرحال، وبذلك تجمع ثقافة الثّور الممتطى بين نمطين معيشيين الصّيد والرّعي بحيث لم يتمكّن النّمط الأخير من فرض وجوده نهائيا والقضاء على نمط الصّيد[1].

وعليه يمكننا أن نستشِّف عدّة نتائج نوجزها فيما يلي:

- **مرحلة الثّور البري**: رسمه الصّيادون كجزء من تجاربهم في الصّيد والتّعامل مع الحياة البرّية.
- **مرحلة ما قبل الاستئناس**: تمثّل تدرّجا نحو التّعايش المشترك بين الإنسان والثّور.
- **الثّور الشّعائري الطّقوسي**: يعكس هذا الانتقال من حيوان برّي إلى حيوان مشارك في الطّقوس الدّينية والاجتماعية.

وتوجد عدّة أنواع للثّور من أبرزها:

- **ثور ذو القرون الطّويلة (longicorne)**: ينتشر هذا النّوع بشكل كبير في الرّسوم الصّخرية، ويتميّز بالقرون الطّويلة[2]، وقد ظهر حوالي 9000-8500 ق.م في جنوب تركيا، وتمّ تدجينه في بلاد المغرب القديم ومصر حوالي 8000-7500 ق.م.
- ثور ذو القرون القصيرة (Brevicorn): ظهر بعد الثّور ذو القرون الطّويلة حوالي 7500-7000 ق.م وهو أخفّ وزنا وأكثر ملاءمة للاستخدام في العمل[3] .
- **ثور بريميجنيوس (Bos primigenius)**: يَعتقد بعض الباحثين أنّ هذا النّوع تمّ تدجينه في بلاد المغرب القديم حيث صنّفت الباحثة أوماسيب في دراستها عدّة أنواع في بلاد المغرب وأكّدت صحّتها الباحثة شايد سعودي ياسمينة من بينها ثور بريميجنيوس (Bos primigenius)[4] الذي يتميّز بحجمه الكبير، وقد عُرف منذ العصر الحجري القديم الأسفل إلى غاية العصر الحجري الحديث إلّا أنّه اختفى فيما بعد.

---

[1] أعشي مصطفى، إسهام النّقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التّعريف ببداية استئناس الحيوانات، مجلة المناهل، مارس، 1988، ص 38.

[2] Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Op. Cit., p 1547.

[3] Guintard (C.), Mangin (J-P.), Lignereux (Y.), Origine et diversité des Bovinés – Domestications et représentations : l'exemple de la philatélie, 2009, p 17 ; Esperandieu (G.), Les premiers pasteurs africains Leurs troupeaux ,conferences du service de l'elevage, 1955, pp 28- 29.

[4] تمّت تسمية بوس بريميجينيوس (**Bos primigenius**) أو بوس بريميجينيوس موريتانيكوس (**Bos primigenius mauritanicu**)، من قبل توماس في عام 1881، أمّا تسمية وبوس أوبيستهونوموس (**opisthonomus**) بواسطة بومال في عام 1894، للمزيد يراجع:

Hadjouis (D.), Le Bihan (P.), Atlas des mammifères quaternaires et actuels d'Algérie, CNRPAH, N°20, ministère de la culture, Alger, 2013, p21.

- **ثور طورس (Bos Taurus)**: تم تدجينه لاحقًا، ويتميّز بجسمه الصّغير مقارنة بالأنواع الأخرى، وقد أعطته الباحثة شايد سعودي ياسمينة مُرادفًا لاسم الثّور ايبريوس (Bos Ibirius) والثّور بركسيروس (Bos Brachyceros)[1].
- **الثّور الافريقي (Bos Africanus)**: تميز بالنّحافة وقرون طويلة وجبهة مسطّحة، ويعتقد أنه تطور محلّيا في بلاد المغرب القديم.
- **ثور ذو السّنام (Bos Indicus)**: يعتبر هذا السّنام ميزة مكتسبة مرتبطة بعمليات التّدجين، ويُحتمل أن يكون تدجين هذا النّوع من الحيوانات قد حدث في الألفية السّابعة قبل الميلاد جنوب غرب آسيا، ولم يظهر في افريقيا حتى الألفية الثّانية أو الألفية الأولى قبل الميلاد أو ربّما تمّ ذلك لاحقا.

وتبيّن الباحثة أوماسيب من خلال دراستها التي أوردت من خلالها العديد من الأبحاث والتي اختلفت فيما يخصّ ثور بريميجنيوس (Bos primigenius) وثور ايبريوس (Bos Ibirius) والعلاقة بينهما حيث ترى أنّ النّوع الثّاني هو الأصل البرّي للنّوع الأول إلاّ أنّ دراسة لبقايا عظمية في موقع أدرار قلدمان (Adrar Gueldaman) من طرف شايد سعودي أوضحت فيها أنّ كِلاَ الصِّنفين مستقلاّن عن بعضهما[2].

وبقيت الإشكالية مطروحة ومحلّ نقاش بين الباحثين ليس فقط على مستوى هذين النّوعين بل يشمل بقية الأصناف، ومن بين هؤلاء الباحثين نجد قابريال كامبس الذي يرى بأنّ (Bos primigenius) و(Bos ibericus) انتشرا في جميع أنحاء بلاد المغرب القديم، وأنّ النّوع الثّاني هو الأصل البرّي لعدّة أبقار، ومن جهة أخرى ليس متأكّدا من أصل (Bos africanus) الذي يتميّز بشكله الأنيق[3].

---

[1] وصف موزوليني الثّور بركسيروس (**Bos Brachyceros**) بأنّه ذو قرون قصيرة وحجمه أصغر من نوع بريميجنيوس (**primigenius**)، وأنّ هذا الأخير له تسميات أخرى وتتمثّل الأولى في (**Bos opisthonomus**)، أمّا التّسمية الثّانية فهي (**Bos Primigenius mauritanicu**)، ويرى بأنّ ثور ايبيريوس (**Bos Ibirius**) نوع مصغّر من (**Bos primiginus**) تكيّف مع البيئات شبه القاحلة، مُعتقدًا أنّ صغر حجم هذا الحيوان لا علاقة له بالتّدجين، ويرجع ذلك إلى التّغيرات البيئية، ويرى بأنّ هذا الثّور البرّي هو النوّع الذي عاش في وقت مبكّر في بلاد المغرب القديم ويشير إلى وجود بقايا عظمية في موقع هوا افطيح (**Haua Fteah**) في ليبيا كدليل على ذلك، ويؤكد أنّه تمّ تدجينه في المنطقة وتبين الرّسومات الصّخرية استئناسه حسب ذات الباحث، وأطلق عليه مؤرّخو فترة ما قبل التّاريخ باسم الثّور الافريقي (**Bos africanus**) للمزيد يراجع:

Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Op. Cit., pp 1547-1551.

[2] Aumassip (G.), et al., Op. Cit., p141.

[3] Camps (G.), Origines de la domestication…, Op. Cit., p 549.

ومهما يكن من أمر فإنّ المرحلة البقرية تمكّنت من الانتشار لتشمل جميع المناطق ابتداء من الألف الثّالثة قبل الميلاد والتي جاءت بعدها فترة فجر التّاريخ التي تميّزت بظهور العربات والخيول وسيطرة نمط معيشي على تربية الماشية[1].

3- الأبقار من خلال الفسيفساء:

يمكن اللّجوء أيضا من أجل معرفة أنواع الأبقار في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرّومانية إلى الآثار المادّية مثل فسيفساء شرشال التي تُظهر الأبقار ذات القرون الصّغيرة[2]، وفسيفساء أودنة، انظر الشّكل رقم (14)، وفسيفساء سوروتوس (Sorottus) بسوسة تعود إلى القرن الثاني الميلادي، وهي لوحة تمثّل ضيعة كبيرة لتربية الماشية بالقرب من تبسّة ون بين الحيوانات الممثلة نجد بقرة ترعى العشب[3].



الشكل (14) : مشهد رعوي من فسيفساء أودنة يبين ثورين ذو قرون قصيرة محفوظة بمتحف باردو بتونس

المصدر: Aounallah (S.), Un Monumet ..., Op. Cit., p 218

[1] أعشي مصطفى، المرجع السَّابق، ص 42.

[2] Esperandieu (G.), de l'art animalier dans l'Afrique antique, Conférence-visites du musée Stéphane Gsell,1955-1956, Alger, 1957, p 12.

[3] Precheur-Canonge Thérèse, Op. Cit., pp 64-66.

4- الأبقار من خلال النّصب والنّقائش:

كشفت لنا الأدلة الأثرية عن حضور رمزي للحيوانات المستعملة في الرعي إذْ تمّ تمثيل الثّور على عدد من الأنصاب حيث يظهر على سبيل المثال في السّجل السّفلي لأنصاب مخصّصة للإله ساتورن كقربان، انظر الشّكل رقم (15)، كما تمّ العثور على نصب تذكاري في منطقة نسليانة (Siliana) شمال غرب تونس المعروفة بخصوبة أراضيها ونشاطها الزراعي والرعوي، ويعود هذا النّصب إلى القرن الثّالث ميلادي، ويشتمل على عدّة مشاهد حيث نلاحظ على السّجل الثّالث تمثيلا واضحا للثّور[1] والذي يعتبر رمز القوة والإنتاج، انظر الشّكل رقم (16).



الشكل (15): نصب نذري مهدى للإله ساتورن بتبسة تظهر به بقرة ذات قرون صغيرة

المصدر: Esperandieu (G.), de l'art animalier …, Op. Cit., p10

[1]Lassère.(J.-M) , Op. Cit., p 208.



الشكل رقم (16): نصب تذكاري يمثّل الثور في السّجل الثالث (القرن IIIم)

المصدر: Lassère (J-M.), Africa…, Op. Cit., p 208

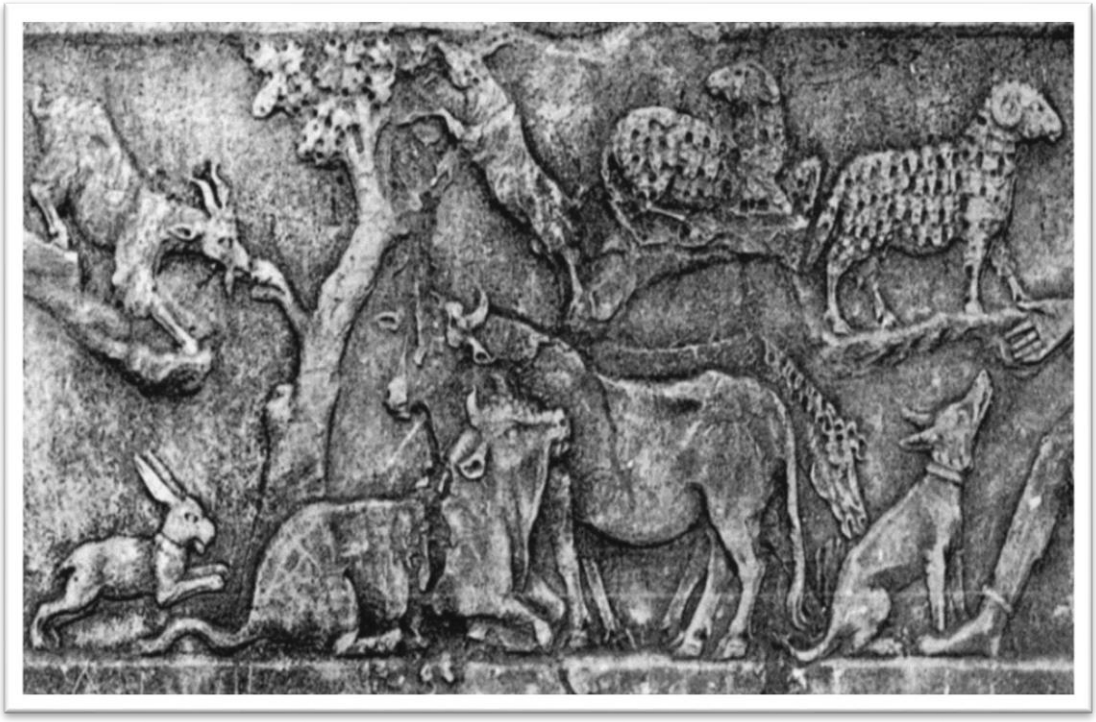
فضلا عن ذلك نجد تعريفة زراي والتي يعود تاريخها إلى 202م[1] تشير إلى وجود البقر ضمن الحيوانات التي فرضت عليها الرّسوم الجمركية[2]، وهذا ما يوحي لنا أنّ تربية الأبقار كانت نشاطًا رئيسيًا في المنطقة ووجود حركة تجارية مهمّة للمواشي.

[1] تقع زراي (**Zaraï**) في منطقة استراتيجية مهمّة بين المرتفعات الشّمالية والمناطق الصّحراوية في الجزائر، وتعدّ موقعا مثاليا لتأسيس نقاط جمركية، وتبين الأدلّة الأثرية المكتشفة في الموقع والنّقوش التي وجدت على وجود نشاط عسكري واستيطان في هذه المنطقة، وهذا يشير إلى أنّ الموقع كان مركزا حيويا للتّجارة والحركة العسكرية خلال الفترة الرّومانية، للمزيد يراجع:

Jérôme France, Normes douanières et réglementation des échanges. Trois questions simples sur le tarif de Zaraï (Numidie), Antiquités africaines , 2014, 50, pp. 93-110 ; Trousset (P.), Le tarif de Zaraï :essai sur les circuits commerciaux dans la zonerésaharienne, Antiquités africaines, 38-39, 2002, pp. 355-373.

[2] Seghir Krim Mohammed, Filah Mohammed el- Mosetafa, A propos du Tarif de Zarai, Tarif local ou institution provinciale, Journal Almuqadimahdes études humaines et sociales , Volume 6, N°1, 2021, P 291.

كما نجد تمثيل الأبقار مع مجموعة من الحيوانات على تابوت عُثر عليه في روسيكادا بالجزائر، انظر الشّكل(17)، ولابدّ أنْ نشير إلى أنّ الثّور كان أكثر شيوعا في التّمثيل الفنّي خلال الفترة البونيقية مقارنة بالبقرة[1].



الشكل رقم (17) : مشهد رعوي يمثل مجموعة من الحيوانات من بينها الأبقار ذات القرون القصيرة

المصدر: Lassère (J-M.), Africa…, Op. Cit., p 219

5- الأبقار من خلال المصادر الأدبية:

كما أشرنا سابقا أنّ بلاد المغرب وتحديدا المناطق الصّحراوية كانت تتميز بثروة هائلة من الماشية وعددًا كبيرًا من البقريات المتنوّعة التي تشير إلى وجود سلالات مختلفة بدليل ما جاءت به الدّراسات الحديثة في مواقع مختلفة، وما تمّ رصده في الرّسوم الصّخرية من أشكال مختلفة للأبقار، إلى جانب ما أكّدته المصادر الأدبية عن تنوع الماشية وثرائها، بغضّ النّظر عن خصائصها المختلفة.

وقد أخبرنا "هيرودت" عن الجرامنتيين الذين يتميّزون بكثرة أعدادهم أنّهم يملكون ثيرانًا من نوعية خاصّة تميّزها عن غيرها، فهي ترعى أثناء السّير إلى الخلف بسبب قرونها الملتوية إلى الأمام ممّا يعيقها على المشي إلى

[1]Zeghal Yazidi (S.), Op. Cit., p 242.

الأمام أثناء الرّعي[1]، ورغم ذلك وحسب علمنا لا توجد دلائل علمية قاطعة تثبت وجود هذا النّوع من الثّيران، وبذلك فإنّ الحذر بشأن تلك الميزة مطلوب ومن الضّروري التّحقق من المعلومات المتوفّرة وعدم اتّخاذ افتراضات دون دعمٍ علمي.

وقد مثّلت موسوعة "ماغون" (Magon) مصدرًا رئيسيًا للمعرفة حول الرّعي حيث تلخّص تجارب القرطاجيين في هذا المجال، حتّى أنّ الرّومان قاموا بترجمتها إلى اللاّتينية للاستفادة من خبراته[2]، كما اعتمدت عليه عدّة مصادر لاتينية لوصف أنواع الأبقار واختيار الأفضل منها، ووضّح ماغون الصّفات التي يجب أن يتمتّع بها الحيوان بما في ذلك القوام القويّ ليكون مناسبا للتّكاثر الجيّد[3].

وفي هذا السّياق أشار "فارون" (Varron) إلى ضرورة التّركيز عند اختيار الحيوانات على سلامة صحّتها وما إذا كانت لا تزال في حالة إنتاج، كما أكّد على الحجم الكبير وعرض الكتفين والأرداف السّمينة ولون الجلد، وأوصى بأخذ الذّكور من سلالة جيّدة، مع توفير الكلأ والعلف الجيّد لها وتنحية العناصر غير المنتجة من القطيع...الخ[4].

وأفادنا أيضا "كولوميل" (Columelle) بنصائح ومعلومات تتعلّق بالأبقار الحوامل والعجول وكيفية الاعتناء بها وكذلك الرّعاية الصّحية[5]، في حين تحدّث "فرجيل" (Virgil) عن اختيار الثّيران القوية لاستخدامها في عملية الحرث[6]، ويمكن إسقاط ذلك على رعاية الأبقار في بلاد المغرب القديم، ما جعلها تتوفّر على أعداد كبيرة من الأبقار على حسب ما أخبرنا به "بوليب" (Polybe)[7].

وعليه فمن خلال النّصوص المقدّمة يمكننا التّوصل إلى بعض الخصائص المهمّة التي يفضّل أن تتوفّر في الأبقار ذات الإنتاجية العالية وضرورة معرفة الرّعاة بذلك ومن أهمّها فهم احتياجات الأبقار خاصّة خلال فترة الحمل وتوفير الرّعاية الصّحية اللاّزمة، وأن يكون الرّعاة على دِراية بالصّفات التي تجعل الثّيران مناسبة للأعمال

---

[1] Herodote, Histoires, IV, 183 ;
أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، ط 1، ليبيا، 1969، ص 45.

[2] الشاذلي بورونية، الطاهر محمد، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص ص 250-251.

[3] Lassère (J-M.), Op. Cit., p217.

[4] Varron, Economie rurale, II, 5.

[5] Collumelle, De l'agriculture, VI, 21.

[6] Virgile, Géorgique, III, 49-71.

[7] Polybe, Histoires, XII, 3.

الزّراعية، والاستفادة من خبرات العلماء الزّراعيين ونخصّ بالذّكر العالم الزّراعي القرطاجي ماغون لتحسين رعاية الحيوانات وزيادة الإنتاج.

V – الخيليات (Les équidés):

يعتبر الخيل من بين الحيوانات التي اهتمّ بها الإنسان المغاربي القديم ودجّنها، ويُعتقد أنّ بلاد المغرب شهدت تطوير سلالات محلّية من الخيول، ومع ذلك هناك من يُفنِّد فكرة التّدجين المحلّي لها ويؤكّد الأصل الأجنبي لهذا النّوع من الحيوانات.

1– الحصان من خلال المواقع الأثرية:

تعدّدت الآراء حول التّدجين المحلّي للحصان من عدمه، ويُحتمل وجود الحصان قبل الألف الخامس قبل الميلاد، ثم اختفى ليُعَاد إدخاله إلى المنطقة في النّصف الثّاني من الألف الثّانية قبل الميلاد[1]، كما يعتقد أصحاب النّظرية الشّرقية ومنهم قزال[2] وكامبس وغيرهما من الباحثين أنّه تمّ إدخال الحصان مدجّنا عن طريق مصر في زمن الهِكسوس[3]، ويقترح هذا الرّأي أنّ الهِكسوس جلبوا معهم الحصان إلى مصر، ومن ثمّ انتقل إلى مناطق أخرى بما في ذلك بلاد المغرب القديم، إلاّ أنّه لا توجد أدلّة دقيقة تدعّم هذه الفرضية.

وفي المقابل نجد دراسة للباحثة شايد سعودي ياسمينة حيث عثرت سنة 1983 على نوعين وهما: (E. algericus) و(E.Melkiensès)[4] في موقع كلوماناطة[5] الأثري (Columnata) بتيارت (الجزائر)، وتدلّ هذه الاكتشافات والدّراسات على تنوع وغنى الحياة البرّية في المنطقة عبر العصور، وأنّ الخيل كان حاضرًا لفترة طويلة.

---

[1] بن علال رضا، دراسة تحليلية حول أصول ودور العربات القتالية في بلاد المغرب القديم، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 4، العدد4، 2016، ص 22.

[2] قزال ستيفان، ج1، المرجع السّابق، ص 197.

[3] Lhote (H.), Camps (G.), Souville (G.), Art rupestre, Encyclopédie berbère, 6, 1989, p 931

[4] Chaid-Saoudi (Y.), Abdelouahab (w.), Les équidés de la grotte des Hyènes (Nord-Est algérien, collection Debruge) Jugales et métapodes des morphes 1 et 2 et leurs affinités taxonomiques. Journal PECAN, N°1 , 2022, p 78.

[5] تقع كولماناطة في الجنوب الشّرقي لبلدية سيدي الحسني بولاية تيارت، وهي عبارة عن ملجأ صخري واسع، ويعدّ من بين أهمّ المواقع الأثرية النّموذجية لفترة ما قبل التّاريخ في بلاد المغرب القديم التي استمرّ تعميرها لفترة زمنية طويلة من العصر الحجري القديم المتأخر الذي شهد تعاقب الحضارة الإيبيرو مغربية والقفصية به مرورا بالمرحلة الانتقالية والتي تعرف بالمرحلة الكلومانطية وانتهاءًا بالعصر الحجري الحديث، وقد تمّ العثور على مجموعة من البقايا العظمية الحيوانية، والمتمثلة في الثّور البدائي (**PrimigeniusBos**)، الحمار الإفريقي المتوحّش (**Equus Asinus Africanus Sanson**)،

وتعتبر أنّ (E. algericus) هو أوّل حصان حقيقي تُكتشف بقايا عظامه في بلاد المغرب القديم وكل شمال افريقيا، وقد تم دعم هذا الاكتشاف وتأكيد صحّته مجموعة من الباحثين سنة 1984 وهم بلقاسم باقطاش (B.bagtache)، الجيلالي حجوي (D.hadjouis)، فيرا ايزنمان (V.eisnmann) من خلال العثور على بقاياها العظمية سنة 1984 في المستويات العاترية بموقع البروج (الجزائر) والتي تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى ويؤرّخ لها ب 30000 قبل الحاضر[1]، وقد تمّ وصف هذين النّوعين من الخيليات من طرف الباحث باقطاش وعددٌ من الباحثين[2].

- **Equus algericus**: يعتبرونه أوّل أنواع الأحصنة البرّية التي تمّ تحديدها في بلاد المغرب القديم، ويتميز بجسم ممتلئ.

- **Equus melkiensis** : يحتمل أنّ هذا النّوع تطور من Equus numidicus[3].

واستنادًا إلى اكتشافات الباحثة شايد يرى الباحث بودرقا الحسن أنّه من الضّروري تجاوز فرضية دخول الحصان مدجّنا في منتصف الألفية الثّانية[4]، ويَتّبع الباحث حجلاوي أنيس نفس الإتّجاه حيث يرى وفقا لنفس الدّراسة أن هذين النّوعين من الخيول مجرّد استمرار طبيعي لتلك المعروفة منذ بداية العصر الرّباعي (E.) Numidixus و (E. Tabeti) و (E. Mauritanicus)، وأنّ هناك إمكانية لاعتبار بلاد المغرب القديم نقطة انطلاق لانتشار الخيل نحو مصر[5]، ولابدّ أن نشير إلى أن تلك الأنواع من الخيليات وجد معظمها بالجزائر[6].

للمزيد يراجع: صندوق ستي، منطقة تيارت في ما قبل التاريخ، موقع سيدي الحسني (كلوميناطة) أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، العدد 2، 2022، ص ص 70-87.

[1] شايد سعودي ياسمينة، المرجع السَّابق، ص 9.

[2] Bagtache (B.), Hadjonis (D.), Eisenmann (V.), Présence d'un Equus caballin (E. Algericus N. Sp.) et d'une autre espèce nouvelle d'Equus (E. melkiensis N. Sp.) dans l'atérien des Allobroges, C. R. Acad. S.C., T 298, série II, N°14, Paris, 1984, pp 609-612.

[3] Aouadi Nabiha -Abdeljaouad, Les chevaux fossiles nord-africains nouvelle analyse, nouvelle phylogénie, africa XX, institut national du patrimoine, Tunis, 2004, p 5.

[4] بودرقا الحسن، الثّروة الحيوانية...، المرجع السَّابق، ص 172.

[5] Hajlaoui Anis, Elevage et pastoralisme en Afrique à l'époque romaine, Thèse de Doctorat En histoire ancienne, Université de Sousse, Sousse, 2015-2016, p 41.

[6] عُثر على الحصان النوميدي (**Equus numidicus**) في السهول العليا لمنطقتي قسنطينة وسطيف، وحمار تابتي (**Equus Tabeti**) في عين الحنش إضافة إلى (**Equus Mauritanicus**) حمار الزرد الموريطاني في موقع تيغنيف (**Ternifine**)، للمزيد يراجع:

Hadjouis (D.), Le Bihan (P.), Atlas des mammifères quaternaires et actuels d'Algérie, CNRPAH, N°20, ministère de la culture, Alger, 2013, pp 135-137.

وبشكل عام تلقي هذه الاستنتاجات الضّوء على أهمّية إعادة تقييم التقارير حول البقايا العظمية ومراجعة مختلف الفرضيات المتعلّقة بتدجين الحصان لتصحيح الفهم السّابق وتحديث النّظريات حول تاريخ الحصان في بلاد المغرب القديم.

2- الحصان من خلال الرّسوم الصّخرية:

بالرّغم من ظهور مرحلة تنسب للخيل وتعرف بمرحلة الخيليات التي تعود إلى الألفية الثّانية قبل الميلاد إلاّ أنّ هناك من الباحثين الذين درسوا هذا الفنّ ومن أبرزهم هنري لوط الذي يحتمل من خلال أبحاثه التي أجراها في جنوب وهران بالتّحديد في كويرات بنت سلول (Gouiret bent Saloul) أنّ وجود الحصان يعود إلى النّقوش القديمة وأنّه جزء من حيوانات العصر الحجري الحديث في المنطقة[1].

وأثار قابريال كامبس إشكالية الحصان في الرّسوم الصخرية وناقش من خلال دراسته أبحاث هنري لوط وقام بتحليلها بشكل نقدي حول مسألة وجود الحصان البرّي في بلاد المغرب واعتقاده بأنّه معاصر للنّقوش القديمة، ودعمه لفرضية وجود نوع برّي من الأحصنة إلاّ أنّ كامبس شكّك في هذه الفرضية[2].

3- الحصان من خلال العملة:

كان الحصان أكثر الحيوانات ظهورا على القطع النّقدية حيث احتلّ مكانة هامّة عند القرطاجيين والنّوميديين، ومُثّل بأشكال مختلفة (مركوبًا ومنفردًا وراكضًا وساكنًا) خاصّة عند الملوك النّوميديين (سيفاكس ماسينيسا، فيرمينا...)، فنجد صورته على إحدى القطع النّقدية للملك سيفاكس فيظهر فارس يمتطي حصانا ملجّمًا يجري بسرعة، وأيضا نجد صورته ممثّلة على قطعة نقدية تعود للملك ماسينيسا يركض نحو اليسار بدون فارس[3].

[1] Lhote (H.), Les Gravures rupestres de l'Atlas saharien, monts des ould naïl et région de Djelfa, Alger, 1984, p 236.

[2] Camps (G.), Quelques reflexions sur la représentation des Equidés dans l'art rupestre nord-africain et Saharien, L.A.P.E.M.O., 1983, p 373.

[3] سعيدي سليم، المرجع السّابق، ص 74.

4- الحصان من خلال الفسيفساء:

تحتلّ الخيول مكانة بارزة في الفسيفساء القديمة، وتعتبر من بين الحيوانات الأكثر حضورا في مشاهدها وتظهر تنوعًا في أشكالها وهيئاتها وألوانها واستخداماتها[1]، وتدلّ كثرة تمثيلاتها على الاهتمام الذي أولاه القدامى للخيول، وأنّها كانت مصدر فخر لأصحابها من جهة، ومن جهة أخرى بيّنت كيف حافظت حظائر الخيول على نقاء النوع[2]، ونجد أنّ السّلالة الأكثر تمثيلا خاصّة على اللّوحات الفسيفسائية هي الحصان البربري (cheval barbe)[3].

ومن أبرز الخيول الممثّلة على اللّوحات الفسيفسائية نجد تلك المخصّصة لرياضة سباق العربات مثل فسيفساء عُثر عليها في مدينة سوسة بحضرموت (Hadrumetum) في منزل سوروثوس (Sorothus)، وقد لاحظنا من خلالها مشاهدا للرّعي، إذْ نجد في مقدّمة اللّوحة مرج شاسع تتجوّل فيه الخيول، وتمّ تصوير فرس تلعق حصانًا، وأخرى تستعدّ للرّضاعة، وثالثة ترعى بسلام يَتبعها مهرها، ورابعة يرافقها مهر يخدش إحدى رجليه الخلفيتين انظر الشّكل رقم (18)[4].

وفي زوايا اللّوحة نلاحظ تمثيل حصانين تمّ إعدادهما للسّباق تفصل بينهما شجرة النّخيل وهي رمز النّصر[5] ، وما يلفت الانتباه كتابة أسماء هذه الخيول بجانبها مثل دوميناتور (Dominator)، باتركيوس (Patricius)[6].

[1] Ennaïfer (M.), Le thème des chevaux vainqueurs à travers la série des mosaïques africaines, Mefra, 95, 1983, 2, pp 817-858.

[2] Precheur-Canonge Thérèse, Op. Cit., p. 66.

[3] Ennaïfer (M.), Op. Cit., pp 824- 825.

[4] Yacoub Mohamed, Op. Cit., p204.

[5] Ibid., p205.

[6] بلكامل البيضاوية، المرجع السّابق، ص 66.



الشكل رقم (18): لوحة فسيفسائية (حريسة سوروثوس) توضح خيول السباق وخيول بالمرعى، سوسة بتونس
المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur …Op. Cit., p20

5- الحصان من خلال المصادر الأدبية:

تشير المصادر الأدبية القديمة إلى أهمّية الخيول في بلاد المغرب القديم وتدعّم ما جاء في الرّسوم الصّخرية التي صَورت لنا عربة تجرّها أربعة أحصنة[1]، حيث أخبرنا "هيرودوت" بأنّ الإغريق تعلّموا من اللّيبيين ربط أربعة خيول مع بعض لعرباتهم[2]، وأنّ الجرمنتيين الذين اشتهروا بتربية الخيول استخدموا العربات التي تجرّها أربعة أحصنة مشدودة إلى بعضها البعض عند مطاردتهم للأثيوبيين[3]، كما نجد صورة الخيل في الشّعر اليوناني حيث وصفها "فرجيل" من النّاحية الجسمانية والحركية التي تميزها (رؤوسها مرتفعة ومدبّبة ورقبتها عالية وبطنها قصير وحركتها سريعة)[4].

وبالرّغم من أنّ النّصوص الأدبية لا تمدّنا بالخصائص الدّقيقة لهذا النّوع من الحيوانات إلّا أنّه يمكننا الإشارة إلى تلك العلاقة المتميّزة التي تجمع الفارس بفرسه ومن أمثلة ذلك ما جاء به "سترابون"، حيث أخبرنا أنّ المورويين والنّوميديين استخدموا خيولا مُفعمَة بالحيوية ورغم ذلك فهي سهلة الانقياد إذ يقودها بعصا بسيطة

[1] Lhote (H.), Chars rupestres du Sahara, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 107e année, N° 2, 1963, p 228.
[2] Hérodote, Histoires, IV, 189.
[3] Hérodote, Histoires, IV, 183.
[4] Virgile, Géorgiques, III, 72-80.

فقط، وما أثار انتباه "سترابون" أيضا أنّ الخيل يتّبعون قادتهم مثل الكلاب[1]، وهذا ما يعكس فهم الفارس العميق لسلوكيات الخيل وقدرته على التّفاعل والتّواصل الجيّد معها والتّحكم بها.

وكان لتربية الخيول مكانة متميّزة في اهتمامات القرطاجيين والنّوميديين ومعلومات "ماغون" المتعلّقة بذلك يمكن إدراجها في إطار الطّب البيطري فهي تخصّ العناية بالفرس منذ عملية التّعشير (التّلقيح) إلى تنشئة المهر وترويضه للاستعمال، ويظهر أنّ الحصان البربري (barbe) هوالنّوع الذي تنتمي إليه الخيول النّوميدية والقرطاجية حسب الأوصاف التي تمّ العثور عليها في كتابات المؤرّخين[2].

وقد اعتنى الملوك بخيولهم وتربيتها وتقديم الرّعاية لها بشكل خاصّ، وتُظهر التّعدادات الرّسمية ولادة مائة ألف مهر كل عام، بالإضافة إلى ذلك تحدّث "سترابون" عن الخيول في المدن النّوميدية مثل سيرتا(Cirta) المدينة القوية التي اتّخذها ماسينيسا عاصمة له حيث وضعها في حالة تسمح لها بجمع عشرة آلاف فارس إذا لَزِمَ الأمر[3] وأشار "تيت ليف" إلى إقدام الملك ماسينيسا على تزويد حلفائه الرّومان خلال الفترة الممتدّة ما بين عام 200ق.م و170ق.م بما يقدر ب 3900 فرس[4]، ممّا يدلّ على اشتهار نوميديا بتربية الخيول.

وتميّز الحصان النّوميدي بقصر القامة ومظهره الجيّد[5] ورشاقة المشية مع نحافة القوائم، وتتنوّع هذه الخيول منها الأبيض والأسود والأسمر الغامق والرّمادي، وكانت تسرج وبها لجام يتكون من عصابة في الأعلى وبه شكيمة، وهذا على عكس القرون السّابقة للميلاد إذْ كان النّوميديين نادرا جدًّا ما يسرجون خيولهم، حيث بقي المغاربة القدامى محافظين على طريقة ركوبهم لخيولهم لقرون طويلة[6].

وقد أعطى "فارون" بدوره معلومات مهمّة عن تربية الخيول بصفة عامّة، ويمكن إسقاطها على تربية الخيول في بلاد المغرب القديم ومنها: إنشاء حظائر مناسبة والاهتمام بالتّغذية الجيّدة وتوفير الرّعاية الصّحية

[1] Strabon, Géographie, XVII, 3, 7.

[2] شنيتي محمد البشير، دراسات في التاريخ والآثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، كنوز الحكمة، الجزائر، 2018، ص54.

[3] Strabon, Géographie, XVII, 3.

[4] صندوق ستي، الخيل وسباق العربات في شمال افريقيا القديم، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 2، جامعة وهران 1، 2022، ص 92.

[5] Precheur-Canonge Thérèse, Op. Cit., p 63.

[6] سعيدي سليم، المرجع السّابق، ص ص 75- 76.

اللّازمة وتقديم التّدريب المناسب فهو يختلف حسب طبيعة استخدام الحصان، إذّ يتمّ تدريب الخيول المعدّة للحرب بطريقة مختلفة عن تدريبات الخيول المعدّة للألعاب والجرّ[1].

واستنادًا إلى المصادر الأثرية والنّصوص الأدبية وكذلك الدّراسات العلمية يظهر وجود الحصان في منطقة بلاد المغرب منذ العصر الحجري الحديث وحتّى العصور الرّومانية، وأنّها كانت جزءًا من النّظام البيئي خاصّة وأنّ المنطقة تتمتّع بموارد طبيعية ملاءمة.

VI – الجمل:

في الواقع لعب الجمل دورًا مهمّا في التّاريخ الإنساني حيث يعيش في المناطق الصّحراوية بشكل رئيسي ويوصف على أنّه وسيلة فعّالة في التّنقل والتّجارة وكذلك الحروب، ويتميّز بقدرته على تحمّل الظّروف البيئية القاسية مثل ارتفاع درجات الحرارة ونقص المياه.

ويعتبر الجمل من الحيوانات الثّدية ويغطّي جسمه جلد سميك مكسو بالوبر، وسنام الجمل عبارة عن مخزن كبير للدّهون يتكون فوق ظهره على شكل هرمي ويفيده عند تعرضه للجوع والعطش الشّديد، وهناك نوعين من الجمال، ولكل نوع مجاله الجغرافي، حيث يتمثّل النّوع الأول في وحيد السنام (Camelus dromedarius) ويسمّى الجمل العربي ويوجد في الشّرق الأدنى القديم وبلاد المغرب القديم وبعض المناطق الأخرى من العالم، أمّا النّوع الثّاني (Camelus bactreanus) فيتمثّل في الجمل ذي السّنامين وينتشر في أواسط آسيا وجنوبها وشبه القارّة الهندية[2].

1– الجمل من خلال المواقع الأثرية:

يُحتمل أن الجمل كان حاضرًا بين الحيوانات في بلاد المغرب القديم منذ فترة موغلة في القِدم[3] حيث كشفت الحفريات بالجزائر عن وجود بقايا عظمية لجمل توماسي (Camelus Thomasii) الذي عاش خلال العصر الحجري القديم، عُثر على بقاياه بتغنّيف الواقعة شرق معسكر وفي عين التّرك بوهران، وآبار شعاشعة جنوب تبسّة الذي يُحتمل أنّه يعود إلى الحضارة العاترية إضافة إلى جمل دروماريوس (Camelus Dromedarius)

[1] Varron, De l'agriculture, II, 7.

[2] بن بوزيد لخضر، الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الإفريقي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، ع6، 2013، ص 80.

[3] Demougeot Émilienne, Le chameau et l'Afrique du Nord romaine. In Annales. Economies, sociétés, civilisations. 15e année, N° 2, 1960, Pp 209-210.

الذي اكتشفت عظامه في عدّة مناطق من الجزائر مثل الصّخرة الكبرى بالجزائر العاصمة، سعيدة، وسطيف أين عُثر على ضرس مكسور له تعود إلى الألف السّادسة قبل الميلاد[1].

كما أنّ هناك إمكانية لانقراض الجمل في فترة زمنية معيّنة وظهوره من جديد خلال العصر النّيوليتي في الشّرق الأدنى القديم، ومن مصر قَدم إلى بلاد المغرب القديم، وانتشر بشكل واسع خلال الألف الأولى قبل الميلاد[2] وهناك من يدعّم فكرة دخول الجمال مع الغزو الفارسي لمصر حوالي 525 ق.م حيث جلبوا معهم أعدادًا كبيرة واستخدامها كوسيلة نقل مهمّة، ولا يزال تاريخ ظهور الجمل في مصر قيد الدّراسة[3].

وفي المقابل نجد الفرضية التّقليدية التي كانت سائدة لفترة طويلة حيث اعتقد الباحثون أن الجمل كان غائبًا عن هذه المنطقة قبل الفترة الرّومانية وأن الجيش الرّوماني جلب الجمل من سوريا لاستخدامه في العمليات العسكرية وفي تنقل الجنود في المناطق الصّحراوية بسبب قدرة هذا الحيوان على تحمّل الظّروف القاسية في الصّحراء ذات المناخ الجافّ[4]، إلاّ أنّ هذه الفرضيات القديمة حول تاريخ إدخال الجمل لم تعد مقبولة بشكل كامل ويُشدّد على أهمية مراجعة كلّ الوثائق التّاريخية ونقدها.

2- الجمل من خلال الرّسوم الصّخرية:

ظهر الجمل في مشاهد الفنّ الصّخري وتمّ رسمه بأسلوب رديء[5]، وإذا ما تمّ الأخذ بفرضية الظّهور ثمّ الاختفاء ثم الظّهور لاحقا، فإنّ ذلك يتطلّب دراسات أثرية وعلمية دقيقة لتحديد أسباب الاختفاء وعوامل عودة الجمل إلى المنطقة، وقد وُجِد ممثّلا منفردا أو في قافلة مصحوبًا بالحصان في غالب الأحيان[6]، انظر الشّكل رقم (19).

[1] صندوق ستي، المرجع السّابق، ص ص 63-64.

[2] بن بوزيد لخضر، المرجع السّابق، ص 92 .

[3] Halim (S.), et al., The Camel in Coptic Art an Artistic and Archaeological Study, International Journal of Heritage, Tourism, and Hospitality, 14, 2020, p 284.

[4] Camps (G.), Peyron (M.), Chaker (S.), Dromadaire, Encyclopédie berbère, 17 | 1996, pp 2541-2554.

[5] Demougeot Émilienne. Op. Cit.. p 210 .

[6] ساحد عزيز طارق، المرجع السّابق، ص 177.

ويرى ستيفان قزال أنّ الجمل تأخّر ظهور صورته في الفنّ الصّخري[1] حيث ظهر في المرحلة الرّابعة المعروفة بمرحلة الجمّالة تعود إلى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، ثمّ يظهر لاحقا كما تذكره النّصوص عند الملك يوبا الأول وبعده على الفسيفساء في القرون اللاّحقة.



الشكل (19): رسم صخري يمثّل مشهد للجِمال في موقع إن إتينن بالتاسيلي ناجر

المصدر: Aumassip (G.), L'Algérie des premiers hommes, Ibis, Paris, 2001, p 154

[1] قزال ستيفان، ج1، المرجع السّابق، ص 74.

3- الجمل من خلال الفسيفساء:

تظهر صورة الجمل على اللّوحات الفسيفسائية خلال الفترة الرّومانية مثل فسيفساء الجمّ بتونس التي تصوّر لنا مشهدًا غنيًّا بالشّخصيات والحيوانات البرّية والأليفة، وقد تمّ تمثيل الجمل الافريقي ذي السّنام وعلى ظهره شخص جالس وهو في حالة سكر[1]، انظر الشّكل رقم (20).



الشكل (20): مشهد لجمل ذي السنام ضمن لوحة فسيفسائية بالجم

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur…, Op. Cit., p 42

4- الجمل من خلال النّصوص الأدبية:

تمثّل سنة 46 ق.م أقدم إشارة تاريخية للجمل في تاريخ بلاد المغرب القديم، وجاء ذلك في نصّ ضمن مؤلّف حرب افريقية حيث ورد ذكر الإستيلاء على 22 جملا تعود ملكيتهم للملك يوبا[2]، واستنادًا إلى هذا النصّ فَنَّدَ مجموعة من الباحثين وجود الجمل في فترة ما قبل التّاريخ مبرّرين ذلك بتّأخر ظهوره في الفنّ الصّخري، وغياب الإشارات إلى هذا الحيوان في المصادر الأدبية إضافة إلى غياب البيانات الأثرية العظمية.

[1] Yacoub Mohamed, Op. Cit., p43 .

[2] قيصر يوليوس، حرب افريقية 47-46 ق.م، ترجمة محمد الهادي حارش، دار هومة، الجزائر، 2014، الفقرة 68، ص 73.

ورغم هذه التّفسيرات المختلفة المرتبطة بوجود الجمل خاصّة التّسمية التي نفى وجودها ستيفان قزال توجد دراسة حول الموضوع، حيث نجد في اللّهجة المحلية اسم آلغم (alr'em)، وجمعه إيلغمان (iler'man) دلالة على الجمل، وتتمّ تعديلات على هذا الإسم بحسب اللّهجة الخاصّة بكلّ منطقة[1] من حيث النّطق والجمع والتّشكيل[2].

ولعلّ سكوت المصادر الأدبية عن ذكر الجمل قبل 46 ق.م يمكن أن يكون مؤشّرا على عدم انتشاره أو استخدامه الواسع في الحياة اليومية في المنطقة خلال تلك الفترة، وقد يعود هذا الأمر إلى تفضيل استخدام حيوانات أخرى ممّا يؤدّي إلى تجاهل الجمل في النّصوص، ويوجد عامل آخر يمكن أن يساهم في صمت المصادر بشأنه هو عدم معرفة المؤرّخين القدامى لتفاصيل المنطقة الصّحراوية، وللإشارة أنه حتىّ النّصوص المتاحة لا تقدم صورة واضحة عنه.

ورغم كلّ ذلك فإنّ ذكر الجِمال في حرب افريقية ووجود عدد معتبر منها لدى الملك يوبا، فهذا يعني أنّه كان موجودًا في المنطقة قبل ذلك الزمن، وعليه نؤكّد أنّ عدم وجود إشارات أو توثيق أثري أو أدبي لشيء لا يعني بالضّرورة عدم وجوده.

VII –الخنزير: (Le Sanglier)

ممّا لا شكّ فيه أن وجود الخنزير مرتبط بشكل أساسي بالمناطق الغنيّة بالموارد المائية والغابات الكثيفة، التي توفّر له الغذاء والمأوى المناسبين، إلاّ أنّ تدجين هذا الحيوان في بلاد المغرب القديم يطرح عدّة إشكاليات تتعلّق بقلّة وتفسير الأدلّة الأثرية والأدبية.

1– الخنزير من خلال المواقع الأثرية:

إنّ تنوع أشكال الخنازير في العالم دليل على وجود مراكز متعدّدة لتدجينها، وقد كانت عملية تدجين الخنزير متأخّرة نسبيا مقارنة بتدجين الأغنام والماعز والأبقار، وبالنّسبة لأصل الخنزير في بلاد المغرب القديم يرى بعض الباحثين أنّ الفرضية الأكثر احتمالا أنّه ذو أصل خارجي وله صلة بخنازير غرب أوروبا، وأنّه لم يتم العثور على دلائل بوجود الخنزير المدجّن في الجزائر وتونس باستثناء شمال المغرب الأقصى[3] حيث تمّ العثور على بقايا

[1] Basset (R.), Le nom du chameau chez les berbères, in Actes du XIVe Congrès International des Orientalistes, Alger, 1905, 2é partie , Paris, 1907, pp 69-82.

[2] Chaker (S.), Linguistique et préhistoire, Autour de quelques noms d'animaux domestiques en berbère, Manuel de linguistique berbère - II Syntaxe et diachronie, ENAG, Alger 1996 pp.271-273.

[3] Ouchaou (B.), Porc (au Maroc depuis le Néolithique), Encyclopédie berbère, 38, 2015, pp 6354- 6355.

الخنزير البرّي (Sus scrofa) في عدّة مواقع مغربية تمّت دراستها، وفي الوقت الحالي يعتبر الخنزير البرّي منتشرا بشكل واسع في مناطق جبال الرّيف والأطلس لكنّه أقلّ وفرة في المناطق الجنوبية[1].

ومن بين أوّل الإشارات إلى وجود الخنزير في العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب القديم يعود إلى العالم أرامبورغ (Arambourg) وذلك من خلال دراسته لحيوانات كهوف هرقل (المغرب الأقصى)، وقد لوحظ أنّ الخنزير المدجّن كان موجودا جنبا إلى جنب مع الأغنام في الطبقات النّيوليتية، وفي موقع آخر وتحديدا في موقع كاف تحت الغار (Kaf-taht-el-Ghar) بطنجة (المغرب الأقصى) أظهرت دراسة الحيوانات أنّ بقايا الخنازير كانت موجودة في الطّبقات النّيوليتية حيث كانت الأغنام المستأنسة سائدة[2].

ويرى كامبس من جهته أنّ عملية التّدجين احتمالا قد تمّت من خنزير محلّي حيث كشفت مواقع العصر الحجري الحديث المتوسّطي ذي التّقاليد القفصية وجود هذا الحيوان في حالته المدجّنة[3].

2- الخنزير من خلال الرسوم الصخرية:

على الرغم من ندرة تمثيل الخنزير في الفنّ الصخري إلاّ أن العديد من الباحثين يؤكّدون أنّ هذا الحيوان كان موجودًا بكثرة في جميع أنحاء بلاد المغرب[4]، وتظهر بعض الرّسومات تنوع الخنازير المتواجدة في مناطق مختلفة من بينها التّاسيلي وفزّان بما في ذلك الخنازير البرّية والمستأنسة، وتوضّح الاختلافات بينها في الشّكل والملامح[5].

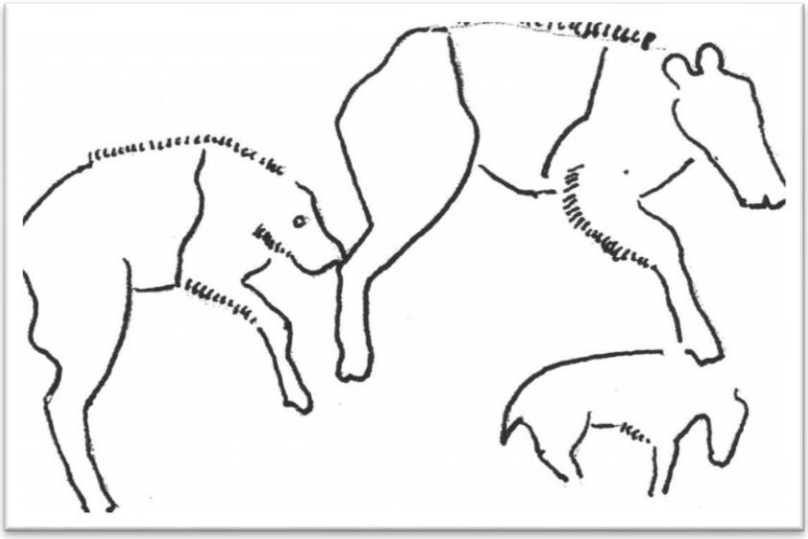
[1] Ouchaou (B.), Bougariane (B.), Les extinctions totales et régionales des grands mammifères durant le Quaternaire terminal au Maroc, Travaux de l'Institut Scientifique, Série Générale, N° 8, 2015, p 11.

[2] Ouchaou (B.), Porc au Maroc, …, Op. Cit., p 6355.

[3] Camps (G.), Op. Cit., p 371.

[4] Ouchaou (B.), Op. Cit., p 6355.

[5] Esperandieu (G.), Domestication et élevage…, Op. Cit., pp 571-572.



الشكل رقم (21): نقش صخري لخنازير عثر عليه في زنينا بالجزائر

المصدر: E.B, (J-N.) Ferrié, Cochon, Encyclopédie berbère, 13, 1994, p 2029

3- الخنزير من خلال العملة:

رغم ما جاء به المؤرّخون أمثال أرسطو وبلين بخصوص الخنزير البرّي إلاّ أنّه تمّ التّشكيك في شهاداتهم وذلك استنادًا إلى أدلّة متعدّدة حيث تمّ العثور على تمثيلات هذا الحيوان بعملة قديمة تعود لقورينا، وأيضا على ميدالية تحمل نقوش بونية[1] من مدينة ماكومادا (Macomada)[2]، انظر الشّكل رقم (22) كما احتوت تعريفة زراي[3] التي ظهرت في ظلّ التّشريعات والسّياسات الضّريبية خلال الفترة الرّومانية التي حدّدت الرّسوم على السّلع الحيوانات المستأنسة وكان من بينها الخنزير[4].

[1] Tissot (Ch.), Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, Paris, 1884, p 348.

[2] Müller (L.), Numismatique de l'ancienne Afrique, Les Monnaies de la numidie et de la Mamétaine, vol III, 1862, p 67.

[3] C.I.L, VIII, 4508, = 18643.

[4] Trousset (P.), Op. Cit., p 364.



الشكل رقم (22): ميدالية تحمل نقوش بونيقية تظهر خنزير على إحدى وجهيها عثر عليها في مدينة ماكومادا

المصدر: Tissot (Ch.), Géographie…, Op. Cit., p 348.

ومن خلال ما تقدّم فإنّ هذه الأدلّة الأثرية تدعّم فكرة وجود الخنزير البرّي في المنطقة منذ العصر الجري الحديث وأكّدت على تربية الخنازير قبل وخلال الفترة الرّومانية.

4- الخنزير من خلال المصادر الأدبية:

رغم الأدلّة المتوفّرة لدينا حول تدجين الخنزير في بلاد المغرب إلاّ أنّ بعض الباحثين يُشكّكون في ذلك ومنهم نجد ستيفان قزال الذي يرى أنّ هذا الحيوان لم يكن موجودا في المنطقة مستندًا في رأيه إلى أنّ السكّان اللّيبيين شأنهم شأن المصريين حيث كانوا لا يأكلونه[1]، وعندما نعود إلى المصادر الأدبية القديمة نلاحظ أنّ بعض المؤرّخين القدامى تبنّوا الاتّجاه نفسه فنفوا وجود الخنزير البرّي في ليبيا، ومن أبرزهم "هيرودوت" الذي ذكر في كتاباته وجود العديد من الحيوانات التي كانت تعيش في ليبيا غير أنّه نفى وجود الخنزير البرّي في المنطقة[2]، لكنّنا نجد "فيرجيل" يؤكّد عكس ذلك[3].

[1] قزال ستيفان، ج1، المرجع السّابق، 189.

[2] Hérodote, Histoires, IV, 192.

[3] Virgile, Eneide, IV, 155.

VIII- حيوانات أخرى:

من المعلوم أنّ هناك أنواعا أخرى استفاد منها الإنسان المغاربي القديم إلى جانب تربية الماشية كالأرانب والطّيور بمختلف أنواعها (الدّجاج، الحمام، الإوز، البط) إضافة إلى تربية النّحل، حيث وفّرت أنواعا مختلفة من الأغذية، ورغم ذلك فإنّ النّقص في الأدلّة الأثرية التي تعود إلى فترة ما قبل التّاريخ يصعّب إلى حدّ ما عملية التّوثيق لهذه التّربية، فعلى سبيل المثال نجد غياب نتائج تحاليل عظام الطّيور يجعل من الصّعب تتبُّع تاريخ تدجين الدّواجن باستثناء النّعام الذي تمّ توثيق وجوده بشكل كبير في الرّسومات الصّخرية، ولم تقدّم هذه الرّسوم أيّ معلومات عن تربية الدّواجن، ومن المحتمل أن يكون تدجينها متأخّرا مقارنة بالأنواع الأخرى من الحيوانات[1].

وفيما يخصّ الفترة التّاريخية نجد بعض النّصوص الأدبية توفر إشارات تفيد بوجود الدّواجن في بلاد المغرب القديم[2]، كما تمّ تمثيلها بشكل جيّد على اللّوحات الفسيفسائية مثل فسيفساء السيّد يوليوس، إضافة إلى بعض النّقوش التي ذكرت الدّجاج والدّيك كحيوانات مخصّصة للتّضحية وتقديمها للآلهة[3]، أمّا بالنّسبة للإوز والبط والحمام فلا تتوفّر مصادر أدبية مباشرة تؤكد وجودها، ومع ذلك لا يوجد نص يشهد على عدم وجودها أيضا[4].

أمّا بالنّسبة لتربية النّحل فيعتبر من الأنشطة المهمّة في بلاد المغرب القديم لكنّنا نجهل متى انتشرت تربيته، وقد كانت عدّة قبائل مستقرّة على السّاحل تمارس تربية النّحل لانتاج العسل من بينها تلك القبائل التي تعيش على السّاحل الشّرقي لتونس[5] حيث أشار إليها "هيرودوت" وأخبرنا بأن النّحل كان يوفّر لها كمّيات هائلة من العسل[6].

---

[1] Hajlaoui Anis, Op. Cit., 97

[2] Juvenal, Satires, traduit par Henri Clouard, Paris, Classiques Garnier, 1934, XI, 100-149. http://ugo.bratelli.free.fr/Juvenal/Sat11.htm,

[3] Hajlaoui Anis, Op. Cit., p 99.

[4] من المعروف أنّ هذه الأنواع لا تكتفي بالرّعي الذي تجده على اليابسة، بل تبحث عنه أيضًا في الماء في بلاد المغرب القديم وبيئتها الطّبيعية تلبي هذه الشّروط، ومناسبة لتربيتها، توجد أراضي مستنقعية ومجاري مائية وبذلك لا يوجد ما يمنع تربية البط والإوز في بلاد المغرب القديم، وكذلك الأمر بالنّسبة للطّاووس والحجل التي تجد ظروفها الطّبيعية ملائمة لتربيتها، للمزيد يراجع: Hajlaoui Anis, Op. Cit., PP 100-103

[5] قزال ستيفان، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة التازي محمد سعود، ج5، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص 176.

[6] Hérodote, Histoires, IV, 194.

كما نجد نوعا آخر لا يقلّ أهمية عن سابقيه ويتمثّل في الأرنب الذي ظهر في العديد من اللّوحات الفسيفسائية ممّا فتح المجال للتّفكير في احتمالية تدجينه إلاّ أنّ المعطيات الأثرية حول ذلك محدودة ويُعتقد أنّ (Lepus capensis) هو سلفه البرّي الذي عاش في بلاد المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية، وكان الفينيقيون يعرفونه في السّواحل الافريقية، كما حظيَ لحمه وفروه بتقدير كبير لدى الرّومان، فضلا عن ذلك أنّنا لا نملك لحد الآن نصوصا أدبية تتحدّث عن تربية الأرانب في بلاد المغرب القديم ولم يتم اكتشاف آثار تدلّ على وجود نشاط منتظم لتربيتها ممّا أثار التّساؤلات حول ما إذا كانت تُربَّى فعلا أم لا[1].

وبذلك اتّضح لنا أنّ تدجين الحيوانات وتربيتها من بين الأنشطة المهمّة في بلاد المغرب القديم ومع ذلك فإنّ المصادر بنوعيها تناولت هذا الموضوع بشكل غامض وغير دقيق، ورغم هذا النّقص واستنادًا إلى ما تَوفَّرَ لدينا من معطيات أثرية وأدبية يمكننا أن نخلص إلى أنّ فهم نظرية تعدّد مراكز التّدجين يعكس فهما متقدّمًا لتاريخ تدجين الحيوانات حيث اقترح هذا النهج أنّ التّدجين لم يكن ظاهرة محدودة لمنطقة جغرافية محدّدة أو مركز واحد بل كانت ظاهرة تطوّرت متزامنة أو متأخّرة في مناطق متعدّدة حول العالم.

وبناءًا على هذا النّهج يمكن أن يكون التّدجين قد حدث محلّيًا في منطقة معيّنة دون الاعتماد على تدجين مستورد من الخارج، ومع ذلك فإنّ وجود التأثيرات المتبادلة بين المناطق قد تؤدّي إلى انتقال ممارسات التّدجين ممّا جعلها متزامنة في بعض الحالات ومتأخّرة في حالات أخرى، واستنادًا إلى الأدلّة خاصّة الأثرية منها يمكننا القول أنّ بلاد المغرب القديم يعدّ مركز تدجين مستقلّ في فترات مبكّرة، ما أحدث تغييرات كبيرة في النّمط الاقتصادي والاجتماعي وهو ما تجسّد في مناطق مختلفة من بلاد المغرب من الشّمال إلى الجنوب حيث ظهر النّشاط الرّعوي وتطوّر وأصبح نظاما قائما بذاته.

[1] Hajlaoui Anis, Op. Cit., p106.

ثانيا– تكوين القطيع ومستويات رعيه:

I– طبيعة تكوين القطعان في بلاد المغرب القديم :

يُستخدم مصطلح بيكوس **(pecus)** في اللّغة اللاّتينية للدّلالة على القطيع وكان يشمل ذلك بشكل خاصّ الحيوانات المستأنسة، ومن جهة أخرى يُستخدم مصطلح بيكونيا **(pecunia)** للإشارة إلى الثّروة أو ملكية الماشية[1]، وهذا ما يدلّ على أنّ مفهوم الثّروة كان مرتبطًا تاريخيًا بامتلاك قطعان الماشية في المجتمعات القديمة.

وفيما يتعلّق ببلاد المغرب القديم من الصّعب تحديد بدقّة البدايات الأولى لتكوين وتَشكُّل القطعان في العصر الحجري الحديث، ومن الصّعب أيضا تحديد متَى بدأت بالضّبط العملية الرّعوية وليست لدينا معلومات كافية نظرا لندرة المصادر، ومع ذلك يبدو أنّ تشكّل القطعان اعتمد على تكيّف السّكان المحلّيين مع البيئة والموارد المتاحة، حيث تطوّرت هذه القطعان بمرور الزّمن لتصبح جزءًا أساسيًا من ثقافة واقتصاد سكان بلاد المغرب القديم.

شكّلت تربية الأغنام والماعز النّشاط الأكثر شيوعا في المناطق الجبلية والصّحراوية نظرا لقدرتها على التّكيف مع الظروف البيئية القاسية، وفي المقابل انتشرت تربية الأبقار في المناطق ذات المساحات الواسعة من الأراضي الخصبة، كما تنوّعت تربية الحيوانات في بعض المناطق لتشمل الخيول والجمال التي استخدمت لأغراض النّقل والتّجارة والحروب، وقد مثّل امتلاك الماشية من طرف الرّعاة شكلاً من أشكال رأس المال المتجدّد الذي وفّر مصدرا دائما للعيش والبقاء، ومع مرور الوقت اكتسب الرعاة وعيًا متزايدًا بدورهم المهمّ في المجتمعات التي عاشوا فيها وأصبحوا جزءًا حيويًا من شبكة العلاقات والتّبادل في تلك المناطق[2].

من المعلوم أنّ هناك تنوعًا في حجم القطعان في جميع أنحاء بلاد المغرب حيث وجدت قطعان صغيرة وأخرى كبيرة سواء في الشّمال أو الجنوب ومن الثّابت أنّه لا يمكن ترك القطيع دون إشراف أو تنظيم، إلّا أّن طبيعة هذا الإشراف ما تزال غير مؤكّدة، إذ لم يتّضح بعد ما إذا كان الأمر يقتصر على راعٍ واحد على القطيع أمْ كان هناك تنظيم أكثر تعقيدا يشمل مجموعة من الرعّاة؟ وقد طرحت الباحثة أوماسيب في هذا الاتجاه تساؤلات عديدة حول طبيعة إدارة القطعان الممثّلة على الرسّوم الصّخرية[3] وبقيت الإشكالية مطروحة.

[1] Columelle, De l'agriculture , VI, 1.

[2] Colette (R.), Ouchaou (B.), Pastoralisme néolithique initial au Maghreb, Encyclopédie berbère, 2015, p 6162.

[3] Aumassip (G.), L'elevage au sahara …, Op. Cit., p 138.

1- حجم القطيع من خلال البقايا الحيوانية:

تُعدّ البقايا الحيوانية التّي تمّ العثور عليها في المواقع الأثرية أدلّة ملموسة على أنواع الحيوانات التي كانت تُربَّى وأحجام القطعان ومن المؤكد أنّ حجم القطيع مرتبط بمتطلبات المجموعة والمصادر المتوفّرة، إلى جانب عوامل أخرى منها حجم الأسرة حيث تمتلك الأسر الكبيرة قطعانًا أكبر نظرا لاحتياجاتها الاقتصادية، إضافة إلى توافر الموارد الطّبيعية، حيث لعبت المراعي والمياه دورًا حاسمًا في تحديد حجم القطعان كما لا ننسى الظّروف البيئية ونخصّ بالذّكر الجفاف الذي أثّر على الماشية[1].

وقد تمّ العثور على بقايا عظام الماشية من أبقار وأغنام وماعز بكثرة في عدد من المواقع الأثرية ومن أهمّها تلك التي تساعدنا في فهم أنماط الحياة والاقتصاد خلال العصر الحجري الحديث مثل موقع كابيليتي حيث أجرت الباحثة روبي (Roubet) دراسة مستفيضة حول هذا الموقع وخلُصت إلى عدّة نتائج من أهمّها وفرة عظام الأغنام والماعز واستمرار هيمنتها العددية، إضافة إلى وجود قطعان صغيرة الحجم، كما تمّ توثيق وجود تربية الأبقار لكن بشكل أقل مقارنة بالأغنام والماعز[2] وقد شهد ذلك على وجود مجموعات تتكون من 7 إلى 15 كانت تمتلك ما بين 15 إلى 40 رأس من الماشية[3] وهذا يشير إلى أنّ هذه المجتمعات كانت تعتمد بشكل أساسي على رعي الماشية كوسيلة للعيش والاستمرارية.

وعلى ما يبدو أنّ تكوين وتشكيل قطيع صغير وإدارته بواسطة الرّعاة لا يؤدّي إلى استنزاف الموارد الطّبيعية في المناطق التي كانت تستخدم للرّعي أو للإقامة المؤقّتة، وتشير المعطيات أنّ هؤلاء الرّعاة كانوا يمتلكون قدرة على مراقبة وضبط استهلاك الموارد بشكل منتظم ممّا يثبت استمرارية المجتمع الرّعوي وثبات تنظيمه الاجتماعي على مدى فترة زمنية طويلة[4].

إضافة إلى ذلك كشفت الحفريات التي أجريت على موقع ألثيبوروس (Althiburos) بتونس عن وجود استيطان بشري منذ القرن العاشر قبل الميلاد وحتّى نهاية العصور القديمة، ويقدّم هذا العمل نتائج تحليل البقايا

[1] Stefano Biagetti , Ethnoarchaeology of the Kel Tadrart Tuareg , Pastoralism and Resilience in Central Sahara, Springer, Spain, 2014, p 34.

[2] Colette (R.), Économie pastorale …, Op. Cit., p 486.

[3] Colette (R.), Khanguet Si Mohamed Tahar (Aurès) site néolithique. Aux origins du pastoralismeberbère, Encyclopédie berbère, 27, 2005, p 4215.

[4] Colette (R.), Transhumance ovin dans l'Aures depuis le Ve Millénaire B.C., Eastrato da Studi palétnologia, in honore di Selvatore M.Puglisi, p 423.

الحيوانية التي تمّ جمعها في الموقع والتي تسمح بإعادة بناء ممارسات تربية الحيوانات، وقد تمّ مقارنتها بمجموعات حيوانية أخرى معاصرة من مواقع أخرى في المغرب والجزائر وتونس، فأظهرت الدّراسة تباينًا واضحًا بين المناطق إذْ سُجّلت نسب كبيرة من بقايا الأبقار في بعض المواقع، في حين هيمنت بقايا الأغنام والماعز في شرق الجزائر وتونس خاصّة خلال الألفية الأولى قبل الميلاد وبداية الألفية الأولى بعد الميلاد[1].

وعليه يظهر لنا تباينًا في نسب تركيب القطعان في بلاد المغرب، وقد لاحظنا بشكل خاصّ انتشار قطعان الأغنام والماعز في الجهة الشّرقية من البلاد، ويمكن أن يعود هذا التّوزيع إلى الظّروف المناخية التي تميّز هذه الجهة والتي تجعل تربية الأغنام والماعز أكثر ملائمة لتلك البيئة مقارنة بغيرها من الماشية.

2- حجم القطيع من خلال الرّسوم الصّخرية:

تمثّل الرّسوم الصّخرية كتب حيوان حقيقية حيث رسم الإنسان المغاربي القديم الحيوانات المدجّنة كالغنم والماعز والثّيران والأبقار والكلاب ثمّ الحصان والجمل فيما بعد، فنجد على سبيل المثال شخصا يرعى قطيعه من الثّيران باطمئنان مجسّدا في لوح جبّارين الكبير[2]، وقد ترك لنا رعاة الفترة البقرية المؤرّخة بالألف السّادسة قبل الميلاد الذين كانوا صيّادين أيضا دلالات عن وجود عدد كبير من الحيوانات التي كانت تعيش في الصّحراء ويشير ذلك إلى رطوبة المناخ وخصوبة في المراعي آنذاك[3].

وقد أظهر الفنّ الصّخري تطورا في الموضوعات المعبّر عنها إذْ انتقل من مشاهد رسم الصّيد إلى رسم الإنسان والحيوانات بشكل أكثر تقاربا، ثمّ رسم القطعان من خلال تصوير المشاهد اليومية مثل الرّعي والاحتفالات والاستخدامات المختلفة للحيوانات وعودة القطعان من المراعي، ولدينا العديد من المشاهد الرّعوية

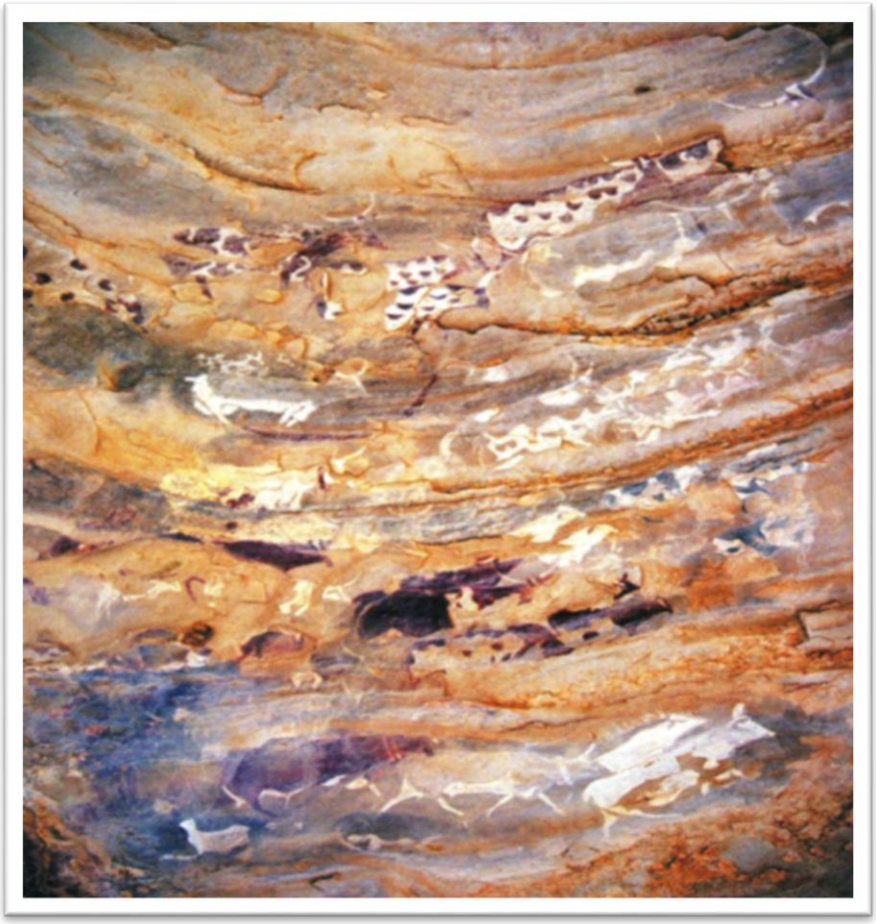
[1] Silvia Valenzuela Lamas, et al., Élevage et alimentation carnée à Althiburos (région du Kef, Tunisie), dans le cadre du Maghreb du premier millénaire av. J.-C. à la période vandale, L'Homme et l'Animal au Maghreb, de la Préhistoire au Moyen Âge- de laPréhistoire au Moyen Âge Explorations d'une relation complexe, Actes du XIe Colloque international, Histoire et Archéologie de l'Afrique du Nord, 8-11 octobre 2014, Aix-Marseille Université, 2021, p 117.

[2] إبراهيمي.ك، تمهيدحول ماقبل التاريخ في الجزائر، ترجمة شنيتي محمد البشير وبوروبية، ر، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص ص 125-126.

[3] لوت هنري، لوحات التّاسيلي " قصّة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ "، ترجمة أنيس زكي حسن، ط1، مكتبة الفرجاني، ليبيا، 1967، ص 205.

التي تزخر بها بلاد المغرب القديم بما في ذلك الصّحراء حيث نجد في منطقة التاسيلي مشاهد تصور لنا قطيعا من الأبقار[1]، انظر الشّكل رقم (23)، وكذلك مشهد لقطيع من الماعز والأغنام بمنطقة تادرارت[2].

وقد رسم فنّانو الفترة الرّعوية أشكالا مختلفة لقطعان الأبقار على الصّخور وبألوان متعدّدة إلى جانب تفاصيل أخرى من الحياة اليومية بما في ذلك طريقة بناء الأكواخ ذات الشّكل المخروطي، بالإضافة إلى تصوير النّساء وهنّ يمتطين ظهور الثّيران، وأشارت هذه الرّسوم كذلك إلى امتلاك الأغنام والماعز[3]، وإن كانت تأتي قطعانها في المرتبة الثّانية بعد الأبقار على عكس المناطق الشّمالية.



الشكل رقم (23): رسم صخري لمشهد خلال الفترة البوفيدية يصور قطيع من الأبقار والثيران

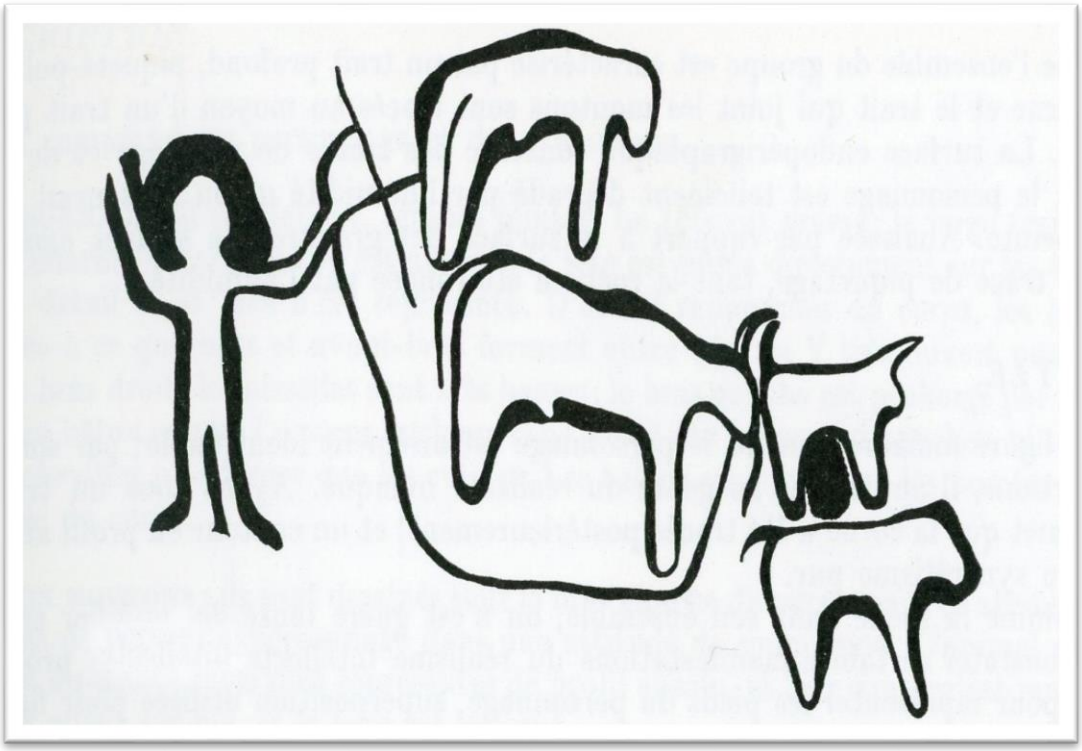
المصدر: Aumassip (G.), L'Algérie … , Op. Cit., p 154.

[1] Aumassip (G.), Op. Cit., p 171.

[2] Allard-Huard Léone, Peintures rupestres du Tadrart méridional. In: Bulletin de la Société préhistorique française, Tome 84, N°9, 1987 , p 285. 282-288

[3] لوت هنري، المرجع السَّابق، ص ص 61- 62.

ووجدت وحدات رعوية على الأطلس الصّحراوي مثل جبال القصور وجبال أولاد نايل وأولاد جلال حيث تصوّر هذه الرّسوم الرّعاة وحيواناتهم المستأنسة، وقد أظهرت نتائج دراستها تنوّعًا في هذه الوحدات الرّعوية مرافقة أو غير مرافقة للرّعاة، وذات تركيب متجانس (غنم أو بقر) أو مختلطة تتألّف من الأغنام والماعز والكلاب والبقر[1]، وكذلك الأمر بالنّسبة لمواقع أخرى لا تقلّ أهمّية عن سابقاتها مثل موقع خنقة الحجر (Khanguet el-Hadjar)، انظر الشّكل رقم (24).



الشّكل رقم (24) : رسوم صخرية في خنقة الحجر تبين راع وماشية مدجنة

(أغنام، عجل يقاد بواسطة رباط، كلب)

المصدر: Amara(I.), Roubet (C.), Le Tell Constantinois cadre des représentations pariétales du pastoralisme durant l'Holocène (Algérie orientale), Aouras, 8, Paris, p 81.

[1]Colette (R.), Portrait du pasteur holocène en Algérie septentrionale d'après les représentations rupestres, International Conference What Ever Happened to the People? Humans and Anthropomorphs in the Rock Art of Northern Africa Royal Academy for Overseas Sciences Brussels, 17-19 September, 2015, pp 156-157.

وقد كان نتيجة الحركة البشرية في التّنقل بالقطعان ثم الاستقرار رسم مشاهد تبرز عملية نصب المخيّمات لدى أقوام يعود تأريخها إلى حقبة البقريات بمنطقة ايهيران بالتّاسيلي بين الألفية السادسة والألفية الثّالثة قبل الميلاد، حيث أخذت المشاهد الرّعوية حصّة الأسد لدى الإنسان التّابع لهذه الحقبة، وظهرت المرأة في هذه التّجمعات البشرية حيث ساهمت كعضو فعّال في مهمّة نصب الخيم عند تفرّغ الرّجال من الرّعي بالقطعان[1].

II– أنواع النّشاط الرّعوي:

كان لتنوع التّضاريس والتّغيرات المناخية والبيئية وكذلك التّحولات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم تأثير كبير على أنماط الحياة خصوصًا في مجال تربية الحيوانات، ويمكن تقسيم هذه الأنماط إلى عدّة أنواع تعكس التّكيف مع البيئة المحيطة.

كما هو معلوم أنّ بلاد المغرب مقسّمة إلى ثلاثة أقاليم التّل والسّهوب والصّحراء وقد أدّى هذا التّنوع في الأقاليم إلى ظهور أنماط اقتصادية واجتماعية ويمكننا التّمييز بين ثلاث مستويات رئيسية للنّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم (بصرف النّظر عن تربية الحيوانات المدجّنة البسيطة التي يمارسها صغار المزارعين)، ويتمثّل المستوى الأول في التّربية المستقرّة المدمجة في الزّراعة، أمّا المستوى الثّاني يتجسّد في حركة القطعان ورعاتها بين المراعي الشّتوية والمراعي الصّيفية وتتّخذ أشكالًا عديدة، ويتعلّق المستوى الثّالث من النّشاط الرّعوي بالمجتمعات الرّعوية الحقيقية[2].

1–الرّعي المستقر (L'élevage sédentaire):

يتمّ فيه تربية الحيوانات بشكل ثابت ومتكامل داخل النّظام الزّراعي، ويعرف ذلك في اللّغة اللّاتينية بمصطلح "uillatica pastio"، وقد نصح علماء الزّراعة من بينهم "كولوميل" برعي الماشية على الأراضي المزروعة (culta) أو الأراضي الغابية (dumeta)، وكذلك الأمر بالنّسبة لبلاد المغرب فقد عاش الرّعاة المستقرون بنمط يختلف عن نمط الرّعاة الرّحل، فكانوا يقيمون في مناطق ثابتة تتوفّر على موارد مائية ومراعي جيّدة.

[1] شاعو كمال، دور نقوش ورسومات الطاسيلي في التعريف بعصور ما قبل التاريخ، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة – الجزائر يومي 23-24 ديسمبر 2011، إشراف رحماني بلقاسم، كنوز الحكمة، 2012، ص 71.

[2] Corbier Mireille, La transhumance dans les pays de la Méditerranée antique, Transhumance et Estivage en Occident : des origines aux enjeux actuels, Actes des XXVI, les Journées Internationales d'Histoire de l'Abbaye de Flaran 9, 10, 11 Septembre 2004, Mirail, 2006, pp 67-81.

2- أنصاف الرّحل (L'élevage transhumant):

يتمّ من خلاله تنقّل الماشية من المراعي الشّتوية إلى المراعي الصّيفية أو العكس، ولدينا عدة مفاهيم تتعلّق بهذه العملية من أبرزها ما يلي:

-**Calles**: تعني الطّرق أو الممرّات التي يسلكها الرّعاة مع ماشيتهم خلال هجراتهم بين المراعي المختلفة.

-**Callitani**: ويشير هذا المصطلح إلى الرّعاة الذين يقودون القطعان عبر هذه الطّرق.

-**Saltus**: تعني المناطق الطّبيعية المفتوحة التي ترعى فيها الماشية، وتشمل المروج والغابات والأراضي البرية[1].

ويتمّ هذا النّشاط الرّعوي سواء على مسافات قصيرة أو طويلة ويعتبر جزءًا من التّاريخ الطّويل لمنطقة البحر الأبيض المتوسط والذي يعُرف بمصطلح التّرحال الموسمي (**transhumance**)، وتتحكّم فيه عدّة عوامل منها الطّقس والتّضاريس والمراعي، إضافة إلى عوامل أخرى.

وبرزت هذه الظّاهرة بشكل أساسي في بلاد المغرب القديم حيث نجد موطن الرّعاة نصف المستقرّين أو أشباه الرّحل (**semi- nomade**) وهم الأشخاص الذين يجمعون بين حياة التّرحال والإستقرار يتركّزون في الأقاليم الرّعوية-الزّراعية السّهبية حيث يعدّ إقليم السّهوب منطقة انتقالية ذات موقع استراتيجي، إذ تُعتبر همزة وصل بين الصّحراء والسّهول وهي منطقة رعوية بامتياز تتركّز فيها الثّروة الحيوانية لا سيما منها الأغنام وتتميز بحركة موسمية[2].

وبذلك عندما يعمُّ الجفاف المناطق الإنتقالية بين التّل والصّحراء يتسبّب في نقص العشب والمياه وفقر التّربة وهو ما يجبر السّكان إلى التّرحال للبحث عن الماء والكلأ ضمانا لحياة قطعانهم هذه الأخيرة تمثّل ثروة حية منتجة ومتجدّدة، حيث نجد الدورة التّرحالية لها قطبان أحدهما في الجنوب (الأطلس الّصحراوي ووديان الصّحراء الشّمالية) حيث يتوفّر مرعى الشتاء والآخر في بلاد التّل (السّهول العليا الزراعية خاصّة)، وتصادف إقامتهم في إقليم القطب الأول توليد القطعان وتنشئة صغارها حتى تقوى على المشي مسافات طويلة نحو التّل بينما تتزامن

[1] Corbier Mireille, Interrogations actuelles sur la transhumance , Mélanges de l'École française de Rome - Antiquité, 2-128, 2016, p 270.

[2] شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظلّ الاحتلال، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص 285.

الإقامة في القطب الثّاني مع وفرة الغذاء لتسمين الماشية وبيعها وتسويق الأصواف[1]، وتعكس لنا هاتين الرّحلتين مدى تكيّف الرّعاة مع تغيّرات البيئة، ومن المؤكّد أن هؤلاء الأشخاص يحملون معهم معارف هامّة عن بيئتهم.

ولدينا نموذج يعود للعصر الحجري الحديث يوضّح هذا النّوع من الرّعي ويتمثّل في كهف كابيليتي بجبال الأوراس(الجزائر)، والذي لا يزال مصدرًا موثوقًا به حيث انتشرت في المنطقة تربية الماشية حوالي 4500 ق.م وقد أسهم هذا التّحول في تأسيس ممارسة التّرحال الموسمي أيضا، ممّا أدّى إلى ترسيخ نمط حياة رعوي أصلي في المنطقة[2]، ويعتبر ثورة ثقافية واقتصادية لأنّه أوجد أسلوبًا جديدًا للإنتاج يعتمد على إدارة القطيع والرّعي وتوفير مصادر غذاء أكثر استقرارًا[3] ولا يزال مستمرًّا في المناطق الشّرقية للجزائر (الشّاوية السّكان المحليين).

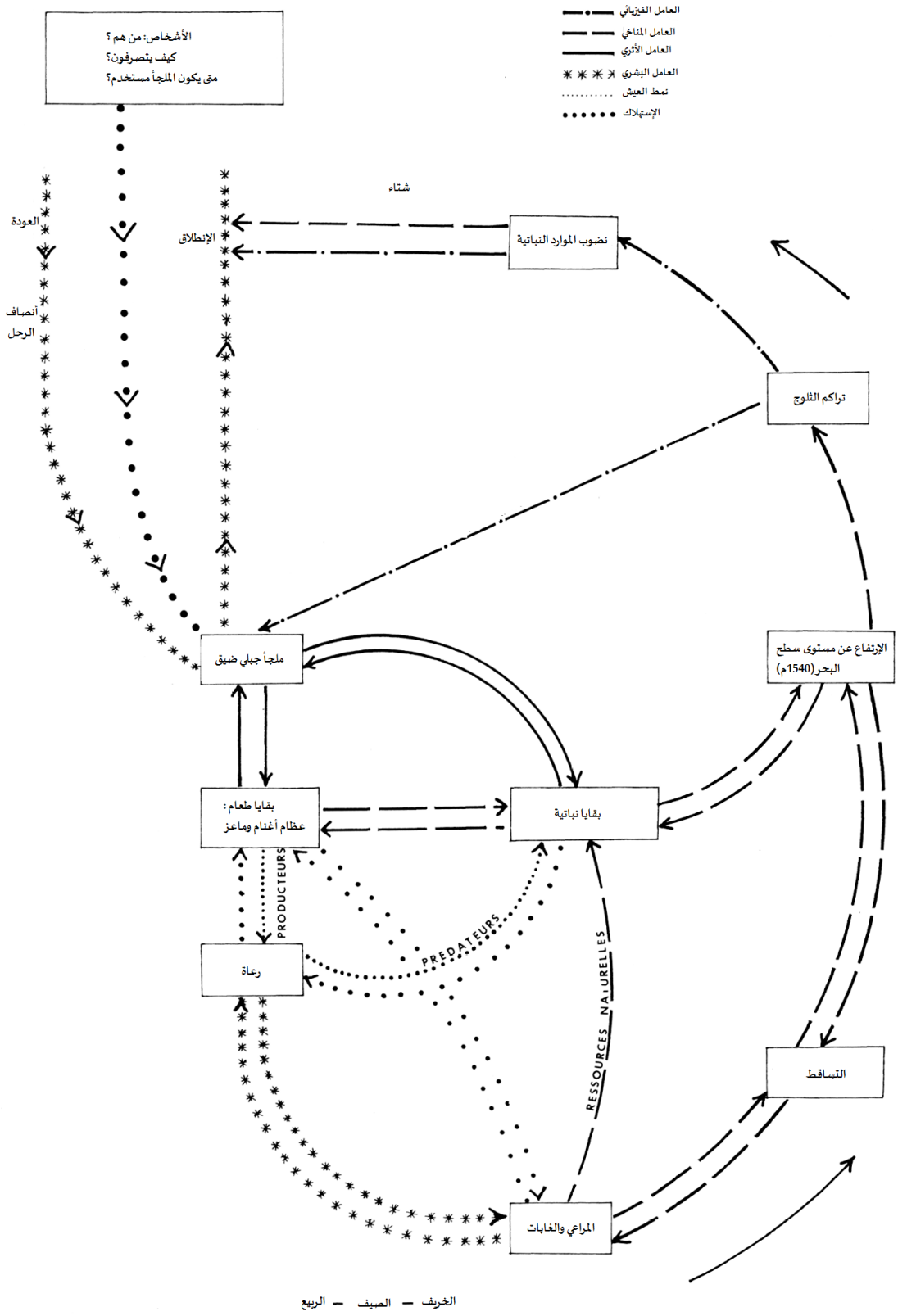
ويُبرز هذا النّموذج العلاقة الوثيقة بين موسمية المسكن وممارسات الرّعي، ففي فصل الشّتاء يتّجهون نحو الجنوب من السّلسلة الجبلية في اتجاه وادي عبدي وبوزينة للابتعاد عن البرد والرّياح القوية والبحث عن مناطق أكثر دفئًا وتوفرًا للموارد، وبمجرّد وصول فصل الربّيع يبدأون في العودة نحو الشّمال حيث يمكنهم الإستفادة من مواسم الرّبيع والصّيف في تلك المناطق، وكانت الكهوف تُترك وتُستخدم بالتّناوب وبذلك كانت الهجرة والتّوجه نحو الجنوب والشّمال مرتبطة بشكل وثيق بالتّغيرات الفصلية[4]، انظر الشّكل رقم (25).

[1] شنيتي محمد البشير، روما الإمبراطورية وبلاد المغرب ...، المرجع السّابق، ص ص 189- 190.

[2] Amara (I.), Colette (R.), Op. cit.,, p 45 .

[3] Ben Moussa Sofiène, La Néolithisation de la Tunisie :Approche typo-technologique comparée de quatre séries néolithiques tunisiennes,Volume I , Thése de doctorat, Spécialité: Préhistoire, Archéologie, histoire et civilisations de l'antiquité et du Moyen Age, UniversitÉ de provence, aix-marseille I, 2008, p 36.

[4] Colette (R.), Économie pastorale…, Op. Cit., p 487-490.



الشكل رقم (25): مخطط نظري يبين نمط الحياة الرّعوية

لسكان العصر الحجري الحديث في مغارة كابيليتي (بتصرف)

المصدر: Colette (R.), Économie pastorale …, Op. Cit., p 487

وترى الباحثة روبي أن التّرحال الموسمي ظاهرة معقّدة، ولدراستها تواجه الباحثين عدّة تحدّيات خاصّة على مستوى الأدلّة الملموسة التي يصعب توثيقها والتّحقق منها، ومع ذلك يمكن الإعتماد على أدلّة غير مباشرة مثل الظّروف المناخية كمؤشّر على هذه الظاهرة، فعلى سبيل المثال يشكّل الشّتاء القاسي في المناطق العالية (تساقط الثّلوج من ديسمبر إلى مارس، ممّا يؤثّر على التّنقل داخل السّلاسل الجبلية حتى الآن، وكان في الماضي أكثر قساوة)، دليلا على أهمّية التّرحال الموسمي الذي يقوم على الانتقال بين منطقتين إقامة مزدوجة في دورة سنوية موسمية منتظمة، ولا تزال سائدة في منطقة الأوراس وتعدّ سِمة رئيسية في تربية الماشية منذ العصر الحجري الحديث في شرق بلاد المغرب القديم، ويمثّل انتقال القطيع بين مناطق جغرافية مختلفة بانتظام عاملاً أساسيًا في تعزيز الإرتباط والانتماء القوي للرّعاة بهذه الأراضي[1].

كما نجد موقعًا آخر لا يقلّ أهميّة عن سابقه وهو كهف الدّاموس الأحمر بتبسّة (الجزائر)، حيث كان سكّان هذا المأوى رعاة نصف رُحَّل يمتلكون قطعانا صغيرة من الأغنام والماعز المستأنسة، ويعيشون بشكل مشابه لرعاة جبال الأوراس من حيث التّرحال الموسمي وأنواع الحيوانات الرّعوية السّائدة في الألفية الرّابعة قبل الميلاد[2].

وخلال الفترة الرّومانية تضرّر أشباه المستقرّين نتيجة توسيع المساحة الزّراعية ابتداءًا من القرن الأول ميلادي باعتبارهم كانوا يعيشون في إقليم قابل للاستصلاح الزّراعي مثل قبائل الجيتول وكان هذا الصّنف من الرّعاة قابلا للتّحول من الرّعي والتّرحال إلى امتهان الزّراعة والإستقرار وكانت لديهم صلة وثيقة بالمزارعين بحكم الجوار، وقد أجبرتهم الظّروف الاستعمارية على ترك الرّعي والإنخراط في صفوف المزارعيين الموسميين خاصّة مع توسّع زراعة الزّيتون التي وفّرت فرص عمل، وانتشرت بساتين الزّيتون وحقول القمح في الأقاليم التي كانت سابقا مضارب انتجاعٍ لمربّي الماشية[3].

[1] Colette (R.), Transhumance ..., Op. Cit., p422.

[2] Camps-fabrer (H.), Damous el-Ahmar, Encyclopédie berbère, 14, 1994, pp 2194 - 2203.

[3] شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية ...، المرجع السّابق، ص 285.

ومن بين القبائل الرّعوية التي مارست هذا النّوع من الرّعي الموسمي نجد النّسامونيين وهم قبيلة ليبية[1] عاشوا على سواحل السّرت الكبرى، وقد عُرف عنهم أنّهم كانوا يتركون مواشيهم مؤقّتا ويتنّقلون خلال فصل الخريف إلى منطقة معيّنة تدعى واحة أوجيلة (Aoudjila) لجني التّمور والتي تتميّز بالوفرة في هذا الموسم[2]، وهذا ما يدلّ على أنّ نمط الرّعي لم يكن معزولا عن الأنشطة الاقتصادية الأخرى بل كان جزءًا من استراتيجية شملت التّكيف مع البيئة الموسمية وتنوع الموارد.

3- البدو الرّحل [3](Le nomadisme):

يُعدّ الرّعي البدوي أحد أنواع تربية الحيوانات، تمارسه مجموعات رعوية بأعداد متفاوتة وتعتمد بشكل أساسي على التّنقل بحثًا عن موارد الرّعي والماء ضمن منطقة مناخية معيّنة[4]، ويظهر ذلك بشكل واضح في بلاد المغرب القديم من خلال الإقليم الثّالث المتمثّل في الصّحراء حيث مارس البدو الرُّحل حياة الرّعي، وهم الذين عُرفوا بتنقّلاتهم بين المراعي الصّحراوية ومناطق الانتجاع في السّهوب الشّمالية الغربية على وجه الخصوص[5].

ولدينا مشاهد تصوّر أشخاصا يمتطون أبقار ويتهيأون للتّرحال، ما يدلّ على بيئة جافّة أو عدم استقرار تدفع بهؤلاء إلى مغادرة تلك الأماكن بحثا عن بيئات أكثر حيوية توفّر الماء والكلأ، وحتّى الأمن وهذا ما عبّر عنه فنّانوا المرحلة البقرية في ملاجئ إيهرن وسيفار بالتّاسيلي-آزجر، انظر الشّكل رقم (26).

---

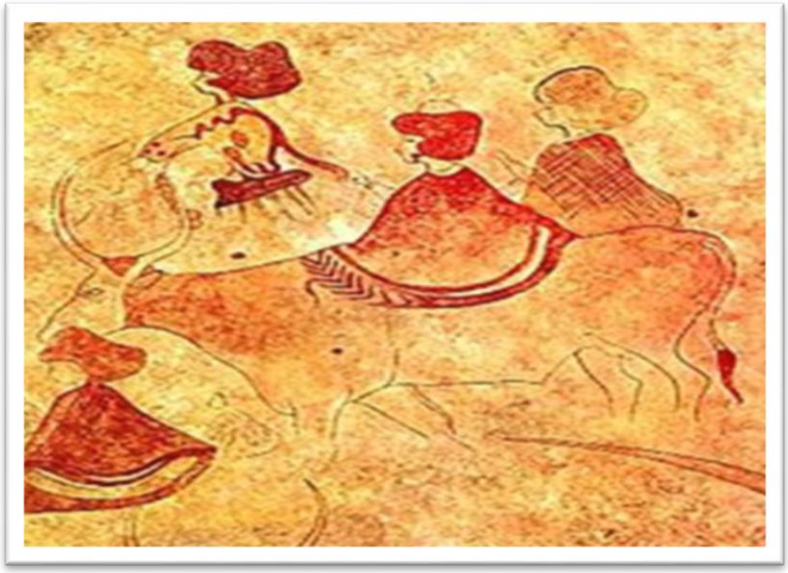
[1] Desanges (J.), Catalogue des tribus africaines, Dakar, 1962, p 152-153.

[2] Hérodote, Histoires, IV, 172.

[3] يرى بعض الباحثين أنّ مصطلح البدو يُحجّم من فهم العلاقات الإجتماعية والمكانية التي تربط الجماعات التي تمارس هذا النّوع من الرّعي، للمزيد يراجع: Retaillé Denis, L'espace nomade, Revue de géographie de Lyon, vol 73, N°1, 1998, pp.71-82

[4] Brémaud (O.), Nomadisme et transhumance en Afrique subsaharienne : les mouvements pastoraux dans les parcours extrême-orientaux du Soudan, Revue D'élevage Et De Médecine Vétérinaire Des Pays Tropicaux, Vol 8 ,N 4 , France, 1955, p 327.

[5] شنيتي محمد البشير، المرجع السّابق، ص 285.



الشكل (26): نساء تمطي بقر في مشهد ترحال (إيهرن).
المصدر: أوبراهم جوهرة، الحياة اليومية ...، المرجع السَّابق، ص 37.

كما وصف لنا العديد من المؤرّخين القدامى البدو الرّحل في كتاباتهم رغم ما يشوبها من عدم الدّقة، حيث أشار هيرودوت إلى اللّيبيين الذين كانوا يعيشون في المناطق الممتدّة من مصر حتّى بحيرة تريتونيس، وذكر أنّهم كانوا رحّلا معتمدين في غذائهم على اللّحوم والحليب[1] وقدّم "سترابون" وصفا للمناطق الجغرافية في بلاد المغرب القديم بين منطقة السّاحل وجبال الجتوليين وما وراءها إلى أقاصي الصّحراء، وأشار إلى الجرامنتيين والجيتوليين وبساطة نمط حياتهم وارتباطهم بتربية الخيول[2].

وتحدث "بوليب" عن البدو الرّحل من خلال وصفه معظم الشّعوب في افريقيا لا تعتمد على الزّراعة كمصدر للغذاء بل اعتمدت على الحيوانات بشكل أساسي وأنهم يعيشون بين قطعان هائلة ويستفيدون من منتجاتها خاصّة وأنّ المنطقة تتمتّع بثراء حيواني هائل ومتنوعّ[3]، إلى جانب ذلك أورد "ساليست" في مؤلّفه أنّ السّكان الأوائل لافريقيا هم الجيتول واللّيبيون وكانوا يعيشون حياة التّرحال[4].

[1] Hérodote, Histoires,186 .
[2] Strabon, Géographie, XVII, 3, 19.
[3] Polybe, Histoires XII, 3, 4
[4] ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 18، 1، 2، ص 66.

ولابدّ أن نشير إلى أنّه لدراسة البداوة يتمّ استخدام معايير متعدّدة منها الدّورة الزّمنية للهجرات وممارسة تربية الحيوانات ونوع السّكن، والملفت للإنتباه أنّ المصادر الأدبية وصفت البدو أنّهم يقتصرون على الرّعي كواقع مطلق ومرتبطين به ارتباطا وثيقا، ومع ذلك نلاحظ أن هذا الإعتقاد مُبالغ فيه إلى حدٍّ ما، فعلى الرّغم من أنّ الرّعي كان الميزة البارزة لحياة البدو، إلاّ أنّه لا يجب إغفال تنوّع نشاطاتهم الأخرى، حيث شملت البداوة نمطًا أوسع من الحياة المتنقّلة والتّفاعل مع البيئة مثل الزّراعة وجمع الطّعام من الطّبيعة ويعتمد ذلك على المعرفة بالبيئة المحيطة بما في ذلك مسارات التّرحال ونقاط المياه[1].

ويتميّز البدو الرّحل بالإستقلالية الجغرافية بسبب نمط حياتهم المتنقّل وارتباطهم بمساحات واسعة وجعلت تحرّكاتهم الدّائمة من الصّعب فرض رقابة صارمة على حركتهم وتواجدهم في مناطق محدّدة، ونادرًا ما يخضعون للتّنظيمات بمختلف أشكالها[2].

ويشير بعض الباحثين إلى وجود تباين هيكلي بين المزارعين المستقرّين في المناطق الحضرية وبين البدو الرّحل وشبه الرّحل، وتُعَدُّ فرضية التّقسيم إلى "افريقيا الرومانية المتحضّرة" مقابل "افريقيا البربر" من بين الرّؤى التي طرحها العديد من العلماء لدراسة التّباينات الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرّومانية[3]، إلاّ أنّنا نرى أن هذه الفرضية غير صحيحة فهي تتجاهل التّداخلات بين البدو الرّحل وشبه الرّحل من جهة والمزارعين المستقرّين من جهة أخرى.

وعليه فإنّ المجتمع المغاربي القديم لم يكن مقسّما بشكل مطلق إلى مجتمعات منعزلة، حيث كان البدو قبل التّوسع الرّوماني فِئة متكاملة مع المزارعين وكان بإمكان البدو الانتقال إلى الزّراعة بصورة طبيعية وبِحُرّية مُخيَّرين غير مُجبَرين، ولم تحتفظ لنا الآثار والنّصوص الأدبية بما يوضّح إلى أن الدّول السّابقة للرّومان اضطرّت إلى القيام بأعمال عسكرية أو وضعت حدودًا فاصلة بين مناطق الرّعي والزراعة، أو أنّها اتخذت إجراءات توحي إلى البدو

[1] Hajlaoui Anis, Op. Cit., pp188-189.

[2] Mohamed Aït Hamza, Nomadisme et semi-nomadisme au Maroc, Encyclopédie berbère, 34, 2012, pp 5602-5609.

[3] Whittaker (C-R.) Land and labour in North Africa, Land, City and Trade in the Roman Empire, Cambridge 1993, p 244 .

بأنّهم عنصر بشري مرفوض أو مؤذٍ في خريطة المغرب البشرية، لكنّهم أصبحوا كذلك في نظر روما التي أرادت فرض سيطرتها على البدو ودحرهم[1] ، وبذلك تبلورت العلاقة السّلبية بين الطّرفين[2].

ومن الملفت للانتباه أن البدو الرّحل لم يقتصروا على الرّعي فقط بل مارسوا الزّراعة في بعض الأحيان، حيث كانوا يقومون برحلات لمسافات طويلة ومستمرّة للبحث عن المراعي والاتّجاه في فصل الرّبيع نحو الشّمال للوصول إلى المراعي الصّيفية، وخلال هذه الفترة يصل وزن الحيوانات إلى أقصى حدٍّ لها ويتمّ جزّها في شهر أفريل ثم الاتّجاه إلى الشّمال لإقامة علاقات تجارية مع السّكان، ثم يعودون إلى الجنوب حين تنضج التّمور في واحات الصّحراء، وفي فصل الشّتاء يقوم البدو الرّحل برعي ماشيتهم على حواف الصّحراء وأحيانا يزرعون القمح أو الشّعير في مناطق منخفضة بعد هطول الأمطار، تاركين هذه الأراضي ليعودوا لجني المحصول خلال زيارتهم القادمة للمنطقة[3].

ومجمل القول أنّ مسألة تدجين الحيوانات في بلاد المغرب القديم والتي تأرجحت بين النّفي والتّأكيد قد فتحت آفاقا واسعة للنّقاش ممّا يستدعي توسيع دائرة الأبحاث لتشمل عدّة تخصّصات، ورغم ذلك فإنّ نتائج الحفريات لبقايا الهياكل العظمية الحيوانية والرّسوم الصّخرية والمصادر الأثرية الأخرى كالفسيفساء والنّقوش إضافة إلى الشّهادات الأدبية قد أثبتت بما لا يدع مجالًا للشكّ وجود عملية تدجين الحيوانات في بلاد المغرب القديم سواء أكانت محلّية المنشأ أو نتيجة لتأثيرات خارجية منذ فترات مُبكّرة.

وترتّب عن التّدجين ظهور أجيال جديدة من الحيوانات تميزت بصفات مختلفة ممّا يدلّ على الدّور الحيوي الذي لعبه رعاة بلاد المغرب القديم في استغلال الموارد الطّبيعية، حيث ارتبط هذا التّحول بظروف مناخية وبيئية متنوعة، وبنضج فكري دفع الإنسان الى استئناسها بَدَلَ مُلاحقتها، وتداخلت عدّة عوامل لانتاج شكل مبكّر من الرّعي المنظّم والذي عرف تطوّرًا هامًّا خلال الفترات اللّاحقة، وهو ما سيكون محور اهتمامنا في الفصل الموالي.

[1] سنتطرق إلى السّياسة الرّومانية اتّجاه الرّعاة وإنشاء خط اللّيمس في الفصل الرّابع.

[2] شنيتي محمد البشير، المرجع السّابق، ص 289.

[3] Hajlaoui Anis, Op. Cit., p 189.

الفصل الرابع:

الرّعي : تطوره وتنظيمه

أولا – تطور الرّعي في بلاد المغرب القديم

ثانيا – مجالات الرّعي في بلاد المغرب القديم

ثالثا– تنظيم الرّعي والتشريعات المرتبطة به

ممّا لا شكّ فيه أنّ النّشاط الرّعوي تطور زمانيًا ومكانيًا بالتّوازي مع كلّ التّغيرات والتّحولات التي عرفها المجتمع المغاربي القديم، فقبل أنْ يصبح الرّعي نشاطا رئيسيا كان السّكان يعتمدون على الصّيد والجمع، ومع تزايد المعرفة والمهارات بدأت عملية استئناس الحيوانات والانتقال إلى مجتمع يعتمد أكثر على الثّروة الحيوانية، ومع دخول الفينيقيين والرّومان إلى المنطقة تمّ التّفاعل مع هذه الحضارات وتنظيم النّشاط الرّعوي حفاظا على الثّروة الحيوانية وحمايتها من مختلف المشاكل والتّحدّيات التي واجهتها.

ونتيجة للإمتداد الواسع لبلاد المغرب القديم والتّفاوت الواضح من حيث الخصائص الطّبيعية من الشّمال إلى الجنوب ما يعقّد تحديد البدايات الأولى للرّعي في كل منطقة، وقد ترك لنا الرّعاة شواهد مجسّدة في الفنّ الصّخري الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث، وهو من الرّكائز الأساسية لفهم تطور هذا النّشاط إضافة إلى البحوث الأثرية التي تمدّنا بمعلومات مهمة وكذلك المصادر المادّية والأدبية خلاّل الفترة الرومانية والتي من خلالها حاولنا فهم تطور الرّعي وكيفية تنظيمه عبر فترات زمنية مختلفة ومناطق متعدّدة.

ولابدّ أن نشير إلى أنّنا سنركّز في هذا المبحث الأول على دراسة تطور ممارسات الرّعي عبر فترات زمنية متعدّدة ومناطق محدّدة وإبراز العوامل التي أثرت في هذا التّطور، أمّا فيما يخصّ مجالات الرّعي حاولنا التّركيز على الرّعي بشكل عام عبر الفضاءات الجغرافية الواسعة للمنطقة المغاربية.

أولا – تطور الرّعي في بلاد المغرب القديم:

الرّعي هو نشاط يرتبط بتدجين الحيوانات، وهو بشكل عام أسلوب حياة قائم على الاستغلال الواسع للمراعي، ونمط عيش يعتمد على استخدام الحيوانات المدجّنة كمستهلك أساسي حيث عاش الرّعاة على نتاج تربية الحيوانات وسوّقوا جزءا من منتجاتهم للحصول على المنتجات الزّراعية في حال عدم ممارستهم للنّشاط الزّراعي، ويوصف هذا المجتمع بشكل أدق على أنّه "مجتمع رعوي" عندما يحدّد القطيع الحياة الاجتماعية: الملكية، الحركية، الاستغلال، وبذلك يمكننا أنْ نميز بين الرّعي والبدو[1].

[1]Retaillé (D.), Le destin du pastoralisme nomade en Afrique. In: L'information géographique, volume 67, n°1, 2003, P 89.

وترتكز العملية الرّعوية على التّدجين وتربية الحيوانات[1]، هذه الأخيرة تطورت نتيجة عوامل متنوعة اختلف حولها الباحثون خاصّة أمام غموض المصادر المتعلّقة بعملية التّدجين والانتقال إلى مرحلة تربية الحيوانات ورعيها فهي عملية طويلة ومعقّدة، بالإضافة إلى أنّ العملية الرّعوية في حدِّ ذاتها لم تحدث في نفس الوقت في كلّ المناطق.

ولعب المناخ دورًا مهمًّا ورئيسيا في بروز نمط حياة جديد يعتمد أساسا على ثروة حيوانية متجدّدة تخضع لعوامل بشرية وظروف بيئية، فإلى جانب سبب أساسي لا يقلّ أهميّة عن عامل المناخ ويتمثّل في الزّيادة السّكانية والتي تؤثّر بدورها على الاحتياجات الغذائية، ممّا جعل التّكيف مع هاته الظّروف ضرورة ملحّة[2].

وقد كان الرّعي واحدا من الأنشطة الأساسية التي مارسها سكان بلاد المغرب القديم، حيث اعتمد هذا النّشاط على موارد الطّبيعة منذ العصر الحجري الحديث، وشهدت المنطقة خلال الفترة القرطاجية تأسيس مستوطنات مثل قرطاج وظهور أنظمة قانونية، وخلال فترة الاحتلال الرّوماني توسّعت نطاقات الرّعي والزّراعة وتطورت الملكية، وأنشأ الرّومان نظاما جديدًا لتوزيع الأراضي من خلال التّشريعات المختلفة، وبذلك تأثّرت ممارسة الرّعي بتطور هذه الأنظمة.

وتتبادر لأذهاننا عدّة تساؤلات من بينها: كيف تطّور الرّعي في بلاد المغرب القديم؟ وكيف تمّ تنظيمه؟

[1] Colette (R.), Ouchaou (B.), Pastoralisme néolithique initial au Maghreb, Encyclopédie berbère, XXXII, Louvain/Paris, Peeters Publishers, 2015, p 6156.

[2] Aumassip (G.), et al, L'elevage au sahara..., Op. Cit., p139.

I- الرّعي في العصر الحجري الحديث:

احتلّ الرّعي المرتبة الأولى ضمن الأنشطة الاقتصادية للمجتمع اللّيبي خلال العصر الحجري الحديث إلى جانب الزّراعة والتّجارة، ويظهر ذلك واضحا على الرّسوم الصّخرية لكن هذا لم يمنع من الاستمرارية في اصطياد الحيوانات البرّية التي كانت تجوب الصّحراء اللّيبية[1].

والجدير بالذّكر أن الرّعي المبكّر كان نظاما بدائيا تكيّفَ مع الإطار الجغرافي والبيئي لبلاد المغرب، متأثّرًا بالظّروف الاقتصادية والاجتماعية والتّطور الدّيموغرافي، ممّا أفرز نمطا رعويا محليًا خاصًّا[2]، وقد اتّسمَ هذا الشكل الأوّلي من الرّعي بطابعه الفردي، ومع ظهور الرّعاة حدثت تغييرات في استخدام الأراضي من خلال التّرحال[3]، وبذلك تقدّم الإنسان المغاربي القديم خطوة أخرى في مسار استغلال بيئته، وانتقل من مطاردة الحيوانات وقتلها إلى الاهتمام بها وتقديم الرّعاية اللّازمة لها.

وقد تطورت تربية الحيوانات في بلاد المغرب القديم تحت تأثير عوامل عديدة حيث انتشرت قطعان الأبقار في الجنوب نتيجة المناخ الملائم، أمّا في الشّمال فقد ظهرت قطعان الأغنام والماعز منذ الألف السّادسة قبل الميلاد بفضل الظّروف البيئية المناسبة، ومع حلول الألف الثّالثة قبل الميلاد بدأت الأبقار في الظّهور في الشّمال نتيجة الجفاف والتّغيرات المناخية التي أثّرت على المناطق الصّحراوية.

ويُرجَّح أنّ بداية الحياة الرّعوية كانت بسبب تحوُّل مجموعات محلّية من الصّيادين إلى مرحلة استئناس الحيوانات، كما أنّ بداية تطور الرّعي في الفن الصّخري مرتبط بالتّحول من الصّيد إلى الرّعي[4] ولم تكن العلاقة بين الصّيادين والحيوانات علاقة صيد فقط بل تجاوزتها إلى علاقة روحية، وبالتّوازي مع الصّيد عَبَّر الانسان عن إقامة علاقات سلمية مع الحيوانات المفترسة حيث تُظهر العديد من المشاهد رجالًا بدون أسلحة يلامسون هذه

[1] العقون أم الخير، صور من حياة المجتمع اللّيبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم العلوم الإنسانية، المجلد 1، العدد 2، 2012، ص21.

[2] Roubet (C.), Ouchaou (B.), Op. Cit., p 6162.

[3] Ibid., pp 6154-6155.

[4] بن بوزيد لخضر، حضارات الرّعاة...، المرجع السّابق، ص ص 219.

الحيوانات ما يدلّ على نِيّة ترويضها، هذه المشاهد تُعتبر مرحلة مبكِّرة سبقت السّيطرة على الحيوانات الأقلّ شراسة والتي أدّت لاحقًا إلى ظهور الرّعي[1].

ويمكننا أنْ نميّز بين ثلاث أقاليم متباينة في بلاد المغرب القديم متمثّلة في الصّحراء والسّهوب والتّل والتي تتّسِم بمعطيات طبيعية مختلفة ومتباينة وانعكس ذلك بشكل مباشر على طبيعة الرّعي.

1- الرّعي في الصّحراء:

ارتبطت الهجرات البشرية الكبرى في عصور ما قبل التّاريخ بشكل مباشر بالتّغيرات المناخية والبيئية لا سيما في المناطق الصّحراوية التي شهدت فترات مناخية أكثر رطوبة ساعدت على وجود حياة نباتية وحيوانية أكثر وفرة، ومع مرور الوقت والتّحول التّدريجي نحو مناخ أكثر جفافا بدأت الموارد الطبيعية في التّناقص، ممّا أدّى إلى البحث عن بيئات أكثر ملاءمة تلبّي احتياجاتهم الأساسية وظهور أنماط جديدة من الاستيطان وأساليب العيش.

وتشير الباحثة أوماسيب إلى أنّ تطور تربية الماشية في الصّحراء ناتج عن مجموعة من العوامل المتداخلة التي لا تزال محلّ نقاش واسع بين الباحثين، وتؤكّد أنّ للمناخ دور مزدوج في توفير الموارد أو ندرتها، كما ترى أن النّمو السّكاني شكّل أحد العوامل الرّئيسية في هذا التّطور وتعتقد أنّ المناطق ذات الكثافة السّكانية العالية شَهدت البدايات الأولى لعملية التّدجين، وأنّ التّوسّع في الرّعي كان في وقت متأخِّر في المناطق الأقلّ كثافة سكّانية، وتبرز كذلك دور للرّعاة المهمّ في نشر حضارة العصر الحجري الحديث من خلال تنقّلاتهم المستمرّة[2].

وقد شهد العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب القديم عمومًا وفي الصّحراء على وجه الخصوص اتّساع مجال استئناس الحيوان إلى الحدّ الذي أصبح يشكّل فيه نمطا معيشيا لأقوام المنطقة، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى المبالغة في القول بأنّ طبيعة المنطقة الجغرافية لم تسعف الأقوام الصّحراوية لتصبح مجتمعات زراعية فكانت مجتمعات رعوية[3]، هذا النّمط لم يكن فقط وسيلة للبقاء بل أصبح جزءا من الثّقافة لهذه المجتمعات.

---

[1] Leclant (J.), Huard (P.), La Culture Des Chasseurs du Nil et du Sahara, Tome II, Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques, Alger, 1977, p 526.

[2] Aumassip (G.), Op. Cit., pp139.

[3] العقون أم الخير، العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسطى بين المحلية والتّأثير الخارجي، المدينة والريف في الجزائر القديمة، أعمال الملتقى الوطني الأول المنعقد يومي 6-7 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، اشراف وتنسيق د.بختة مقرانطة، 2013، ص 198.

ونجد في المنطقة الصّحراوية رسومات صخرية منتشرة وعلى نطاق واسع من النّيل إلى المحيط الأطلسي وتملأ الرّسوم المرتفعات الصّحراوية حيث اِتَّسَمت بتفاصيل كثيرة لا تترك مجالاً للشّك بأنّ عملية الاستئناس قد ظهرت مبكّرا في الصّحراء، والرّكن الجنوبي الشّرقي من الجزائر على وجه الخصوص ومنها منطقة التّاسيلي والأهقّار وكذلك جنوب غرب ليبيا[1]، وبذلك تمثّل مهدًا محلّيًا ومبكّرا لاستئناس الحيوان وفي أوّلها البقريات.

وتشير الدّراسات إلى أنّ الفترة الرّعوية التي ارتبطت بوجود الأبقار المستأنسة تمّ تحديدها في بعض المناطق مثل التّاسيلي والأهقّار وأكاكوس بين 7500 و3700 سنة قبل الحاضر، وساعد وجود الفحم بالقرب من الرّسومات الصّخرية على تحديد هذه التّواريخ باستخدام الكربون المشع، وقد استغرقت عملية استئناس الأبقار فترة طويلة جدًّا وتطلّبت مراحل متعدّدة، وتُرجّح الدّراسات الحديثة أن الصّحراء كانت واحدة من مراكز استئناس الأبقار الأولى في العالم[2].

والملفت للانتباه إلى أنّ تربية الأبقار وسط الصّحراء في العصر الحجري الحديث والتي تتجلّى بإسهاب في الفنّ الصّخري تُظهر الحياة الرّعوية متطورة في شمال الصّحراء والأطلس الصّحراوي، بينما لم يتم توثيق الثّروة الحيوانية في العصر الحجري المتوسّطي (قريبا من السّاحل أي التّل) بشكلٍ جيّد لعدم وجود الفنّ الصّخري في السّاحل[3].

وقد تغيّرت الأنماط المعيشية خلال المرحلة البقرية أو الرّعوية المؤرّخة بالألف السّادسة، وفي الألف الثّانية خلال المرحلة الحصانية ظهرت عناصر جديدة مثل العربة المجرورة بالأحصنة أو البقر المعروفة بنمط الرّكض الطّائر لتأتي المرحلة الموالية المؤرّخة بأواخر الألف الأولى قبل الميلاد والمعروفة بالجَمَلية، مع نقص تدريجي للبقر والقطعان الأخرى وانتشار الرّموز الكتابية والتّرحال[4] بحثا عن موارد جديدة.

وقد ظهرت الحيوانات المدجّنة مثل الأبقار والأغنام والماعز وكذلك الحصان والجمل على الرّسومات الصّخرية التي تمَّ اكتشافها في مناطق مختلفة من الصّحراء الجزائرية التي تتميز بشساعتها، وتعكس هذه الرّسوم استخدام الماشية في الرّعي بالإضافة إل استغلالها في مختلف الأنشطة مثل النّقل والحرب والاحتفالات، وقد

[1] العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص 199.

[2] Cornevin (M.), les Néolithiques…, Op.Cit, pp 444.

[3] ساحد عزيز طارق، المرجع السَّابق، ص 176.

[4] أوبراهم جوهرة، المرجع السَّابق، ص ص 30-31.

عاشت المجتمعات الرّعوية في الصّحراء على الأبقار بدرجة أولى والأغنام بدرجة ثانية، حيث تمّ العثور على تراكمات حجرية وهي بقايا سكنية لرعاة البقر الرّحل في العصر الحجري الحديث[1].

كما نجد مشاهد كثيرة في التّاسيلي والأهقّار ففي جبّارين (Djebarine) أظهرت رسومات تمثّل محاربين يصطحبون قبيلتهم وماشيتهم في رحلة بحث عن الماء والكلأ، وفي أوزيناري (Ozéneare) يمثّل مشهدًا لأشخاص يبحثون عن المراعي، وتدلّ مشاهد القطعان الكبيرة على النّماء والزّيادة، ومن بين هذه المشاهد رسومات منطقة تيكادودوماتين (Tekadedoumatin)، وكذلك في منطقة أنالودمان وإيهرن، كما طوَّر رعاة البقر طرقهم لتربية الماشية[2].

إضافة إلى ذلك نجد موقع تين تزاريفت (Tin-Tazarift) الذي يحتوي على رسومات هامّة تبرز مشاهد لأبقار إلى جانب حيوانات أخرى[3]، كما نجد لوحة جدارية مرسومة باللّونين الأحمر والأبيض وتضمّ حيوانات تتحرّك معًا في شكل قطيع برفقة راعيها[4] الذي يلعب دور الموجّه ممّا يعكس علاقة أكثر استقرارًا وتنظيمًا بين الإنسان والحيوان.

ولابدّ أن نشير إلى أنّ التّدجين والنّشاط الرّعوي غَيَّرَا جذريا المظهر الاجتماعي لسكّان هذه المناطق تمامًا كما تغيّرت الرّسومات التي كانوا ينقشونها على الصّخور، حيث تلاشت الأشكال الأسطورية المجسّمة وظهرت مواضيع جديدة تُعبّر عن الحياة اليومية مثل الرّعي والتّرحال على ظهور الثّيران واستحلاب الأبقار والحياة القبلية بأشكالها، ففي بعض المواقع مثل "وان إميل" و"وان موهجاج" في منطقة أكاكوس ظهرت الرّسومات الصّخرية بشكل أكثر تسلسلا وترابطا وكأنّها تحكي قصّة أو تسجّل ذكرى أحداث معيّنة[5].

---

[1] صندوق ستي، المرجع السَّابق، ص 217.

[2] بعيطيش عبد الحميد، علاقة انسان الطاسيلي بالوسط الطبيعي في العصر النيوليتي – دراسة من خلال مشاهد الرسومات الصخرية–مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 3، العدد 4، المسيلة، 2013، ص ص 127–128.

[3] Lhote (H.), Les peintures pariétales d'époque bovidienne du Tassili. Éléments sur la magie et la religion, In: Journal de la Société des Africanistes, Tome 36, fascicule 1, 1966. Pp 7-28.

[4] لوت هنري، المرجع السَّابق، ص 49.

[5] فابريزيوموري، تادرارت اكاكوس – الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني، فؤاد الكعبازي، دار الكتب، ليبيا، 1988، ص 54.

وتركّزت الأبحاث في منطقة تادرارت أكاكوس على دراسة الفنّ الصّخري وعلى التّنقيب في بعض الملاجئ خاصة في وان موهوجاج (Uan Muhuggiag)[1]، وتي-ن-تورها (Ti - n - Torha) ، وان تيلوكات (Uan Telocat)، ووادي أثال (Oued Athal) ممّا سمح بتحديد بداية الإنتاج الغذائي في المنطقة حيث يعود هذا النّشاط إلى حوالي 7000 سنة قبل الحاضر، وكشفت النّتائج أنّ المجتمعات التي عاشت في هذه الفترة اعتمدت على نمط اقتصادي قائم أساسا على الرّعي.

وتبيّن أنّ النّظام الرّعوي في منطقة أكاكوس والمناطق المجاورة قد شهد تطورًا تدريجيا ابتداء من الألف السّابعة قبل الحاضر ويمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل رئيسية:

- **مرحلة الرّعي القديم**: حوالي (7200-6410 سنة قبل الحاضر) تميّزت بمناخ أكثر رطوبة، ممّا أسهم في توفير بيئة طبيعية ملاءمة لاستقرار المجموعات البشرية وممارسة الرّعي.
- **مرحلة الرّعي الأوسط**: (6080-5100 سنة قبل الحاضر) بدأت الرّطوبة بالتّراجع تدريجيا خلال هذه المرحلة مع تسجيل فترات جفاف قصيرة ولكن شديدة، وهو ما انعكس على نمط الرّعي حيث اعتمد الرّعاة بشكل كبير على الأغنام والماعز إلى جانب الأبقار والحبوب البرّية.
- **مرحلة الرّعي المتأخّر**: (5100-3500 سنة قبل الحاضر) أصبح المناخ جافا بشكل دائم تقريبا خلال هذه الفترة، الأمرالذي دفع نحو تطور نموذج الرّعي والاعتماد على التّنقّل والارتكاز على تربية الماشية في ظروف بيئية جافة[2].

وعند الحديث عن الرّعي في الأراضي الصّحراوية فنحن نتعامل مع أسلوب حياة اعتمد على تربية الحيوانات والتّنقل في بيئات قاسية وموارد محدودة، والرّعي ليس فقط لانتاج الغذاء فقط بل هو نظام اجتماعي واقتصادي معقّد، ولذلك فإنّ أكبر التّحديات التي تواجه الباحثين الأثريين هي المخيمات الرّعوية بسبب طبيعتها

[1] وان موهجاج هو ملجأ صخري يقع في منطقة تدرارت أكاكوس (**Tadrart Acacus**) بجنوب غرب ليبيا، على الجانب الشمالي لوادي تشوينات (**Teshuinat**)، تم اكتشاف الموقع في عام 1959 خلال البحوث الأولى التي نظّمها فابريزيوموري من جامعة روما، وفي عام 1982 استؤنفت الحفريات تحت إشراف باربارا باريش (Barbara Barich)، وفي بداية التسعينيات، أجريت حملات بحثية أخرى بقيادة سافينو دي ليرنيا (Savino Di Lernia)، للمزيد يراجع:

Barich (B.), (Uan) Muhuggiag (Tadrart Acacus, Libye) (Préhistoire), Ency – ber, 32, 2010, pp 5101-5104.

[2] Stefano Biagetti, Savino Di Lernia, Vers un modèle ethnographique-écologique d'une société pastorale préhistorique saharienne, Sahara, 14, 2003, pp 11-12.

المؤقّتة، والتّنقل والتّحرّك المستمر للمجتمعات الرّعوية[1]، ممّا يجعل من الصّعب العثور على أدلّة مادّية تشير إلى وجودها.

2- الرّعي في الأطلس الصّحراوي:

تظهر في منطقة الأطلس الصّحراوي الممتدّة من المغرب الأقصى إلى أقصى الجزائر دلائل على ممارسة تربية الحيوانات منذ فترات مبكّرة، حيث تمّ العثور على رسوم صخرية تجسّد الكبش المتوج إلى جانب راعيه، ويمثّل أوّل مظهر رمزي للرّعي في بدايات العصر الحجري الحديث، وعُثر على مجموعة من النّقوش تُصوِّر هذا الحيوان البالغ عددها 66 نقشا في هذه المناطق، والتي تميزت بتضاريس ومناخ مواتيين ساهما في توفير بيئة مناسبة لتطوير الحياة البرّية واستقرار أولى المجتمعات الرّعوية[2].

وقد كان السّكان في مناطق جبال الأطلس الشّرقي بالجزائر على سبيل المثال يمارسون الرّعي المتنقل بين المناطق الشّمالية للصّحراء والجبال الشّرقية في جبال الأطلس، حيث أظهرت الأبحاث الأثرية أنّ هذه الممارسة كانت متجذّرة في مرحلة مبكّرة، وتمثّل هذه المرحلة أولى أشكال النّشاط الرّعوي المنظّم، حيث ارتبطت بمجموعة من الممارسات الاجتماعية والاقتصادية المشتركة بين مجتمعات رعوية متعاقبة، ويمكن تعميم هذا النّموذج على مختلف مناطق جبال الأطلس، حيث تعدّ سلاسل الأطلس الصّحراوي "أولاد نايل وجبل عمور وجبال القصور" محورًا موحّدًا يشكّل مجموعة متجانسة ومتكاملة[3].

ويبدو أن موقع الدّاموس الأحمر بما تضمّنه من دلائل وجود الرّعي المبكّر قد استقطب اهتمام الدّارسين الذين درسوا البقايا الحيوانية وتبيّن أنّ تدجين الأغنام والماعز أمر مؤكّد، أمّا الأبقار فهي أقلّ تواجدًا لذلك يمكن اعتبار أنّ هذه المنطقة ارتادها الرّعاة منذ العصر الحجري الحديث على نطاق واسع، حيث كانت الأغنام والماعز هي السّائدة أوّلا بين الألفية السّابعة والألفية الخامسة قبل الميلاد ثمّ تظهر الأبقار في الألفية الرّابعة قبل الميلاد[4].

[1] Stefano Biagetti, Ethnoarchaeology of the Kel Tadrart Tuareg, Pastoralism and Resilience in Central Sahara, Springer, Spain, 2014, p 5.

[2] Colette (R.), La gravure Holocène …, Op. Cit, p 3778.

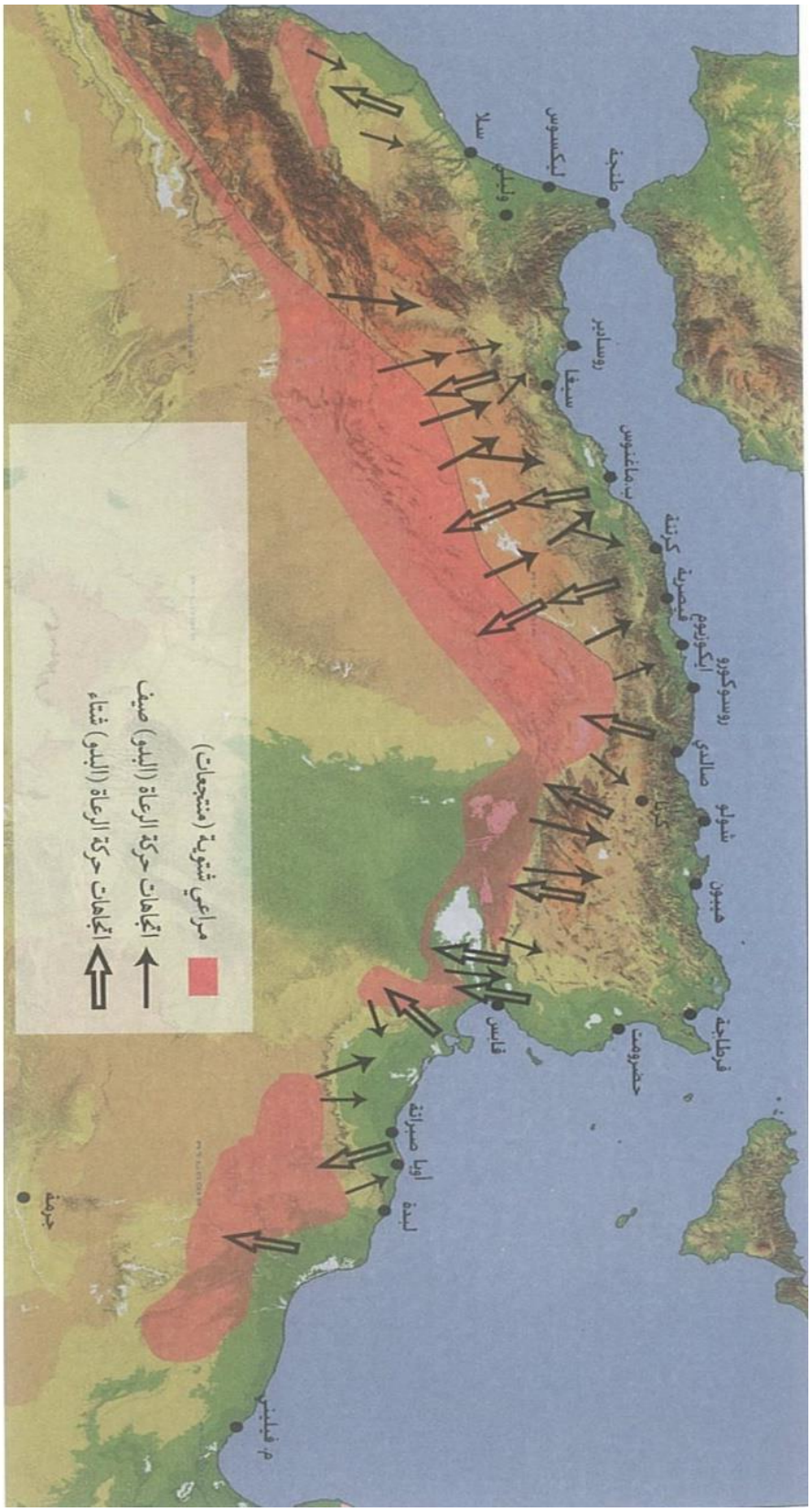
[3] Lehachemi (M-T.), et al., Le peuplement de la région des Ouled Naïl (Bou Saâda, Djelfa et Laghouat, Algérie) durant l'Holocène : sites d'habitats et art rupestre, Bulletin d'Archéologie Marocaine, 26, 2021, p 202.

[4] Colette (R.), Carter (P.L.), La domestication au Maghreb: etat de la question, Origin and Early Development of food Producing cultures in North-Eastern Africa, 1984, pp 442- 443.

أمّا عن موقع كهف كابيليتي الذي يعتبر مرجعا موثوقا به فقد كشفت الأبحاث بأنّ أجيالا من الرّعاة استخدموا المغارة كملجأ وقت المطر طيلة ألفي سنة، وقد كان هؤلاء الأقوام أنصاف رحّل يتنقّلون مع عدد صغير من الأغنام والماعز ويستقرّون عند السّفح الجنوبي للأوراس بخنقة سي محمد الطاهر من بداية فصل الرّبيع إلى غاية حلول فصل الخريف لترتاع ماشيتهم من أعشاب المنطقة ليغادروها مع حلول فصل الشّتاء، هذا الانتجاع والحِراك المتعاقب نحو الجنوب أو الشّمال كان يحدث بحسب الفصول[1]، هذا التّطور قام بإرساء مفهوم الهجرة الموسمية التي ساهمت في تموضع نمط حياة رعوي أصلي في تلك المنطقة في العصر الحجري الحديث[2]، انظر الشّكل رقم (27).

[1] صندوق ستّي، المرجع السّابق، ص 217.

[2] Amara (I.), Colette (R.), Le Tell constantinois..., Op. Cit, 2014, p 45.



الشكل رقم (27): خريطة توضح مناطق الرعي التقليدية (الطبيعية) و مسارات التّرحل صيفا و شتاء

المصدر : شنيتي محمد البشير ، روما الإمبراطورية و بلاد المغرب ... ، المرجع السابق ، ص374

ونشير أيضا إلى منطقة أولاد نايل التي شهدت خلال الفترة الممتدة من حوالي 7000 إلى 4000 سنة ق.م تعايشا بين مجتمعات مختلفة، بعضها كان يعيش كصيّادين وجامعين، بينما فضّلت مجتمعات أخرى الرّعي والترّحال[1]، وقد خلّف هؤلاء رسومات تصوّر الحيوانات البرّية والمدجّنة، وتُظهر مدى تكيّف الإنسان مع بيئته، ولم يعد الرّعي مجرّد نشاط فردي بل تطوّر إلى نظام زراعي رعوي، حيث تمّ استغلال الأراضي بشكل مزدوج، بين الرّعي الموسمي والزّراعة وتطور المجتمع ليُشكّل نظامًا قبليًا متماسكًا قائمًا على إدارة الأراضي والموارد بشكل مشترك[2].

وعلى الرّغم من وجود رسوم صخرية تمثّل الحيوانات مثل الأغنام والأبقار، إلاّ أنّها لا تعكس بالضّرورة حجم القطعان الفعلي في تلك الفترة، وتشير الأدلّة إلى أنّ الأغنام كانت أكثر انتشارا وأهمّية في نظام تربية الحيوانات بالمنطقة مقارنة بالأبقار، وأنّ التّربية الرّعوية الأوّلية كانت بسيطة حيث اقتصرت على مجموعات صغيرة من الأغنام ورعاتها الذين يملكون عددا محدودا من الرّؤوس، ومع مرور الزّمن وتطور الثّقافة الرّعوية بدأت الرّسوم تعكس تحولاً نوعيا في ممارسة هذا النّشاط[3]، حيث ظهر الرّعاة مع حيوانات مدجّنة، مشكّلين بذلك وحدات رعوية، انظر الشّكل رقم (28).

[1] Lehachemi (M-T.), et al., Op. Cit., p 201; Amara (I.), Drici (S.), Des bergers…,Op. Cit., p 65.

[2] Colette (R.), Amara (I.), From art to context: Holocene roots of an Initial Neolithic Pastoralism (INP) in the Atlas Ouled Naïl, Algeria. Quaternary International, 410, 2016, 103-122.

[3] Colette (R.), La gravure Holocène …, Op. Cit., pp3793-3794.



الشكل (28): رسومات صخرية تبين وحدات رعوية

المصدر: Amara (I.), Drici (S.), Des bergers …, Op. Cit., p 78

3- الرّعي في التّل والسّاحل:

- **منطقة التّل:**

تُظهر الرّسوم الصّخرية في منطقة التّل أي شمال البلاد المغاربية دلائل واضحة تؤكّد وجود الحياة الرّعوية، وقد قامت الباحثة روبي (Roubet) بدراسة في غاية الأهمّية حول الرّسوم الصّخرية التي تصوّر الأغنام، وتمّ التركيز على موقع خنقة الحجر (Khanguet el-Hadjar) ، حيث ساهمت هذه الرّسوم في توثيق الحياة اليومية للرّعاة، وفهم بدايات الاقتصاد الرعوي في المنطقة.

ويعتبر هذا الموقع من بين المواقع الأصيلة التي احتفظت بطابعها المحلّي دون أن تتأثر بالعوامل الخارجية، ممّا يمنحه أهمية خاصّة في دراسة أنماط الحياة الرعوية المبكرة حيث تمّ توثيق 38 وحدة رمزية تجسّد مشاهد للرّعاة وللقطعان التي شملت العديد من الحيوانات، وتميزت رسوم الرّعاة بالبساطة مع التركيز على الرّاعي الذي غالبا ما يُصوّر دون ملامح وجه واضحة لكنّه يظهر بمعيّة رموزه مثل العصا المنحنية، وتحيطه مجموعات من الحيوانات

بشكل يعكس خضوعها له، بينما تتولّى الكلاب مهمّة حراستها ومراقبتها[1] ،انظر الشّكلين رقم (29) ورقم (30).



الشكل رقم (29): رسم صخري يبين راعي وأغنام في خنقة الحجر

المصدر: Amara (I.), Colette (R.), Le Tell constantinois..., Op. Cit., p82

[1] Colette (R.), La gravure Holocène du bélier …, Op. Cit., p 3779.



الشكل رقم (30): رعاة وحيوانات مدجنة في التل القسنطيني

1-راع، أغنام، كلاب (خنقة الحجر)، 2-أغنام، ماعز، راع (كهف تاسينجا)

المصدر: Amara (I.), Colette (R.), Le Tell constantinois… ; Op. Cit., p 81

والجدير بالذّكر أنّ خنقة الحجر تعتبر من بين المواقع المميّزة في بلاد المغرب خلال العصر الحجري الحديث، فقد كانت مفترق طرق استثنائي مفتوحاً للجميع وكحلقة وصل ما جعلها مركزًا مهمًّا لحياة المجتمعات الرّعوية، والنّقوش الصّخرية التي تمّ العثور عليها في المنطقة تعتبر شاهدًا على تربية الماشية[1].

- **منطقة السّاحل:**

تُجمع الأبحاث بأنّ الثّروة الحيوانية خلال العصر الحجري الحديث لم تحظ بتوثيق كاف لندرة الفنّ الصّخري في السّاحل[2]، وقد أدّى هذا النقص إلى محدودية المعلومات المتوفرة عن المواقع السّاحلية مما يعيق في فهم كيفية الرّعي في هذه البيئة، ويُسهم في ضعف التّغطية الشاملة للمجال الجغرافي المدروس.

ولابدّ أنْ نشير إلى أنّ منطقة بلاد المغرب القديم شهدت تحولات مختلفة، وتُظهر الأدلّة الأثرية أنّه كان هناك وجودا مبكّرًا لتربية الماشية من الأغنام و الماعز والأبقار بدليل البقايا العظمية التي عُثر عليها في إحدى

[1] Colette (R.), Khanguet el-Hadjar, Encyclopédie berbère, 27, 2005, pp 4200-4201.

[2] ساحد عزيز طارق، المرجع السَّابق، ص 176.

أقدم المواقع في هوا افطيح (Haua Fteah) الذي يقع على ساحل قورينا (Cyrenaican) في ليبيا، ويُحتمل أنّه يعود إلى الألفية السّابعة قبل الميلاد[1]، وقد ازدادت أهمّية الرّعي في المنطقة وتتطورت تدريجيا، وأصبحت جزءًا مهمًّا من الاقتصاد والثقافة المحلّية.

وقد أشار الباحثان "أوشو" و "روبي" في دراسة لهما أنّ مناطق التّل المحاطة بسهول البحر الأبيض المتوسط، والتي تتخلّلها المجاري المائية توفر ملاجئ جيّدة[2] منها:

- ✓ في المنحدر الجنوبي من موجودس (Mogods) بجبل حيرش شمال تونس نجد موقع يعود للعصر الحجري الحديث في كهف العقاب (Kef el Agab)[3]، حيث قامت الباحثة نبيهة العوادي بحفريات في المنطقة سنة 2010، وخلصت إلى دلائل عن مؤشّرات أولى للنّشاط الرّعوي في المنطقة[4].
- ✓ المنحدرات الجنوبية بالقرب من البيبان (Bibans) شمال الجزائر والتي تنتمي لسلسلة الأطلس التّلي نجد موقع يعود للعصر الحجري الحديث تحديدا في كهف أدرار قولدمان (Adrar Gueldaman) ببجاية يحوي أدلّة على ممارسة الرّعي حيث تم تحديد وتأريخ بقر مدجّن صغير[5]، إضافة إلى ما عَثر عليه الباحث فريد خربوش سنة 2010 في موقع آخر بذات المنطقة يحتفظ على بقايا عظام حيوانية مدجّنة [6].

---

[1] Gifford-Gonzalez (D.), Pastoralism and its consequences. In African Archaeology, ed. A. B. Stahl, Oxford: Blackwell Publishing, 2005, pp 197-198.

[2] Colette (R.), Ouchaou (B.), Pastoralisme …, Op. Cit.,pp 6156.

[3] هو من بين مواقع العصر الحجري الحديث تم اكتشافه خلال 1947- 1948، ونشر تقرير حوله سنة 1953، واستمرّت أعمال التّنقيب سنة 1989 ، وقامت الباحثة نبيهة العوادي بإجراء عمليات مسح جديدة في الموقع إلى جانب موقعين آخرين وهما دكّانة الخطيفة (**Doukanet el–Khoutifa**)، والذي تم تأريخه حوالي الألفية السّادسة قبل الميلاد، ولهذا الإكتشاف أهمّية بالغة، حيث يشير إلى قطعان الماشية برفقة كلب مدجن، بالإضافة إلى صيد الحيوانات البرّية، ويعتمد سكّان هذه المنطقة على تربية الأغنام والماعز، بالإضافة إلى موقع الرديف (**Redeyef**)، حيث تم العثور على بقايا عظمية حيوانية برية وأخرى مدجّنة ولكن بنسب مختلفة، للمزيد يراجع:

Aouadi (N.), Dridi (Y.), Néolithisation et néolithique de Tunisie : Les sites et leur faune domestique, Encyclopédie berbère, 34, 2012, p 5486.

[4]Aouadi (N.), et al., Holocene environment and subsistence patterns from Capsian and Neolithic sites in Tunisia, Quaternary International xxx, 2013. Pp 1-2.

[5]Chaïd-Saoudi Yasmina, Les mammifères holocènes des gisements préhistoriques de Gueldaman-Akbou (Bédjaia), Columnata (Tiaret) et Ti-n Hanakaten (Djanet) en Algérie, Thèse de doctorat en Sciences. Paléontologie, Lyon 1, 1987.

[6] قام الباحث فريد خربوش بدراسة موقع مغارة قلدمان (**Gueldaman**)، حيث تمّ العثور على 1190 من البقايا الحيوانية المدجّنة من بينها الأغنام والماعز، والتي تعود إلى المرحلة الأولى من العصر الحجري الحديث حوالي 7002-6800 قبل الحاضر، للمزيد يراجع:

✓ في شرق المغرب المغرب الأقصى تمّ العثور في مواقع ريران (Rhirane)، الحريقة (El Hériga)، كهف قنفودة (Guenfouda)، وبوقنونة (Bouguenouna) والتي تعود إلى العصر الحجري الحديث على بقايا عظام حيوانات مختلفة منها الماعز وكان هو النّوع المهيمن، واضافة إلى كلاب وأبقار مدجّنة[1].

وكذلك عُثر في مواقع أخرى على بقايا ماعز وأغنام مدجّنة مثل منطقة النّاظور قريبا من مدينة تازة تحديدا في موقع حاسي ونزغا (Hassi Ouenzga)[2] وإفري أرماس (Ifri Armas) وإفري أودادان (Ifri Oudadane) [3] وتاغيت حدوش (Taghit Haddouch)، والزفرين (El Zafrin) وإفري وازبور (Ifri Ouazabour) ويعود تاريخها إلى الفترة الممتدّة بين الألفية السّابعة والألفية السّادسة[4]، بالإضافة إلى ذلك تمّ العثور في موقع كاف تحت الغار (Kaf-taht-el Ghar)، وغار لكحل (Ghar Khal) بشمال غرب المغرب الأقصى على بقايا عظام حيوانية مدجّنة من أبقار وأغنام وماعز وكلب[5].

وعلى الرّغم من تفرّق المعلومات وتنوع المواقع الأثرية المدروسة إلاّ أنّ الدلائل المتوفّرة تشير إلى قِدم وأصالة الحياة الرّعوية في هذه المناطق ممّا يؤكدّ محلّيتها، وتبرز الخريطة أدناه بعض المواقع الأثرية المذكورة والتي تمّ العثور فيها على بقايا حيوانية، انظر الشّكل رقم (31).

Kherbouche Farid, Le Néolithique Tellien de la Grotte de Gueldaman GLD1 (Babors d'Akbou, Algérie, VIII-V millénaire BP), Archéologie et Préhistoire, Thése Doctorat, Université Toulouse le Mirail – Toulouse II, 2015, pp 375-376.

[1] Colette (R.), Ouchaou (B.), Sur la domestication animale…, Op. Cit., p181.

[2] يُعدّ ملجأ حاسي ونزغا أحد أهم المواقع في بلاد المغرب القديم التي تعود إلى العصر الحجري الحديث، والذي تمّ اكتشافه أثناء الأعمال الميدانية التي أنجزت في إطار اتفاقية التعاون القائمة بين المعهد الوطني للآثار والتراث المغربي والمعهد الألماني للأركيولوجيا سنة 1995، ويقع موقع حاسي ونزغا (**Hassi Ouenzga**) على بعد 15 كلم شمال شرق ساكا (**Saka**)، المتواجدة على بعد حوالي 60 كلم جنوب مدينة النّاظور (**Nador**)، ويعود اسم حاسي ونزغا من واد صغير والذي شق طريقه من الشرق إلى الغرب عند سفح جبل بو تاويد (**Bou Tawid**)، ولا يزال حتى اليوم في الوادي نبع صغير والذي اطلق اسمه على المنطقة، واسم حاسي ونزغا بالأمازيغية ويعني منبع الغزال، للمزيد يراجع:

Linstädter (J.), Le site néolithique de l'abri d'Hassi Ouenzga (Rif Oriental, Maroc), Beiträge zur allgemeinen und vergleichenden Archäologie, Unversität zu Köln, 2003, pp 85-138.

[3] Linstädter (J.), Recherches recentes sur les sites en grotte du Neolithique ancient dans l'est marocain, Mémoires de la Société Préhistorique Française, Paris, volume LI, 2010, p232.

[4] Colette (R.), Ouchaou (B.), Op. Cit., p181.

[5] Colette (R.), Ouchaou (B.), Pastoralisme …, Op. Cit., pp 6157.



الشكل رقم (31): بعض المواقع الأثرية التي وجدت بها بقايا عظمية لحيوانات مدجنة في شمال افريقيا القديم (بتصرف)

المصدر:

de Faucamberge (É.), The Neolithic of Cyrenaica (North-east Libya): new enlightenments from recent research, Quaternary International , 410, 2016, p 145.

II- الرّعي خلال فجر التّاريخ:

اهتمّ الإنسان المغاربي القديم بتربية أنواع مختلفة من الحيوانات منذ العصر الحجري الحديث حيث شكّلت الثّروة الحيوانية موردا هامًّا لسكّان المنطقة، وظلّ النّشاط الرّعوي يحتلّ الدّرجة الأولى حتّى بعد ظهور الزّراعة في بلاد المغرب حيث كانت آهلة بقطعان الأغنام والأبقار والماعز[1].

ومع مرور الوقت ساهم تطور تربية الحيوانات في ظهور النّظام الرّعوي، الذي أصبح أحد العوامل الأساسية في البنية الاجتماعية المغاربية القديمة، وأدّى هذا التّطور إلى تصور جديد لعالم الحيوان في بلاد المغرب القديم وظهور نظام سلوكي جديد، وتمّ إنشاء مساحات رعوية ما أدّى بشكل تدريجي إلى ظهور طبقة اجتماعية قوية ومستقلّة ما بعد العصر الحجري الحديث[2].

وفي المرحلة اللاّحقة أي مرحلة فجر التّاريخ، تناولت الآثار المصرية جيرانها في الغرب لهدف يخصّها، وعلى الرّغم من أنّها تركّز بشكل رئيسي على تاريخ مصر، إلاّ أنّها قدّمت معلومات قيّمة بشكل غير مباشر وغطّت جزءًا مهمًّا من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التّاريخ في بلاد المغرب القديم وكيف عاشها اللّيبيون، حيث أماطت اللّثام عن المكوّنات الأساسية للقبائل اللّيبية موضّحة خصائصها من صفات وعادات، وهياكلها الاجتماعية، وأنشطتها السّياسية والاقتصادية، ورغم أهميّة المصدر المصري وما كشف عنه بشأن اللّيبين تبقى العديد من الجوانب لا سيما الاقتصادية والاجتماعية غير واضحة مقارنة بالمعلومات المتوفّرة حول المجالين السّياسي والعسكري، ومع ذلك ساهم هذا المصدر في دحض الرّؤية التي تبنّاها بعض المؤرّخين والذين يعتبرون أنّ بلاد المغرب القديم بقيت في حالة بدائية حتّى وصول الفينيقيين والاغريق الذين أدخلوا الحضارة إليها[3].

وتُظهر النّقوش الفرعونية مثل تلك العائدة للأسرة الخامسة (القرن 25ق.م – 24 ق.م) امتلاك اللّيبيين أعدادًا كبيرة من قطعان الماشية وثروة حيوانية هائلة، فقد سجّل الكاتب المصري القديم على جدران معبد الفرعون ساحورع من الأسرة الخامسة (2458ق.م- 2446ق.م) أنّه غَنِم من التّحنو 12344 بقرة و223400

[1] العقون محمد العربي، الإقتصاد والمجتمع في الشّمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص ص 19-20.

[2] Colette (R.), Ouchaou (B.), Pastoralisme …, Op. Cit., pp 6154-6155.

[3] العقون أم الخير، دولة الأمازيغ...، المرجع السّابق، ص ص 8-9.

حمارا و232413 من الماعز، و243688 من الأغنام[1]، ورغم احتمال المبالغة في هذه الأرقام إلاّ أنّها تعكس بوضوح وفرة الماشية لدى اللّيبيين القدامى.

وتستمرّ هذه الصّورة في النقوش اللاّحقة والتي تُظهر استمرار تربية الحيوانات حتّى القرون الأخيرة قبل الميلاد، ففي حربه الثّانية ضدّ اللّيبيين استولى الفرعون رمسيس الثالّث من الأسرة العشرين (القرن 12ق.م) على غنائم كثيرة بلغت 42721 رأسا من الحيوانات المختلفة وتوزّعت كما يلي: 107 ثور من ذوي القرون الطّويلة، 7340 رأسا من الماشية مختلفة الأعمار، 34738 رأسا من الغنم، 9452 من الماعز، 184 حمارًا و92 زوجا من الخيول التي تجر 92 عربة، وتدلّ هذه الأعداد على وفرة الثّروة الحيوانية بليبيا وعلى خصوبة الأراضي اللّيبية الملائمة لتربيتها، وكذلك استمرار مهارات الرّعي بين القبائل اللّيبية حتّى قرون متأخّرة قبل الميلاد[2].

[1] العقون أم الخير، صور من حياة المجتمع الليبي القديم...، المرجع السّابق، ص 21.

[2] نفسه، ص ص 21-22.

III- الرّعي خلال الفترة التّاريخية:

وفيما يخصّ الفترة التّاريخية نجد المصادر بنوعيها المادّية والأدبية أكثر وضوحا مقارنة بفترة ما قبل التّاريخ، لكن فيما يتعلّق بالنّشاط الرّعوي فهي أيضا تتميز بعدم الشّمولية وتنقصها الدّقة، فهي متفرّقة وغامضة ورغم ذلك نحاول أنْ نبني تصورًا تقريبيا للنّظام الرّعوي الذي كان سائدا خلال الفترة التّاريخية وبشكل خاص في الفترة الرّومانية والتي تأتينا معلوماتها من مصادر متنوّعة.

وعلى حدّ علمنا وما توفّر لدينا وجدنا أنّ البحوث والدّراسات الحديثة لا تشمل المجال الجغرافي ولا حتّى المجال الزّمني لبلاد المغرب القديم ممّا يصعّب فهم طبيعة النّشاط الرّعوي وتطوره في الفترة التّاريخية، وقد حاولنا لملمة شتات الموضوع في انتظار تكثيف عمليات البحوث الأثرية وتظافر جهود الباحثين في تخصّصات متعدّدة.

1-الفترة القرطاجية:

من المعروف أنّ القرطاجيين كانوا تجارا بارعين استفادوا من موقعهم الجغرافي المميّز على ساحل البحر الأبيض المتوسّط لتطوير شبكة تجارية واسعة ولكن هذا لا يعني بالضّرورة أنّهم أهملوا الزّراعة وتربية الحيوانات، والأدلّة التّاريخية تشير إلى أنّ القرطاجيين كانوا يدركون أهمّية تربية الحيوانات ولديهم معرفة متقدّمة في هذا المجال وهو ما يمكن أن يُستدلّ عليه من خلال وجود مهندس زراعي مثل "ماغون" (Magon)القرطاجي.

وتُعدّ أعمال ماغون من أبرز المساهمات التي قدّمتها منطقة بلاد المغرب القديم للحضارة الإنسانية، ويعود تاريخ موسوعة الفلاحة الإفريقية إلى القرن الثّالث قبل الميلاد، وباعتراف الرّومان بأنّها أعظم عمل علمي في عصرها، فهي التي أسّست للعلوم الزّراعية وعليها تعلّم الإغريق والرّومان واستفادوا منها في تطوير معارفهم حيث تمّ ترجمتها إلى اللاّتينية بأمر من مجلس الشّيوخ[1].

وتعتبر مؤلّفاته من المصادر المتخصّصة في موضوع الزّراعة وتربية الحيوانات، ولعلّ ترجمتها الى اللاّتينية بأمر رسمي لدليل على الأهمّية العلمية الكبيرة التي أولاها الرّومان لهذا العمل، واعتراف الرّومان بقيمة هذه الموسوعة يشير إلى التّأثير الواسع لها حيث ساهمت ترجمتها في نقل المعرفة المتقدّمة في مجال العناية بالحيوانات وتطوير وتحسين أنواعها من القرطاجيين إلى الحضارة الرّومانية.

[1] العقون العربي، موسوعة الفلاحة الافريقية-الهوية والأهمية، أعمال الملتقى الوطني الاول المنعقد يومي 06-07 نوفمبر 2013 جامعة معسكر، اشراف د بختة مقرانطة، 2013، ص 247.

ولعلّ الشّذرات المتبقّية من كتاب "ماغون" تبيّن لنا أنّ القرطاجيين زرعوا الحبوب والخضر والزّيتون والأشجار المثمرة خاصّة التّين والرّمان والإجاص، وربّوا الأبقار والخيول والبغال والدّواجن وحتى النّحل[1]، وهذا ما يدلّ على أنّ للقرطاجيين اقتصاد متقدّم وشامل ومن الضّروري تصحيح الصّورة النّمطية التي سادت حول إهمالهم لقطاع تربية الحيوانات.

وقد كانت الماشية تزوّد سكّان قرطاجة باللّحم والحليب، وتزوّد الزّراعة بالسّماد الحيواني، وحافظت الأرستقراطية عليها في حالة جيّدة بأراضيها واستغلّت منتجاتها، ونجد على سبيل المثال "كولوميل" أعاد الوصف الدّقيق الذي أعطاه "ماغون" للثّيران التي ينصح باقتنائها وأعطى طرائق خاصّة لحفظ الماشية الكبيرة بصحّة جيّدة، وكان الرّومان على عهد فارون يطبّقونها في ضيعاتهم، ونصح بِخصي العجول في صغرها وحدّد أحسن طريقة لإجراء العمليات على الحيوانات الكبيرة في السّن[2].

2- فترة الممالك المحلّية:

نشأت الممالك المحليّة في بلاد المغرب القديم تدريجيا، وساهمت في تشكيل خصوصيات سياسية واقتصادية مميّزة للمنطقة، ونظرًا لكون هذه الدّراسة تُعالج موضوع الرّعي في كامل بلاد المغرب القديم فقد ارتأينا التركّيز على نوميديا كنموذج، إضافة إلى كونها تمثّل المجال الجغرافي للجزائر القديمة.

كان الرّعي في بلاد المغرب القديم خلال الفترة النّوميدية جزءًا من عملية تطور طويلة ومعقّدة، وقد كشفت الأبحاث عن وجود اختلافات واضحة بين المنطقة الغربية والشّرقية فيما يخصّ تربية الحيوانات حيث أظهرت الأدّلة الأثرية أنّ المناطق الغربية لبلاد المغرب القديم تميزت بتربية الأبقار التي تتناسب مع المراعي الواسعة، بينما اعتمدت المناطق الشّرقية على تربية الأغنام والماعز في بيئات جبلية[3].

[1] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 75.

[2] قزال ستيفان، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي مسعود، ج 4، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص ص 35-36

[3] Cruz-Folch (I.), et al., From western cowboys to eastern shepherds: Funerary practices and animal husbandry in Mauretania and Numidia from the first millennium BC to circa 500AD. Quaternary International, 471, 2017, 175-189.

وتعتبر ألثيبوروس (Althiburos) الواقعة شمال تونس موقعًا فريدًا لأنّه يحتوي على تسلسل زمني واضح وشامل للفترة النّوميدية، حيث قام الباحثون بدراسات حول الفيتوليت (Phytoliths) وهي بقايا النباتات المتحجّرة، وكذلك السفيرولية (spherulites) وهي جسيمات صغيرة تتشكّل في روث الحيوانات، وقد وفّرت تلك التّحاليل معلومات عن أنشطة الرّعي التي قام بها النوميديون، ويدلّ وجود الرّوث والحبوب معًا أن النّوميديين لم يعتمدوا على الرّعي فقط بل كانوا يدمجون بين الزّراعة والرّعي[1] واستخدموا الرّوث في أنشطة متعدّدة[2].

ولابدّ أن نشير إلى أن النّوميديين لم ينتظرو على وجه الخصوص وصول الفينيقيين لتطوير تربية الخيول، حيث تمّ العثور على عدّة نقوش صخرية تظهر صورا للخيل التي كانت في خدمة الإنسان المغاربي القديم منذ نهاية الألفية الثّانية قبل الميلاد، وعلى الأرجح أنْ يكون الفينيقيون والقرطاجيون قد نقلوا بعض النّصائح المفيدة وساهمو بها في تحسين رعاية وتربية الخيول[3].

3- الفترة الرّومانية:

حظيت منطقة بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الرّوماني باهتمام الكثير من المؤرّخين والباحثين على الصّعيد الاجتماعي والسّياسي والدّيني والعسكري وكذلك الاقتصادي، هذا الأخير الذي انصبّت جلّ الدّراسات فيه على موضوع الزّراعة لكن فيما يخصّ الرّعي نجد أنّ البحوث والدّراسات قليلة وإنْ وجدت فهي تمسّ مناطق دون سواها، ونستثني من ذلك الدّراسة الأكاديمية البالغة الأهمّية التي قام بها الباحث أنيس حجلاوي من تونس، حيث ركّز على الرّعي وتربية الحيوانات في افريقيا خلال الفترة الرّومانية.

تمثّل قطعان الحيوانات ثروة متجدّدة وتقديم الرّعاية لها وتربيتها وتطويرها يكسبها أهمّية، وقد انتبه الرّومان لحيوية هذا القطاع وما يُدِرّه عليهم من أرباح وثروة تزيدهم من نفوذهم وهيمنتهم على بلاد المغرب القديم التي تتميّز بالتّنوع ووفرة الحيوانات نتيجة ملاءمة أرضها لتربية الماشية، وقد أكّد "ساليست" ذلك[4].

---

[1] Portillo (M.), Albert (R.), Husbandry practices and livestock dung at the Numidian site of Althiburos (el Médéina, Kef Governorate, northern Tunisia): the phytolith and spherulite evidence. Journal of Archaeological Science, 38, 2011, pp 3224-3233.

[2] Portillo (M.), Valenzuela (S.), Albert (R.) Domestic patterns in the Numidian site of Althiburos (northern Tunisia): The results from a combined study of animal bones, dung and plant remains. Quaternary International, 275, 2012, pp 84-96.

[3] Ait Amara (O.), Le cheval en Numidie: bilan des connaissances, Aqvila Legionis ? Cuadernos de Estudios sobre el Ejército Romano, Signifer Libros, Espagne, 2014-2015, p 30.

[4] ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 17.

أ- الرّعي من خلال الفسيفساء:

تعتبر اللّوحات الفسيفسائية مصدرًا مادّيًا هامًّا ووفيرًا والتي تعود عموما من القرن الأول الميلادي إلى غاية القرن السّادس ميلادي، وتجسّد هذه الفسيفساء مشاهد من الحياة اليومية التي تكشف عن وفرة المحاصيل الزّراعية وكذلك كثرة الماشية التي كانت ترعى في الحقول الواسعة، وتوفّر اللّوحات تفاصيل دقيقة عن القطعان المتنوّعة من الأغنام والماعز والثّيران وحتّى الخيول والخنازير وكذلك الدّجاج، ممّا يعكس التّنوع والوفرة في الموارد الحيوانية.

وقد أكّدت اللّوحات الفسيفسائية التي ظهرت فيها مشاهد رعوية ما جاء في النّصوص الأدبية إضافة إلى الاستعمالات المختلفة للحيوانات من لحوم وحليب وحرث ونقل وجزّ وقنص، إذْ تظهر لنا مشاهد من المزارع الكبرى ومدى ما بلغه التّطور الفلاحي في افريقيا ومن أبرز تلك اللّوحات:

- **لوحة زليتن(Zliten)**:[1]

توجد بليبيا وتؤرّخ ب (القرن I.م)، حيث تُظهر لنا مباني قروية ومشاهد زراعية متنوعة كالحرث والحصاد ونزع الأعشاب الرّديئة وما يهمّنا هو مشهد حلب الماعز[2].

- **لوحة أودنة (Oudhna)**:

تعود إلى منتصف القرن الثّاني ميلادي وتوجد حاليا بمتحف باردو بتونس، وتمثّل مشهدًا شاملاً لاستغلالية زراعية بمرافقها المختلفة، وتظهر لنا مشاهد مختلفة مستوحاة من الحياة اليومية، إذْ يمكننا أن نميّز حظيرة يتّجه نحوها قطيع من الأغنام والماعز العائد من المراعي، بالإضافة إلى بئر تزوّد المزرعة بالمياه وحمار يُستخدم لنقل الإنتاج، ومن الضّروري أن تحتاج هذه الاستغلالية إلى عمّال وهذا ما نلمسه من خلال اللّوحة حيث يظهر أحدهم مشغولا بحلب الماعز[3]، انظر الشّكل رقم (32).

[1] بيكار جيلبار شارل، المرجع السّابق، ص 75.

[2] بلكامل البيضاوية، المرجع السّابق، ص 23.

[3] Yacoub Mohamed, Op. Cit ., pp. 200- 202.

ويستمرّ المشهد في اللّوحة إذ يظهر شخص يدفع بزوج من الثّيران لجرّ محراث خشبي، وتضمّ المنطقة سهلا خصبًا وغنيًا وتلالاً مغطّاة بالأشجار، وفي السّهل توجد حقول قمحٍ ومراعٍ، أمّا الأطراف الجبلية المجاورة للمزرعة فهي مغروسة بأشجار الزّيتون وتصلح لرعي الماعز والأغنام[1]، وهذا ما يدفعنا للقول أنّ الزّراعة والرّعي نشاطان مكمّلان لبعضهما البعض



الشّكل رقم (32) : مشاهد رعوية وزراعية وقنصية مختلفة ممثلة على فسيفساء أودنة (تونس)

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur…, Op .Cit, p 201

فسيفساء السّيد يوليوس:

تعود إلى القرن الثالث ميلادي بمتحف باردو بتونس، وتقدّم مشهدًا متكاملاً للحياة الرّيفية آنذاك، فهي لا تركز على جانب واحد فقط بل تجمع بين أنشطة الزّراعة والرّعي والصّيد، فيظهر في المشهد حقل قمح، وباقي الأراضي موزّعة بين الزّيتون والكروم والحدائق والمراعي[2].

[1] بيكار جيلبار شارل، المرجع السَّابق، ص ص 75-76.

[2] Aounallah (S.), Op. Cit., p 288.

فسيفساء طبرقة (Tabarka):

يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الرّابع ميلادي موجودة بمتحف باردو، وهي مخصّصة بشكل رئيسي للكروم والزّيتون وفواكه أخرى، وتشمل تربية الحيوانات منها الأغنام والخيول والدّواجن[1]، كما تمّ تمثيل امرأة راعية تغزل الصّوف[2]، انظر الشّكل رقم (33).



الشّكل رقم (33): لوحة فسيفسائية في طبرقة تصور مشاهد للحياة الريفية

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur…, Op .Cit. , p 212

[1] بيكار جيلبار شارل، المرجع السّابق، ص 76.

[2] Ben Osman (O.), et al., Mosaïque De Tunisie, Cérès Productions,Tunis, 1976, p 54.

- **فسيفساء شرشال:**

تعود إلى الفترة ما بين القرنين الرّابع والخامس الميلاديين وتمثّل لنا مشاهد غنية بالحياة الرّيفية والزّراعية حيث تصوّر مشهدا لذبيحة، كما تتضمّن مشاهد أخرى مثل غراسة العنب وقطفه، انظر الشّكل رقم (34).



الشكل رقم (34): مشهد لذبيحة على من خلال فسيفساء موريطانيا القيصرية

المصدر: رميلي نجمة سراج، محمد الشريف حمزة، زراعة الكروم وتصنيع الخمر من خلال فسيفساء موريطانيا القيصرية، مجلة الدّراسات الأثرية، المجلد 10، العدد 1، 2012، ص 23.

وعليه يتبيّن لنا من خلال مشاهد اللّوحات الفسيفسائية والنّصوص الأدبية التي تمّ استعراضها أنّها تصوّر مشاهد زراعية بالموزارة مع مشاهد رعوية، ما يدلّ على أنّ هناك تكاملاً بين النّشاطين الزراعي والرّعوي ورغم هذا التّكامل إلاّ أنّ هناك استثناءات تتمثّل في نشوب صراعات بين المزارعين والرّعاة نتيجة التّنافس على الموارد الطبيعية مثل الأراضي والمياه، فالمزارعون كانوا يحتاجون إلى الأراضي الخصبة للزّراعة بينما الرّعاة كانوا يحتاجون إلى المراعي لتربية مواشيهم.

ب – الرّعي من خلال النّقائش:

تُظهر الأدلّة إلى استمرار نشاط الرّعي وتحولّه إلى مهنة مثل بقيّة المهن الأخرى وهو ما تؤكّده العديد من النّقوش، وتعدّ نوميديا مثالاً مهمًّا إذْ اشتهرت بثروتها الحيوانية المتنوعة والوفيرة، وقد مارس النّوميديون هذه المهنة منذ زمن طويل واستمرّت ممارستها خلال الفترة الرّومانية، حيث تمّ العثور على عدّة نقيشات لاتينية في مناطق متعدّدة من نوميديا والتي احتوت نصوصها على كُنَى تدلّ على انتشار وممارسة مهنة الرّعي.

ومن بين تلك المناطق نجد مدينة تيبيليس (سلاوة عنونة) حيث عثر على هذا النّوع من النّقيشات والتي تظهر بوضوح مهنة الرّاعي (**Pastor**)، وتدلّ كنية الشخص المذكور في النّقيشة على مهنته.

- **الكتابة رقم 1** [1]

C(aius) Caelius / **Pastor** / v(ixit) a(nnos) XXXV / h(ic) s(ita) e(st)

كما عُثر على نقيشة جنائزية بمدينة قالمة تبرز مهنة مربّي أو بائع الماعز (**caprarius**) والتي تدلّ على وجود ما يعرف بالتّخصّص في تربية نوع من الحيوانات دون أخرى.

- **الكتابة رقم 2**[2]:

D(is) M(anibus) s(acrum) / Iulia Pu/pa Ho(s)pi/talis fil(ia) / vix(it) an/(n)is XLIII / m(ensibus) VII // D(is) M(anibus) s(acrum) / Iulius / Fort/unat/us **Ca/prari/** fil(ius) vix(it) / an(n)is L / m(ensibus) IIII

إلى جانب ذلك نجد مهنة حارس قطعان الفيلق (**pecuarius**) وهي مهنة مرتبطة بالمؤونة والتموين، وتعني أيضا مربّي المواشي.

الكتابة رقم 3 [3] :

D(is) M(anibus) s(acrum) / Q(uintus) Baebius / Ianuarius / **pec(uarius**) leg(ionis) v(ixit) a(nnos) / XXXIIII m(enses) VII / Caecilia Fausta coniu(x) / et Baebia Faustina Caecilia / patri her(edes) fec(erunt)

وتظهر الإشارة إلى راعي قطعان الفرقة الأغسطية الثّالثة لظهور كلمة الفيلق **(legionis)** بعد المهنة **(pecuarius).**

[1] ILAlg-02-02, 05028.
[2] CIL 08, 05434 (p 1659) = ILAlg-01, 00497.
[3] CIL 08, 02827 = CIL 08, 18146.

إضافة إلى ذلك قامت الباحثة بوشارب سلوى بجمع عدد من النّصوص لنقيشات لاتينية، وتبين أنّ هناك تنوّعا في المصطلحات: راعي (**Pastor**)، مربي المواشي (**pecora**)، مربّي ماعز (**Caprarius**)، ما يؤكّد وجود تخصّصات في النّشاط الرّعوي في المجتمع النّوميدي تحديدًا، وأنّ هناك فرق بين "مربّي الماشية" و "الرّاعي"، فقد يوجد من يقوم بتربية الماشية لكنّه لا يمارس حرفة الرّعي لأنّ الرّاعي قد يكون عاملا عند مالك الماشية[1].

ج- الرّعي من خلال المصادر الأدبية:

أشارت العديد من المصادر الأدبية القديمة إلى الرّعي باعتباره من بين أهمّ وأبرز الأنشطة التي مارسها سكّان المغرب القديم إلاّ أنّ هذه النّصوص تميزت بالنّدرة والغموض، ورغم ما تحويه من فجوات فإنّها تظلّ ذات قيمة تاريخية مهمّة.

وتُعدّ كتابات المؤرّخ "هيرودوت" مصدرًا أساسيًا للدّراسات المتعلّقة باللّيبيين القدماء حيث أكّدت الدّراسات الأثّرية والأنثروبولوجية صحّة العديد من رواياته، ويمكن حصر معلومات هذا المؤرّخ المتعلّقة بالسّكان اللّيبيين القدامى فيما يُسمّى اليوم بمعلومات الأنماط، حيث تمّ تصنيفهم حسب مواردهم وأنشطتهم الاقتصادية والجغرافية[2].

وقد وصف "هيرودوت" سكّان بلاد المغرب القديم بتقسيمهم إلى مجموعتين رئيسيتين: الأولى في الشّمال وهم سكان مستقرّون يمارسون الزّراعة، والثّانية في السّهوب والمناطق الجنوبية وهم رعاة عاشوا حياة التّرحال، وأشار إلى أنّ الجزء الشّرقي الممتدّ من مصر إلى بحيرة تريتونيس (Tritonis) كان موطنًا للبدو بينما كانت القبائل المستقرّة تعيش في المناطق الواقعة غرب تريتونيس[3].

وعلى العموم فإنّ أهمّ المجموعات البشرية التي تردّد ذكرها في النّصوص الأدبية والنّقوش الأثرية ممثّلة فيما يلي: الموريون في الغرب والنّوميديون في الوسط والشّرق والجيتوليون في الدّاخل بمحاذاة الموريين والنّوميديين في الجنوب الغربي والجرامنتيون في الجنوب الشّرقي، وتتضمّن كل مجموعة كبرى من التي سلف ذكرها قبائل كثيرة،

[1] بوشارب سلوى، المرجع السّابق، ص ص 307- 308.

[2] شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية ... المرجع السّابق، ص ص 192-193.

[3] Herodote, Histoires, IV, 191.

اشتهر بعضها في تاريخ المقاومة ضدّ الاستعمار الرّوماني كقبائل البقواط (Baquates)، والبوار (Bavares) المنتمية إلى بلاد المور (موريطانيا)، وقبائل الموزولامي (Musulames) الضّاربة في بلاد النّوميديين والجيتوليين[1].

وأشار "هيرودوت" إلى أهمّية تربية الماشية لما لها من فوائد[2] كما أخبرنا عن الثّور الذي يرعى إلى الوراء، ويضيف ذات المؤلّف أنّ النّاسامونيين الذين يتميّزون بكثرة العدد يتركون قطعانهم في الصّيف ويصعدون إلى منطقة تسمىّ أوجيليس (Augiles) لجمع التّمور خلال فترة الخريف والتي تتميز بالوفرة، ويصطاد النّاسامونيون كذلك الجراد ويجفّفونه عند الشّمس ويحوّلونه إلى مسحوق يتمّ خلطه مع الحليب ثمّ يشربونه[3]، وبذلك يمكننا القول بأنّ الجمع بين تربية القطعان وجمع التّمور وصيد الجراد يعكس تكاملاً في أسلوب حياة هؤلاء السّكان لضمان أمنهم الغذائي.

وأشار "بوليب" (200ق.م-120ق.م) إلى وفرة الثّروة الحيوانية في المنطقة، موضّحا وجود أعداد هائلة من الخيول والثّيران والأغنام والماعز لدرجة أنّه لا يمكن العثور على مثل ذلك في بقية العالم[4]، ومن جهته ذكر "تيت ليف" أنّ هذه الماشية تمثّل ثروة رئيسية لسكّان المنطقة[5]، وأكّد "ساليست" على وفرة القطعان في المراعي[6].

ويدعّم "ديودو الصّقلي" في القرن الأول قبل الميلاد ما ذكره "هيرودوت" حول بحيرة تريتونيس التي تقع عند سفح أعلى جبل في المنطقة والذي يسمّيه الإغريق "أطلس" حيث يلامس المحيط، ووصف ديودور جزيرة هسبيرا بأنّها واسعة جدًّا، مليئة بأشجار الفاكهة من جميع الأنواع والتي تلبّي احتياجات السّكان، كما أشار أن هؤلاء السّكان اعتمدوا في غذائهم أيضا على لبن ولحم الماعز والأغنام التي يحتفظون بقطعان كبيرة منها[7].

وتظهر من كتابات "فرجيل" أهمّية تربية الماشية خصوصا الأغنام والماعز، حيث كانت هذه الحيوانات تُربى بأعداد كبيرة وتُستخدم لإنتاج الحليب بالإضافة إلى دورها في صناعة الملابس والمجال العسكري، كما كان بالإمكان أن ترعى في المناطق الوعرة[8].

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السّابق، ص ص 194-195.

[2] Herodote, Histoires, IV, 186.

[3] Herodote, Histoires, IV, 172.

[4] Polybe, Histoires, XII, 3,3.

[5] Tite Live, Histoire romaine, XXIX, 31, 8.

[6] Salluste, XLVI, 5

[7] Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, III, 53

[8] Virgile, Géorgiques., III, 300- 330.

وللماعز القدرة على التّعايش في مختلف الظّروف البيئية والجغرافية، حيث ترعى على الأشجار وكذلك على النّباتات التي تنمو طبيعيا في الأماكن شديدة الانحدار، وتتمتّع الأغنام والماعز بذاكرة قوية ما يساعدها على العودة إلى الحظيرة، وفي فصل الشّتاء كان يتمّ توفير العلف لها، أمّا في فصل الصّيف كانت القطعان ترسل إلى المراعي الطّبيعية[1].

ووصف "فرجيل" في قصائده الرّعاة الرّحل في ليبيا الذين يرعون قطعانهم بعيدا عن أهلهم ولمدّة شهر كامل دون انقطاع، كان هؤلاء الرّعاة يتّجهون إلى الصّحاري الشاسعة معتمدين على خبراتهم، وكانوا يحملون جميع احتياجاتهم اليومية بما في ذلك المسكن والسلاح والقطعان والكلب الذي كان رفيقهم الدائم[2].

[1] Virgile, Géorgiques, III, 295-338.

[2] Virgile, Géorgiques, III, 340.

ثانيا– مجالات الرّعي في بلاد المغرب القديم:

يتطلّب تحديد المجالات الرّعوية في بلاد المغرب القديم منذ ما قبل التّاريخ وحتى نهاية الفترة الرّومانية دراسة شاملة متعدّدة الأبعاد تجمع بين الأدلّة الأثرية والنّصوص التّاريخية، وتعاونًا بين متخصّصين في مجالات مختلفة مثل علم الجغرافيا والبيئة والإثنوغرافيا لإعادة بناء صورة شاملة عن حياة الرّعاة القدماء، ومع ذلك تبرز الحاجة إلى تطوير أدوات التّحليل واعتماد منهجية نظرية رغم ما تحمله من إشكاليات خاصّة وأنّ هذه المنهجية تعتمد على الافتراضات النّظرية البحتة[1].

وبطبيعة الحال لا يمكننا الإحاطة بجميع مجالات الرّعي أو رسم مسارات الرّعاة بشكل دقيق بسبب ندرة المصادر التي تساعد في وضع خريطة واضحة لها، إضافة إلى تعقيدات تضاريس بلاد المغرب التي أدّت إلى تنوع في أنماط الرّعي، كما أدّى التّنقل المستمر للرّعاة بحثا عن المراعي والمياه صعوبة تحديد مواقع ثابتة، فضلا عن التّحولات الاقتصادية والاجتماعية وكذلك السّياسية التي أثّرت بدورها على مجالات الرّعي.

وبذلك نصل إلى نتيجة مفادها أنّ موضوع المجالات الرّعوية في بلاد المغرب القديم خاصّة في العصر الحجري الحديث شائك ومعقّد للغاية لأنّ المعطيات المتوفرة حاليا لا تعطينا سوى معطيات نقاطية وليست مجالية، كما أنّ النّقص في الدّراسات الميدانية المركّزة على هذا الموضوع تحديدا صعّبَ من مُهمّتنا البحثية، وبالتّالي نخلص إلى أنّ الأفكار موجودة لكن لا وجود لِتطبيقاتها.

أمّا في الفترة الرّومانية تعتبر الأرض في السّياسة العامّة للرّومان مصدر القوة والنّفوذ، وقد كان هناك ما يُسمّى بأراضي المراعي والتي توزّعت على عدّة أنواع ويمكن تبسيط أوجه الحيازة كما يلي:

I – أراضي الأباطرة:

رغم قلّة الوثائق إلاّ أنّنا نجد نصًّا في نقيشة "هنشير متّيش" (Henchir Mettich) بشمال غرب تونس تعود إلى فترة حكم الإمبراطور تراجان (Trajan) عُثر عليها سنة 1896م كنموذج يُبيّن لنا تنظيم الأراضي، وهو عبارة عن عقد تسيير يتعلّق بالأملاك المعروفة بفيلا ماغنا فاريانا (Fundus Villae magnae Varianae)[2] أصدره وكيل الإمبراطور تراجان عام 116م او 117م.

[1] Stefano Biagetti, Savino Di Lernia, Vers un modèle ethnographique-écologique..., Op .Cit., p 27.

[2] تضمّن هذا النّقش عدّة قوانين، وتمت دراسته وإثارة عدّة تساؤلات خاصّة تلك المتعلّقة بأصحاب الممتلكات، للمزيد يراجع:

وتضمّنت هذه النّقيشة نصوصا قانونية هامّة من بينها ما يتعلّق بتربية الماشية، حيث كان المرعى مصدر دخل لمالِكيها، وقد جاء في البند العاشر حول زراعة العلف في العقار:" أنّ الحقول التي تخصّص لزراعة العلف بالعقار تعود أقساط من محصولها إلى مسيري العقار"، وجاء في البند الحادي عشر الخاص بتربية الحيوانات: " أنّه على مربّي الحيوانات من المزارعين داخل العقار أن يدفعوا لصاحبه أربع قطع نقدية من البرونز على كل رأس من الماشية"[1] ما يدلّ على أنّ الرّعي كان جزءًا من الاقتصاد الزّراعي المرتبط بملكية الأراضي التّابعة للسّلطة الرّومانية.

II- أراضي ذات ملكية فردية:

لا يمكننا جرد الملكيات الفردية للأراضي الرّعوية نظرا لندرة المصادر إلاّ أنّه يمكننا إعطاء مثال عن ذلك ويتمثّل في شخصية السيدة بودنتيلا (Pudentilla)، وهي من النساء الرّومانيات الأرستقراطيات لديها ثروة هائلة من أراضي وممتلكات زراعية واسعة في منطقة طرابلس، حيث تمكّنت من إدارة ممتلكاتها وتنظيم استغلالاتها، وكان هناك ازدهار كبير في تربية الأغنام والماعز والخيول على أراضيها، وتمتلك عددًا كبيرًا من العبيد الذين كانوا يقومون بإدارة نشاط الرّعي، ويبدو أنّ هناك رعاة متخصّصون يتمّ توظيفهم من قبل ملاّك الأراضي للعناية بهذه الحيوانات، "upiliones" لرعاية الأغنام و"equisones" لرعاية الخيول[2].

III- أراضي القبائل:

فرضت الحياة الرّعوية على القبائل ضرورة حيازة أراضي لترعى بها قطعانها، حيث كانت هذه الأراضي تستخدم بصورة مشتركة دون حاجة إلى تقسيمها، إذّ تنتشر الماشية في المراعي المتوفّرة لجميع أعضاء القبيلة[3] وخلال الفترة الرّومانية أصبحت أراضي القبائل مجالاً مهمًّا للنّشاط الرّعوي وهي الأراضي التي تركتها السّلطة

Jaques (F.), L'origine de Villa magna variana id est mappalia siga (Henchir Mettich): une hypothèse, Ant. Afr, 29, 1993, pp. 63-69.

[1] شنيتي محمد البشير، التّغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 79.

[2] Pavis d'Escurac Henriette, Pour une étude sociale de l'Apologie d'Apulée. In: Antiquités africaines, 8,1974, pp. 89-101.

[3] قزال ستيفان، ج5، المرجع السّابق، ص 177.

الرّومانية للعشائر ليستفيدوا منها بشكل جماعي أهمّها المراعي والأراضي الزّراعية المنخفضة وأيضا الأقلّ خصوبة وكان هذا النّوع مجالاً لحركة التوسع الزّراعي التي بلغت أوجّها في القرن الثّالث ميلادي أيام الأباطرة السّيفيريين[1].

وقد استولت السّلطة الرّومانية على مساحات مهمّة من أراضي عدّة قبائل من بينها نجد مراعي قبيلة الموزولامي وحوّلتها إلى ضياع كبرى، ويكون هذا بعد تجريد القبيلة من أراضيها الخصبة وترحيلها إلى أراضي جبلية أو صحراوية ولا يبقى للقبيلة إلا خطّ الإنتجاع والأراضي الأقلّ خصوبة وهو الإجراء الذي قاومته قبيلة الموزولامي ما بين 14 و29م[2].

كما نجد مَعلمَين مِيليين مؤرّخين بفترة حكم الإمبراطور تراجانوس (Trajanus) ما بين (98-117م)، إضافة إلى نقيشة عين البرج التي تشير إلى إشراف الليقاتوس توليوس بومبنيانوس كابيتو (Tullius Pomponianus Capito) (74-79م) على رسم جزء من حدود أراضي مستوطنة (كيرتا) التي أوكلت مهمّة استغلالها إلى قبيلتي السّوبوربوراس (Suburbures) والنّيسيبس (Nicibes)، هذه السّياسات تهدف إلى توطين القبائل، غير أن السّلطة الرّومانية سرعان ما استولت على جزء منها، كما أنّها قامت في ظل الأسرتين الأنطونينية والسّيفيرية بترحيل القبائل الرّعوية القاطنة بسهول كيرتا ممّا دفع بعضها إلى الهجرة نحو المناطق الصّحراوية [3].

V- أراضي المعمّرين :

بعد أنْ أحكمَ الرّومان سيطرتهم على بلاد المغرب القديم أصبحت أراضيها سنة 146ق.م مُلكا للشّعب الرّوماني وصدر عدد من القوانين طوال القرن الذي أعقب الاحتلال، ولكنّنا لا نعرف سوى البعض من هذه الوثائق القانونية والإدارية ومن أهمّها قانون روبريا (Lex Rubria) الذي صدر سنة 123ق.م لإنشاء مستعمرة في قرطاج وأعقبها توزيع الأراضي على المعمّرين[4].

---

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السّابق، ص ص 93-95.

[2] فاضل لخضر، تبسة في العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران1- أحمد بن بلة، الجزائر، 2017-2018، ص 127. عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 279.

[3] مضوي خالدية، التواصل الحضاري بمدينة قسنطينة (Cirta-constantina) في العصور القديمة (ماقبل التاريخ – نهاية الاحتلال الروماني)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران1- أحمد بن بلة، الجزائر، 2016-2017، ص 500.

[4] قزال ستيفان، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، ج 7، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص 69.

VI- أراضي غير صالحة للزّراعة :

هناك أراضي بها حجارةّ أو مستنقعات أو أشجار أو أعشاب كثيفة، وعندما تكون هذه الأراضي مغطّاة بالنّباتات الطّبيعية المتنوعة على نطاق واسع يطلق عليها اسم سالتوس (Saltus) (الدّيسة) أمّا المساحات الواسعة الوعرة التي توجد خارج النّطاق الكنتوري تسمّى بالمناطق المهملة (Loca relicta)، وهي أراض غير مخصصة للاستصلاح بل تستغلّ في نشاط الرّعي[1]، وفي عام 123 ق.م وبعد أول محاولة لإنشاء مستعمرة في افريقيا الرّومانية وُزِّعت عدّة أراضي على المستوطنين الإيطاليين الذين استقروا في قرطاج وكان من بينها أراض غير صالحة للزّراعة خُصِّصت للرّعي[2].

وهناك صنف آخر من الأراضي ويتعلّق الأمر " بالمجالات الحرّة" التي تشمل سفوح الجبال والغابات والأراضي الرّعوية، وتشير بعض الآراء إلى أنّ القبائل المورية كانت تسيطر على هذه الأراضي بعد أنْ تمّ طردها من المناطق الخصبة، ورغم ذلك فإنّ الرّومان كانوا يدركون أهمّية استغلال كافة الموارد الزّراعية في هذه المناطق بما في ذلك الأراضي الرّعوية والغابوية ما دفعهم إلى إقامة روابط دبلوماسية مع أغلبية القبائل المورية[3].

VII- أراضي الجيش:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الجيش كان بحاجة دائمة إلى إمدادات غذائية من اللّحوم والحليب والحبوب وغيرها، ونأخذ كمثال عن ذلك الفرقة الأغسطية الثّالثة التي تطلّب نشاطها وجود أراضي تابعة للجيش لتلبية هذه الإحتياجات، فقد كانت هذه الفرقة بحاجة إلى 180 هكتار من القمح أسبوعيا بالإضافة إلى حيوانات جرّ وقطعان الماشية وكذلك الخيل، وقد امتلك الفيلق الأوغسطي الثّالث أراضي خصّصها لتربية الحيوانات وتؤكّد نقيشة عُثر عليها في منطقة المعذر (الشّمال الشّرقي لباتنة) وجود مفرزة مهمّتها توفير التّبن لماشية الحامية، ومن المؤكّد أنّ مجال الفيلق واسع وبالتّالي أراضي الرّعي تكون قريبة من مركزه[4].

[1] قزال ستيفان، ج 7، المرجع السّابق، ص 77.

[2] قزال ستيفان، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة التازي محمد سعود، ج4، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص 84.

[3] البوزيدي سعيد، المجال الفلاحي بالمغرب القديم، الآليات القانونية وضبط الإستغلاليات، مجلة جامعة ابن طفيل، العدد 5، كلية الاداب، القنيطرة، 2005، ص 115.

[4] Le Bohec (Y.), La Troisième légion d'Auguste, CNRS, Paris, 1989, pp 536- 538.

ثالثا – تنظيم الرّعي والتّشريعات المرتبطة به:

تُعدّ دراسة وفهم كيفية تنظيم النّشاط الرّعوي أمرًا معقّدًا بسبب نقص النّصوص التّاريخية التي تناولت تربية الماشية وأراضيها، فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد كان أمام القرطاجيين وبعض القبائل اللّيبية التي اتّبعت حياة الاستقرار الاختيار بين نمطين من استغلال الأراضي، أحدهما يعتمد على زراعة الحبوب والآخر يجمع بين زراعة الأشجار وتربية الحيوان وكان كلّ من النّمطين قادرا على تحقيق نتائج ملموسة حسب المناطق، وكان نبلاء قرطاج يمارسون الحرث بأنفسهم، وفضلّوا زراعة الزّيتون والكروم وتربية الحيوان على زراعة القمح التي تركوها للّيبيين لذلك كرّس "ماغون"كتابه الشّهير تقريبا لزراعة الأشجار وتربية الحيوان[1].

واستمرَّ تطور النّشاط الرّعوي خلال الفترة الرّومانية لكن أخذ طابعا آخر من خلال التّشريعات التي وضعها الرّومان لتنظيم هذا النّشاط، فنجد عدّة قوانين سنّتها السّلطة الرّومانية بهدف خدمة مصالحها الاستعمارية التّوسعية والاستيطانية، وتجسّد ذلك في الضّرائب على الحيوانات مثل (تعريفة زراي وتعريفة لمبايزيس) وتعتبر من أهمّ المصادر التي وضّحت كيفية تنظيم النّشاط الرّعوي وتحرّكات الرّعاة رغم أهداف السّياسة الرّومانية اتجاههم، إضافة إلى قوانين أخرى خاصّة فيما يتعلّق بسرقة المواشي، وكذلك الإجراءات العسكرية التي انتهجتها روما مثل اللّيمس.

I– تأثير الرّومان على النّشاط الرّعوي :

شهدت منطقة بلاد المغرب القديم تداعيات كثيرة جرَّاءَ الاحتلال الرّوماني وأثّرت سياسة روما الاستعمارية على كلّ الأصعدة، حيث بنيت هذه السّياسة على أبعادٍ شملت الأرض والإنسان معًا، وقد تأثّرت نظم الرّعي تحت الحكم الرّوماني بطرق متعدّدة ومتنوعة، ولابد أن نشير إلى السّياسة الرّومانية تجاه البدو الرّحل التي كانت تشكّل عقدة مهمّة في موضوع الرّعي في بلاد المغرب القديم، حيث كانت علاقة البدو الرّحل مع السّلطة الرّومانية متغيّرة على مرّ العصور، وفيما يلي أبرز الجوانب التي تجّسد هذه السّياسة:

[1] بيكار جيلبار شارل، المرجع السَّابق، 71-72.

1- الإجراءات القانونية:

حرصت السّلطة الرّومانية على وضع إطار قانوني للسّيطرة على الأرض، حيث تبنّت روما منذ احتلالها لبلاد المغرب القديم مجموعة من القوانين سمحت لها باستزاف ثروات المنطقة تمثّلت في قانون روبريا (Lex Rubria) لسنة 123 ق.م، وقانون توريوي (Lex Thorius) لسنة 111 ق.م، ثمّ تبعتهما في القرن الثّاني الميلادي بقانوني مانكيانا (Lex Manciana) وهادريانا (Lex Hadriana)[1].

وقد كانت الصّفة القانونية للأراضي الرّومانية الواقعة خارج ايطاليا تتمثّل في كونها ملكا للشّعب الرّوماني (**Ager Poblicus**)، فالقانون الرّوماني يحدّدها على أنّها أراضي الأعداء المهزومين (**Dediticii**)، وبهذا الوصف تدخل أراضي بلاد المغرب القديم ضمن أملاك الدّولة مع استثناءات قليلة كأراضي المدن الحرّة (**Civitas Libiras**) التي حالفت الرّومان في حربهم ضدّ القرطاجيين (149-146 ق.م)، وبذلك تصبح الأرض خاضعة للضّريبة وإلزام ملاّكها أو المستفيدين منها بخدمات مدنية وعسكرية لصالح الرّومان، وكانت الأرض وما عليها ملكا للشعب الروماني، وهذا ما يفسّر المطاردة المتواصلة للنّوميديين والموريين من فلاّحين ورعاة[2].

ويعدّ قانون 111 ق.م كإطار تنظيمي فهو من أبرز القوانين المرتبطة بتوزيع الأراضي العامّة وتنظيم مجالاتها الزّراعية ومساحاتها الرّعوية حيث تمّ العثور على تشريع زراعي يتعلّق بالنّشاط الرّعوي ويمثّل تطورا هامًّا في تنظيم الأراضي واستخدامها الاقتصادي، وقد ميّزَ هذا القانون بين نوعين منها: الأراضي الخاصّة (ager privatus) مخصصة للزراعة وتربية الماشية الصغيرة، والأراضي العامّة (ager publicus) استُغلّت لتربية الماشية الكبيرة المتنقّلة[3].

وكانت الأراضي العامّة تُدار بشكل يتيح لمجموعة من مربّي الماشية استغلالها بشكل مشترك مع التّركيز على نشاط الرّعي المتنقّل، ويضمن هذا القانون مجّانية استخدام الطّرق العامّة طوال مسار التّرحال وتُفرض ضريبة (**scriptura**) على الماشية فقط في نهاية مسارها عند وصولها إلى المراعي الصّيفية[4].

---

[1] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص 206.

[2] شنيتي محمد البشير، المرجع السّابق، ص ص 88-89.

[3]Granet (J.), La loi agraire de 111 et l'élevage, In: Pallas, Les religions antiques, Un inédit d'archéologie régionale, La seconde mort des Gracques, 35,1989, p 142. pp. 141-154

[4] El Bouzidi Saïd, Le pastoralisme à la fin de la République romaine : hommes, espaces et formes d'activité. In: Histoire, espaces et marges de l'Antiquité : hommages à Monique Clavel-Lévêque, Tome 3. Besançon : Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité, 2004, pp 174-175.

وتجدر الإشارة إلى أن السّلطة الرّومانية اختصت بجزء من الأراضي وهي عادة غير صالحة للزّراعة، بسبب طبيعتها الصّخرية، أو انتشار المستنقعات أو الغابات بها قد استغلت كمراعي (Saltus) أو لوجود عائق يمنع استغلالها كالعزلة، أو البعد عن الطرقات، وكذلك الأراضي الفقيرة المجاورة للوحدات الكنتورية (Centuriae) التي يظهر أن السّلطة تركتها للرّعي مقابل ضريبة (**Scriptura pecoris**)، وعادة كانت روما تمنح للأهالي مساحات من هذه الأراضي لاستغلالها مقابل ضريبة تمثل نسبة مئوية من الإنتاج[1].

وتعتبر ضريبة الرّعي (**Scriptura pecoris**) مصدرا هامًّا للدّخل، واحتفاظ السّلطة لنفسها بأراض فرضت عليها هذه الضّريبة بهدف تحقيق مصالحها وضمان موارد اقتصادية، وتتمثّل العناصر الرئيسية لنظام الرّعي فيما يلي:

أ- **طرق التّرحال الرّعوي** (calles publicae) : تمثّل المسارات بين الأراضي المنخفضة ومراعي الجبال، وتعدّ عنصرًا أساسيًا لانتقال القطعان بين المناطق الموسمية.

ب- **الضّرائب على الماشية** (scriptura) : يتمّ فرضها على القطعان في نهاية مسارها، عند وصولها إلى المراعي الصّيفية، حيث يتم تقديم تصريح رسمي يُعرف ب:professio من طرف مربو الماشية للسّلطة بشأن عدد الماشية التي ستستخدم الأراضي العامّة للرّعي، ويعدّ هذا التّصريح ضروريًا لتحديد مقدار الضّريبة (**scriptura**) التي يجب دفعها بناءًا على عدد رؤوس الماشية.

ج- **دور الجباة العموميين** (Publicains) : يتولون إدارة العائدات المرتبطة بهذه الضّرائب[2].

وتعتبر أقدم الوثائق المتعلّقة بالتّشريعات الزّراعية في افريقيا نص قانون عرف باسم صاحبه مانكيا (Mancia)، وتمّ اكتشاف نص يحتوي بعضا من هذا القانون في نقوش "هنشير متّيش" شمال غرب تونس، وهو عبارة عن عقد تسيير، وتمّ استخراج نصوص قانونية هامّة من بينها البند 11 من المادّة 2، في إطار الواجبات المطلوبة من المزارعين (Coloni) والمتعلّقة بتربية الحيوانات وتنصّ: "على مربّي الحيوانات من المزارعين داخل العقار أن يدفعوا لصاحبه أربع قطع نقدية من البرونز، على كلّ رأس ماشية[3]".

[1] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص 210.

[2] Granet (J.), Op. Cit ., p 143.

[3] شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السّابق، ص ص 101-105.

كما نجد نقيشة لامبايزيس محطّة عبور والتي تعود إلى عهد الامبراطور هادريانوس (117-138م)، حيث تشير هذه النّقيشة إلى وجود حيوانات متنوعة كجزء من السّلع المتداولة بما في ذلك الماعز والأغنام والخنازير[1]،

وقامت روما باستصلاح أراضي جديدة في نوميديا وموريطانيا القيصرية والطّنجية، وكان هناك نشاط كبير في هذه المقاطعات وإيفاد لجان مكلّفة بتوزيع الحقول والمراعي والينابيع بدءًا من عهد أوغسطس، ووصلت هذه العمليات في عهد سبتيميوس سيفيريوس (Septimius Severus) إلى حدود الصّحراء، وفي أعقاب ذلك وخلال الثّلث الأول من القرن الثّالث ميلادي تلقت فرقا بحدود اللّيمس أمرًا بمنع الدّخول إلى موريطانيا القيصرية على بدو السّهول العليا والأطلس الصّحراوي في المنطقة الوهرانية لضمان السِّلم للفلاحين المستقرّين[2].

2- اللّيمس والسّيطرة العسكرية:

تجدر الإشارة إلى أن البدو الرّحل لم يكونو بمنجى عن الإجراءات العسكرية التي فرضها الرّومان للحدّ من ترحالهم نحو الشّمال الزّراعي (التّل) الخاضع لسلطة روما، وعلى الرّغم من أن البداوة قديمة جدًّا في بلاد المغرب، ونتاجا طبيعيا للظروف الطبيعية القاسية، إلاّ أنّ الإحتلال الرّوماني وسياسة الإستيطان التي انجرّ عنها توسيع الخريطة الزّراعية على حساب أراضي الرّعي أمور ساهمت في مضاعفة ظاهرة البداوة، بتحول الكثير من أشباه البدو إلى بدو خُلَّص بعد أن انتزعت منهم أراضيهم وأجبروا على امتهان أسلوب التّنقّل والتّرحال[3].

[1] شارن شافية، تجارة الجزائر (نوميديا وموريطانيا القيصرية خلال فترتي المماليك النوميدية والاحتلال الروماني من القرن الثالث قبل الميلاد إلى الثالث ميلادي)، الجزء الأول، كنوز الحكمة، الجزائر، 2015، ص 432.

[2] بيكار جيلبار شارل، المرجع السَّابق، ص 74.

[3] شنيتي محمد البشير، المرجع السَّابق، ص 285.

الشكل رقم (35): خريطة مبسطة تبرز مسارات الحركة الديمغرافية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، حيث أسفر التوافد المكثف للسكان من أقاليم مختلفة خاضعة للإمبراطورية الرومانية، عن نزوح قسري دفع بالسكان الحاليين نحو المناطق الجنوبية الواقعة خارج حدود السيطرة الرومانية، ثم تحركاتهم عبر مناطق الرعي جنوبي بلاد التل الزراعية، ثم ممارستهم ضغطا على التخوم (الليمس).

المصدر: شنيتي محمد البشير ، روما الامراطورية وبلاد المغرب ....، المرجع السابق، ص 372

وقد أقام الرّومان سلسلة من الحصون والمواقع العسكرية في المناطق البدوية بهدف السّيطرة على الطّرق والمسارات التي يستخدمها البدو الرّحل، حيث كانت هذه التّحصينات مخصّصة لمراقبة تحرّكاهم ومنع الهجمات لكن على ما يبدو أنّ تفاقم البداوة في العهد الرّوماني وكأنّه حصيلة تراكم بشري كرّسته عوامل مختلفة في الأقاليم المحاذية لمنطقة الحدود الرّومانية من جهة الجنوب، هذا التّزايد في السّكان تمّ تقييده بالتّحصينات العسكرية التي أقامها الرّومان في الشّمال، وظلّ ينمو ويتأهّب للتّمرد، ما جعل تلك المناطق تشبه خزّانًا بشريا، ممّا أدّى إلى تشكل قوة عسكرية مُدمّرة، ساهمت بشكل كبير في صنع الأحداث التّاريخية التي أدّت إلى إنهاء الوجود الرّوماني في المنطقة[1].

فقد انتهج الرّومان سياستهم الإستعمارية تجاه أصحاب الأرض فصادروا الأراضي الخصبة ورحّلوا قبائل مستقرّة كالموزولامي الكبيرة (Musulami)، وقسّمت الأراضي إلى قسمين: أحدهما الأقل أهمّية تُرك للقبائل لتقيم عليه بشكل محدود بينما استغلّت العائلات الأرستقراطية أجْودَ الأراضي أمّا القبائل الرّعوية فكانت أكثر تضرّرًا، إذْ قُيّدت حركتها بين المراعي والأراضي الزّراعية وأقامت السّلطة الرّومانية حدودا بينها وبين الأراضي الزّراعية التّابعة للرّومان وأرغمت القبائل البدوية على الإنتقال جنوبا وبالقوة[2].

3- ردّ فعل البدو الرّحل على السّياسة الرّومانية:

لفهم المجال البدوي بشكل أعمق يجب تجاوز النّظرة البيئية البحتة والنّظر إلى التّنظيم الاجتماعي المكاني، ومن المهمّ أيضا مراعاة العلاقات الاجتماعية الدّاخلية (بين البدو) والخارجية (مع المستقرّين) بالإضافة إلى تنظيمهم القائم على فهمهم للمكان والزّمان مثل التّنقل والتّرحال، والمعرفة المحلّية بالمراعي ومصادر المياه[3].

شهد عالم البدو تغيّرات جوهرية خلال العهد الرّوماني، فقد كان لتحصينات اللّيمس (Limes) دور كبير في تنظيم وضبط حركة البدو الرّحل ومع مرور الوقت بدأ الجمل يلعب دورًا متزايدًا في حياة البدو، وقد كان هذا الحيوان لديه قدرة عالية على التّكيف مع الظّروف الصّحراوية القاسية ممّا مكّن البدو في توسيع نطاق تنقُّلاتهم، وساهم في تطور قدرتهم العسكرية وهو ما ساعد على تقويض تحصينات اللّيمس بمناطق الرّعي والعبور

[1] شنيتي محمد البشير، روما الإمبراطورية وبلاد المغرب ... المرجع السّابق، ص 195.

[2] نفسه، ص 69-70.

[3] Retaillé (D.), L'espace nomade.., Op. Cit., pp 71-82.

فاستعاد البدو بذلك حرّيتهم في الحركة بين التّل والصّحراء[1]، وأصبحوا أكثر قدرة على شنّ الهجمات ممّا جعلهم قوة لا يستهان بها في المناطق الحدودية.

ويعدّ ضمان الأمن في بلاد المغرب القديم مهمّة صعبة لأنّ الرّعاة الرّحل على استعداد دائم للهجوم وقد كان لتمرّدات القبائل علاقة جدلية بحركة توسيع المجال الزّراعي الرّوماني في مناطق القبائل المقاوِمة، ولم تتمكّن الحملات العسكرية وتحصينات الحدود المتواصلة وإجراءات الطّرد الممارسة من تحقيق النّتائج المرجوة منها[2].

وقد كان كلّ توسّع تقوم به السّلطة الرّومانية يستتبع تناقص على حساب الأراضي التي كانت متروكة للرّعاة، وكانت ثورة تاكفاريناس ذروة الاعتراض على الطّرد الجائر للسّكان نحو الصّحراء خاصّة عندما وجدت قبيلة الموزولام الكبرى نفسها محرومة من أراضي انتجاعها[3]، انظر الشّكل رقم (36).

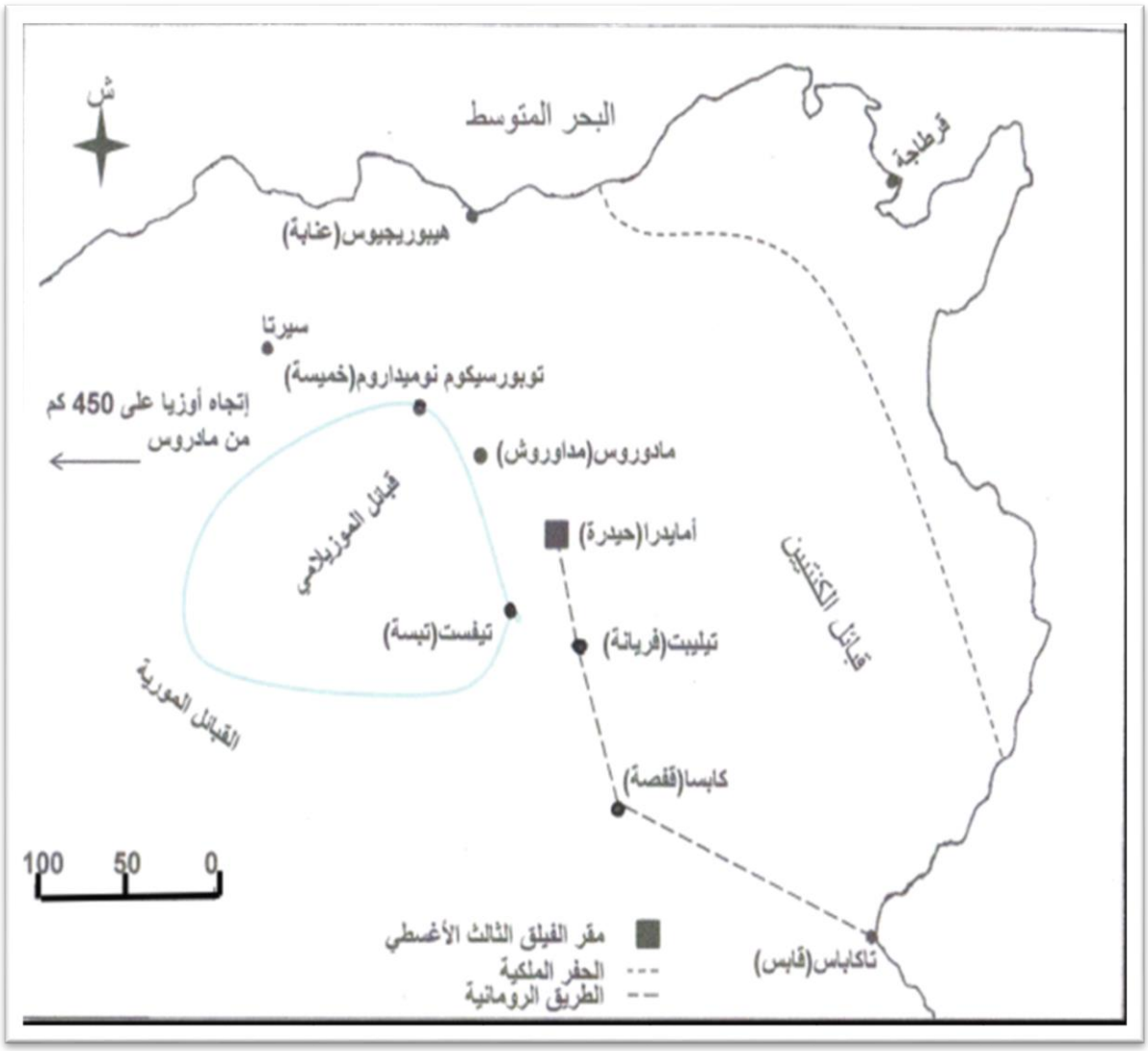
وتمثّل ثورة القائد النوميدي تاكفاريناس (17م-24م) إحدى النّماذج الرّائدة للمقاومة النّوميدية ضدّ التّواجد الرّوماني وكردِّ فعل طبيعي برهن عن موقف سكّان منطقة الأوراس، فشملت الثّورة المناطق الدّاخلية[4]، وبذلك اتّسع نطاق الثّورة جغرافيا لتحقيق هدف واحد ومشترك وهو مقاومة الاحتلال الرّوماني، وهذا ما يدلّ على رد الفعل للسكان المحليين واستمر ذلك من خلال العديد من الثّورات والمقاومات المتتالية خلال الفترة الرّومانية.

[1] شنيتي محمد البشير، المرجع السَّابق، ص 211.

[2] شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية، ... المرجع السَّابق، ص 124.

[3] بيكار جيلبار شارل، المرجع السَّابق، ص 68.

[4] مسرحي جمال، المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني-من سيفاقس إلى تاكفاريناس 203ق.م-24م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015، ص106.



الشكل رقم (36): خريطة توضح تموضع قبيلة الموزولام الكبرى التي ساهمت في ثورة تاكفاريناس

المصدر: مسرحي جمال، المقاومة النوميدية...، المرجع السّابق، ص235.

II- العلاقة بين مربّي الماشية والمزارعين:

من الطّبيعي أن ينتج عن التّنوع في ملامح السّطح تنوعًا في أنماط المعيشة لدى السّكان حيث نجد ازدواجية قديمة في المجتمع المغاربي بين الفلاّحين المستقرّين والرّعاة المتنقّلين، كما يلاحظ أنّ هؤلاء كثيرا ما كانوا يسمحون لأنفسهم بتجاوز المناطق الرّعوية الدّائمة إلى المناطق الزّراعية، الأمر الذي كان يثير حساسية لدى الفلاحين أدّى إلى صراعات بين القبائل الرّحل والمستقرين من أصحاب الأراضي التي كانت تداهمها تلك القبائل بمواشيها ورغم ذلك فإنّ هذا النّوع من الصّراع أمر طبيعي[1].

وقد كان الرّومان يقومون بإبقاء عدد من الرّعاة ويجبرونهم على تغيير نمط حياتهم وامتصاصهم في جموع فلاّحيهم، ومن المؤكّد أنّ العملية لا تتمّ دون اصطدام حيث يخبرنا نصّ أثري يعود إلى القرن الثالث ميلادي أنّه في منطقة ثبربومينوس على بعد 30 كلم من قرطاج حدث نزاع بين رعاة وفلاحين لكن الأغلبية من الرّحل كانوا يتخلّون عن أسلوب النّزاع بحثًا عن عمل يومي في المزارع[2].

[1] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146ق.م-46م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 7.

[2] بيكار جيلبار شارل، المرجع السّابق، ص 70-71.

III- تحدّيات الرّعي ومشاكل تربية الحيوانات :

شهدت بلاد المغرب القديم تطورًا كبيرًا في مجال الرّعي إلاّ أنّ أخطارًا عديدة طبيعية كانت أو بشرية هدّدت هذا المورد الطّبيعي المتجدّد وتسبّبت في الكثير من المشاكل والتحدّيات التي واجهت السّكان المحلّيين سواء في بدايات الأنشطة الرّعوية منذ العصر الحجري الحديث أو فيما يخصّ فترات الإحتلال خاصّة فيما يتعلّق بالفترة الرّومانية، حيث لعبت السّلطة الرّومانية دورا بارزًا في النّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم وكان لها الأثر الواضح على هذا القطاع المهم.

ففي ما تتمثّل هذه الأخطار والتّحدّيات الكبرى التي واجهت تربية الحيوانات في بلاد المغرب القديم؟

1- الأخطار الطّبيعة:

تُعدّ خسائر الماشية مشكلة خطيرة لمربّيها وتشكّل تحدّيا كبيرا لأنها تؤثّر على مصدر دخل السّكان واقتصادهم، ويمكن أن يحدث ذلك نتيجة مجموعة متنوّعة من الأسباب مثل: الجفاف والفيضانات والأمراض وهجمات الحيوانات البّرية (المفترسة) إضافة إلى الجراد والسّرقة وما إلى ذلك، ومن الضّروري العمل على البحث عن طرق ووسائل لحماية ماشيتهم ومواجهة هذه الظّواهر.

أ- الكوارث الطبيعية:

- **الجفاف:**

يمثّل الجفاف إحدى الكوارث الطّبيعية الكبرى التي أثّرت بشكل ملفت للانتباه على بلاد المغرب القديم إلى جانب الفيضانات والثّلج والجراد، وقد كان الجفاف يعيق الحياة الاقتصادية والاجتماعية ويؤثّر على الزّراعة بشكل خاص، وانعكس ذلك سلبا على الثّروة الحيوانية، وتعتبر المصادر القديمة أنّ ليبيا كانت منطقة جافّة جدًّا وقاحلة، "regio aridissima" حيث كانت الأمطار نادرة، وتذكر المصادر اللّاحقة أيضا قوة هذه الكارثة التي كانت تجتاح بلاد المغرب القديم[1].

[1]Strabon, XVII, 3, 10; Fareh Hédi, Maux et fléaux en Byzacène (146 av. J.-C. /698 ap. J.-C.), In Abdellatif Mrabet (éd.). Byzacium, Byzacène, Muzaq :Occupation du sol, peuplemenet modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval. Actes du 6e colloque international du laboratoire de recherche LR13ES11, 13, 14 et 15 Juin 2019), Sousse, 2021 p 397.

وبما أنّ المعلومات قليلة جدًّا حول هذا الكارثة الطّبيعية يمكننا ذكر بعض المعطيات المتوفرّة لدينا:

في عام 125 ق.م جلب الجفاف أسرابا من الجراد الذي اجتاح بلاد المغرب القديم وقضى على المحاصيل، وشهدت السّنوات 45 م –47 م مجاعة (أثناء حكم الامبراطور كلاوديوس)، ويعزّى ذلك إلى موجة جفاف سبّبت بالإضافة إلى آثارها الاقتصادية إلى اندلا ع انتفاضات مورية، وفي 48 م –49م، دمّرت أسراب الجراد منطقة السّهول الكبرى وكان عام 51 م عاما مأساويا بسبب توالي فترات طويلة من الجفاف والجدب وكانت هناك خمس سنوات متتالية من الجفاف (من عام 123 م إلى 128 م)، ثم سقوط أمطار غزيرة وتزامنت مع وصول الامبراطور هادريان إلى افريقيا في عام 128م[1].

وإذا تتبّعنا الشّهادات فإنّنا نرصد عددا كبيرا من المصائب البيئية التي حلّت ببلاد المغرب القديم، حيث يحتمل أن تكون المجاعات والجفاف السّبب الرّئيسي لاندلا ع الطّاعون الأنطوني الشّهير منذ منتصف القرن الثّاني الميلادي، وكذلك في منتصف القرن الثّالث ميلادي حيث مرّت المنطقة بأزمة كان سببها الجفاف، وفي نهاية القرن الرّابع الميلادي حدث جفاف طويل الأمد وكانت هذه الكارثة وراء تتابع فترات من الحصاد السّيئ والمجاعات وحرمت روما من الإمدادات الافريقية وأثّرت هذه الأزمة عام 484م على مناطق واسعة خاصّة منطقة البروقنصلية والبيزاسين وشرق نوميديا وهو العام الذي حدثت فيه المجاعة التي اجتاحت كل شيء (النّاس الممتلكات، المدن، والأرياف)[2]، وبطبيعة الحال حتّى الثّروة الحيوانية التي تمثّل موردهم الرّئيسي والمتجدّد لم تَسلَمْ من ذلك.

- **الجراد:**

كان الجراد على مرّ العصور ظاهرة خطيرة هدّدت بشكل متكرّر منطقة بلاد المغرب القديم قبل وخلال الفترة الرّومانية وكذلك الفترات اللاّحقة، ويمكن لهذه الحشرات عند تجمّعها في أسراب قطع مسافات طويلة والتهام حقول بأكملها في وقت قصير ممّا يؤدّي إلى المجاعات والاضطرابات الاقتصادية، ويرتبط ظهور الجراد

[1] Fareh Hédi, Op. Cit., p 397- 398.

[2] Ibid., p399.

بالتّغيرات المناخية خاصّة الجفاف[1]، وتمّ توثيق هذا النّوع من الحشرات رغم قلّته من خلال المصادر الأثرية والتاريخية.

وإلى جانب كون الجراد طعاما لبعض السّكان الّذين تحدّث عنهم "هيرودوت" بأنّهم يجفّفونه ويخلطونه مع الحليب ويشربونه[2]، يُنظر إليه كذلك بأنّه بلاء وعقاب سَلَّطَهُ عليهم غضب الآلهة، وخلّف الجراد الكثير من الآثار مثلما حدث وسبقَ ذكره في سنة 125ق.م حيث هجمت أسراب منه على مناطق في بلاد المغرب القديم ولم تكتفِ بالقضاء على المحاصيل الزّراعية ولا بالتهام الكلأ من جذوره ولا أوراق الأشجار بل اقتضمت حتّى لحاف الشّجر والخشب الجاف، وهبّت ريح حملتها في كتل متراصّة إلى البحر ثم رمَتها الأمواج إلى السّاحل ما أدّى إلى انتشار وباء أصاب جميع الحيوانات من قطعان وطيور، وجثثها ملقاة في كل مكان وكانت نوميديا من بين المناطق الأكثر تضرّرًا من هذه المخاطر[3].

كما نجد نصبا تذكاريا مخصّصا لساتورن بتيمقاد حيث تمّ تمثيل جرادة على الكتف الأيسر لساتورن تبرّكًا بهذا الإله رمز الحماية والخصوبة، انظر الشّكل رقم (37) والهدف من ذلك هو التّخفيف أو التّخلص من ضرر الجراد وبالتّالي المساهمة في حماية المحاصيل[4] ، وكذلك الأمر بالنّسبة للحيوانات حيث تظهر سلطته بشكل مزدوج فإلى جانب حماية الحقول نجد عنايته لا تقتصر على الجانب السّلبي فقط بل تمتدّ أيضا إلى رعاية الحيوانات المستأنسة مثل الأبقار والأغنام التي تؤخذ منها البواكير لضمان الخصوبة[5] ويظهر الجراد أيضا على الفسيفساء، انظر الشّكل رقم (38).

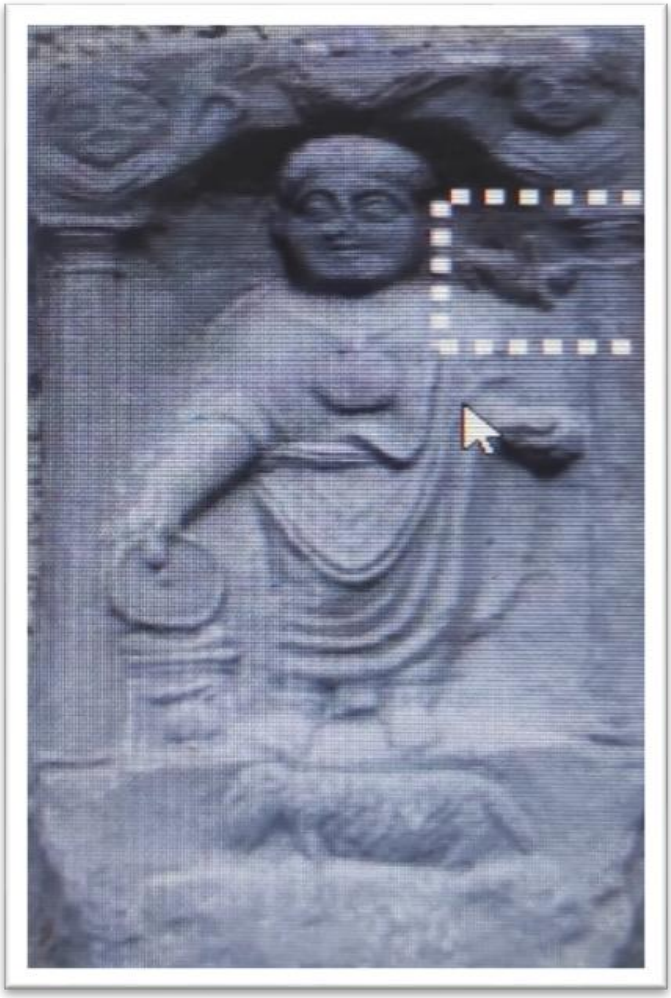
[1] Fareh Hédi, Catastrophes naturelles, famines et épidémies en Afrique du Nord antique (146 av. J.C./698 ap. J.-C.). Thèse de Doctorat inédite sous la direction de A. Mrabet. Université de Sousse (FLScH), 2017, p 101.

[2] Herodote, Histoires, IV, 172.

[3] قزال ستيفان، ج 4، المرجع السَّابق، ص ص 124-125.

[4] Leglay (M.), Saturne Africain, Monuments, II, Paris, 1961, Timgad n° 24, p 140-141.

[5] Leglay (M.), Saturne africain. Histoire, Paris, 1966, pp 208-209.



الشكل رقم (37) نصب نذري مهدى إلى الإله ساتورن بتيمقاد وتمثيل الجرادة على كتفه الأيسر

المصدر: Saturne africain, Monuments…, Op. Cit., p. 140-141, et Pl. XXVII h. T



الشكل رقم (38): صورة لجرادة التي تظهر على فسيفساء الجم تعود إلى القرن الثّالث ميلادي

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur …, Op. Cit .p 67

وبذلك فإنّ حشرات الجراد كانت تدمّر المراعي والأراضي الزّراعية، حيث تأكل حتّى الجذور الصّلبة أو الرّقيقة للنباتات، وللتّصدّي لهجمات الجراد تمّ استخدام عدّة أساليب وقد أشار "هوميروس" إلى أقدم طريقة استخدمت لمكافحة هذا النوع من الحشرات وهي محاصرة الجراد بحواجز من النّار لمنع تقدّمها، وهي الطّريقة التي وصفها أيضا "ديودور الصّقيلي" واعتمدها سكّان قورينائية ودفعت هذه الأخطار السّلطات الرّومانية إلى إصدار قانون يُلزِم السّكان بتدمير بيوض الجراد وأسرابه البالغة مع فرض عقوبات صارمة على المخالفين[1]، وعليه فإنّ الإنسان القديم تعامل مع التحدّيات التي فرضتها الطّبيعة وأوجد حلولاً للتّصدّي لها.

[1] Fareh (H.), Catastrophes naturelles…, Op. Cit., p 108-109.

- **الفيضانات:**

تعتبر الفيضانات من الظّواهر الطّبيعية التي أثّرت بشكل كبير على الحياة الزّراعية والرّعوية في العصور القديمة بسبب الأمطار الغزيرة والمفاجئة مثل ما حدث في سنة 211 م ممّا أدّى إلى مجاعة في العام التّالي، كما نجد وادي مجردة يفيض بشكل كبير وتسبّب في إغراق المحاصيل أو دفنها تحت الطّمي ما نتج عنه نقص في الغذاء والعلف.

ولابدّ أن نشير إلى أنّ الوثائق المتوفّرة لا تقدّم معلومات كافية لدراسة عميقة حول تأثير الفيضانات على الثّروة الحيوانية، ومع ذلك يمكن أنْ نستدلّ بنقش أثري تمّ العثور عليه في منطقة القبائل الكبرى بتيغزيرت (Tigzirt) ويتيح لنا على الأقلّ التّطرق إلى هذه المشكلة، ورغم ما يحتويه هذا النّقش من تشوهات إلاّ أنّه يجاء فيه أن أحد الأودية كانت تياراته العنيفة تجرف الماشية أثناء الفيضانات المفاجئة التي تميّز الأودية السّاحلية قد تمّت تسويته وتنظيمه[1].

وعلى ما يبدو أنّ الطّبقة الرّاقية أو النُّخبة التي تعرف بـ"providentia bonorum" كانت تهتمّ بتحسين المرافق العامّة للمجتمع وتحسين ظروف الحياة بما في ذلك حماية الماشية من السّيول، حيث قامت بتعبيد قاع الأودية لتجنّب جرف القطعان أثناء عبورها[2].

- **الثّلج/الصّقيع/البَرَد:**

تُعدّ الظّواهر المناخية مثل الثّلوج والصّقيع وموجات البرد هي أيضا من العوامل المؤثّرة سلبًا على المحاصيل الزّراعية والحيوانات في المغرب القديم، إلاّ أنّنا نواجة مشكلة ندرة الأدلّة الأثرية ورغم ذلك يمكننا الإعتماد على إشارات للقدّيس أغسطين وشكواه من الشّتاء القاسي حيث يبقى مُجبرا في كنيسته دون القدرة على المشاركة في مجمّع[3]، وعليه فمن البديهي أن يؤثّر كّل ذلك على الماشية وكذلك المراعي التي تغطّيها الثّلوج الكثيفة، وتجعل من الصّعب على الحيوانات الوصول إلى العشب والتّبن خاصّة في المناطق الجبلية بنوميديا ومنطقة الرّيف في المغرب الأقصى.

[1] Fareh (H.), Op. Cit., p 42.

[2] Laporte (J-P.), Fermes, huileries et pressoirs de Grande Kabylie, II[e] Colloque International sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord (Grenoble, 5-9 avril 1983), Bulletin archéologique du C.T.H.S, 19B, Paris, 1985, p 142.

[3] Fareh (H.), Maux et fléaux,… Op. Cit., p 408- 409.

وبذلك يتّضح لنا أنّ هذه الكوارث الطّبيعية التي شهدتها بلاد المغرب تؤثّر بشكل أو بآخر على تربية الحيوانات وبدرجات متفاوتة، فالجفاف يقُلّل من نمو النّباتات والمراعي وبالتّالي النّقص في الأعلاف الطّبيعية، بالإضافة إلى ذلك يتسبّب انخفاض درجات الحرارة وموجات البرد في صعوبة الحصول على الماء، كما تمنع الثّلوج الكثيفة وصول الحيوانات إلى النّباتات، ومن الطّبيعي أن يترتّب عن نقص الغذاء والماء تدهور صحّة الحيوانات ممّا يقلّل من إنتاجيتها وهذا ما دفع بالإنسان المغاربي القديم إلى التّكيف مع ظروفه من خلال ممارسة الرّعي التّرحالي.

ب- الأوبئة والأمراض الحيوانية:

كانت الأوبئة جزءًا لا يتجزّأ من التّحدّيات التي واجهتها منطقة بلاد المغرب القديم وتعتبر دراسة الأوبئة والأمراض مهمّة صعبة نتيجة النّقص في الوثائق التي يمكن استغلالها، وأمام عجز المصادر القديمة، فإنّنا غير قادرين على تحديد جميع الأوبئة التي تمّ تسجيلها في المنطقة سواء خلال فترة ما قبل التّاريخ أو الفترة التّاريخية.

تمثّل المجاعات والنّقص في الغذاء إحدى الأسباب الرّئيسية لانتشار الوباء والأمراض ومن بينها طاعون تفشّى في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وطاعونا آخر ظهر سنة 125ق.م[1]، حيث لم تقتصر الأزمات على المجاعة وغزو الجراد فقط بل تزامنت مع ظهور وباء خطير[2]، ومن المؤكّد أن يؤدي النّقص في الغذاء إلى ضعف الحيوانات ممّا جعلها أكثر عرضة للأمراض وقلّل من قدرتها على الصّمود في مواجهة الظّروف البيئية الصّعبة.

ولعلّ الوقاية من الأمراض والعناية بالحيوانات تمثّل جزءا أساسيا من إدارة وتنظيم القطعان والثّروة الحيوانية، فإذا تمّ اتبّاع ممارسات صحّية جيّدة يمكن الحفاظ على الحيوانات وزيادة الإنتاج الحيواني بشكل جيّد، وتعتبر الأمراض التي تصيب الحيوانات مصدرا لإضعافها أو موتها وهذا يؤثّر بشكل كبير على الإنتاج الحيواني، وإذا لم يتمّ التّعامل مع الأمراض بشكل مستعجل فإنّه يمكن انتشارها في القطيع وتؤدّي إلى فقدان كبير في عددها ممّا يؤدّي إلى انخفاض إنتاج الحليب واللّحم والصّوف وغيرها.

[1] قزال ستيفان، ج4، المرجع السّابق، ص 156.

[2] Fareh (H.), Catastrophes naturelles …, Op. Cit. , p 197.

وعليه كان من الضّروري توفير رعايةٍ جيدة للحيوانات واستعداد مربي الماشية واستجابتهم بسرعة إذا ظهرت أي علامات مَرضية على الحيوانات واتّخاذ التّدابير الضّرورية، وقد أكّد ذلك كولوميل عندما تحدّث عن علاج الأمراض التي تصيب الأغنام[1].

ورغم ذلك تبقى إشكالية توثيق أعداد الحيوانات وأحوالها الصّحية مطروحة ممّا يجعل من الصّعب دراسة التّأثيرات بدقّة، ورغم النّقص في المعلومات إلا أنّه من غير المنطقي أن لا تكون للسّكان طرائق لمواجهة تلك المشاكل والتحدّيات البيئية والمحافظة على قطعانهم.

ج- الحيوانات المفترسة:

كانت تربية الماشية في العصور القديمة تواجه تحدّيات كبيرة بسبب وجود الحيوانات المفترسة التي كانت تشكّل خطرا كبيرا على الحيوانات المستأنسة، وكانت أحد العوائق الرّئيسية التي حالت دون التّطور في القطعان، ومع مرور الزّمن تقلّصت أعداد الحيوانات المفترسة[2] ويُحتمل أن يعود السّبب إلى الصّيد المكثّف وتوسّع النّشاطات البشرية مثل الزّراعة والاستيطان ممّا قلّل من تلك المخاطر.

وقد تمّ العثور على رسوم لأغنام في تيارت وتظهر وكأنّها ضائعة إضافة إلى وجود راعي غنم يقوم بمراقبة مستمرّة لها، ويفترض أنّ هذه الرّسوم قد تكون تعبيرا عن اليقظة المستمرّة التي يجب أنْ يمارسها الرّعاة لمواجهة المخاطر مثل هجمات الحيوانات البرّية والحذر من خطر فقدان حيوان من القطيع[3].

كما تمّ العثور في كهف الدّاموس الأحمر بمنطقة النمامشة على نقش لحجر جيري يمثل ثَعلبَين وأظهرت مراجعة لاحقة وجود خطوط إضافية تحت فم أحد الثّعلبين، والتي تمّ تفسيرها على أنّها بقايا حمل التهمه الثَّعلبان، ويُعتقد أنّ النّقش تمّ بواسطة راعٍ يهدف من خلاله توجيه الرّعاة الشباب لحراسة القطعان[4]، فالنّقش يُوثّق للحياة الرّعوية ونقل تعليمات سلوكية للرّعاة.

---

[1] أشار كولوميل إلى أول علامةٍ للمرض على الأغنام تظهر في نقص الوزن، وعندما تظهر علامات المرض في أغنام معيّنة من الضّروري إبعادها عن الطّعام طوال اليوم، إذا كانت الأغنام تعاني من مرض آخر، فيمكن علاجها باستخدام أعواد القصب وجذور شجرة الصّفصاف مخلوطة بماء المطر، وإذا لم يكن هذا العلاج فعّالا يجب ذبح العناصر المريضة وتمليح لحمها، للمزيد يراجع: Columelle, De l'Agriculture, VII, 7

[2] قزال ستيفان، ج4، المرجع السّابق، ص 153.

[3] Colette (R.), La gravure Holocène …, Op. Cit., p 3781.

[4] Belhouchet Lotfi, Plaquettes gravées, Ency – ber, 38, 2015, pp 6270- 6272.

2- الصّعوبات البشرية التي واجهت تربية الحيوانات:

إضافة إلى الأخطار الطّبيعية نجد مشاكل أخرى تتعلّق بالعنصر البشري لا تقلّ أهمّية عن الأولى وأثّرت بشكل مباشر على تربية الحيوانات في بلاد المغرب القديم ومن أبرزها السّياسات التّشريعية خاصّة في الفترة الرّومانية، فقد فرضت هذه السّياسات قيودًا وتنظيمات صارمة على استخدام الأراضي وإدارة المراعي.

أ- التّوسع الزّراعي وسياسة الزّيتنة:

كان للتّواجد الفينيقي خلال الألفية الأولى قبل الميلاد تأثيرات هامّة على الزّراعة المتوّسطية واستغلال الغطاء النّباتي في بلاد المغرب القديم، ومع قدوم الرّومان واحتلالهم للمنطقة تمّ إدخال تغييرات جديدة على الزّراعة حيث شهدت المنطقة توسّعا كبيرا في زراعة الزّيتون، وتُظهر الدّراسات من خلال تحليل الفحم النّباتي في موقع أوتيكا بتونس، أنّ الغطاء النّباتي الطّبيعي تراجع تدريجيًا خلال الفترتين الفينيقية والبونية وازداد هذا التّراجع حِدّةً خلال الإمبراطورية الرّومانية نتيجة الزّراعة المكثّفة والمنظّمة لشجرة الزّيتون[1].

ولابدّ أن نشير إلى أن بلاد المغرب القديم كانت واحدة من أهم مناطق إنتاج الزيتون في الإمبراطورية الرّومانية حيث كانت تصدّر زيت الزيّتون إلى جميع مناطق البحر الأبيض المتوسّط، وأولت السّلطة الرّومانية اهتمامًا كبيرًا لهذه المنطقة كجزء من برنامج طويل الأمد لاستغلال الأراضي[2].

والملفت للانتباه أنّ شجرة الزّيتون المحصول الاستراتيجي تتطلّب في نظر الرّومان استيطانا دائما، فقد اعتمد عليها الأباطرة كوسيلة إخضاع تكون أكثر فعالية وأضمن بقاءًا للسّيادة الرّومانية والسّيطرة على المناطق المستعصية[3]، وكانت سياسة الأباطرة تهدف إلى التّوسع في الإنتفاع من أراضي ظلّت لفترة طويلة مجالات للإنتجاع الرّعوي[4].

وقد حاول بعض المتأثّرين بالتّواجد الرّوماني في بلاد المغرب القديم أن يضخّم الآثار الإيجابية لسياسة الزّيتنة حيث وسّعت الخريطة الزّراعية على حساب الرّعي وذلك بالقول أنّ زراعة الزّيتون وفّرت مجالات لتشغيل

[1] Rodríguez-Ariza (M.), et al., Long-term human impact and forest management in the Phoenician and Roman city of Utica (Tunisia) (900 BC–500 AD). The Holocene, 31, 2021, pp 943 - 953.

[2] Kehoe (D.), Private and Imperial Management of Roman Estates in North Africa. Law and History Review, 2, 1984, pp 241 – 263.

[3] شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية، ... المرجع السّابق، ص 124.

[4] عقون محمد العربي، المرجع السّابق، ص 103.

اليد العاملة من البدو ممّا جعلهم يستقرّون بالقرب من حقول الزّيتون وتحولهم إلى عمّال زراعيين بدل الرّعي والواقع أنّ الآثار السّلبية لهذا التّوسع كانت أقوى من ذلك المظهر الإيجابي لأنّه لم يستطع استيعاب الزّيادة السّكانية الكبيرة ولا اليد العاملة البدوية ثمّ أنّ اللّيمس كان يحول دون تسلّل البدو الرّحل إلى أقاليم زراعة الزيتون خوفا من تأثير قطعانهم على تلك الأراضي[1].

وبذلك فقد كان للتوسّع الزّراعي وسياسة الزّيتنة في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرّومانية تأثيرات كبيرة على الاقتصاد الرّوماني من جهة وعلى البنية الاجتماعية لبلاد المغرب القديم من جهة أخرى، وأدّى التّركيز على زراعة الزّيتون إلى تدمير الغطاء النّباتي الطّبيعي وتقليص الأراضي المخصّصة للرّعي، ممّا أثّر على المجتمعات الرّعوية.

ب- الضّرائب:

تعتبر تربية الماشية في بلاد المغرب ثروة مهمّة خاصّة في الفترة الرّومانية فهي مورد اقتصادي من حيث الإنتاج، وحتّى من حيث الضّرائب التي كانت تفرض على الحيوانات فقد احتفظت السّلطة الرّومانية لنفسها بأراضي فرضت عليها ضريبة الرّعي (**Scriptura pecoris**) التي ذكرت في قانون الأراضي الزراعية (**lex Agraria**) والذي يعود إلى عام 111 ق.م، حيث حدّد في الجزء الثّاني الخاص بالأراضي في إفريقيا واليونان قواعد تتعلّق بالأراضي الرّعوية وكيفية بيع الأراضي العامّة بعد تحويلها إلى ملكية خاصّة وتبقى هذه الأراضي خاضعة للضّريبة بعد بيعها[2].

وبذلك تعتبر ضريبة الرّعي عبئا على المزارعين والرّعاة الذين كانوا يعتمدون على هذه الأراضي لتربية الحيوانات ممّا قد يدفع الرّعاة إلى تقليص عددها والتّسبّب في انخفاض الإنتاجية وعليه إذا كانت ضريبة الرّعي وسيلة لزيادة إيرادات الإمبراطورية الرّومانية فإنّ آثارها الاقتصادية والاجتماعية كانت سلبية بالنّسبة للرّعاة.

[1] شنيتي محمد البشير، روما الإمبراطورية وبلاد المغرب ...، المرجع السّابق، ص 191.

[2] قزال ستيفان، ج 7، المرجع السّابق، ص 69.

ج- سرقة الماشية:

شكّلت سرقة الماشية إحدى المشاكل الرّئيسية التي أثّرت على النّشاط الرّعوي والثّروة الحيوانية في المجتمعات القديمة، وعلى الرّغم من أهمّية هذه الظّاهرة وتأثيرها الاقتصادي والاجتماعي إلاّ أنّ المصادر والوثائق التّاريخية غالبًا ما تركّز على الأحداث السّياسية والعسكرية، ممّا جعل العثور على تفاصيل دقيقة حول الجرائم مثل سرقة الماشية أمرًا صعبًا.

وعلى حدِّ علمنا يُحتمل أنّه لا وجود لرسوم صخرية محدّدة تُصوّر سرقة الماشية بشكل مباشر أو تشير إلى الأساليب المستخدمة لمحاربتها في بلاد المغرب القديم، ومع ذلك فإنّ ندرة المصادر لا تقلّل من أهمّية هذه القضية في التّأثير على استقرار النّشاط الرّعوي والمجتمعات التي كانت تعتمد بشكل كبير على الثّروة الحيوانية.

ومهما يكن يُعتقد أن تشمل العديد من الطّرق التي كانت شائعة في تلك الحقبة ويمكننا أن نتصوّر ذلك، فمثلا يمكن للأفراد أو مجموعة من الأشخاص اقتحام المزارع أو المراعي وسرقة الماشية مباشرة أو سرقتها خلال اللّيل أثناء نوم أصحابها أو يمكن للسّارقين تغيير المسارات المعتادة للرّعي والانتقال بالماشية إلى مناطق أخرى.

أمّا فيما يتعلّق بالمصادر الكتابية التي تحتوي على إشارات عن سرقة الماشية فهي قليلة جدًّا، ومع ذلك نجد بعض القوانين الرّسمية التي أصدرتها السّلطة الرّومانية للحدّ من انتشار هذه الظاهرة، حيث قام ثيودوسيوس الثاني (Théodosien II)[1] في عام 435 م بتكليف لجنة مُهمّتها جمع القوانين العامّة التّي وُضعت منذ عهد قسطنطين (Constantin) وصدرت قوانين في النّصف الثّاني من القرن الرّابع وبداية القرن الخامس ميلادي[2].

ويُعدّ قانون ثيودوزيوس مرجعًا هامًا يُظهر التّدابير التي اتّخذتها الإدارة الرّومانية لمكافحة سرقة المواشي وقد استخدم مصطلح أبيجياتوس (**abigeatus**) وهو كلمة لاتينية لوصف سرقة الماشية وهو مرتبط بالمصطلحات

[1] تولّى العرش الإمبراطوري لما يقرب من نصف قرن (402-450م)، ومن أبرز إنجازاته كان جمع القوانين الإمبراطورية التي أُصدرت باسمه في عام 438م، وهو ما يعرف بـ"قانون ثيودوسيوس **(Codex Theodosianus)**، هذا العمل الضخم، الذي استغرق إنجازه ما يقرب تسع سنوات من العمل من قبل فريق مكون من تسعة مفوضين توسع لاحقًا ليشمل ستة عشر مفوضًا، حيث تم جمع القوانين الإمبراطورية منذ عهد قسطنطين وحتى عام 437م، للمزيد يراجع:

Lee (A-d.), Decoding Late Roman Law, Journal of Roman Studies, volume 92, 2002, p 185.

[2] Jaillette (P.), Brigands et voleurs de bétail dans les compagnes de l'Antiquité tardive : le témoignage du Code Théodosien, Histoire et Sociétés Rurales, N° 14, 2 semestre 2000, pp 177-178.

الرّعوية للدّلالة على نهب وسرقة الحيوانات المستأنسة، وقد أورد شيشرون مثالا حين وصف شخصا بأنّه "سرق عبيدا وأخذ قطيعًا بدفعه أمامه"، ومن "abigere" يشكل مصطلح "abigeus" للإشارة إلى سارق القطعان، ويتعارض مع مصطلح "اللّص" (fur)، فهناك فرق بين لصّ الحيوانات وسارق الماشية في مفهوم القانون الرّوماني، فعدد الحيوانات المسروقة هي التي تحدّد نوعية السّرقة إمّا سرقة بسيطة أو سرقة قطعان[1].

وقد أكّد القدّيس أوغسطين في رسالة وجّهها إلى أليبيوس (Alypius) أسقف هيبون (Hippo Regius) أنّ بعض المسلّحين الذين ارتدوا زيّ الجنود كانوا في الحقيقة لصوصا يسرقون الماشية وغيرها ولم تكن بلاد المغرب القديم والتي تميزت عن غيرها بوفرة الحيوانات في مأمن من هذا النّوع من السّرقة، وعلى الرّغم من ندرة المصادر التي تتحدّث عن ذلك فإنّ بعض النّقوش تؤكّد وجود قوانين وتشريعات اتخذتها السّلطات الرّومانية للحدّ من سرقة المواشي مثل:

- نقش هنشير متّيش (تونس)، الذي يظهر أن الإدارة الرّومانية فرضت عقوبات على من يسرق الحيوانات أو غيرها من المنتجات الزّراعية.
- نقش مدينة سلا (الرباط) بالمغرب الأقصى الذي يشير إلى أن سكان المدينة قدّموا تمثالًا كهدية وشكر للقائد العسكري الذي نجح في إنهاء هجمات اللّصوص والتي كانت تتضمّن سرقة المواشي[2].

هذه السّياسة تدلّ على إدراك الرّومان للأهمّية الاقتصادية والاجتماعية للرّعي، كما نجد أنّ هناك أفرادًا عندما تقع حوادث مثل سرقة للقطعان يتدخّلون لتحرير سكّان المنطقة من هذه المشكلات والتّفاوض بشأن القطعان[3].

وخلاصة القول أن الرّعي في بلاد المغرب القديم قد شهد تحولاّت وتطورات منذ العصر الحجري الحديث، مرورًا بفجر التاريخ، وصولًا إلى الفترة التّاريخية، وقد تجسّد هذا التّطور في تنوع مجالاته وتعدد أنماط الرّعي بين التّرحال والاستقرار، وقد كانت مجالات الرّعي خاضعة لأنظمة مختلفة من حيث طبيعة الملكية، وكانت المنظومة القانونية خلال الفترة الرّومانية تهدف إلى تحقيق مصالح الرّومان واحكام السّيطرة على هذا النّشاط الحيوي من

[1] Jaillette (P.), Op. Cit., p 170.
[2] Hajlaoui Anis, Op. Cit., pp 183-184.
[3] Marion (J.), Inscriptions sur objets métalliques en Maurétanie Tingitane, Ant. Afr., 10, 1976, p 100.

خلال فرض الضّرائب، واتخاذ تدابير عسكرية كتشييد نظام اللّيمس، ورغم أهمية الرّعي فقد كان عرضة لمجموعة من التّحدّيات والصعوبات التي واجهت مربّو الماشية، ومع ذلك يمكن القول أن الرّعي لم يكن نشاطا ثانويا بل شكّل أحد أسس البنية الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم ونظاما قائما بذاته تطور مع مرور الزمن وارتبطت به عدة أنشطة كان لها الأثر الواضح على مجالات مختلفة.

الفصل الخامس:

الرّعي والممارسات المرتبطة به

أولا – الرّعي وفوائده الاقتصادية

ثانيا – الرّعي والممارسات الاجتماعية والدّينية

ثالثا– استخدامات أخرى

لعبت موارد الثّروة الحيوانية دورا مهمّا في بلاد المغرب في العصور القديمة وشملت هذه الموارد الحيوانات المستأنسة واستخدامها لأغراض متعدّدة خصوصا في المجال الاقتصادي مثل العمل الزّراعي وتوفير الغذاء والملابس والمواد الخام، إضافة إلى مجالات أخرى منها الاجتماعية والدّينية وحتىّ البيئية.

أولا– الرّعي وفوائده الاقتصادية:

من الفوائد الاقتصادية لتربية الحيوانات أنّها مصدر هامّ للغذاء وكذلك استخدام الجلد والصّوف لصناعة الملابس والخيم والأحذية، كما أنّ الرّعي أسهم في دعم التّجارة واستخدام الحيوانات الرّعوية في نقل البضائع بالإضافة إلى تأثيرها على الزّراعة من خلال توفير السّماد الطّبيعي (الرّوث) وهذا ما أدّى إلى زيادة إنتاجية الأراضي الزّراعية.

وقد تمّ تصنيف الحيوانات الرّعوية إلى مجموعتين رئيسيتين وفقا للخدمات التي تقدّمها للإنسان:

– **المجموعة الأولى:** وتسمى أرمينتيوم (**Armentum**) وتشمل الحيوانات التي تقدّم مساعدة في العمل الزّراعي والنّقل مثل البغال والخيول والحمير، والتي تكون قادرة على مساعدة الإنسان سواء في أعماله الزّراعية أو تنقّلاته.

– **المجموعة الثّانية:** وتسمى جريكس (**Grex**) وتضمّ الحيوانات التي تربّى لتوفير دخل مادّي مثل الصّوف من الأغنام والحليب من الماعز واللّحم من الأبقار والخنازير.

ويبدو أنّ هذا التّصنيف غير واضح في بعض الأحيان بسبب إمكانية استخدام بعض هذه الحيوانات لأغراض متعدّدة مثل استخدام الأبقار للعمل والحصول على اللّحم وكذلك الحليب.

ومنه تمّ تصنيف الحيوانات إلى حيوانات للغذاء، حيوانات للمساعدة، حيوانات تقدّم مواد خام، وحيوانات تابعة ورفيقة[1].

لذلك فإنّ هذا التّصنيف يبيّن تفاوت استخدامات الحيوانات وفوائدها المختلفة في الحياة اليومية لمجتمع بلاد المغرب خلال العصور القديمة، إذْ كانت القطعان أحد أسس القوّة، وكان امتلاك عدد كبير من رؤوس الماشية علامة على الثّروة والسّلطة.

[1] Hajlaoui Anis, Op. Cit., p 347.

I- منتجات الثّروة الحيوانية:

يمثّل البحث عن الإنتاج الحيواني في بلاد المغرب خلال العصر الحجري الحديث تحدّيا كبيرا نظرا لندرة الأدّلة المادّية التي يمكن الاعتماد عليها لرسم صورة شاملة وواضحة حول المنتجات الحيوانية، والإشكال نفسه يُطرح خلال الفترة التّاريخية رغم وجود النّصوص الأدبية والآثار المادّية إلاّ أنها قليلة وغامضة وغير دقيقة.

1- الغذاء:

اعتمدت الأقوام القديمة في غذائها على مجموعة متنوعة من الموارد الطّبيعية حيث كانت تقتات على الحلزون والمحار والرّخويات والقواقع، كما شكّلت لحوم الطّيور بما في ذلك النّعام والطّيور الجارحة جزءًا مهمًّا من نظامها الغذائي، بالإضافة إلى ذلك أنّها اعتمدت على صيد الغزلان والحيوانات البرّية الأخرى لتوفير اللّحوم، واستفادت أيضا من الحيوانات المستأنسة مستغلّة منتجاتها المختلفة مثل الحليب واللّحم لتلبية احتياجاتها الغذائية.

كذلك الأمر بالنّسبة لسكّان بلاد المغرب القديم حيث اعتمدوا بشكل كبير على منتجات الحيوانات المستأنسة كجزء مهمّ من نظامهم الغذائي مستفيدين من تنوّع الموارد الحيوانية المتوفّرة في المنطقة ومع ذلك فقد واجهت دراسة النّظام الغذائي للإنسان المغاربي القديم صعوبات كثيرة للوصول إلى معلومات دقيقة حول تركيبة وكمّيات الأغذية المستهلكة آنذاك، ورغم أهمّية تحليل بقايا الطّعام التي تمّ جمعها من عدّة مواقع أثرية إلاّ أنّها لا تعكس بالضّرورة تنوع الأطعمة التي تمّ استهلاكها بالفعل، ومع ذلك تظلّ هذه البقايا مصدرا قيّمًا للمعلومات خاصّة فيما يتعلّق بفترة ما قبل التّاريخ.

وشكّلت منتجات الحيوانات المدجّنة المصدر الثّاني للغذاء، إذْ اعتمدت بلاد المغرب القديم مبكّرًا على رعي الحيوانات ممّا وفّر مصادر متجدّدة من اللّحوم والحليب، هذا الأخير كان جزءا أساسيا من النّظام الغذائي.

أ– الحليب ومشتقّاته:

يُعدّ الحليب من أهمّ المنتجات الغذائية الحيوانية حيث توفّرت في بلاد المغرب القديم حيوانات منتجة له مثل الأبقار والأغنام والماعز والإبل ممّا جعله موردًا مستدامًا، وعلى الرّغم من أهمّية هذا المصدر لا يزال تحديد بداية استخدام الحليب ومنتجاته في المنطقة أمرا غير محسوم مقارنة بالمعطيات المتوفّرة حول ظهوره في الشّرق الأدنى القديم.

ومن المهمّ أن نشير في هذا المقام إلى دراسة علمية أظهرت نتائجها استخدامًا واسعًا لمنتجات الألبان في الأواني الفخّارية المكتشفة في صحراء ليبيا خلال فترة الرّعي الوسطى حوالي 5200-3800 ق.م، كما أظهرت نتائج الدّراسة أنّ تحليل بقايا الطّعام الممتصّة المستخرجة من بقايا الأواني الفخارية المكتشفة في موقع قلدمان (Gueldaman) النّيوليتي في بجاية (الجزائر)، الواقعة ضمن المنطقة المتوسّطية لبلاد المغرب القديم والذي يعود تاريخه إلى الألف الخامسة قبل الميلاد أدلّة واضحة على بداية استغلال الألبان ومنتجاتها[1] في تلك الفترة المبكّرة.

- **الحليب كغذاء من خلال الرّسوم الصّخرية:**

من بين المؤشّرات التي تدلّ على استهلاك الحليب كجزء من النّظام الغذائي في فترة ما قبل التّاريخ نجد الرّسومات الصّخرية، ويُحتمل أن تكون عملية الحلب قد نشأت كإنتاج ثانوي، وقد ظهرت عدّة افتراضات حول بدايات استخدام هذا المنتوج، فيعتقد أصحاب الرّأي الأول أنّ المرحلة الأولى تمثّلت في التّرويض للاحتفاظ بالحيوانات كمصدر للّحوم ثم جاءت مرحلة ثانية أكثر تطورا تمثّلت في استخدام الحيوانات الحيّة بدلا من الميّتة ليصبح الحلب عاملا أساسيا في هذا التّحول الجديد، أمّا الرّأي الآخر فيرى أنّ الحلب ظهر في مراحل أكثر تقدّما من التّدجين[2].

[1] Kherbouche (F.), et al., Middle Holocene hunting and herding at Gueldaman Cave, Algeria: An integrated study of the vertebrate fauna and pottery lipid residues, Quaternary International, Volume 410, 2016, pp1-2.

[2] Le Quellec (J-L.), Traite et insufflation sur les images rupestres du Sahara contredisent l'hypothèse de la consommation du lait comme révolution secondaire en Afrique, Cahiers de l'AARS, N° 14, 2010, pp 405-406.

وفي الآونة الأخيرة تمّ استخدام معيار تصوير الثّدي في اللّوحات الصّخرية لتمييز فترتين زمنيتين في فنّ رعاة الماشية، وقد تميزت الفترة الأولى بعدم تصوير الثّدي ويعتقد أنّها تمثّل مرحلة استهلاك اللّحوم من الحيوانات، بينما الفترة الثّانية تميزت بتصويره وتشير إلى مرحلة استهلاك الحليب كمورد غذائي[1].

وبالرّغم من ندرة الدّلائل الواضحة على استخدام الحليب إلاّ أنّ هناك بعض الرّسوم التي تظهر عملية الحلب، حيث نجد مأوى في سيفار بالتّاسيلي-ناجر يحتوي على رسوم توثّق هذه العملية لدى البوفيديين، وتصور لنا جدارية سيفار رسم لشخصين يرعيان الأبقار[2].

كما نجد بعض الرّسوم تمثّل صورا لأواني معلّقة لحفظ الحليب[3] حيث يعتبر مشهد حلب البقرة واستخدام وعاء لتجميع الحليب نشاطا رعويا ويدلّ ذلك على أهمّية تربية الماشية وإنتاج الحليب في فترة ما قبل التّاريخ، انظر الشّكل رقم (39).



الشكل رقم (39) : مشهد الحلب بموقع ايدو في التاسيلي ناجر بالجزائر

المصدر: Le Quellec (J-L.), Traite et insufflation …,Op. Cit., p 406

.

[1] Le Quellec (J-L.), La boisson invisible. Le lait sur les images rupestres du Sahara. Cahiers de l'OCHA, Paris, 2010, p 39.

[2] صندوق ستي، المرجع السّابق، ص 219.

[3] Gauthier (CH.), les mats dans l'art rupestre du Messak (Fezzan), AARS - ACTES 1995 - 1996, p36.

كما أنّه تمّ توثيق الاهتمام بالحليب في الرّسومات الصّخرية في منطقة فزّان في الصّحراء اللّيبية منذ آلاف السّنين، فهناك نقوش تعود إلى الفترة ما بين الألفية السّادسة إلى الألفية الرّابعة قبل الميلاد وصولا إلى نقوش تعود إلى عصر الجمل والمؤرّخة ما بين القرنين الرّابع والخامس الميلاديين، وتُظهر بعض هذه الرّسومات أشخاصا يتناولون الحليب مباشرة من ضرع الحيوانات أو يقومون بالحلب من جانبها، وخلال هذه الأنشطة يتمّ جمع الحليب في أوعية نصف كروية مثل الفخّار والأخشاب المنحوتة[1]، انظر الشّكل رقم (40).



الشكل رقم (40): مشهد يظهر صور لعملية الحلب في منطقة مسّاك (فزّان بليبيا)

المصدر: Dupuy (CH.), Des céréales et du lait au Sahara et au Sahel, de l'épipaléolithique à l'âge des métaux, Afriques, 05, 2014, p 17.

وتمّ تمثيل بعض مشاهد الحلب وبقر بأضرع منتفخة بواد تكساتين وأرهار بالمسّاك وجبل العوينات بليبيا والإمدير بالأهقار وتهيهاوت بالتّاسيلي- ناجر، نفس التّقاليد عرفت أيضا خلال الفترات الحديث من الفنّ الصّخري تصوّر ناقة بأضرع بجانب صغارها بواد جرات[2].

[1] Dupuy (CH.), Op. Cit., p 16.

[2] أوبراهم جوهر، الحياة اليومية...، المرجع السّابق، ص 35.

- **الحليب كغذاء من خلال الفسيفساء:**

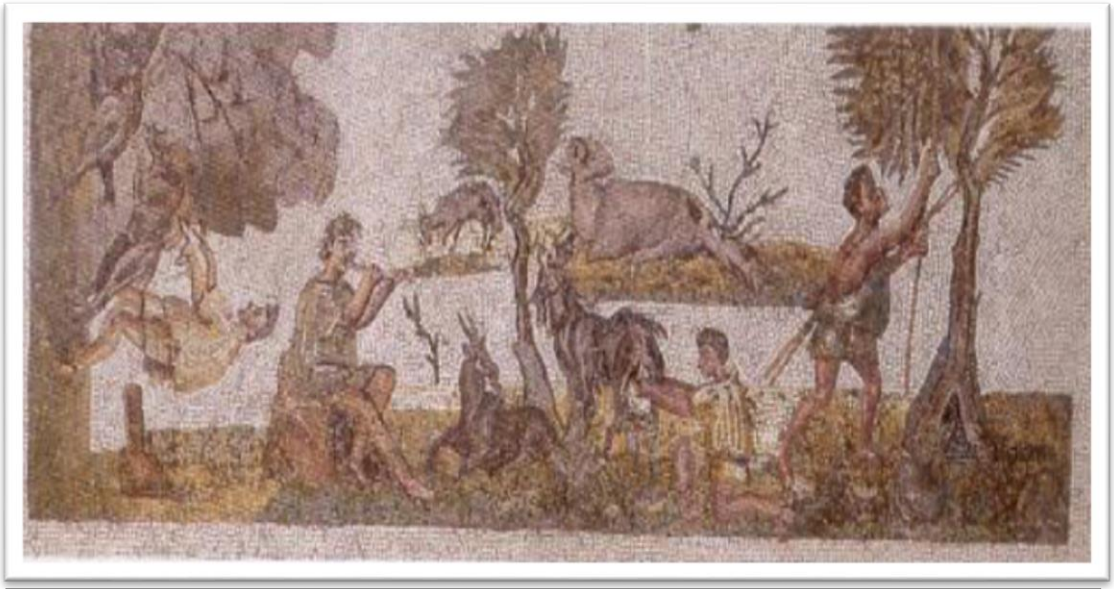
تصوّر لنا اللّوحات الفسيفسائية بدورها مشاهد رعوية مختلفة مثل فسيفساء أودنة التي تمثّل في إحدى جوانبها مشهدا لحلب الماعز[1]، انظر الشّكل رقم (41) ونرى مشهدا آخر لراع يحلب الأغنام ممثلا على فسيفساء زليتن (بالسّاحل الغربي لليبيا)، حيث كانت الأغنام والماعز مصدران مهمّان للحليب.

وكما هو معلوم أنّ الجبن[2] من مشتقّات الحليب، وقد استخدم حليب الماعز في صناعته وذلك بتخثير الحليب وتصفيته في سلّة صغيرة مصنوعة من الصفصاف ثم تجفيفه، ونلمس ذلك من خلال فسيفساء زليتن بتمثيل طفل صغير بجوار راعٍ يحمل قطعا صغيرة من الجبنة أسطوانية الشّكل، كما نجد تمثيلا آخر على فسيفساء "فصول السّنة الأربعة" حيث تظهر امرأة تحمل سلّتين صغيرتين من الصّفصاف الأصفر تحتويان على الجبن[3].

[1] Yacoub Mohamed, Splendeur…, Op.Cit, p 201.

[2] تناول كولوميل طريقة صنع الجبن ويمكن تلخيص العملية بالخطوات التّالية: لابدّ من استخدام حليب نقي وجديد، والحليب ذو الدّهون العالية يمكن الاحتفاظ به لفترة أطول، ويُفضّل تجنّب استخدام الحليب القديم، حيث يتمّ تخثير الحليب وذلك بإضافة مادّة التّخثير، مثل مستخلص الخروب أو المواد اللّبنية من مصادر طبيعية مثل شجرة التّين، وبمجرّد تخثّر الحليب، يتمّ تقطيعه إلى قطع وتصفيته من اللّبن، ثمّ تجفيفه، ثم وضعه في مكان مظلم وبارد حتّى لا يفسد، ويرشّ بالملح، ثمّ يتمّ تكديسه وتخزينه في مكان مظلم وبارد لفترة زمنية معينة لنضجه، وبعدها يتمّ تجفيف الجبن نهائياً وتخزينه في ظروف مناسبة للحفاظ على جودته ونكهته، للمزيد يراجع: Columelle, De l'agriculture, VII, 8

[3] Precheur-Canonge Thérèse, Op. Cit., p 68-69.



الشكل رقم (41): مشهد لحلب الماعز على فسيفساء أودنة

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur…, Op.Cit, p 201.

- **الحليب كغذاء من خلال المصادر المادّية المنقولة:**

إلى جانب ما ذكرناه سابقا هناك مصدر آخر لا يقلّ أهمّية عن بقيّة المصادر، ويتمثّل في آثار الأواني التي تستخدم للحفاظ على الحليب ومنتجاته ورغم أهمّية تلك الوسائل خاصّة فيما يتعلّق بإنتاج الجبن فهي غير متوفّرة أو لم يتمّ العثور على بقاياها بعد في بلاد المغرب القديم، على عكس ما تمّ اكتشافه في مناطق أخرى من العالم مثل بلاد الغال (فرنسا) أو إيطاليا، حيث تمّ العثور على العديد من المواقع التي كشفت عن وجود أواني دائرية ذات عمق ومزوّدة بعدد من الثّقوب في القاع لتصريف لتصفية اللّبن المخثّر باستخدام سلاّت قصب أو صوف، ورغم ذلك يُعتقد أنّ إنتاج الجبن لا يعتمد بالضّرورة على تسخين الحليب إذْ يمكن تصنيع بعض أنواع الجبن من خلال عملية التخثير البسيط دون الحاجة إلى الحرارة[1].

وعلى الرّغم من عدم وجود مثل هذه الأواني في بلاد المغرب القديم إلاّ أنّ الليبيين عُرفوا باستخدام الحليب منذ آلاف السنين، ومن غير المعقول أنْ لا يتوصّلوا إلى تقنية صناعة الجبن ويحتمل أنهم استخدموا وسائل قابلة للتّلف أو أنّ البحوث الأثرية لم تصل بعد إلى تلك الآثار المدفونة في الأرض.

[1]Hajlaoui Anis, Op. Cit., pp 398-399.

ومن الضّروري الإشارة إلى عنصر في غاية الأهمّية يستخدم في الحفاظ على المنتجات الحيوانية، ويتمثّل في الملح (كلوريد الصوديوم) الذي تمّ استغلاله في صنع الجبن وتحسين نكهته، فللملح تأثير كبير على نوعية الأطعمة وتخزينها وكذلك على تغذية الحيوانات، وتشير الدّراسات إلى توافر المياه المالحة والمراعي الملحية التي كانت مصادر مهمّة للملح الطّبيعي حيث استخدمها البدو الرّحل في الحليب ومشتقّاته[1].

- **الحليب كغذاء من خلال المصادر الأدبية:**

تطرّقت المصادر الأدبية هي الأخرى لهذا الموضوع، حيث تحدّث هوميروس عن ليبيا وغناها بالثّروة الحيوانية في فترة تاريخية مبكّرة وأشار إلى أنّ عدد الأغنام يتضاعف ثلاث مرّات خلال العام ممّا يوفّر للرّاعي والسّيد غذاء طوال جميع المواسم سواء كان ذلك لحما أو حليبا[2].

وتحدّث "هيرودوت" في القرن الخامس قبل الميلاد عن استهلاك اللّيبيين للحليب مشيرًا إلى أنّ البدو كانوا يستهلكون الحليب كجزء من نظامهم الغذائي[3]، وأضاف إلى ذلك أنّ النّسامونين كانوا يصطادون الجراد ويجفّفونه تحت أشعّة الشّمس، ثمّ يطحنونه إلى مسحوق ويخلطونه مع الحليب ويشربونه[4].

وذكر "ساليست" أنّ النّوميديين كانوا نادرا ما يتغذّون بغير الحليب ولحوم الصّيد[5]، ومن جانب آخر أشار "فيرجيل" إلى أهمّية الماعز في إنتاج الحليب، حيث ذكر أنّها توفّر كمّيات من الحليب خاصّة وأنها تتكاثر بأعداد كبيرة مقارنة بالأغنام[6]، وهذا ما يؤكّد أهميّة الماعز والأغنام باعتبارهما جزءا من الثّروة الحيوانية ولكلّ منهما دوره الخاص، كما أكّد "فيرجيل" أيضا على ضرورة الاهتمام بتغذية الحيوانات وتوفير بيئة مناسبة لها لضمان جودة الحليب المنتج[7].

[1] Morère (N.), Le sel. Alimentation, cuisine et table en Afrique et en Méditerranée anciennes, L'alimentation de l'Afrique du Nord De la préhistoire au Moyen Âge. VIIe Journée d'études nord-africaines, Actes du colloque international organisé par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres et la Société d'Étude du Maghreb préhistorique, antique et médiéval (SEMPAM) le 11 avril 2014, Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Paris, 2016, pp 59-60.

[2] Homere, Odyssée, IV, 50.

[3] Hérodote, Histoires, IV, 186.

[4] Hérodote, Histoires, IV, 172.

[5] ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 89، ص 135.

[6] Virgile, Géorgiques, III, 300-310.

[7] Virgile, Géorgiques, III, 394-403.

كما نجد "سترابون" الذي تحدّث عن قبيلة من قبائل المغرب القديم وهي قبيلة اللّوتوفاج بأنّ سكّانها كانوا يشربون الحليب ويأكلون اللّحم[1]، ومن جهة أخرى أكّد "تيت-ليف" أنّ الحليب كان عنصرا أساسيا في غذاء النّوميديين حيث أشار إلى القبائل التي تبعت مَلِكها وتعيش على جبل "بيلوس" اعتمدت على نمط رعوي للحصول على اللّحم والحليب خاصّة وأنّ الجبل تميّز بوفرة العشب والماء ممّا وفّر التّغذية لقطعان الماشية[2].

ويضيف "بومبينيوس ميلا" أنّ سكّان منطقة برقة (Cyrénaïque) اعتمدوا على استهلاك الحليب كغذاء أساسي وذكر أنّ مساكنهم تسمى ماباليا (**Mappalia**)[3]، وطريقة حياتهم قاسية لا يشربون إلاّ الحليب إلى جانب مشروب معيّن يستخرجونه من الفواكه البرّية ولا يأكلون إلاّ اللحوم وغالبا ما يأكلون لحوم الحيوانات المفترسة قدر ما يستطيعون ويعتبرون مواشيهم ثروتهم الوحيدة[4].

ويشير "كولوميل" بدوره إلى دور الحليب في تأمين الاحتياجات الغذائية ويذكر أنّ بعض الأمم التي تفتقر إلى القمح تعتمد على الحليب كمصدر للغذاء ويطلق على البدو شاربي الحليب[5]، وقد كتب مؤلّفه عن الزّراعة في القرن الأول الميلادي، وتناول موضوع اقتناء الأبقار الحلوب بوصف أشكالهم وخصائصهم[6] من حيث الحجم واللّون والفِراء، وقد استند في ذلك إلى نصائح العالم القرطاجي "ماغون"، وهذا ما يدلّ

---

[1] Strabon, Géographie, XVII, 3, 8.

[2] Tite-Live, Histoire romaine, XXIX, 31, 7-9.

[3] قام الباحث لاسير (Lassere) بدراسة حول طبيعة هذا المسكن من خلال المصادر الأثرية، وكتابات المؤرّخين القدامى، والدّراسات الحديثة حيث استعرض بشكل تفصيلي معنى وأصول مصطلح "**مباليا**" في بلاد المغرب القديم، وبيَّن أنّها كانت تمثّل نوعًا من المساكن البسيطة المرتبطة بالمجتمعات البدوية، للمزيد يراجع:

Lassere (J-M.), Mappalia, Encyclopédie berbère, 30, 2010, pp 4568-4573.

[4] Pomponius Mela, Géographie, I, 8.

[5] Columelle, De l'agriculture, VII, 2.

[6] تشمل هذه الخصائص أن يكون جسم البقر قويًا، وكذلك قرونها، وأن تكون الجبهه واسعة آذانها مغطّاة بالشّعر، ولديها عينان وشفتان سوداوان، وأن تكون فتحات الأنف منتفخة وعريضة، والعنق طويلًا وعضليًا، وأن تكون علامات الجلد واسعة وتصل تقريبًا إلى الركبتين، وأن يكون الصّدر والأكتاف والبطن ضخمة، والظّهر مستقيمًا ومستويًا، وأن تكون السّاقين قويتين ومستقيمتين، ومخالب القدم كبيرة، والذّيل طويل جدا ومكسو بالشّعر، وأن يكون الجلد ناعما عند اللّمس، للمزيد يراجع : Columelle, De l'agriculture, VI, 1؛ وكذلك قزال ستيفان، ج 4، المرجع السّابق، ص ص 36-37.

على المعرفة الجيّدة للفينيقيين بخصائص الحيوانات الرّعوية والتي استفاد منها علماء الزّراعة اللاّتين، وأنّ إنتاج واستهلاك الحليب كان كبيرا في تلك الفترة.

إضافة إلى فوائد الحليب المتعدّدة أشار "فارون" إلى الخصائص الصّحية لأنواع مختلفة من هذا المنتج الحيواني، ويعتبر حليب الفرس وكذلك أنثى الحمار من بين الأنواع المشهورة بفوائدها العلاجية[1]، ما يعكس لنا بشكل عام الاعتقادات والمعرفة القديمة حول الأغذية والأطعمة ودورها في الصّحة والعلاج.

وبعد استعراض بعض آراء الكتّاب الكلاسيكيين نخلص إلى أنّه من الصّعب الحصول على صورة دقيقة وشاملة عن عادة تناول الحليب ومنتجاته في بلاد المغرب القديم، إلاّ أنّ المؤرّخون يجمعون على أنّ الحليب كان من الأغذية الضروريّة عند المغاربة القدامى لذا فإنّ ممارسة تربية الأغنام والماعز وكذلك الأبقار من أجل حليبها يعدّ دليلا على انتشارها في بلاد المغرب، ورغم ذلك فإنّ المعطيات المتوفرة لدينا لا تمكّننا من معرفة عادات كلّ منطقة على حدة في كيفية استخدامها للحليب وتطوره ممّا يترك المجال مفتوحا للبحث والدّراسة.

ب– اللّحوم:

شكّلت لحوم الحيوانات المستأنسة جزءا هامًّا من النّظام الغذائي ولكنها ليست العنصر الوحيد الذي استهلكه إنسان بلاد المغرب في العصور القديمة حيث وُجدت بجانبها مجموعة متنوّعة من الأغذية الأخرى وشملت الحيوانات البرّية[2] والنّباتات والصّدفيات والأسماك، إلى جانب الألبان ومشتقّاتها كما تمّ الإشارة إليه سابقًا.

ويعتبر كهف خنقة سي محمّد الطّاهر في جبال الأوراس نموذجا عن ذلك حيث تمّ العثور على بقايا عظام تعود إلى مختلف أنواع الحيوانات التي استهلكت من قبل السّكان النّيوليتيين الذين عاشوا في المنطقة هؤلاء السّكان كانوا يعتمدون على تربية الحيوانات وتنقّلوا في جميع أنحاء شرق الجزائر بين مناطق الرّعي تاركين آثارًا ورسومات واضحة تدلّ على أسلوب حياتهم[3].

---

[1] Varron, Economie rurale, II, 11, 5.

[2] يشير ساليست إلى سكان شمال افريقيا خلال فترة ماقبل التاريخ، انهم يتغذون من لحم الحيوانات المفترسة وأعشاب المروج، للمزيد يراجع: ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 18، ص 66.

[3] Amara (I.), Drici (S.), Des bergers …, Op. Cit. , p 66.

- **أنواع اللّحوم المستهلكة:**

كان ذبح الحيوانات نشاطًا مهمًّا في بلاد المغرب القديم إلاّ أن دراسة هذه العملية تواجه تحدّيات بسبب نقص الأدّلة الأثرية المتعلّقة بالذّبائح المقدّمة للآلهة، وكانت عملية الذّبح تتمّ وفقًا للغرض من استخدام الحيوان، فإذا كان الهدف هو إنتاج اللّحم غالبا ما تذبح الحيوانات بين 6 إلى 18 شهرًا وهي المرحلة التي تبلغ فيها أوجّ نموها، أمّا إذا كان الغرض هو إنتاج الحليب فيتمّ ذبح نسبة كبيرة من الحملان الصّغيرة قبل أن تبلغ 6 أشهر بهدف ترك الإناث لانتاج الحليب[1].

وبحسب المصادر الأدبية المتوفّرة لدينا هناك إشارات حول أنواع اللّحوم التي كانت تستهلك في بلاد المغرب القديم، فإذا عدنا إلى "هوميروس" نجده قد أشار إلى الأغنام كمورد رئيسي للّحوم في حديثه عن الثّروة الحيوانية لليبيا[2]، ومن جهة أخرى قدّم "هيرودوت" معلومات عامّة عن استهلاك اللّيبيين للّحوم مشيرًا إلى أنّ بعض الأنواع كانت تُستهلك أكثر من غيرها، بينما كانت هناك أنواع لا تُستهلك مثل لحم الأبقار والخنازير من قبل سكّان المنطقة الممتدّة من مصر إلى بحيرة تريتونيس (Tritonis)[3]، ورغم أنّ استهلاك الخنزير كان محدودا بين البونيقيين واللّيبيين بسبب تعاليم دينية تمنع استهلاكه، إلاّ أنّه كان مباحًا في مناطق أخرى وشهد تزايدا في الفترة الرّومانية خاصّة في صفوف الجيش[4].

وهذا ما يدلّ على تنوع عادات الأكل من منطقة لأخرى، ويحتمل أن يعود ذلك لأسباب دينية تجعل بعض الحيوانات مقدّسة أو محظورة للاستهلاك، ورغم ذلك فإنّه حتّى وإنْ كان هناك امتناع عن استهلاك هذه الأنواع من اللّحوم في المنطقة المحدّدة التي ذكرها "هيرودوت"، فإنّ ذلك لا ينطبق بالضّرورة على كامل بلاد المغرب أو على فترات زمنية أخرى في تاريخ المنطقة، فمن الممكن أن تكون مناطق تمتنع عن أكل لحوم الأبقار مثلا لكن بعد فترة زمنية أو بالأحرى خلال العصور اللّاحقة تتغذّى على لحوم تلك الحيوانات.

[1] Kherbouche (F.), et al., Op. Cit., p 8.
[2] Homere, Odyssée, IV, 50.
[3] Hérodote, Histoires, IV, 186.
[4] Lassère (J-M.), Africa …, Op. Cit., P 217.

وكذلك أشار "سترابون" إلى سكان المنطقة السّاحلية الممتدّة من قرطاجة إلى رأس كيفالس بما في ذلك جبال الجيتوليين في ليبيا، حيث قدّم وصفًا عامًا لنظامهم الغذائي مشيرًا إلى اعتمادهم على اللّحوم دون تحديد الأنواع المستهلكة[1].

إضافة إلى ذلك تناول بعض المؤرّخين القدامى أنواعا أخرى من اللّحوم المستهلكة وتعلّق الأمر بالدّواجن حيث تحدّث "كولوميل" عن تربيتها بشكل عام للحصول على لحومها[2]، وقدّم "بلين الأكبر" من جهته بعض المعلومات للتّعرف على الدّجاج الجيّد والمميّز من خلال ملامحه الخارجية، ومن أهمّ تلك الميزات التّاج المستقيم أو المزدوج والجناح الأسود، والدّواجن الجيدة غالبا ما تكون مناقيرها حمراء[3].

كما يمكن تسمين الحمام بنجاح باستخدام نفس الأساليب التي تستخدم لتسمين الدّجاج فهي مصدر جيّد للحصول على اللّحوم[4]، وعليه فمن الطّبيعي أن تكون هذه الممارسات وأساليب تربية الدّواجن مشتركة بين العديد من الشّعوب القديمة بما في ذلك المغاربة القدامى مع وجود بعض الفروقات الصّغيرة التي تعكس التّقاليد المحلّية وظروف البيئة.

ويطرح استهلاك اللّحم في العصور القديمة بشكل عام عدّة تحدّيات منها صعوبة الحفظ، ولذلك وجب استهلاك اللّحم بعد ذبح الحيوان خاصّة في المناطق ذات المناخ الحارّ، أو استخدام أساليب الحفظ مثل التّجفيف والتّمليح[5] للتّمكن من الاحتفاظ به لمدّة أطول حيث كان الملح أمرًا أساسيًا للحفاظ على اللّحوم[6]، كما في منتجات الحليب التي أشرنا إليها سابقًا.

---

[1] Strabon, Géographie, XVII, 3, 19.

[2] قدّم كولوميل مجموعة من النصائح بخصوص تربية الدّواجن في المزارع القديمة، ويشير إلى أهمية رعايتها وتغذيتها بشكل جيّد للحصول على لحوم جيّدة، وإعطاء نصائح حول أفضل الطّرق لتربية وتسمين هذه الطيور سواءا كانت منزلية أو مصطادة، إضافة إلى ذلك يجب اختيار الدّواجن الأنثوية ذات الرّيش الأحمر أو البنّي والأجنحة السّوداء، ويفضّل تجنّب الدّواجن ذات الرّيش الأبيض، للمزيد يراجع:

Columelle, De l'Agriculture, VIII, 2.

[3] Pline, Histoire Naturelle, X, 77.

[4] من أهمّ العوامل لنجاح تربية الحمام لابدّ من توفير مأوى مناسب، يجب أن يكون المكان نظيفًا وجيّد التّهوية، مع الإهتمام بتوفير مكان للحمام للتّحليق والنّشاط، ولابدّ من توفير الحبوب لتغذية الحمام، وتوفير الماء بشكل دائم، واتخاذ الإجراءات اللّازمة لعلاجها في حال تعرّضها لمرض أو إصابة، للمزيد يراجع: Columelle, De l'agriculture, VIII, 8

[5] Porte (F.), Frumentum commeatusque :l'alimentation des légions romaines en campagne au I^er siècle avant J.-C., Revue des études anciennes, 119 (2), 2017, p559.

[6] Chevallier (R.), Réflexions sur le sel dans l'histoire romaine: un produit de première nécessité insaisissable, in Alimenta, Gerión, N 3, Espagne, 1991, pp 53-60.

2– صناعة اللّباس:

سعى الإنسان في العصور القديمة إلى ستر عورته وحماية جسده من العوامل البيئية باستخدام مواد متوفّرة في محيطه الطّبيعي، حيث بدأ باستخدام الجلود التي حصل عليها من صيد الحيوانات، وكذلك الصّوف الذي جمعه من الأغنام بعد ترويضها، ومع مرور الوقت تطورت تقنيات صنع الملابس ممّا سمح للإنسان بتحويل هذه المواد الخام إلى قطع لباس تُلبّي احتياجاته الأساسية من الحماية والدّفء.

أ– الجلود [1]:

كانت الجلود مادّة أساسية استخدمتها المجتمعات البشرية في صنع الملابس والأحذية منذ العصور القديمة، وعلى الرّغم من صعوبة تحديد بداية استخدام الجلود بسبب قابليتها للتّلف والتّحلّل بمرور الزّمن إلاّ أنّ الأدلّة الأثرية تشير إلى أنّ الإنسان قد استخدمها منذ فترات مبكّرة من تاريخه.

ويمكن لعلم الآثار أن يقدّم لنا الدّلائل عن استخدام المغاربة القدامى الملابس الجلدية قبل معرفة النّسيج، وأقدم الوثائق التي تدّلنا على تلك الملابس تظهر في النّصب المصرية والرّسوم الصّخرية حيث نجد أثرًا يعود تاريخه إلى العصر الثّيني في مصر، أي قبل تأسيس الأسرة المصرية الأولى حوالي 3200 ق.م، حيث يظهر اللّيبيون عراة إلاّ من جراب العورة (**ETUI PHALLQUE**) وهو قطعة من الملابس مصنوعة من الجلد، وظلّ هذا الزّي من أهمّ سمات الزّي اللّيبي طوال العصور التّاريخية اللاّحقة[2]، وتبرز الرّسوم الصّخرية في المغرب القديم انتشار ارتداء جراب العورة الذي يعود تاريخه إلى العصور الحجرية، ويظهر بوضوح في رسومات جبال الأطلس الصّحراوي[3].

[1] يحمل الجلد عدة تسميات محلية، فنجد اسم آييت (êγit)، عند تماحاق (Tamahaq)، أغليم (aglim) عند الميزابيين، وأفيلالي (afilali) في منطقة القبائل، للمزيد يراجع: Gast (M.), Cuirs et peaux, Encyclopédie berbère, 14, 1994, p 2144.

[2] العقون أم الخير، دولة الأمازيغ ...، المرجع السّابق، ص 79.

[3] مثل لوحات "فجّة الخيل" بقسنطينة، جنوب وهران، عين ناقة، وواد جرات، ظهر الرّجال مرتدين جراب العورة كجزء أساسي من لباسهم، سواء كانت الشّخصيات تظهر بظفائر، لحى، أو شعر كثيف، فإنّ جراب العورة يبدو عنصرًا مشتركًا في هذه اللوّحات، ومثّل هذه الرّسومات منتشرة بكثرة في الصّحراء الوسطى، وهناك لوحة بواد جرات تصور محاربا ليبيا يرتدي جراب العورة وعلى رأسه ثلاث ريشات، للمزيد يراجع: العقون أم الخير، من مصادر تاريخ المغرب القديم ... المرجع السّابق، ص 96.

ونجد رسوما ونقوشا أخرى مثّلت شخصيات لذكور وإناث يرتدون ملابس مصنوعة من جلود الحيوانات[1]، وقد حافظ اللّيبيون على هذه العادة وهي مشتركة بين الرّجال والنّساء حيث كانوا يستخدمون جلود الحيوانات المستأنسة مثل الكباش والماعز على وجه الخصوص[2]، كما استخدموا جلود الحيوانات البرّية كالأسود والفهود والفيلة[3] لتلبية احتياجاتهم.

كما نجد أنّ اللّيبي القديم استخدم الدّرع وهو مصنوع من الجلد، وهذا ما أكّدته الآثار المصرية وتشير الأدلّة إلى أن استخدام المحارب اللّيبي للدّرع يعود إلى مرحلة العصور الحجرية كما أثبتت ذلك الرّسومات الصّخرية في ضواحي بسكرة وأخرى بجنوب وهران (الأطلس الصّحراوي)[4].

وقد قدّمت بعض النّصوص خلال الفترة التّاريخية وصفا للملابس الجلدية خاصّة جلد الماعز، وأشار "هيرودوت" إلى أنّ الاغريق أخذوا عن اللّيبيات نمطا معيّنًا من اللّباس الذي ظهر على تماثيل الآلهة أثينا، إلاّ أنّ الفرق هو أنّ لباس اللّيبيات كان مصنوعا من جلد الماعز يضعنه فوق ملابسهن بدون شعر ومصبوغ باللّون الأحمر[5] ، وأشار من جهته "ديودور الصّقلي" إلى فئة من السّكان الليبيين وهم البدو الرّحل الذين يعيشون على قطعانهم ويرتدون جلود الماعز[6].

كما استخدم المغاربة القدامى الجلد في صناعة الأحذية والتي تحتاج إلى مهارات معينة، وكان تصميمها بسيطا حيث صُنعت من جلد الثّور أو الماعز، وتتكوّن من نعل شبه مستطيل زواياه منتصبة مع خيوط مثبتة وتتقاطع فيما بينها وتعقد عند الكعبين[7] ورغم ذلك تظهرهم صور الآثار المصرية حفاة الأقدام ممّا قد يشير إلى إهمال الفنّانين المصريين أو رغبتهم في تصوير اللّيبيين بطريقة إظهارهم بمظهر الذّل والخنوع، ويُدعِّم هذا الاحتمال بما ورد في نصوص معبد الكرنك من عهد مرنبتاح حيث يُذكر أنّ اللّيبيين تركوا ملابسهم ومتاعهم وحتّى أحذيتهم[8].

---

[1] Gast (M.), Op.Cit, p 2145.

[2] فزال ستيفان، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة التازي محمد سعود، ج 6، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص 23.

[3] Strabon, Géographie, XVII, 3, 7 .

[4] العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص 102.

[5] Herodote, Histoires, IV, 189 .

[6] Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, III, 49.

[7] فزال ستيفان، المرجع السّابق، ص ص 32-33.

[8] رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط4، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003، ص ص 85-86.

ب- الصّوف:

من المعلوم أنّ أراضي بلاد المغرب ملاءمة لتربية المواشي من بينها الأغنام والتي تعدّ المصدر الرّئيسي للصّوف، وهو مادّة قابلة للتّجديد بشكل طبيعي ويتميز بقدرته على توفير الدّفء وهو مصدر هامّ للمنسوجات والملابس، وقد استغلّ المغاربة القدامى الأغنام خلال العصر الحجري الحديث.

وفي هذا الشّأن قدّم الباحثان عمارة إيدير ودريسي سليم دراسة قيّمة حول النّشاط الرّعوي واستغلال الصّوف في منطقة الأطلس الصّحراوي والهضاب العليا، حيث تتميّز المنطقة بظروف جغرافية وبيئية أتاحت للإنسان القديم بتربية الماشية والاستفادة من منتوجاتها، لكن دوما الإشكالية التي تواجه معظم الباحثين في هذا المجال هو غياب الحفريات، وتمثّل المناطق المذكورة نموذجًا في مجال تحويل صوف الأغنام إلى منتجات ويُعتقد أنّ بدايات هذا النّشاط الاقتصادي نشأت في وقت مبكّر في منطقة الأطلس الصّحراوي حيث تمّ تسليط الضّوء على موقع كهف كابيليتي النّيوليتي والرّسوم الصّخرية في خنقة الحجر[1].

وقد ارتدى اللّيبيون الملابس الجلدية قبل الملابس النّسيجية هذه الأخيرة التي ظهرت لاحقًا كجزءٍ من تطور طرق اللّباس في المنطقة حيث ظهر بها اللّيبيون ابتداء من القرن الخامس عشر والرّابع عشر قبل الميلاد، وهي عبارة عن معاطف طويلة كانت تربط عند أحد الكتفين وتترك السّواعد عارية وكان هذا النّوع من الملابس يُصنع من الصّوف[2].

إضافة إلى ذلك يُشار إلى ملابس أخرى اكتسبت شهرة والمعروفة بالبرنوس وهي قطعة ملابس تصنع من الصّوف، وقد تردّد قزال في إقرار قِدمها عند المغاربة غير أنّ الرّسوم الصّخرية في منطقة سيقوس (Sigus) بأم البواقي (الجزائر)، والتي درسها أندري بيرثي (André Berthier) ولوجيار (Logeart) وضعت حدًّا لهذا التّردّد وتمّ توثيق استخدامه من خلال الرّسوم الصّخرية العائدة إلى الفترة النّوميدية[3]، ولا شكّ أنّ

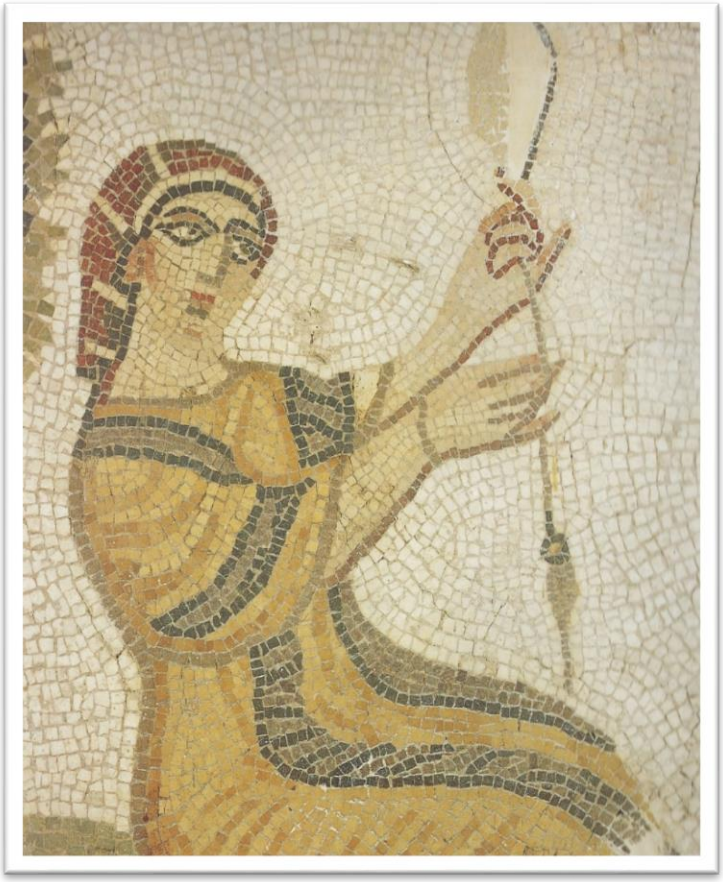
[1] Amara (I.), Drici (S.), Des bergers …, Op.Cit, pp 61-65

[2] حارش محمد الهادي، مملكة -نوميديا دراسة حضارية-...، المرجع السّابق، ص ص 168 – 169.

[3] نفسه، ص ص169 – 170.

هذه الملابس هي (بيرسوس نوميديكوس) أو(العباءة النّوميدية) المذكورة كمصدر للتّصدير (ExpositioTotiusMundi et Gentium)[1].

وتعتبر الأدلّة الأثرية مصدرا لمعرفة إنتاج هذه المنطقة للملابس النّسيجية والوسائل المستخدمة في صناعتها، وكذلك ورشات العمل التي تمّت فيها عملية التّصنيع، وفي هذا الإطار توثّق فسيفساء بمدينة طبرقة (تونس) مشهدا لإمرأة تمارس غزل الصّوف وتظهر جالسة بقرب شجرة السّرو، ولاتزال تقنية الغزل التي مارسها المغاربة القدامى حتى وقتنا الحالي في الكثير من مناطق بلاد المغرب[2]، انظر الشّكل رقم (42).



الشّكل رقم (42) : مشهد لراعية تغزل الصوف تظهر على فسيفساء طبرقة

المصدر: Yacoub Mohamed, Splendeur…, Op.Cit, p 213

[1] Wilson (A-I.), Archaeological evidence for textile production and dyeing in Roman North Africa, in C. Alfaro, et al., Purpureae Vestes. Textiles y tintes del Mediterráneo en época romana. Publicaciones de la Universidad de Valencia, 2004, p 155.

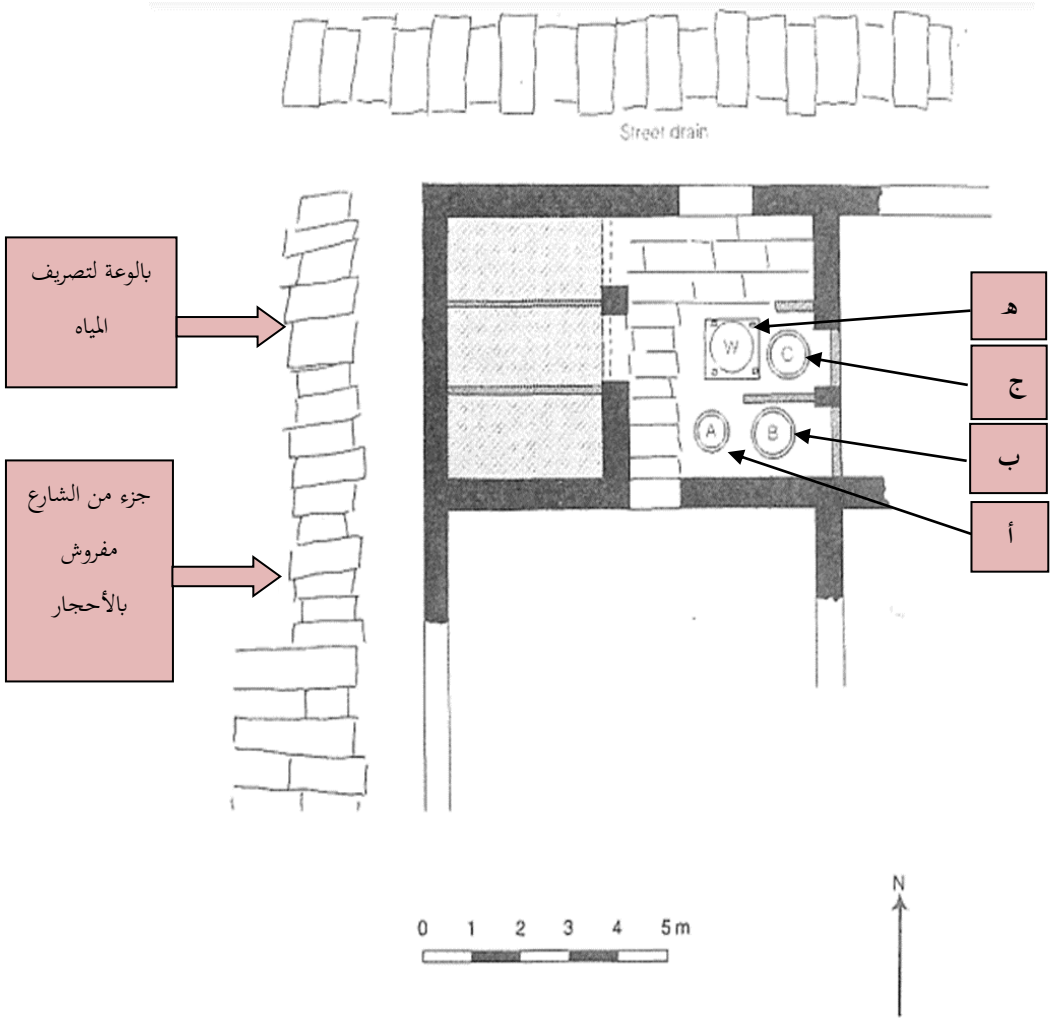
[2] Yacoub Mohamed, Op.Cit, p 211.

كما تمّ العثور في مدينة تيمقاد الواقعة بباتنة شرق الجزائر والتي تعود إلى الفترة الرّومانية في أواخر القرن الرّابع ميلادي على العديد من ورش العمل، ومن ضمن آثارها نجد بقايا سوق للقماش (basilicavestiaria) أقامها أحد كبار الشّخصيات في المدينة[1].

وقد أجرى الباحث أندرو ويلسون (Andrew Wilson) دراسة حول الأدّلة الأثرية المتعلّقة بإنتاج المنسوجات وصبغها في بلاد المغرب خلال الفترة الرّومانية، حيث تناول أنواع الأدوات والبنية التّحتية المستخدمة مثل الأواني والأوعية المخصّصة في عمليات الصّبغ والغمر، وتُعدّ مدينة تيمقاد من أبرز المواقع التي قدّمت أدلّة مهمّة حيث كشفت الحفريات عن 22 منشأة متخصّصة معظمها كان متركّزًا في الجزء الشّمالي الشّرقي من المدينة، ويعتقد أنها كانت مكرّسة لصناعة وتجهيز القماش، بالإضافة إلى ذلك عُثر على نموذج مشابه في شمال تونس وتحديدًا في موقع ثوبوربومايوس[2] ، انظر الشّكل رقم (43).

[1] بيكار جيلبار شارل، المرجع السّابق، ص 93.

[2] Wilson (A-I.), Op. Cit.,p 155.



المفتاح :

جدران هيكلية

ألواح حجرية أ وكتل اسمنتية

سطح من الخرسانة

أ- حوض للغمر: قطر داخلي 0.60 متر؛ سمك 0.05 متر؛ عمق 0.44 متر.

ب- حوض للغمر: قطر داخلي 0.70 متر؛ سمك 0.06 متر؛ عمق 0.46 متر.

ج- حوض للغمر: قطر داخلي 0.75 متر؛ سمك 0.06 متر؛ عمق 0.50 متر.

هـ- بئر

الشكل (43): مخطط ورشة عمل لصناعة النسيج في شمال شرق مدينة تيمقاد

المصدر: Wilson (A-I.), Archaeological …, Op. Cit., p 155

وإذا تناولنا المنسوجات الصّوفية كسلعة تجارية يمكن الإستشهاد بوثيقة تعرف باسم "وثيقة زراي الجمركية" والمؤرّخة بسنة 202 م التي ذكرت المنسوجات الصّوفية ضمن السّلع الخاضعة لرسوم جمركية بنسبة 2%، إلى جانب سلع أخرى كالجلود والمواشي[1].

وقد كان للصّناعات النّسيجية المغاربية مكانة مهمّة ضمن الأنسجة المتوسّطية فالبرّغم من ندرة النّصوص إلاّ أنّ القليل المتوفّر منها يسمح بالقول أنّ شهرة الألبسة المغاربية قد تجاوزت الأسواق المحلّية[2]، وقد أشار إلى ذلك الشّاعر الرّوماني "أوفيديوس" في قصائده عن قصّة تبادل الملابس بين هيرقل (Hercule) البطل الرّوماني الأسطوري وأمفالي (Omphale) الملكة اللّيدية حيث ذكر الملابس الافريقية[3]، وهذا ما يجعلنا نستشفّ بأنّ الملابس الافريقية كانت مصدر إلهامٍ للشّعراء وربّما أوفيديوس شدّته تلك الملابس بجمالها وجودتها ممّا دفعه إلى أن يذكرها في أعماله والإشادة بها.

وقد ذكر "فيرجيل" من خلال قصيدته ضرورة الاهتمام بجودة صوف الحيوانات وكيفية الاختيار الصّحيح لتحقيق أفضل النّتائج، وشدّد على اختيار أفضل القطعان ذات اللّون الأبيض[4]، وأعطى "كولوميل" بعض التّوجيهات التي وجب الأخذ بها عند شراء القطعان، وقد ركّز بدوره على اللّون الأبيض للأغنام لأنّها أكثر فائدة ويمكن صباغتها بألوان مختلفة[5].

ورغم أهمّية تربية الحيوانات في بلاد المغرب إلاّ أنّ هناك قلّة اهتمام بالحرفيين والجمعيات الحرفية مقارنة بمناطق أخرى مثل ايطاليا، كما أنّه من النّادر أن نجد في النّصوص الأثرية إشارات لهم، ويُحتمل أن يكون القانون قد منع تكوينها ومع ذلك هناك نصّ أثري من مكثر (تونس)، وهو نصّ إهدائي لباخوس إحدى الآلهات في المدينة من قبل حرفي النّسيج يعرض لائحة تشير إلى وجود بعض الجمعيات المهنية مثل الحرفيين في مجال النّسيج وصناعة الملابس، إضافة إلى ذلك كان هناك الدّباغون وصنّاع الجلود والأحذية الذين عملوا في مجال تحويل المواد الحيوانية، وقد اكتشف الأثريون مدابغ في ضاحية تيبازة في حالة حسنة[6].

---

[1] بيكار جيلبار شارل، المرجع السَّابق، ص ص 96-97.

[2] نفسه، ص ص169 – 170.

[3] Ovide, Fastes, II, 315-320.

[4] Virgile, Géorgiques, III, 384-393.

[5] Columelle, De l'Agriculture, VII, 2, 4-6.

[6] بيكار جيلبار شارل، المرجع السَّابق، ص 79.

II- استغلال الحيوانات في النّقل والعمل الزّراعي:

لعبت الطّاقة الحيوانية دورا مهمًّا في الاقتصاد حيث شكّلت قوة عاملة أساسية في الأنشطة البشرية (زراعة ونقل وإنتاج)، وقد صنّف "كولوميل" الحيوانات بناء على وظائفها ومدى استفادة الإنسان منها إلى مجموعتين رئيسيتين: تتمثّل الأولى في الحيوانات المستغلّة في خدمة الإنسان ومساعدته في النّقل والحرث والجرِّ مثل الأبقار والحمار والحصان والبغل (قوة دافعة لأعمال الزّراعة)، أمّا المجموعة الثّانية تمتلك لأجل الاستهلاك والثّروة والحماية، مثل الأغنام والماعز والخنازير والكلاب، كما تسهم المراعي بشكل كبير في إثراء التّربة من خلال فضلات الماشية[1]، حيث تحتوي على مواد عضوية تساهم في تحسين خصوبة التّربة ونمو النّباتات.

1- الحمار والبغل:

لا يمكن إغفال أهمّية الحمير والبغال إذْ لعبت دورًا رئيسيًا في النّقل وحمل المحاصيل الزراعية من مكان إلى آخر، كما أنّها استخدمت في أعمال الحرث، وكانت هذه الحيوانات ذات أهمّية كبيرة في تسهيل الحياة اليومية[2]، انظر الشّكل رقم (44).

وقد تحدّث "كولوميل" عن الحمار وأشار بأنّه من بين الحيوانات الأكثر فائدة في العمل الزّراعي، وأضاف بأنّه يتغذّى على مجموعة متنوعة من النّباتات بما في ذلك الأوراق والنّباتات الشّوكية وغيرها، ويمكن تسمينه بسهولة باستخدام القشّ المتوفر بكثرة، ويتميّز الحمار بالقوة والصّلابة والقدرة على تحمّل الظّروف القاسية، من جوع وتعب وعمل شاق[3]، ويمكن تصنيف البغل في نفس الفئة نظرا لقدرته على حمل الأثقال ويستخدم كوسيلة للنّقل.

[1] Columelle, De l'agriculture , VI, 1.
[2] Lassère (J-M.), Op. Cit., p. 216.
[3] Columelle, De l'Agriculture, VII, 7.



الشّكل رقم (44): نقش على ضريح **غيرزا** بليبيا ، يصوّر عمل زراعي باستخدام البغل

المصدر : Lassère (J-M), Africa…, Op. Cit., p, 218

2- الأبقار:

كان للأبقار دور متعدّد الأوجه في حياة المجتمعات القديمة فإلى جانب دورها الهامّ في النّظام الغذائي، كانت تعدّ مصدرا للطّاقة الحركية أيضا، حيث كانت تستخدم على نطاق واسع كحيوانات جرٍّ في الزّراعة والنّقل والحرث في الحقول ويعود ذلك نتيجة قوتها وقدرتها على العمل.

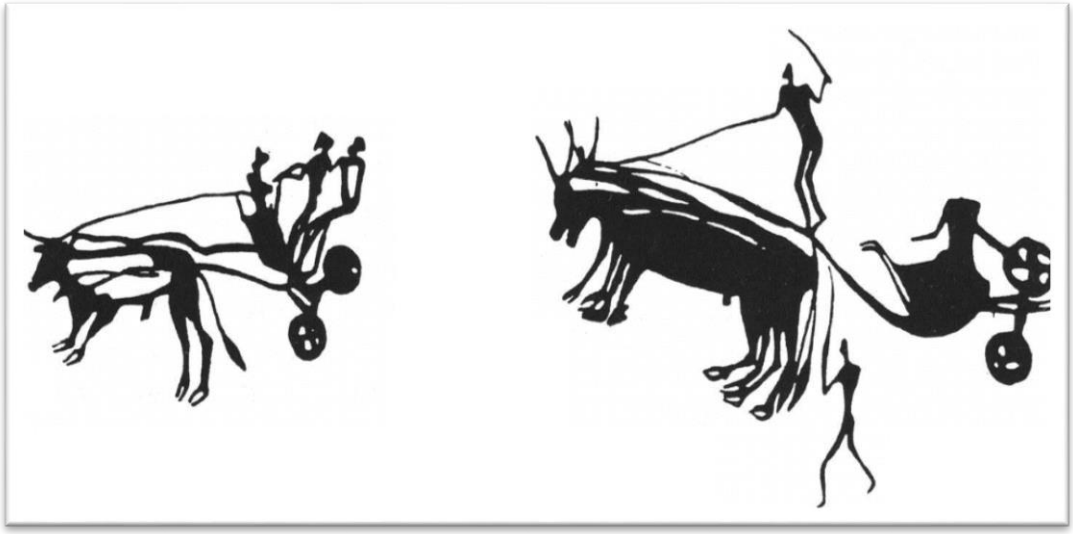
ولفهم أهمّية تدريب الأبقار بشكل عام أشار "كولوميل" الذي امتلك معرفة واسعة في مجال الزّراعة وتربية الحيوانات إلى أنّ الترويض الجيّد للأبقار المخصّصة للأعمال الزّراعية أساسي لضمان الإنتاج حيث تحتاج العجول الصّغيرة إلى تدريب مبكّرٍ لتكون أكثر طاعة وفائدة في المهام الزّراعية[1]، وغيرها من الأنشطة المتعلّقة بالجرّ والحرث، وبالتّالي تقيَم الخصائص الجسمية والسّلوكية للأبقار بناء على فائدتها في هذه الأعمال،

[1] تعتمد عمليات ترويض العجول على توقيت مناسب لضمان نجاحها، ويجب تدريبها وفقا للعمر الصّحيح وضرورة بدء ذلك بعد سن الثّالثة لأنه غالبا ما تكون العجول دون هذا العمر أقل قدرة على التّحمل، وفي المقابل يجب عدم الاستمرار في التّدريب بعد سنّ الخامسة لأن العجول تصبح صعبة التّرويض بسبب زيادة حجمها وقوّتها، وبذلك يتمّ تهيئتها للعمل الزّراعي، وتقديم الرّعاية السّليمة لها في فترة النمو المبكّرة يساعد في تطوير حيوانات زراعية قوية ومفيدة، للمزيد يراجع : Columelle, De l'agriculture , VI, 2.

كما يهدف الفحص السّنوي للأبقار إلى تقييم صحّتها حيث يتمّ استبعاد الحيوانات الضّعيفة أو الأكبر سنًّا وغير القادرة على العمل أو التّكاثر وكذلك الفصل بين العجول الصّغيرة التي يمكن تدريبها للعمل وبين العجول العقيمة[1].

وكذلك الأمر فيما يخصّ بلاد المغرب القديم حيث تظهر الأبقار في الرّسوم الصخرية خلال فترة ما قبل التّاريخ وهي مركوبة أو محمّلة وهي معروفة جيّدًا في منطقة التّاسيلي بما في ذلك لوحات إيهيرين (Iheren) بالأهقار والمسّاك في فزان[2]، وتُظهر بعض الرّسومات استخدام الأبقار كحيوان جرّ للعربات في جبال الأطلس الصّحراوي[3].

وقد وثّقت لنا نقوش منطقة مسّاك سيتافيت في ليبيا تلك العلاقة بين الإنسان والأبقار واستغلالها في مجموعة متنوعة من الأنشطة اليومية، ويحتمل أنّه قد تمّ استخدامها لأغراض زراعية في مرحلة مبكِّرة[4]، وتمّ استغلال هذه الحيوانات أيضا لنقل النّساء[5]، انظر الشّكل رقم (45).



الشكل رقم (45): مشهد يظهر فيه عربتين، العربة 1 تحمل امرأة ومثبتة على ظهرها ومرتبطة بثورين يتم قيادتهما بواسطة رجلين، والعربة 2 متصلة بثور واحد فقط يجرها.

المصدر: Camps (G.), Les chars sahariens…, Op. Cit., p 12

[1] Columelle, De l'Agriculture, VI, 22.

[2] Gauthier (CH.), les mats dans l'art rupestre du Messak (Fezzan), AARS - ACTES 1995- 1996, p36.

[3] Camps (G.), Chars, Encyclopédie berbère, 12, 1993, pp1882. pp 1877-1892

[4] axel et anne-michelle van albada, Chasseurs et pasteurs du Messak Settafet (Fezzan-Libye), Prehistoire et Anthropologie Méditerranéennes, 4, 1992, p 101.

[5] Camps (G.), Op. Cit., pp 1889-1890.

وخلال الفترة النّوميدية اعتمد النّوميديون على الحيوانات مثل الثّيران في الأعمال الزّراعية، وكانت تُربّى ليس فقط من أجل لحومها وجلودها ولكن أيضًا لقوّتها في العمل، ورغم قلّة تمثيل ذلك إلاّ أنّه وُجد نُصب لثور في معبد الحفرة بقسنطينة يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد ويوافق فترة حكم الملك ماسينيسا[1].

كما تقدّم لنا لوحة فسيفسائية تعرف باسم "فسيفساء الأعمال الزّراعية" من موريطانيا القيصرية مشهدًا تفصيليًا لسلسلة من الأنشطة الزّراعية، حيث تُظهر عملية الحرث بواسطة الثّيران[2] كما هو موضّح في الشّكل رقم (46).



الشكل رقم (46): مشهد الحرث باستخدام الأبقار (متحف شرشال)
المصدر: رميلي نجمة سراج، محمد الشريف، زراعة الكروم وتصنيع الخمر...، المرجع السّابق، ص23.

[1] Ait Amara (O.), Massinissa et la sédentarisation du peuple numide, Vie et genres de vie au Maghreb : Antiquité et Moyen Âge, Actes du quatrième colloque international du Laboratoire de Recherche : Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval, Sousse, 04, 05 et 06 mai 2017, pp 37-38.

[2] Lassère (J-M.), Africa …, Op. Cit., p 214.

3-الخيول:

لعبت الخيول دورًا مهمًّا في بلاد المغرب القديم، حيث لم تقتصر أهميتها على النّقل والعمل الزّراعي والحروب بل تجاوزت ذلك لتصبح رمزًا للرّفاهية والاستمتاع بالسّباقات والأنشطة الرّياضية، وقد ظهرت خيول الجرّ في رسومات الصّحراء خاصّة في التّاسيلي-ناجر، حيث تمّ تصوير عربات تجرّها أربعة خيول مربوطة إلى بعضها البعض[1]، وتمّ استخدام الحصان والثّور لجرّ العربات في معظم أرجاء ليبيا في آن واحد، أمّا في جنوب المغرب الأقصى وموريطانيا فقد استعمل الثّور كوسيلة جرّ في وقت متأخّرٍ نسبيا يعود إلى القرون الأولى قبل الميلاد[2].

وظهرت خيول الجرّ على المعابد المصرية كمعبد ساحورع وتوالت الأسر الفرعونية بعد ذلك وتعدّدت مناورات اللّيبيين للاستقرار على أرض مصر وانهزامهم والاستيلاء على ممتلكاتهم بما فيها الماشية، حيث نجد في عهد الأسرة 20 استولى الفرعون رمسيس الثّالث في حربه الثانية ضدّ اللّيبيين على حيوانات كثيرة من بينها 92 زوجا من الخيول تجرّ 92 عربة[3].

وأشار "هيرودت" بدوره إلى استخدام الجرامنت للعربات المجرورة بأربعة خيول، والمثير للاهتمام أنّ الاغريق تعلّموا ذلك من اللّيبيين[4]، وهذا يُظهِر كيفية نقل تقنيات الجرّ من ثقافة إلى أخرى، وخصّ "سترابون" بالذّكر الموريين أنّهم استخدموا الخيول في مجموعة متنوعة من المهام، وأشار إلى خصائصها المميّزة التي تجعلها مناسبة لهذه الأنشطة مثل حجمها الصغير وقوتها ومرونتها وسرعتها، بالإضافة إلى ذلك كانوا يقودون هذه الخيول باستخدام حبل بسيط بدلاً من اللّجام ويركبونها دائما بدون استخدام السّرج[5]، ويدلّ ذلك على سهولة انقيادها في التّنقل.

---

[1] Camps (G.), Op. Cit., pp 1881.

[2] بن علال رضا، دراسة تحليلية حول أصول ودور العربات القتالية في المغرب القديم، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد4، العدد 4، 2016، ص 30.

[3] العقون أم الخير، دولة الامازيغ...، المرجع السّابق، ص 75.

[4] Hérodote, Histoires, IV, 183.

[5] Strabon, Géographie, XVII, 3, 7.

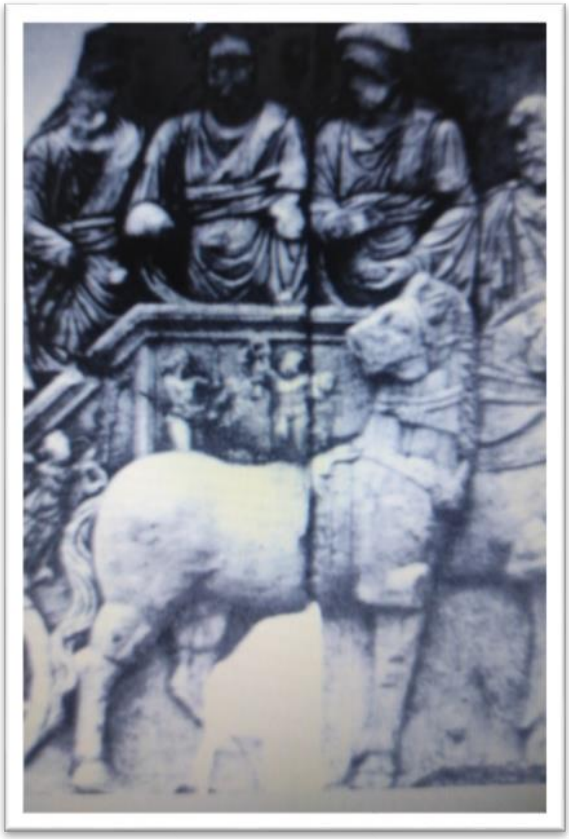
واستمرّ استغلال الخيول في عدّة مجالات خلال العصور التّاريخية وبالأخص في منطقة نوميديا حيث تمّ استخدامها في أغراض متعدّدة مثل الرّكوب والأعمال الزّراعية، وقد أولى الملوك النّوميديون اهتماما خاصًّا بتربية هذه الحيوانات والعناية بها.

وما زاد من أهمية الخيول النّوميدية حضورها البارز على العملات النقدية القديمة، حيث ظهرت على إحدى عملات ماسينيسا صورة لخيل واقف، يمثّل رمزا للقوّة والسّلطة والرّشاقة أيضا، ويقابلها على الجهة الأخرى تمثال رأسي لماسينيسا، في تجسيد واضح لسلطته الملكية.

كما احتلّ الحصان مكانة خاصّة في اللّوحات الفسيفسائية القديمة في بلاد المغرب القديم، حيث ظهر في الميداليات ومشاهد الصّيد والحياة الزّراعية وتشير وفرة تصوير الخيول إلى أنّها كانت فخر أصحابها، وتقديرهم لها خاصّة في السّباقات من قبل أصحابها، ومع ذلك نادرا ما يظهر الحصان الجرّار في هذه اللّوحات، وعادة ما يصوّر مربوطا أمام مبنى، وغالبا ما نجد المشاهد التي يظهر فيها الحصان يكون في حالة الصّيد، وما يلاحظ أنّ السّلالة الممثّلة في هذه اللّوحات تشبه إلى حدٍّ كبير سلالة الحصان "البربرية" الحديثة التي تعيش في بلاد المغرب حاليا[1].

وتُظهر بعض الأعمال الفنّية الخيول البربرية بسماتها الجسدية المميزة، فعلى سبيل المثال نجد نقشًا تمّ نحتُه على قوس الامبراطور سيبتيميوس سيفير (Septime Sévère) في مدينة ليبكيس ماغنا (Lepcis Magna) حيث تتجلّى صفات الخيل البربري مثل هيكله القوي، انظر الشّكل رقم (47)، كما تبرز لوحة فسيفسائية تعود إلى أواخر القرن الرّابع الميلادي وصفًا واضحا لخيول بربرية مع التّركيز على خصائصها كالقوة والصّلابة، انظر الشّكل رقم (48).

[1] Precheur-Canonge Thérèse, Op. Cit., p 62-63.



الشكل رقم (47) نقش لحصان نحت على قوس لإمبراطور سيبتيميوس سيفير

المصدر : Lassère (J-M), Africa …, Op. Cit., p 217



الشكل رقم (48) مشهد يوضّح خيل على فسيفساء قرطاج تعود للقرن الرابع الميلادي

المصدر:Yacoub Mohamed, Splendeur …, Op.Cit, p 201

وفيما يخصّ تغذية خيول الجرّ فإنّ المربّون يميّزون بين تغذية الخيول من حيث الأكل الأساسي (fourrage) الضّروري للحفاظ على صحّة جهاز هضمها والأكل الإنتاجي الذي يتكوّن أساسا من الحبوب (céréales) هذه الأخيرة التي توفّر طاقة عالية وتساهم في زيادة قوة وأداء الخيول[1]، وبذلك فإنّ توفير التّغذية المناسبة للخيول يعتمد على نوع العمل الذي تقوم به.

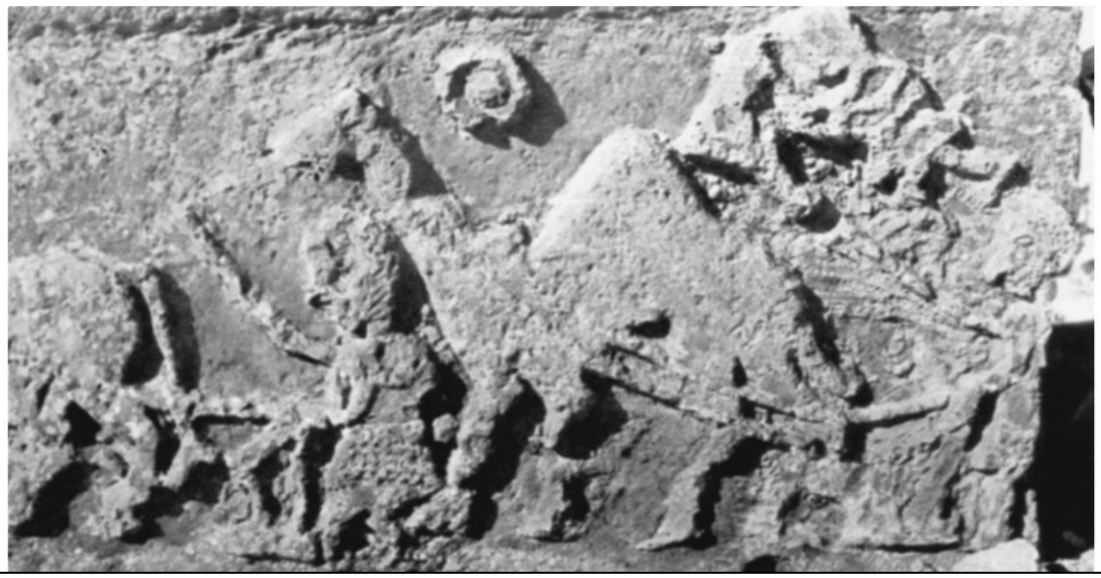
4- الجمل:

يتميّز هذا الحيوان بقوته وقدرته على التّحمل ويستخدم كحيوان للجرّ ونقل البضائع ومع ذلك فإنّ الحصان كان يعدّ أفضل من الجمل من النّاحية العسكرية نظرا لسرعته وقوّته وقدرته على التّحرك في الميدان[2]، بينما استُخدِم الجمل بشكل أكبر في حمل البضائع وتسهيل التّجارة عبر الصّحراء واستمرّ استخدامه حتّى اليوم في المناطق الصّحراوية، وتُظهر الرّسوم الصّخرية التي تصّور استخدامات الجمل على أنّه كان موجودًا في بلاد المغرب القديم حيث يعود إلى آخر مرحلة للفنّ الصّخري.

ويُعتقد أنّ الملوك النّوميديين في المناطق المجاورة لقرطاج ربّما استخدموا الجِمال في أعمال النّقل، ويشير نقش في مدينة دوقة يعود إلى عام 201 ق.م إلى وجود لقب أو مهنة "سائق جِمال"، لكن هذا الافتراض أثار جدلاً ونقاشًا بين الباحثين حيث يَعتقد البعض أنّ هذه الفرضية تحتاج إلى مزيد من الأدّلة والبحث لتأكيدها[3].

ومهما يكن فإنّ الجمل تمّ استخدامه لعدّة أغراض بما في ذلك التّجارة وتشكيل القوافل ونقل المحاصيل والأعمال الزّراعية، كما يظهر ذلك في العديد من النّقوش من بينها نقش غيرزا (Ghirza) وتيجي (Tigi) وهنشير بني جيدال (Henchir Beni Guidal) بليبيا[4]، انظر الشّكل رقم (49).

[1] Dupuy (CH.), Op. Cit., p 30.
[2] Demougeot Émilienne, Le chameau…, Op. Cit.,, p 215.
[3] Ibid., p 218.
[4] Camps (G.), Peyron (M.), Chaker (S.), Dromadaire, Encyclopédie berbère, 17, 1996, pp 2546-2547.



الشّكل رقم (49): نقش غيرزا، يمثل استخدام الجمل في العمل الزّراعي

المصدر: Demougeot (E.), Le chameau … Op. Cit., p 240

III- تجارة الحيوانات المستأنسة ومنتجاتها:

تعتبر التّجارة في بلاد المغرب القديم أحد أهمّ الأنشطة التي ساهمت في تطور هذه المنطقة عبر العصور وقد تأثّرت التّجارة بموقعها الجغرافي الذي جعلها مركزاً لتبادل السّلع بين مختلف الحضارات، وكانت تجارة الحيوانات المستأنسة جزءًا من هذه الحركية ومن النّسيج الاقتصادي لبلاد المغرب القديم حيث كانت ملكية الحيوانات رمزًا للثّروة والمكانة الاجتماعية.

1-التّجارة الدّاخلية:

اعتمدت التّجارة الدّاخلية أساسا على نمطين من الحياة الرّعي والزّراعة مع وجود فائض في الإنتاج، هذا الفائض سمح بنشأة أسواق مكّنت الرّعاة والمزارعين من تبادل المنتجات حيث كان الرّعاة يمتلكون فائضا من الجلود والصّوف واللّحوم، وكانوا يقدّمونها مقابل الحصول على الحبوب[1]، وبذلك انتظمت الأسواق الأسبوعية[2]، هذه الأخيرة كانت مركزا لتبادل المنتجات الزّراعية والحيوانية وغيرها من البضائع ممّا ساهم في تحقيق التّكامل الاقتصادي والاجتماعي بين مختلف شرائح المجتمع.

- **سوق الماشية:**

تجدر الإشارة إلى أهمّية السّوق كمحرّك للأنشطة الاقتصادية حيث كانت تلعب دورا حيويا في تأمين وتلبية احتياجات السّكان وكانت الأسّواق الدورية التي يُطلق عليها باللاّتينية النّونديناي (Nundinae)[3] تشكّل جزءًا أساسيا من النّسيج الاجتماعي والاقتصادي في بلاد المغرب القديم.

---

[1] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم...، المرجع السّابق، ص 112.

[2] يصعب تحديد تاريخ معين لبداية ظهور الأسواق الدّورية في بلاد المغرب القديم، ويبدو أنّ اللّيبيين مارسوا التجّارة الصّامتة خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، ويعتقد أن ظهور هذه الأسواق الدّورية قد تزامن بعد تأسيس قرطاجة، وعلى الرّغم من قلة الأدلّة التّاريخية المباشرة على وجودها قبل الاحتلال الرّوماني، إلاّ أنّ النّجاح والازدهار الاقتصادي الذي شهدته المملكة النّوميدية خلال فترة الملك ماسينيسا وأبنائه (203ق.م-118ق.م) ومملكة موريطانيا (206ق.م- 40م) يؤكّد تواجد مثل هذه الأسواق، وهذا ما يدلّ إلى وجود نشاط تجاري مهمّ في المنطقة، للمزيد يراجع: توريرت مصطفى، الأسواق الريفية **Nundinae**، في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 8، العدد 2، 2022، ص 634.

[3] نجد مجموعة من المصطلحات ترتبط ب **Nundinae**، وتعود أصول مصطلح **nundina** إلى الطّقوس الدّينية حيث كانت تشير إلى آلهة كانت تقوم بتطهير الأطفال في اليوم التاسع من مولدهم، وفي المقابل كان يشير هذا المصطلح أيضا إلى السّوق التي كانت تقام في روما كل تسعة

ونظرا لطبيعة الأسواق المؤقّتة إذْ ليس هناك الكثير من الأدلّة المتبقّية عنها لكن النّقوش اللاّتينية كانت المصدر الرّئيسي لها بما في ذلك نقش "هنشير بغّار" في تونس والنّقوش التي تمّ اكتشافها حول منطقة قسنطينة[1]، إلى جانب السّوق الرّيفي(Nundinae) نجد أنواعا أخرى من الأسواق والمتمثّلة في السّوق اليومي (Macellum) والسّوق الأسبوعي(Forum)[2].

ويتمّ تحديد موقع الأسواق الرّيفية وفقا لمعايير جغرافية واستراتيجية[3] حيث يشير غالبية الباحثين إلى أنّ روما سهّلت عملية دخول الرّحل وشبه الرّحل إلى المجال الرّوماني بهدف التّجارة وغيرها من الأنشطة ذات المصلحة المشتركة، إضافة إلى نقوش أخرى مثل نقيشة "هنشير متّيش" (Henchir Mettich) بسهل مجردة بتونس، ونقيشة عين كرمة جنوب غرب قسنطينة[4] إلى غير ذلك من النّقوش وتعتبر سوق زراي (Zarai) بسطيف أهمّ هذه الأسواق من حيث الموقع[5].

وكان للأسواق الرّيفية دور مزدوج، فهي تساهم في زيادة الثّروة وفتح المجال أمام التّجارة الخارجية من جهة، ومن جهة أخرى تمكين السّلطات الرّومانية من السّيطرة على السّكان من خلال مواقع استراتيجية

أيام، ويشير هذا المصطلح **nundinatio** بشكل عام إلى السّوق وتعني **undinarius** المكان الذي يقام فيه السّوق. وفي الوقت نفسه كانت تستخدم كلقب أو كنية لبعض الأشخاص للإشارة إلى مكان إقامتهم القريب من السوق أو مشاركتهم في نشاطات السّوق، ويشير مصطلح **nundinator** إلى الشّخص الذي يرتاد السّوق، وقد يكون من الباعة أو المشترين، وعليه فإنّ وجود هذه المصطلحات واستخدامها يدلّ على الدّور الحيوي الذي لعبته الأسواق الدّورية في المغرب القديم سواء من النّاحية الاقتصادية أو الجتماعة، للمزيد يراجع: مهنتل جهيدة، الأسواق الأسبوعية في المغرب القديم نموذج للحياة الريفية في الفترة القديمة، مجلة دفاتر التاريخ والحضارة، العدد الأول، 2018،ص 96.

[1] نفسه، ص 95.

[2] شارن شافية، تجارة الجزائر (نوميدياوموريطانيا القيصرية)، خلال فترتي الممالك النوميدية والاحتلال الروماني من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الثالث ميلادي، الجزء الأول، كنوز الحكمة، 2015، ص 256.

[3] من أبرزها اختيار أرض مستوية لتمكين عرض البضائع، إضافة إلى تقاطعات الطّرق، وتم وضع بعض الأسواق أيضا ولأسباب عسكرية أماكنا لإمداد القوات الرّومانية أثناء تنقّلها، وكانت الأسواق عادة موجودة بالقرب من حدود الممتلكات الكبيرة، ولابدّ أن نشير إلى أنّ وجود مصادر المياه غالبا ما يُوجّه اختيار موقع السّوق، ومن المحتمل أيضا أنّ بعض الأسواق مرتبطة بالتّنقّلات الموسمية للقطعان، للمزيد يراجع:

Chaouali (N.), Les Nundinae dans les grands domaines en Afrique du Nord à l’époque romaine, Ant. Afr, T 38-39, 2002-2003, pp 380- 383.

[4] توريرت مصطفى، الأسواق الريفية Nundinae، في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 8، العدد 2، 2022، ص ص 639 – 641.

[5] مهنتل جهيدة، المرجع السّابق، ص 110.

تُمكّنهم من مراقبة النّشاط التّجاري، وسمحت هذه الأسواق للرّحل ببيع مواشيهم وللرّيفيين بتصريف غلالهم، وتبيّن لنا العديد من النّقوش أنّ الملاّك الكبار يُنظِّمون أسواقا دورية فوق أراضيهم على غرار افريكانوس في كازاي بيقنسيس (Casae Beguenses) المعروفة أيضا بهنشير بغار (Henchir el-Begar) سنة 138م[1].

2- التّجارة الخارجية:

كانت التّجارة الخارجية أحد الموارد الأساسية لثراء قرطاجة الكبير حيث كانت صادراتها تشمل الحيوانات المفترسة إلى جانب مختلف السّلع[2]، أمّا في فترة الممالك الوطنية وبتولّي ماسينيسا العرش أصبحت كلّ الموانئ والمستوطنات القرطاجية التي كانت تمتدّ على طول السّواحل بوابات المملكة على عالم البحر الأبيض المتوسط، حيث تمكّن ماسينيسا من كسر الاحتكار القرطاجي لتجارة بلاد المغرب ممّا أدّى إلى إنعاش الحركة التّجارية وفتح أبواب الأسواق الخارجية[3].

وفي عهد ملوك نوميديا عرفت مدن إقليم طرابلس نشاطًا تجاريًا كبيرًا، وكذا هيبو-ريجيوس وروسيكادا والقل، فإلى جانب المنتجات الزّراعية نجد الحيوانات والإنتاج الحيواني هما الآخران وراء نشاط تصديري مهمّ، حيث عقد الملك ماسينيسا عدّة صفقات مع روما موزّعة ما بين سنتي 200 ق.م- 170ق.م إضافة إلى المواشي كالأبقار والخيول التي استخدمت جلودها في مختلف الأغراض، كما استخدم صوف الأغنام وشعر الماعز في صناعة أنواع من المنسوجات التي نالت شهرة كبيرة وكانت محلّ تجارة رائجة[4]، حيث تمّ تصدير الصّوف وهذا ما دَلّ على أهمّية تربية الحيوانات لإنتاج الصّوف كمصدر للتّجارة الخارجية [5].

[1] بيكار جيلبار شارل، المرجع السّابق، ص 91.

[2] نفسه، ص 74.

[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي والإقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46ق.م، دار هومة، 2014، ص ص 162-167.

[4] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم ...، المرجع السّابق، ص ص 113-115.

[5] Lassère (J-M.), Africa …, Op. Cit., p 217.

ولا شكّ أنّ طرق المواصلات البرّية والبحرية كانت من أهمّ وسائل التّسويق التي أولاها الرّومان اهتماما بالغا لتسهيل عمليات التّصدير، فإلى جانب الخيول التي ازدهرت منذ عهد الملوك النّوميديين شهدت الحيوانات المخصَّصة للألعاب مثل الفيلة والأسود والدّببة والنّمور رواجًا كبيرا، كما أشار المؤرّخون إلى تصدير الدّواجن الافريقية إلى روما[1].

[1] حارش محمد الهادي، المرجع السَّابق، ص ص 185-187.

ثانيا– الرّعي والممارسات الاجتماعية والدّينية:

I– المجال الاجتماعي:

لا ينظر الرّعاة إلى أراضيهم مجرّد مناطق جغرافية محدّدة فهم لا يتعاملون مع البيئة كمصدر للماء والغذاء لقطعانهم فقط بل يربطون بينها وبين الجوانب الاجتماعية والنّفسية والرّمزية، هذا الإرتباط تجسّد في الأنشطة الاجتماعية والطّقوس التي مارسها الرّعاة[1] ممّا زاد من شعورهم بالانتماء إلى مجتمعهم والارتباط بأرضهم.

وفيما يخصّ بلاد المغرب القديم كان للرّعي وتربية الماشية دور اجتماعي وحضاري بارز، وقد انعكس هذا الدّور بشكل واضح على المظهر الفنّي للسّكان حيث جسّد هؤلاء حياتهم اليومية وارتباطهم الوثيق بالماشية من خلال الرّسوم والنّقوش التي أنجزوها على الصّخور، ونأخذ مجالا كنموذج لفترة ما قبل التّاريخ يتمثّل في منطقة الصّحراء الوسطى[2] التي تعتبر مركز إشعاع حضاري حيث ترك الرّعاة مشاهد فنية تعبّر عن حضارتهم.

[1] Andrew B Smith,The Pastoral Landscape in Saharan Prehistory,Tides Of The Desert, Dezeiten Der Wüste: Contributions To The Archaeology And Environmental History Of Africa In Honour Of Rudolph Kuper Africa praehistorica, vol 14, Köln, 2002, p 448.

[2] نأخذ منطقة الصّحراء الوسطى كنموذج لفترة ما قبل التاريخ، ففي مرحلة البقريات القديمة ظهر نشاط الرّعي إلى جانب أنشطة الصّيد ومشاهد تعبّدية وأسطورية، أمّا في المرحلة الرّعوية الوسطى تطورت الحياة الرّعوية، حيث عكست الرّسوم كثافة سكانية كبيرة شهدتها الصحراء وتضمنت صورا عن الحياة القبلية التي تجسّدها الخيام ومشاهد الحلب، وأعمال الرّعاة اليومية وصور النّساء والرّجال وهم يتسامرون حول الخيمة، وغالبية السّكان في هذه المرحلة هم من السّود، وبحلول المرحلة الرّعوية الحديثة حدثت تغيرات كبيرة من حيث عدد السّكان والبيئة، وظهور أقوام جدد بيض، كانت لهم حضارة مختلفة عن حضارة السّود، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الصّحراء مرتبطة بعالم البحر الأبيض المتوسّط، ومع نهاية المرحلة الرعوية الحديثة حدث تدهور في المناخ وتناقصت الموارد الطبيعية، وتزايد الحفاف، ونتيجة لذلك حدثت هجرات واسعة من المنطقة وهو ما عجّل بنهاية الحياة الرّعوية في كامل المنطقة التي أصبحت متصحّرة بالكامل في القرون الأولى للميلاد، ورغم ذلك بقيت بعض المناطق رطبة لكن حياة رعاة البقر انتهت، والذين بقوا في الصحراء إمّا تحولوا إلى مزارعين أو رعاة أغنام وماعز في مناطق محدّدة في ظلّ وجود محاربين يركبون الخيول، وعندما دخل الجمل الصّحراء تحول السّكان إلى تربية هذا الحيوان الذي أصبح الوحيد من بين الحيوانات االذي يستطيع عبور الصّحراء، للمزيد يراجع: بن بوزيد لخضر ، حضارات الرّعاة في النيوليتي بالطاسيلي والهقار من خلال الفن الصخري (6000ق.م– 1000ق.م)، أطروحة دكنوراه في التاريخ القديم، ج2، جامعة الجزائر 2، 2015–2016، ص ص 475–478.

وأظهرت الرّسومات الصّخرية مشاهد تدلّ على استقرار مؤقّت لمجموعات بشرية في مناطق حيوية حيث تمّ تصوير نساء ورجال وأطفال بجانب زرائب أو خيم ذات أشكال مختلفة بالقرب من قطعان البقر والغنم، إضافة إلى مراحل إنجاز الخيم التي وجدت خاصّة بإيهرن وسيفار وجبّارين بالتّاسيلي- ناجر وأظهرت مشاهد أخرى أشخاصًا يمتطون أبقارًا والتّهيء للتّرحال بسبب الجفاف بحثًا عن الماء والكلأ وحتّى الأمن، كما تُظهر الرّسومات الصّخرية تقسيم الأدوار، فالرّجال يتولّون مهامَّ الصّيد والرّعي والذّبح والسّلخ، وحتّى حراسة القبيلة، بينما تهتمّ النّساء برعاية الأطفال وإعداد الطّعام والمشاركة في الاحتفالات[1].

وكانت بعض المجتمعات أمُومية حيث تحظى المرأة فيها بمكانة كبيرة وكانت الكبيرات في السّن تحترمن وتعتبرن أمّهات كبيرات، ويُصوّر مشهد سيفار مجموعة من الرّعاة يركعون لامرأة طاعنة في السّن، كما نجد أنّ النّظام الاجتماعي كان قائما على مبدأ التّعاون من أجل تأمين احتياجات المجتمع، وحرص الأفراد على تعليم أولادهم عادات الرّعاة ونشاطاتهم، وتقوم النّساء الصّغيرات في السّن بالطّهيّ أمّا النّساء القوّيات فهنَّ من يَقُمنَ بنصب الخيام والمساعدة في التّعامل مع الحيوانات، ويظهر مشهد في إيهرن حركات النّساء والأطفال حول القطيع وانتقال الرّعاة بقطعانهم من السّهول إلى التّلال[2].

ولابدّ أنْ نشير إلى أنّ القطيع هو رأس مال المجتمع الرّعوي الصّحراوي الذي استثمر فيه وقدّم له الحماية وتنقّل به، الأمر الذي جعل للأبناء دور أساسي في الحماية وحراسة القطعان، فالرّعي كان مسؤولية تضامنية يشترك فيها الجميع ولذلك كان لزاما على الأسرة أن يكون لديها أيدي عاملة كثيرة[3].

والملفت للانتباه أنّ المجتمعات في الصّحراء كانت منظّمة في شكل قبائل يحكمها سيّد يمكن أن يكون حكيما أو كاهنا أو ربّما يكون ساحرا مثل ما ظهر بملجأ وان درباون، وهناك دلائل كثيرة على أنّ مجتمعات الرّعاة كانت منظّمة تخضع لنظم وقوانين حيث نجد مشهد في "أهرهار تسات" يمثّل مجالس القبيلة[4].

---

[1] أوبراهم جوهر، المرجع السّابق، ص ص 36-38.

[2] بن بوزيد لخضر، المرجع السّابق، ص ص 480- 483 .وينا جزء

[3] عيساوي مهى، المجتمع اللّوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب القديم، جامعة قسنطينة، 2009-2010، ص 76.

[4] بن بوزيد لخضر، حضارات الرعاة ...، المرجع السّابق، ص 479 .

وقد أوردت المصادر المصرية القديمة الملامح العامّة لقبائل المغرب القديم خاصّة تلك التي كانت تحتكُّ بالمصريين في مراحل معيّنة، وترجّح الباحثة أم الخير العقّون أنّ السّبب الرّئيسي لوجود النّظام القبلي يرتبط بنمط الحياة القائم على الرّعي والزّراعة المحدودة، هذان النّشاطان كانا يشكِّلان الجانب الأهم من حياة اللّيبيين الاقتصادية، وتشير ذات الباحثة بأنّ عدم الاستقرار يعود بشكل أساسي إلى عدم وجود مصدر ماء ثابت ومستدام مثل نهر النّيل خاصّة مع حلول الجفاف في منتصف الألف الثّالثة قبل الميلاد حيث أصبح الوضع أكثر صعوبة، وهذا ما دفع اللّيبيين أو بعضا منهم إلى التّنقل المستمر بحثا عن أراض ملائمة لهم ولحيواناتهم[1].

وبقيام الممالك المحلّية ساد حكم النّوميد الماسيسيل وسط وشرق بلاد المغرب القديم على التّوالي، والمور وُجدوا في غرب بلاد المغرب ما بين المحيط الأطلسي وملوية، وأمّا الشّعوب البدوية من جيتول وجرامنت في السّهوب والمناطق الصّحراوية حيث يسكن الأوّلان التّل، والأخيران ينتجعان في السّهوب والمناطق الصّحراوية، ويعتبر الجيتول رعاة رحّل خلفاء مُربّي الأبقار في العصر الحجري الحديث الذين خلفهم الجَمّالة وقد ألفوا حياة التّرحال والصّعود كل صيف إلى المراعي الشّمالية[2].

ولا شكّ أنّ المجتمع النّوميدي واكب تطور المجتمع اللّيبي حيث استمرّت الحياة الرّعوية كحرفة رئيسية لعدد كبير من النّوميديين رغم التّوسع الزّراعي الذي عرفته نوميديا وقد تميّزت هذه المنطقة بكثرة قطعان الماشية، وكان هناك رعاة شبه مستقرّين يقومون بتنقّلات محدودة بين السّهول شتاء والمرتفعات صيفًا والرّحل وهم دائمو التّنقل بحثًا عن الماء والكلأ[3].

[1] العقون أم الخير، مظاهر المجتمع والحضارة اللّيبية من خلال الآثار المصرية القديمة، مجلة الإتحاد العام للأثاريين العرب، المجلد 7، العدد 1، مصر، 2006، ص ص 1-2.

[2] كامبس قابريال، ماسينيسا، في أصول بلاد البربر أو بدايات التاريخ، ترجمة عقون العربي، المجس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص ص 190-191.

[3] حارش محمد الهادي، التطور السياسي والإقتصادي في نوميديا ... المرجع السّابق، ص 119-120.

وكانت أراضي الرّعي تحت تصرّف العشيرة ولا مكان للمِلكية الفردية، والمواشي تتوزّع حيث تجد المراعي، كما تبقى الأراضي غير الصّالحة للزّراعة عند القبائل الزّراعية تحت تصرّف الجميع الذين لديهم حقّ الاستغلال وقد استمرّت هذه الملكية الجماعية حتى بعد الاحتلال الرّوماني[1].

[1] حارش محمد الهادي، المرجع السَّابق، ص 108.

II- الرّعي والمعتقدات الدّينية:

1- التّصور الدّنيوي للحيوانات ورمزيتها:

تطورت العلاقة بين الإنسان والحيوانات على مرّ العصور، وقد قُسِّمت الحيوانات إلى فئتين مختلفتين حيوانات مدجّنة وأخرى برّية ولكلّ منهما رموز ومعاني، وتستخدم الرّموز الحيوانية للتّعبير عن مفاهيم وأفكار متنوعة وقد تمّ استغلال الحيوانات المستأنسة لتلبية احتياجات الإنسان المختلفة إلى جانب استخدامها كرموز دينية حيث قام الإنسان بتقديس واحترام بعضها واعتبرها رموزا للمعبودات أو القوى الرّوحية حيث تعكس هذه الرّموز العلاقة بين الإنسان والطّبيعة ومعتقداته الدّينية والرّوحية.

وقد لعبت الحيوانات دورًا هامًّا في ثقافات المجتمع المغاربي القديم منذ ما قبل التاريخ ولا سيما في المجال الدّيني، وغالبا ما تكون الحيوانات المرتبطة بالرّعي موضوعا للرّمزية الدّينية، فكانت بعض الحيوانات مقدّسة وتعامل باحترام خاص حيث كانت تُعبد كممثّلة للآلهة، وكانت هناك حيوانات مخصّصة للذّبح تُقدمّ كقرابين وكتضحية للآلهة، ويظهر لنا الفنّ الصّخري العلاقة بين الحيوانات والمعتقدات الدّينية في بلاد المغرب القديم.

ويمكن القول أنّه منذ العصر الحجري الحديث وحتّى عصر الحديد يتداخل تاريخ الأفكار الّدينية مع تاريخ الحضارة، فكلّ اكتشاف تقني وكلّ تجديد اقتصادي واجتماعي نجد له أصداء دينية بمعنى أنّه ذو قيمة مزدوجة[1]، وفي هذا السّياق نجد رسومات صخرية في موقع خنقة الحجر (Khanguetel-Hadjar) بقالمة تصوّر الرّعاة والحيوانات وتدلّ على التّعبير الرّمزي والدّيني حيث تمثّل هذه الرّسوم رمزا مقدّسا للحياة الرّعوية والعلاقة الوثيقة بين الإنسان والحيوان[2].

والملفت للانتباه أنّ الكبش من أكثر الحيوانات المدجّنة حضورا من النّاحية الدّينية في بلاد المغرب القديم، يليه الثّور والماعز ثم الحصان، حيث ارتبطت هذه الحيوانات برمزية دينية كبيرة خلال العصور القديمة.

[1] ميرسيا إياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدّينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، ط1، دار دمشق، دمشق، 1986، ص63.

[2] Colette (R.), La gravure Holocène..., Op. Cit., p 3779.

أ– الكبش:

كان للكباش دور بارز في الطّقوس الدّينية والاحتفالات، ويُعتقد أنّها تمتلك قوى روحية تجعلها محلّ تقدير خاص في بلاد المغرب القديم، وتعتبر رمزا للخصوبة والتّقديس، ومع عدم وجود الدّلائل الكتابية التي توثّق فترة ما قبل التّاريخ فلابدّ من الاعتماد على الأدّلة الأثرية والاستنتاجات التّي يمكن أن نستخلص منها دور الكبش في هذه الفترة، وبذلك نجد على جدران الأطلس الصّحراوي الغربي بالجزائر نقوشا صخرية تمثّل كباشا وتبيّنَ أنّها الأكثر شهرة وتكرارا ، وقد تمّ توثيقها في العديد من المناطق مثل جبال القصور وجبل عمّور وأولاد نايل[1].

ويظهر الكبش في مختلف الرّسومات الصّخرية على رأسه شكلا حلزونيا، ويشتهر هذا التّصوير بشكل عام باسم "الكبش المتوّج" وقد لفت ذلك اهتمام علماء الآثار والباحثين بسبب معانيها المحتملة والرّمزية[2]، حيث تمّ اكتشاف أوّل رمز لهذا الخروف في منطقة بوعلام بجبال القصور سنة 1899[3]، ثم كبش فجّة الخيل (بقسنطينة)، وكبش عين ناقة (بالجلفة)، وقد ناقشت الباحثة أم الخير العقون مسألة الكبش (الرّمزية الدّينية أو القربان) من خلال الرّسوم الصّخرية والمصادر الأدبية، وقارنتها بالآثار المصرية وفسّرت حرص سكّان المغرب القديم على رسم الكبش بكثرة مقارنة بالبقرة أو الثّور، وأنّ هذا الحيوان كان محلّ عبادة قد تكون الشّمس وأنّ الكبش اتُّخِذَ رمزًا لها، وهي الصّورة التي تمثّل دورة الحياة كما تمثّل أحد مظاهر الفكر الدّيني القديم القائم على عقيدة الخصوبة والإنتاج[4].

كان الكبش رمزا ذا أهمّية خاصة عند القرطاجين حيث ارتبط بالإله بعل حمون الذي كان الإله الأعلى في قرطاج وتمّ تمثيله كرمز للخصوبة[5]، وقد ورد ذكره في النّصوص النّقائشية المكتشفة سواء داخل

[1] Colette (R.), Op. Cit, p 3781.

[2] Camps (G.), Bélier à sphéroïde, Encyclopédie berbère, in Aix-en-Provence, Edisud, 9, 1991, p1417 .

[3] Amara (I.), Drici (S.), Des bergers ….,Op. Cit., p 65.

[4] العقون أم الخير، المصادر الدّينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، مجلة عصور، مجلد1، عدد3، جامعة وهران،2003، ص ص159–166.

[5] Zeghal Yazidi (S.), Op. Cit., pp 302-303.

العاصمة البونية قرطاج أو في المدن المغاربية وفي جزر البحر المتوسّط[1]، واستمرّ في الظّهور على المنتجات الفنّية البونية وذلك حتّى عام 146 قبل الميلاد بل وما بعده[2].

ب- الثّور:

قدّس سكّان بلاد المغرب الثّور كرمز للقوّة والقدرة والتّكاثر، وتعود بدايات عبادة الثّور إلى فترة ما قبل التّاريخ وتُظهر الرّسوم الصّخرية البسيطة التي تصوّر الثّيران بشكلها دون لواحق كما هو الحال في منطقة تازورق بالأهقار، كما نجد نوعا يتمثّل في الرّسوم ذات القرص المجسّدة على الرّسوم والنّقوش الصّخرية بفزّان والتبستي والتّاسيلي-ناجر وجبال أولاد نايل والشّرق القسنطيني[3].

وقد كان تزيين بعض السّلالات الحيوانية من بينها البقر المزيّن أو مشوه القرون المصوّر بكثرة في التّاسيلي-ناجر، وكذلك حرق ودفن عظامها مثل ما وُجد في مقبرة المنخور بتادرارت في الجزائر التي تعبّر إمّا عن أضحية أو معتقدات كمعتقد البقر، كما أنّ تمثيل الحيوان المهيّأ للأضحية بشكل ضخم مَهيب وعظيم يدلّ على طقوس مُعبّرة مثل ذلك المصَوّر بمواقع عديدة خاصة بالتّاسيلي[4]، انظر الشّكل رقم (50).



الشكل رقم (50): مشاهد ضخمة بالطاسيلي تمثل الحيوان المهيأ للأضحية

المصدر: أوبراهم جوهر، نماذج من الحياة اليومية...، المرجع السَّابق، ص 41.

[1] سعيدي سليم، الحيوان وأهمّيته...، المرجع السَّابق، ص ص 160.

[2] ZeghalYazidi (S.), Op. Cit., pp 302-303.

[3] غانم محمد الصغير، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 55.

[4] أوبراهم جوهرة، المرجع السَّابق، ص 40.

كما يُصوّر لنا نقشا صخريا في بوعلام ثورا يحمل على رأسه خطّين طويلين ربّما يمثّلان ريشتين مثل تلك التي تعلو رأس الكبش[1]، ويعتبر اللّيبيون القدماء أن رؤية الثّور تمنح الإنسان القوّة والحيوية، وعلى ما يبدو أنّ الثّور الذي يحمل الرّيش كان رمزا للسّيادة، وهذا ما يقودنا إلى استخلاص ذلك التّأثير للعقائد الدّينية في بناء هوية اللّيبيين القدماء وتأثيرها على الفنّ بشكل عام.

وبالانتقال للفترة التّاريخية نجد نصبا يعود إلى القرن الثّاني قبل الميلاد عليه نقش يرجع أصله الى معبد الحفرة بقسنطينة ويعتبر إحدى التّحف الفريدة التي تشير إلى الرّموز الدّينية، وهو محفوظ حاليا في متحف اللّوفر بباريس ويظهر عليه صورة ثور قوي البُنية، رافعا ساقه الأمامية اليسرى في حركة توحي بالاستعداد لضرب الأرض بينما رأسه موجّه للأعلى، ويرمز هذا المشهد إلى القوّة والسّلطة الجسدية، ويمكن رؤيته كذلك كرمز للخصوبة والحيوية[2]، انظر الشّكل رقم (51).



الشكل رقم (51): نصب ممثل عليه صورة لثور رمز القوة والخصوبة

المصدر: Ait Amara (O.), Massinissa …, Op. Cit., p 38

[1] قزال ستيفان، ج 6، المرجع السَّابق، ص 116.

[2] Ait Amara (O.), Massinissa …, Op. Cit., p 38.

ج- الكلب:

كانت صور الكلب في الحضارات القديمة تحمل رمزية معقّدة، فبعد تدجينه أصبح رمزًا للوفاء واستخدم كرفيق وصديق للإنسان منذ فترة موغلة في القدم، وكان من الحيوانات الأولى إن لم يكن أوّل الحيوانات التي شاركت في الحياة اليومية والأنشطة المختلفة، وبسبب صفات الكلب الطّبيعية وتفرّده بخاصّية الشّم الفائقة جُعل رمزا للولاء والحماية[1].

واستخدمت الكلاب في عدّة مهامٍ خاصّة في الصّيد والرّعي، ونجد ذلك في عدّة نصوص للمؤرّخين القدامى حيث أشار "بلين الأكبر" إلى بعض صفات الكلاب والتي خدمت الإنسان من بينها تميّزها بالذّكاء[2]، ما جعلها شريكًا جيّدًا في مجال الصّيد وقادرة على فهم تعليمات صاحبها، ويمكن للكلب استخدام حواسه الحادّة لتحديد مكان الفريسة ومساعدة الصّياد في تتبّعها واستعادتها.

وتكمن فعالية الكلاب في الرّعي أيضا في قدرتها على حماية الماشية من الحيوانات المفترسة، ومساعدة الرّعاة في إدارة وتوجيه القطعان، وقد قدّم لنا "فارون" معلومات تبرز لنا صفات اختيار الكلاب من بينها السّن المناسب، إذ لا يمكن لصغار السّن أو كبارها الدّفاع عن الأغنام، ويصبحون فريسة للحيوانات الشّرسة[3]، ويساعد هذا الاختيار في ضمان آداء الكلب لدوره بشكل جيّد، فالكلاب الصّغيرة قد لا تكون قوية بما يكفي للدّفاع عن الماشية بينما الكلاب الكبيرة قد تواجه صعوبة في مجاراة الإحتياجات الرّعوية.

وقد ذكر "فيرجيل" الرّعاة الذين يرعون قطعانهم في الصّحراء حيث يتنقّلون مع بيوتهم وكلابٍ للمساعدة في الرّعي والدّفاع عن القطعان، بالإضافة إلى أسلحة للحماية والصّيد ممّا يُظهر استعدادهم وقدرتهم العالية في التّنقل بين المناطق المختلفة مع ممتلكاتهم الأساسية في ظلّ ظروف صعبة[4].

[1] Zeghal Yazidi (S.), Op. Cit., p 461.
[2] Pline, Histoire naturelle, VIII, 146.
[3] Varron, Economie rurale, II, 9.
[4] Virgile, Géorg., III, 339-348.

2- القرابين الحيوانية:

كانت تربية الماشية في بلاد المغرب ممارسة تجمع بين الجوانب الاقتصادية والدّينية، فكانت تُربّى لأغراض متعدّدة مثل إنتاج اللّبن والصّوف واللّحوم، وكانت أيضا تستخدم لتقديم القرابين، وتشهد عن ذلك تعريفة قرابين عثر عليها في مرسيليا[1] حيث تشير هذه النّقيشة النّذرية ذات الكتابة البونية إلى مجموعة متنوّعة من الحيوانات التي كانت تقدّم كأضاحي للآلهة وتضمّ الأبقار والأغنام والماعز[2]، ويبدو أنّ وجود صور الماعز على النّصب النّذري في منطقة مكثر (Mactar)[3]وهنشير السّريرة (Henchir-Es-Srira)[4] لدليل على أهمّية الحيوانات في الطّقوس الدّينية انظر الشّكل رقم (52).



الشكل رقم (52) : نصب ساتورن يمثل مشهد تضحية

المصدر:.Slim (H.), et al., Histoire générale de la Tunisie, l'Antiquité, t1, Tunis, 2003,P 269

[1] بشاري محمد الحبيب، المرجع السّابق، ص ص 33-34.

[2] غانم محمد الصغير، الملامح الباكرة لنشأة الزراعة وتطورها في بلاد المغرب القديم، مجلة العلوم الإنسانية، العد 17، 2002، ص 173.

[3] Leglay (M.), SaturneAfricain, Monuments, I, Paris, 1961, p 243, pl. XI, 1.

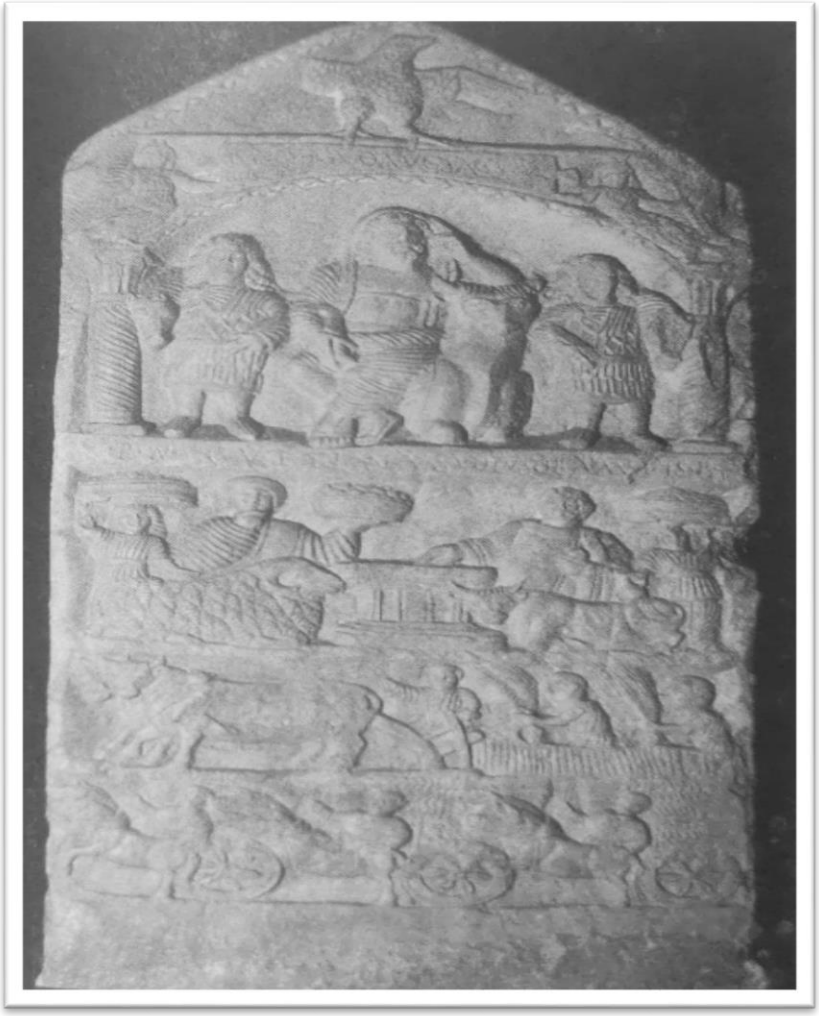
[4] Ibid., p312,pl. X, 2.

ومن جهة أخرى لدينا نصب يعود تأريخه إلى نهاية القرن الثّالث وبداية القرن الرّابع الميلادي حيث يمثّل هذا النصب إحياء ذكرى تنفيذ نذر قدّمه مالك الأرض تكريما للإله ساتورن، وتمّ الإبلاغ عن الحفل من خلال صور منحوتة في سجلّات ثلاث خصّص الجزء العلوي لنسر بأجنحة ممتدّة، بعدها يجلس ساتورن على ثور، وتحت هذه الصورة نقش، وتشكّل هذه السّجلات المنحوتة على التّوالي توضيحا لهذا الاحتفال:

1-Cuttinus يقدّم الأضحية.

2- مشاهد من الحياة الريفية: مشهد الحرث بواسطة الثّور ومشهد الحصاد.

3- مشهد نقل الحصاد بواسطة الأحصنة، كلّ ذلك يكون بمباركة ساتورن[1].



الشكل رقم (53):نصب يمثل مشهد تقديم أضحية مع مشاهد من الحياة الريفية

المصدر :Slim (H.), et al., Histoire générale…, Op. Cit., p 269

[1] Slim (H.), et al., Op. Cit., P 269.

ثالثا– استخدامات أخرى:

لعبت الحيوانات المستأنسة دورًا حيويًا في حياة الإنسان المغاربي القديم، ولم تقتصر أهمّيتها على المجال الاقتصادي والدّيني فقط بل شملت العديد من الاستخدامات الأخرى بما في ذلك الأنشطة التّرفيهية إلى جانب الدّور العسكري.

I– الحيوانات المستأنسة والأنشطة التّرفيهية:

1- استخدام الخيل في الصّيد:

استخدم الحصان في أنواع مختلفة من الصيّد، ويعتبر وسيلة سريعة للتّنقل ومساعدة الصّيادين في الوصول إلى مناطق الصّيد ونقل الفرائس، وقد وفّر لنا الفنّ الصّخري دليلا مهمًّا على استخدام الخيول في الصّيد منذ فترة ما قبل التّاريخ، فنجد رسوما تصوّر غالبا مشاهد للصّيادين على ظهور الخيول وهم يطاردون الحيوانات البرّية بهدف الحصول على الغذاء والتّخلص من الحيوانات المفترسة التي تهاجم البشر والماشية[1].

ووثّقت لنا العديد من اللّوحات الفسيفسائية مشاهد الصّيد باستخدام الخيول والكلاب مثل فسيفساء الجمّ بتونس (القرن 3 م)، والتي تتألّف من ثلاث خانات إذْ نرى في السّجل الأعلى صيادين على صهوتي فرسيهما وفي وسط اللّوحة أرنب مختبئ وتمكّن الكلاب من الكشف عن مكمنه، وفي السّجل الأسفل يطارد القنّاصون ومعهم كلابهم أرنبا يركض، وتبرز أيضا فسيفساء أودنة (القرن 3 م) صيد الأرانب باستخدام الكلاب من نوع " السلوقي (Slouggi) [2]، كما تُظهر فسيفساء قرطاج (القرن 4 م) مشاهد مطاردة لحيوانات متوحشة مثل الأسود والنّمور والفهود، حيث يظهر الصّيادون وهم يمتطون جيادهم، ويقتربون من حيواناتهم المستهدفة[3]، انظر الشّكل رقم (54).

[1] Ait Amara (O.), Le cheval en Numidie: bilan des connaissances, AQVILA LEGIONIS ? Cuadernos de Estudios sobre el Ejército Romano, SIGNIFER Libros, Espagne, 2014-2015, p 33.

[2] بلكامل البيضاوية، المرجع السّابق، ص 31.

[3] نفسه، ص 33.



الشكل رقم (54): مشهد لقناصين على فسفساء قرطاج تظهر عملية مطاردة لحيوانات مفترسة

المصدر: Aounallah (S.), Un Monumet…, Op. Cit., p 241

2- استخدام الخيل في الألعاب الرّياضية:

لعبت الخيول أيضا دورا مهمًا في الألعاب الرّياضية وقد تمّ استخدامها للمشاركة في العروض والسّباقات التي صمّمت لتسلية الجمهور وإبراز سحر وقوة وبراعة هذه الحيوانات إضافة إلى الجمال والقوّة والأناقة ومختلف أشكال التّرفيه.

وقد أقبل الرّومان على اقتناء الخيول النّوميدية بحيث أبرموا عدّة صفقات تجارية مع ماسينيسا لتزويدهم بعدد معتبر من الخيول ما بين 200 ق.م و170ق.م، ولم يقتصر استعمال الخيول النّوميدية على روما فقط بل وصل إلى مختلف أقاليم الامبراطورية الرّومانية حيث كانت توجد في بلاد المغرب القديم مزارع متخصّصة لتربية الخيول، وكانت تشحن بأعداد كبيرة عن طريق البحر إلى ميادين السّباق في روما واليونان وغير ذلك، وهذا ما توضّحه فسيفساء التبروس التي تُصور عمليّة شحن مجموعة من الخيول على الباخرة[1] كما قام مصطنبعل أحد أبناء ماسينيسا بتربية الخيول وشارك بها في السّباقات[2] حيث أحرز بها مرّتين على جوائز في الألعاب الأثينية (Panathenee) سنتي 168 ق.م و 164 ق.م[3].

[1] سعيدي سليم، الحصان النّوميدي من خلال المصادر المادية، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية، العدد 27، 2018، ص 77.

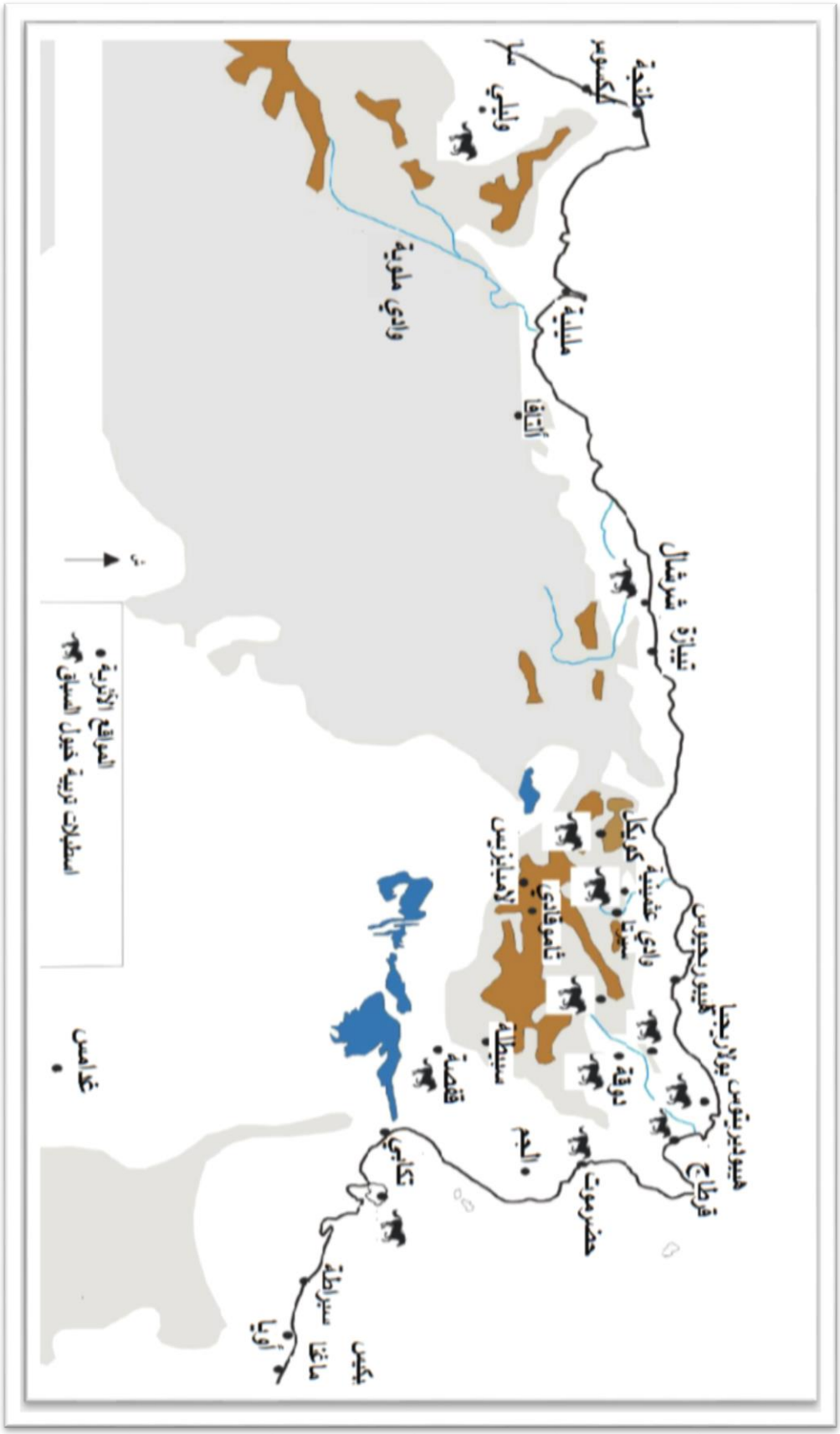
[2] حارش محمد الهادي، مملكة نوميديا – دراسة حضارية –...، المرجع السابق، ص 155.

[3] قزال ستيفان، ج5، المرجع السّابق، ص 157.

ونجد ضيعة لأحد الملاّك بنواحي واد العثمانية قرب مدينة قسنطينة قد زيّن أرضية حمّاماته بلوحات فسيفسائية والتي تعكس حياة الرّفاهية في تلك الفترة وتُظهِر مشهدًا لحظيرته التي ضمّت خيول سباق مدرّبة من ضمنها حصانين صوّرا بمظهر جانبي يعلو صهوة كلّ منها اسمه[1]، وتمّت تربية خيول السّباق وربّما خيول الصّيد في مزارع كبيرة مماثلة لتلك الموجودة عند سوروثوس (Sorothus)[2] انظر الشّكل رقم (55).

[1] صندوق ستي، المرجع السّابق، ص 93.

[2] Precheur-Canonge Thérèse, Op. Cit., p 65.



الشكل رقم (55): خريطة تبين توزيع الأماكن المخصصة لتربية خيول السباق (بتصرف)

المصدر: Hajlaoui Anis, Elevage et pastoralisme …, Op. Cit., p 53.

II- استخدام الحيوانات المستأنسة في المجال العسكري:

إنّ استخدام الحيوانات في الحروب كان شائعا في العصور القديمة وله تأثير كبير على استراتيجيات المعارك، وقد وفّرت هذه الحيوانات مزايا متعدّدة للجيوش بما في ذلك السّرعة والقوة والتّحمل والقدرة على النّقل، وقد تمّ استخدام مجموعة متنوّعة من الحيوانات مثل الحصان، الجمل، البغل، الحمار وحتّى قطعان الماشية والتي يمكن تكييفها مع مختلف أنواع المهامّ العسكرية.

1- الحصان:

كان استخدام الحصان يلبّي الاحتياجات المتعدّدة لسكّان بلاد المغرب القديم، ولم يكن هذا الحيوان مجرّد وسيلة للنّقل أو للصّيد بل كان له أيضا دورا هامًّا في الحروب ويعود استخدامه في المجال العسكري إلى فترة مبكّرة حيث أصبح لاحقا جزءا مهمًّا من الاستراتيجيات العسكرية سواء في بلاد المغرب أو في منطقة البحر الأبيض المتوسّط.

أ- فترة ما قبل التاريخ:

توفّر لنا بعض الرّسومات الصّخرية معلومات مهمّة عن استخدام الخيول في الحرب وكذلك تصميم وبنية العربات القتالية، بالإضافة إلى خاصّية القيادة الفردية لتلك العربات أي أنّ العربة كانت تدار عادة من قبل شخص واحد فنجد في رسومات التّاسيلي وتحديدا بأمغيد (Amguid) وعلى الرّغم من أنّ الرّسم ليس مفصّلا بشكل كبير إلاّ أنّه يُظهر تصميما بسيطا للعربة مع التّركيز على العناصر الرّئيسية مثل الزّمام والحبال لتوجيه الحصان والسّيطرة على العربة وضبط حركتها[1].

كما نجد رسومات العربات بأعداد كبيرة في كل من مرتفعات الأهقار والتّاسيلي وبعض مرتفعات الأطلس الصحراوي خاصّة النّوع المعروف بالعربات الطائرة والتي جذبت اهتمام العلماء والباحثين حيث انكبّ على دراسة هذا النوع من الرّسومات عدد من المتخصّصين وجمعوها في مرحلتين رئيسيتين: مرحلة العربة (Les cabalins) وتليها مرحلة الخيّالة Equidiens، ويؤرّخ للأولى فيما بين 1500-1200 ق.م[2].

[1] Camps (G.), Les chars sahariens, Images d'une société aristocratique, Antiquités africaines, 25,1989, p 17.

[2] العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص 105.

ويُصوّر لنا نقش صخري في وادي جرات بالتاسيلي-ناجر مطاردة تشمل عربة تجرّها أربعة أحصنة ويقودها محارب وشخص مطارد يلبس قناعا[1]، انظر الشّكل رقم (56)، وقد تمّ تفسير هذه الصّور المكتشفة في الصّحراء على أنّها توضيح لما أخبرنا به "هيرودوت" حيث يفترض أنّ قبيلة الجرامنت كانت تستخدمها لمطاردة الإثيوبيين[2].



الشكل (56): نقش صخري يصور عربة قتالية تجرها أربعة احصنة في منطقة وادي جرات بالتاسيلي

المصدر: Camps (G.), Les chars sahariens…, Op. Cit., p 12

ولم تكن قيادة العربة القتالية عند اللّيبيين حكرًا على الرّجال بل شاركت فيها النّساء أيضا[3] بدليل مشاركة نساء الزّواس إحدى القبائل اللّيبية في الحروب وقيادتهن للعربات القتالية[4]، وهذا يشير إلى تنوّع الأدوار التي كانت تمارسها النّساء اللّيبيات في تلك الفترة ولم يقتصر دورهن على المهامّ التّقليدية الموكلة لهنّ.

وتظهر المصادر المصرية أن استخدام الخيل في القتال كان معروفا لدى الليبيين منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وتشهد على ذلك الآثار المكتشفة في مدينة هابو التي وثّقت غنائم فرعون مصر رمسيس الثّالث في حربه ضدّ القبائل اللّيبية المتحالفة بزعامة المشواش 184 من الخيول، و92 عربة[5].

[1] يُمكن أن يشير وجود شخص يرتدي قناعًا في هذا النّقش الصخري إلى تقاليد ثقافية ودينية، أي يمكن أن يكون جزءًا من طقوس دينية أو وسيلة من أجل الحماية، وقد تكون هناك أسباب أخرى لارتداء هذا القناع.

[2] Lhote (H.), Chars rupestres du Sahara, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 107e année, N. 2, 1963, p 228.

[3] بن علال رضا، دراسة تحليلية حول أصول ودور العربات القتالية في المغرب القديم، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 4، العدد 4، 2016، ص ص 31.

[4] Hérodote, Histoires, IV, 193.

[5] العقون أم الخير، من مصادر تاريخ المغرب القديم الرّسوم الصخرية والاثار المصرية، C.S.A.R .C، وهران، 2014، ص 105.

ويمكننا القول أنّ هذا العدد يعتبر كمُؤشّر على قوة اللّيبيين وقدرتهم العسكرية، ولا يمكن لأيّ فرقة عسكرية الاستفادة من الخيول والعربات إلاّ إذا كان لديها التّدريب الكافي والخبرة في استخدامها، ويشير أيضا هذا العدد الكبير من الخيول والعربات إلى أنّ اللّيبيين يمتلكون موارد حيوانية كبيرة خاصّة قطعان الخيول، وهذا بدوره يدلّ على أنّ المنطقة ملائمة لتربية هذا النّوع من الحيوانات.

ب- الفترة التاريخية:

كانت تربية الخيول مهمّة بشكل خاص بالنّسبة للممالك المحلية حيث أشار "سترابون" إلى تسجيل تعداد سنوي يُظهر ولادة مائة ألف مهر[1]، كما تحدّث عن غنى بلاد المغرب بالخيول بدليل قدرة سيرتا العاصمة الملكية لماسينيسا وخلفائه على تجنيد عدد كبير من الفرسان واستدعاء 10000 فارس[2]، وهذا يعكس إدراك الملوك في تلك الفترة لأهمّية الخيول في الحروب والقوّة العسكرية ولذلك قاموا بتربيتها والعناية بصحّتها وتغذيتها وتجهيزها كوسيلة مهمّة لضمان قوّتها للمشاركة في الحروب.

ويعدّ الحصان من الحيوانات الذّكية والقادرة على التّفاعل مع الإنسان ومن المؤكّد أنّه لعب دورا مهمًّا وعلى وجه الخصوص في المجتمع النّوميدي، بدءًا من كونه حيوانا يُستخدم في الأعمال الزّراعية والنّقل وصولا إلى كونه رفيقا مهمًّا للفرسان في الحروب خاصّة وأنّ نوميديا كانت من أبرز المناطق في بلاد المغرب القديم التي أنتجت أعدادا كبيرة من الخيول وكانت نسبة الفرسان في الجيوش النّوميدية عالية مقارنة بالجنود المشاة، وكانوا معروفين بشجاعتهم ومهارتهم في الفروسية وقدّموا خدمات كبيرة لملوكهم وأيضا للجيوش القرطاجية وحتى للإمبراطورية الرّومانية، ولعبوا أيضا دورا مهمًّا في العديد من الصّراعات العسكرية[3].

وهذا يدلّ بوضوح على الأهمّية الكبيرة التي حظي بها الحصان في منطقة البحر الأبيض المتوسّط لا سيما في الفترة النّوميدية، فقد أكسبت الخيول الفرسان النّوميديين القوة والتفوّق في المعارك إلى جانب دورها في تحقيق النجاح في الصّراعات العسكرية وتقديم الدّعم الاستراتيجي للامبراطوريات الأخرى.

ومن المعروف أنّ تاريخ الفروسية النّوميدية عظيم ويشهد له المؤرّخين القدامى لكنّنا لسنا بصدد إعطاء جميع النّصوص لذلك سنكتفي بتقديم بعض الأمثلة:

[1] Strabon, Géographie XVII, 3, 19.
[2] Strabon, Géographie XVII, 3, 13.
[3] Ait Amara (O.), Le cheval…, Op. Cit. , p 24.

لقد وصف "سترابون" الفارس الافريقي بما في ذلك الموريين والنّوميد وكيفية التّحكم في خيولهم حيث ذكر أنهم يستخدمون الرّمح ويوجّهون خيولهم دون لجام باستعمال الحبل[1]، وكان لديهم عصا قصيرة ويضعون حبلاً حول عنق الحصان لتّوجيهه، وما يؤكّد ذلك منحوتات (Sculptures) عمود تراجان بروما والتي تمثّل الفرق المساعدة المورية، وهذا ما يؤكّد الاستفادة من الخيل واستمرارية ذلك خلال العصور اللّاحقة مع القرطاجيين حتّى قبل وصول الرّومان إلى المنطقة، وكان الفرسان النّوميد (Numides) أو الجيتول (Gétules) المتجوّلين الذين ينتقلون من مكان لآخر لمساعدة الضّعفاء على أهبة الاستعداد دائما لركوب الخيل دون حاجة إلى استعمال السّرج[2].

وقد أكّده "سترابون" عندما تحدّث عن الفرسان الموريين والنّوميديين وذكر بأنّهم كانوا يمتطون الخيل دون سرج[3] وهذا يظهر البراعة والمهارة التي كانوا يمتلكونها في ركوب الخيول والتّحكم فيها إلى جانب نوعية السّلالة المحلّية والمتمثّلة في الخيول البربرية المعروفة بصلابتها وقدرتها على التّحمل والتّحرك بسرعة أثناء المعركة.

والمثير للانتباه أنّ المصادر الأدبية لم تتحدّث عن الفرسان النّوميد وخيولهم بشكل مباشر بل تأتينا المعلومات عنهم في سياق الكتابات عن الحروب البونية ورغم ذلك فهي تعتبر دليلا على الدّور البارز لهم في هذه الحروب حيث شكّلوا جزءا هامًّا من القوات المشاركة فيها.

ولدينا بعض الأمثلة التي تؤكّد مشاركة الخيول في حروب عدّة خلال فترة الممالك حيث نجد بعد وفاة غايا سنة 206 ق.م[4] قام لاكومازيس (Lacumazes) ملك الماسيليين (Massyles) ومازايتول على رأس خمسة عشر ألف جندي مشاة وعشرة آلاف فارس بمعارضة ماسينيسا الذي انتصر في النهاية، وتجدر الإشارة إلى أنّ جزءًا من هذه القوات كان قد قدّمها سيفاقس[5].

---

[1] يعرف هذا الحبل في اللهجة المحلية ب " الرّسن – Recen" ، وأمّا الحبل ذو العقد والمصنوع من وَبَر الماعز فيعرف ب " ثَاشْكِيمتْ – Thachékimet" ، وحتّى أواخر القرن 19 م لا تزال هذه الوسائل مستعملة في المناطق الجبلية في بلاد المغرب القديم، ويبدو أنّ غياب الشكّيمة يؤدي إلى صعوبة في توجيه الخيل، ممّا يتطلب مهارة عالية من الفارس، فمن الضروري أن يكون راكبًا بطريقة مناسبة تسمح له بالتّحكّم في حصانه، للمزيد يراجع: عولمي الربيع، التجهيزات العسكرية للفرق المساعدة النوميدية والموريطانية في الجيش الروماني، مجلة الحوار الفكري،جامعة باتنة، المجلد11، العدد11، ص ص 23-52.

[2] نفسه، ص ص 42-44.

[3] Strabon, Géographie, XVII, 3, 7.

[4] Ait Amara(O.), Op. Cit., p 34 .

[5] Tite-Live, Histoire romaine, XXIX, 30.

وفي عام 205 ق.م نجح ماسينيسا من دخول مملكة والده التي سُلبت منه في وقت سابق واستعادتها، وقد قاد خلال هذه الحملة 6000 مشاة و4000 فارس[1]، وفي 204ق.م قام سيفاقس بالتّحالف مع القرطاجيين وكان لديهم جيش ضخم يتألّف من خمسين ألف جندي مشاة وعشرة آلاف فارس، وكان لهذا التّحالف مع القرطاجيين تأثيرا كبيرا على الأحداث اللّاحقة[2].

ولعب الفرسان النّوميد دورا بارزا في الحروب حيث قدّموا دعماً عسكرياً لكلّ من القرطاجيين والرّومان، فقد شاركوا في حرب حنّبعل تحديدا في معركة زاما سنة 202 ق.م بوضعهم على الأجنحة لتنفيذ هجمات مباغتة على العدو، كما قاموا بإمداد الرّومان بالأحصنة المدرّبة وواسعة الشّهرة[3].

وبرز حضور الفرسان النوميديين كقوات مساندة ضمن صفوف الجيش الروماني لاسيما خلال حملات التّوسع في منطقة البحر المتوسّط، فقد استعان الرّومان بهؤلاء الفرسان في حروبهم منذ عهد ماسينيسا، حيث لعبوا دورا هامًّا في عدّة معارك منها تحالف العاهل النّوميدي ماسينيسا مع سيبيون الافريقي، كما شاركوا في دعم الجيش الرّوماني ب 400 فارس سنة 189 ق.م خلال الحملة ضدّ انطيوخيوس الثّالث بسوريا، وساهموا أيضا في حرب داسيا والدّانوب (105-102ق.م)، فضلا عن مشاركتهم في حرب تدمر سنة 272م، وعلى الرّغم من هذا التّعاون والتّحالف العسكري فقد اعتبر الرّومان الفرسان النّوميديين أشدّ خصم يخشونه في حروبهم[4].

وبذلك يمكننا القول أنّ النّوميديين كانوا يملكون جيشا قويًّا من الفرسان، وأنّ ملك نوميديا كان حليفا استراتيجيا وقادرا على تقديم الدّعم العسكري في عدّة مناسبات، حيث لعبت الخيول النّوميدية دورا مهمًّا في الحروب، ويعود ذلك لقدراتها العالية على التّحمل والحركة.

[1] Tite-Live, Histoire romaine, XXIX, 32, 13.

[2] Ait Amara (O.), Op. Cit., p 34.

[3] فنطر محمد حسين، حنبعل بطل قرطاج والمتوسّط، المغاربية، تونس، 2018، ص 335.

[4] سعيدي سليم، الحصان النّوميدي...، المرجع السّابق، ص 77.

وتذكر المصادر أنّ الملك ماسينيسا كان يجيد ركوب الخيل وقد بقي يمارسها إلى سن متأخرة من عمره[1] و كان من أمهر فرسان نوميديا وبإمكانه أن يبقى طيلة النّهار على فرسه وكان يركبه دون سرج وعمره 90 سنة[2]، كما كان يوغرطة يمارس الفروسية ورمي الحراب خاصّة وأنّه امتاز بالقوة والذّكاء الحادّ[3].

ويضيف "ساليست" أنّ الخيول التي كانت تستخدم في زمن يوغرطة تميّزت بمهارتها وتكيّفها مع التّضاريس الصّعبة وتعوّدها على شقّ الطّريق دون عناء والتّنقل بسرعة في ظلّ هذه الظّروف عكس الخيول الرّومانية التي تعاني من العوائق التّضاريسية التي تبدو غريبة عنها[4]، وعدم التّكيف مع هذه البيئة.

ولابدّ أن نشير إلى تميز النّوميديين بمهارات كبيرة في تربية الخيل ولديهم القدرة على التّعامل مع هذه الحيوانات بسهولة وباستخدام القليل من العناية، وترويضها وتدريبها بشكل جيّد، وكان الفرسان النّوميديون محترفون في استخدام اثنين من الخيول خلال أوقات الاشتباك الأكثر حدّة في المعارك، فكان بإمكانهم القفز من خيل مُتعب إلى خيل آخر جديد[5].

ولمعالجة مشكلة الخوف الذي تثيره بعض الحيوانات خلال المعارك مثل الفيلة، اعتمد مربّو الخيول على استراتيجية في غاية الأهمّية من خلال تدريب خيولهم على التّعامل مع الفيلة عن طريق تحريكها حول بعض الفيلة الأكبر سنًّا والأكثر هدوءًا، وهذا النّهج يهدف إلى تعويد الخيول على صَرخات الفيلة وروائحها وحجمها الكبير وتهيئتها للبقاء على قدرتها وآدائها بكفاءة أثناء المعارك[6].

وتمثّل الأنصاب والعملات النّقدية والتّماثيل مصادر وشواهد مهمّة لمعرفة مميزات المحاربين النّوميد والخيول التي استخدموها من بينها نقش عُثر عليه في أبيزار(Abizar)[7] سنة 1859 وهي منطقة تقع على

[1] سعيدي سليم، المرجع السابق، ص 76.

[2] عولمي الرّبيع، المرجع السّابق، ص 44.

[3] ساليست، المصدر السّابق، الفقرة 6، ص 53.

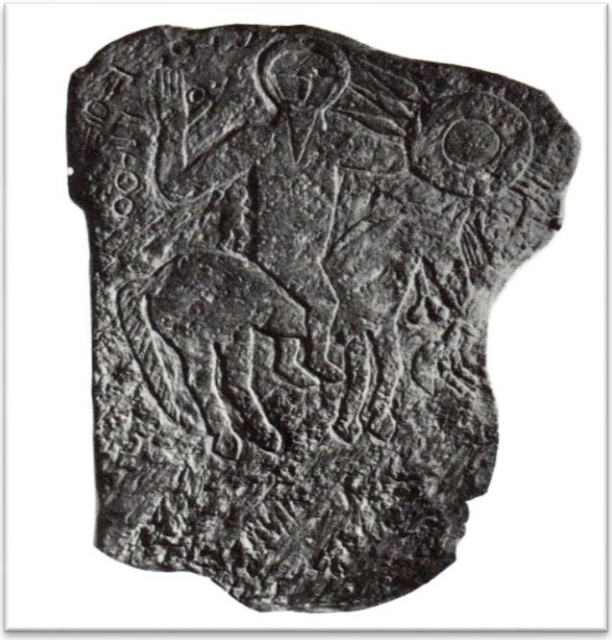
[4] نفسه، الفقرة 50، ص 96-97.

[5] Tite-Live, Histoire Romaine, XXIII, 29, 5.

[6] Ait Amara (O.), Op, Cit , p 24.

[7] Février (P-A.), Camps (G.), Op. Cit., p 79.

المنحدر الجنوبي للكتلة الجبلية السّاحلية، جنوب شرق تيغزيرت في منطقة القبائل بالجزائر، إضافة إلى شواهد منحوتة أخرى تصوّر فرسانا عُثر عليها في بوجمعة وشرفا قرب تيغزيرت[1]، انظر الشّكل رقم (57).



الشكل (57) :نصب أبيزار يمثل حصانا مع فارسه النوميدي

المصدر:Février (P-A.), Camps (G.),Abizar, Encyclopédie berbère, 1, 1984, p 80

ويقدّم لنا تمثال الفارس النّوميدي المصاب المصنوع من الطّين المحروق دليلا أثريا جيّدا حيث تمّ العثور عليه في مقبرة بمدينة كانوزيوم (Canusium) في جنوب إيطاليا، وتقع هذه المدينة بالقرب من موقع معركة كاناي (Cannes) الشّهيرة سنة 216 ق.م، ويمثّل هذا التّمثال واحدا من الشّواهد النّادرة على تاريخ الحصان والفارس النّوميدي خارج أرضه الأصلية في بلاد المغرب القديم، ويعود تاريخه إلى الفترة النّوميدية تحديدًا نهاية القرن الثّالث قبل الميلاد، ونلاحظ أنّ الحصان لا يحمل لجامًا أو سرجًا، اانظر الشّكل رقم (57)[2].

ويُعبّر هذا التّمثال عن المكانة المتميزة التي كان يحتلّها الفرسان النّوميد وخيولهم في جيش قرطاجة، والتّأثير العميق الذي تركوه من خلال مهاراتهم الحربية وانجازاتهم العسكرية، كما تمّ العثور على نصب يظهر

[1] Fevrier (P-A.), L'art funéraire et les images des chefs indigènes dans la Kabylie antique, École Française de Rome, 225 , 1996, P 773.

[2] Ait Amara (O.), Le cheval et le cavalier numides…, Op. Cit., p p 1-4.

حصانا في برج منايل يتميز بذيل طويل ويشبه في ذلك حصان الفارس النّوميدي الذي عُثر عليه في كازونيوم[1].



الشكل رقم (58) : الفارس النوميدي في كانوزيوم

المصدر: Ait Amara (O.), Le cheval et le cavalier numides…,Op. Cit., p2

ومن المهمّ أن نلاحظ أنّ نوع الحصان الذي يظهر في تمثال كازونيوم يشبه ذلك الحصان الممثّل على العملات النّوميدية التي تعود إلى عهد الملك سيفاكس وابنه فيرمينا وماسينيسا، والسِّمة المشتركة بين هذه العملات الملكية هي أنّها تحمل صورة الملك على الوجه الأمامي بينما يظهر على الوجه الخلفي صورة لحصان يركض بسرعة[2]، انظر الشّكلين (59) و(60)، وتعبّر صور الخيل والملك الممّثلة على هذه العملات عن ذلك الإرتباط القوي بين الفرسان وخيولهم.

[1] Ait Amara (O.), Op. Cit, p5.

[2] Ibid., p 8.



الشكل رقم (59): قطعة نقدية للملك سيفاكس

المصدر: Ait Amara (O.). Le cavalier numide …. Op. Cit.. p 136



الشكل (60) قطعة نقدية للملك ماسينيسا

المصدر: Ait Amaran (O.), Le cavalier numide…, Op. Cit, p 137

كما استخدمت البغال والحمير أيضا في المجال العسكري لنقل المعدّات والإمدادات، ورغم قلّة الشّهادات الأدبية والأثرية حول دور هذه الحيوانات في الحروب إلاّ أنّه يمكننا الإستناد إلى ما ذكره "ساليست" في حديثه عن حرب يوغرطة (Jugurtha) حيث أشار إلى القائد الرّوماني ميتيلوس (Metellus)

الذي أمر بتوزيع كلّ الأحمال على دواب النّقل وكل أنواع الأواني الصّالحة لنقل الماء[1]، وهذا ما يسّلط الضّوء على أهمّية هذه الحيوانات في الجيوش القديمة.

2- الجمل:

كان الجمل ممثّلا في عدد من مناطق الصّحراء وهي بيئته الطّبيعية، واشتهر بقوّته وقدرته على تحمّل البيئة القاسية وقد استخدم الجمل لأغراض متعدّدة خاصّة في القتال، فنجد مشهدًا في الرّسوم الصّخرية في التّاسيلي- ناجر، ويظهر الجمل غالبا وهو يحمِل راكبًا ويوجّهه نحو مكان المعركة، وهذا يشير إلى استخدامه في المجال العسكري بالإضافة إلى النّقل والأعمال الزّراعية[2]، انظر الشّكل رقم (61)، وغالبًا ما تظهر في نفس المشاهد كتابات ليبية إلى جانب صور للخيول وحيوانات أخرى[3].



الشكلرقم :(61) رسومات صخرية تبين جمل ومحارب في أهارار بالتاسيلي- ناجر

المصدر: Demougeot (E.), Le chameau et l'Afrique du Nord romaine, A.E.S.C, 1960, 1, p181

بالإضافة إلى توثيق الجمل في الرّسوم الصّخرية في الصّحراء نجد إشارات تاريخية تدلّ على وجوده في المناطق الشّمالية السّاحلية لبلاد المغرب القديم مثلما حدث في عام 46 ق.م حين غَنِم يوليوس قيصر 22 جملاً من خصمه يوبا الأول بالقرب من بلدة صغيرة تُدعى زيتا جنوب شرق مدينة سوسة الحالية[4].

[1] ساليست، المصدر السَّابق، الفقرة 75، ص 119.

[2] Camps (G.), Peyron (M.), Chaker (S.), Op. Cit, p2543.

[3] بن بوزيد لخضر، الجمل في ما قبل التاريخ...، المرجع السَّابق، ص 85.

[4] Demougeot (E.), Op. Cit, p. 218.

وهذا ما يعكس أهمّية الجمل كمورد عسكري في تلك الفترة، لكن من المثير للاهتمام والاستغراب أيضا هو امتلاك الملك النّوميدي يوبا الأول للجِمال حيث لا يمكن أن تتواجد في هذه المنطقة خاصّة وأنّ الجمل يتلاءم أكثر مع الصّحراء في حين بيئة الشّمال لا تمثّل بيئة مثالية له[1]، وعليه فإنّ استخدام الجمل خارج بيئته الطّبيعية يدلّ على مرونة استراتيجية لدى النّوميديين وتكيّفهم مع الاحتياجات العسكرية.

3- قطعان الماشية:

تمّ توظيف قطعان الماشية في المجال العسكري بطرق مبتكرة ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث خلال إحدى المعارك بين القرطاجيين والرّومان عام 217 ق.م، حيث أدرك القائد القرطاجي حنّبعل ظروف المعركة ووضع خطّة محكمة للايقاع بالعدو وذلك باستخدام ألفي ثور وحزمًا من الحطب الجافّ، حيث تُشدُّ إلى قرني كلّ ثور حزمة منها، ولما اشتدّت ظلمة اللّيل أُخذت الثّيران إلى المرتفعات وأضرموا النّار في الحطب المشدود إلى قرونها فَبَدَتْ نيرانًا ملتهبة تتحرّك في كلّ مكان.

وكانت هذه الشّعلات النّارية تهدف إلى تخويف الجيش الرّوماني وتشتيته وإثارة الذّعر بين أوساطه وإرباك صفوفه ممّا أدّى الى انسحاب الرّومان إلى السّفوح وأتاح للجيش القرطاجي فرصة التّقدّم دون خوف من مصيدة كانت ستقضي عليه لولا عبقرية حنّبعل[2].

كما تمّ استخدام الأغنام والماعز في المجال العسكري من خلال إقامة حواجز طبيعية لإحاطة المعسكرات كوسيلة للدّفاع والحماية من الهجمات الخارجية [3]، وقد وصف كوريبوس خلال القرن السّادس ميلادي بعض ممارسات المغاربة في هذا المجال حيث كانوا يقومون بربط قرون الماشية ببعضها بواسطة حِبال وإقامة تحصينات بأجسادها والإحاطة بالمعسكر[4]، ويعتبر ربط قطعان الماشية إجراء يساعد في الحفاظ على تماسكها وتنظيمها ويجعلها أكثر قوة على الدّفاع، وهذا ما يدلّ على مهارة المغاربة القدامى في إدارة الثّروة الحيوانية خلال فترات الحروب والصّراعات.

---

[1] بن بوزيد لخضر، المرجع السّابق، ص ص83- 84 .

[2] فنطر محمد حسين، المرجع السّابق، ص 121.

[3] ماجي ليندة، العقون أم الخير، المرجع السّابق، ص 32,

[4] كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ترجمة وتحقيق: محمد الطاهر الجراري، الكتاب الخامس، 1988، ص ص 102-103.

ومجمل القول أنّ الرّعي لم يكن مجرّد وسيلة للحصول على الغذاء بل برز كممارسة متعدّدة الأبعاد تعكس تفاعل الإنسان مع بيئته وتطوره عبر الزّمن، فقد كان الرّعي حجر الزاوية في اقتصاد بلاد المغرب القديم، وشكّل مصدرًا رئيسيًا للغذاء من اللّحوم والألبان، وأثّر بشكل كبير على الأنشطة الاقتصادية الأخرى مثل التجارة والصّناعة، وكانت الثّروة الحيوانية أحد المظاهر الرّئيسية للثّروة الاقتصادية.

أمّا على الصّعيدين الاجتماعي والدّيني كان للرّعي دور بارز في تحديد النّمط الاجتماعي، وارتبط ارتباطا وثيقا بالممارسات الدّينية والطّقوسية، إذْ كان الرّعاة يستخدمون الحيوانات كقرابين، بالإضافة إلى استخدامها في الفعاليات والأنشطة التّرفيهية مثل سباقات الخيول، كما كان للرّعي دور عسكري حيث شكّلت الحيوانات مصدرًا استراتيجيًا للتّنقّل والقوّة العسكرية.

خاتمة

بعد استعراضنا للمادّة البحثية المتاحة لدينا، وتحليل المصادر الأثرية والتّاريخية المتعلّقة بالرّعي في بلاد المغرب القديم، اتّضح لنا مدى أهمية هذا النّشاط وتعقيده، وقد سعى هذا البحث الى دراسة الرّعي منذ ما قبل التّاريخ (تحديدا من العصر الحجري الحديث) إلى نهاية الفترة الرّومانية معتمدا على المنهج الموضوعاتي، حيث تناولت الدّراسة الرّعي كنشاط متعدّد الأبعاد يعكس تفاعل الإنسان مع بيئته وتطوره عبر الزّمن، وأنّ ما حدث في بلاد المغرب من تحولاّت هو جزء لا يتجزّأ من التّطور الحضاري الذي حصل في العالم القديم لا سيما في الجوار الجغرافي الذي شهد بدوره تطورًا مُهمًّا في العلاقة بين الإنسان والحيوان.

1- تأثير البيئة والمناخ على الرّعي:

إنّ المتمعِّن في العوامل التي أدّت إلى التّوجه نحو الرّعي في بلاد المغرب القديم يلاحظ تداخلاً بين عدّة عوامل طبيعية منها التّغيرات المناخية (الأمطار وفترات الجفاف)، والبيئية (المياه والمراعي)، إلى جانب عوامل أخرى، ليُصبح الرّعي فيما بعد نشاطًا رئيسيًا سواء في المجتمعات الرّعوية الخالصة أو في المناطق التي جمعت بين الزراعة والرّعي، حيث قدّمت المنطقة بيئة مواتية لتربية الحيوانات على مرّ العصور القديمة، وقد أشار ساليست (القرن I ق.م) من خلال كتاباته إلى ملائمة ليبيا لتربية الماشية.

وقد بيّنت المادّة العلمية المتوفّرة لدينا أنّ السّطح ببلاد المغرب تميز بتباين واضحٍ من الشّمال إلى الجنوب، ولعبت التّضاريس خاصّة السّلاسل الجبلية دورا مّهمّا في تشكيل مناخه وبيئته، ممّا انعكس على تنوع وتوزيع النّباتات هذه الأخيرة تعتبر مرآة عاكسة لطبيعة المناخ ونوعية التّربة، وكلّ ذلك انعكس على نوعية المراعي وتوزيعها، وقدّمت لنا دراسة منير الحاج الطاهر حول الثّروة النباتية ببلاد المغرب القديم مساهمة قيّمة في إعادة بناء صورة الغطاء النّباتي.

واتّضح لنا أنّ بلاد المغرب القديم تمثّل ملتقى لمناخين مختلفين: فالمناخ المتوسّطي الذّي يتّصف بالرّطوبة والاعتدال، وهطول الأمطار شتاءًا يسود الشمال، ثم يأخذ في التّناقص كلّما اتّجهنا جنوبا ليترك المجال للمناخ الصّحراوي المتميز بالجفاف والعواصف الرّملية، ما نتج عنه أنماط حياة متعدّدة حيث وفّرت المناطق السّاحلية مراعي غنية لوفرة كمّية التّساقط، بينما تقلّ في المناطق الدّاخلية والتي تتغيّر بدورها من منطقة إلى أخرى بسبب

تذبذب التّساقط، ممّا أدّى إلى ظهور حركة موسمية دائمة، أمّا في الجنوب الجاف فقد وفَّر مراعي تأقلمت مع ظروفه، وبذلك أثّرت البيئة الطّبيعية وبمختلف عناصرها تأثيرا مباشرا على الإنسان والحيوان.

وبذلك يمكننا الّتمييز بين ثلاث أنماط رئيسية للنّشاط الرّعوي: الرّعي المستقرّ والموسمي والبدوي، ففي حين اعتمد البدو الرّحل على التّنقل المستمرّ بحثا عن الماء والكلأ في المناطق الصّحراوية الجّافة، اتجهت جماعات أخرى نحو الاستقرار في المناطق الأكثر خصوبة وملاءمة للزّراعة، بينما جمعت أخرى بين الرّعي والزّراعة.

إلى جانب ذلك اتّضحَ لنا بأنّ الرّعي لم يكن استجابة للظروف فقط بل كان للبعد الفكري للإنسان المغاربي القديم دور هامٌّ في ذلك، حيث شكّلت رؤيته دافعًا أساسيًا لاعتماد الرّعي كنشاط رئيسي سواء في إطار التّنقل أو الاستقرار باتّباع طرق وأساليب متنوعة، ما يعكس تطورًا في فهم الانسان لبيئته متجاوزا فكرة الحتمية الجغرافية.

2- تدجين الحيوانات بين المحلّي والتّأثير الخارجي:

إنّ المتتبّع لأصناف الحيوانات المدجّنة في بلاد المغرب القديم يلاحظ أنّ التّدجين كان يتأرجح بين النّفي والتّأكيد، وبين المحلّي والتّأثير الأجنبي، وأنّه كان نِتاج جهود انتقائية تهدف إلى تطوير قدرات الحيوانات لاستخدامها في وظائف متعدّدة، وهو ليس حدثًا فوريًا يتحول فيه الحيوان فجأة من الحالة البرّية إلى الحالة المدجّنة بل هو عملية تراكمية على مدى آلاف السنين، وربما كانت هناك محاولات بدائية سابقة، وأنّه كان إحدى المعايير للدّخول إلى العصر الحجري الحديث.

كما اتّضح لنا أنّه رغم المحاولات البحثية العديدة إلاّ أنّها لم تغطِّ المنطقة لا جغرافيًا ولا زمنيًا بشكل كافٍ، والبحث في الموضوع مهمّة صعبة خاصّة في ظلّ الكتابات الأجنبية، وإنْ كانت مهمّة فإنّ النّزعة الاستعمارية لا تغيب عنها، وهذا ما يؤثّر على الحقيقة العلمية إضافة إلى ذلك أنّ البحوث تركّزت على مواقع معينة دون غيرها، ممّا أثار الشّكوك حول مساهمة بلاد المغرب القديم في عمليات الاستئناس والتّدجين المحلّي والرّعي كذلك، وأن ّكلّ ذلك قَدِمَ من الشّرق.

ورغم ذلك يبدو لنا أنّ المنطقة كانت سبّاقة في هذا المجال كما تدلّ على ذلك الرّسومات الصّخرية، حيث تطورت الصّحراء (التي لم تكن على هذه الهيئة بعد، أي أنها كانت ملائمة لحياة الإنسان والحيوان والنّبات خاصّة في العصر الحجري الحديث) بشكل مستقلّ بسبب بيئتها وتحدّياتها الخاصّة، بينما تميزّ شمال منطقة بلاد المغرب بتنوّع بيئي ومناخي أفضل ممّا سهّلَ تربية مجموعة متنوعة من الحيوانات.

وقد ترك الإنسان المغاربي القديم بصمته في هذه الظّاهرة الحضارية ذات الطّابع الاقتصادي والاجتماعي، وهذا ما يعكس تقدّمًا فكريًا وحضاريًا، ولعلّ النّقوش الصّخرية التي تمثّل الرّعي والحياة اليومية للرّعاة في مناطق الأطلس الصّحراوي والتّاسيلي، وكذلك المغارات والملاجئ (كهف كابيليتي) المستخدمة من طرف الرّعاة شبه الرّحل لأكبر دليل يعبّر عن الثّقافة والحضارة المغاربية القديمة الأصيلة.

تميزت بلاد المغرب القديم بتنوع حيواني هائل بدليل انتشار الرّسومات الصّخرية، وكذلك المصادر الكتابية المصرية والإغريقية والرّومانية، ورغم قلّتها إلّا أنّها أثبتت أهمّية تربية الحيوانات، وأكدّ ذلك بوليبيوس (**Polybius**) في القرن II ق.م، موضّحًا وجود أعداد هائلة من الحيوانات شملت الخيول والثّيران والأغنام والماعز لدرجة أنّه لا يمكن العثور على مثل ذلك في بقية العالم، إضافة إلى الخنزير والجمل وحيوانات أخرى كالكلاب والأرانب والطّيور والنّحل وغيرها.

وعليه يمكن اعتبار الرّسوم الصّخرية والحفريات التي قام بها عدد من الباحثين في مواقع مختلفة من الأدلّة المهمّة التي ساعدتنا على إعادة تشكيل صورة النّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم منذ عصور ما قبل التاريخ، كما وثّقت النّقوش اللاتينية وجود قوانين لتنظيم استخدام المراعي، وصوّرت الفسيفساء مشاهد الرّعي بمختلف تفاصيلها، ولعلّ أبرزها فسيفساء أودنة (القرن IIق.م) والتي تمثّل مشهدًا شاملاً للحياة الرّعوية والزّراعية مستوحى من الحياة اليومية.

3- الرّعي في الممالك المحلّية:

كان الرّعي نشاطًا اقتصاديًا أساسيًا في ظلّ الممالك المحلّية، ونأخذ على سبيل المثال نوميديا بقيادة ماسينيسا (203-148ق.م)، وما لاحظناه أنّه لم يكن منظّمًا بالمفهوم القانوني بل اعتمد على التّنظيم القبلي (القبائل والعشائر النّوميدية)، ورغم ذلك فإنّ الملوك النّوميديين حاولوا تحقيق التوازن بين الزّراعة والرّعي، حيث شجّعوا على الاستقرار وممارسة الزّراعة دون إهمال النّشاط الرّعوي، وأشارت المصادر أيضا وبمختلف أنواعها

إلى أنّ الرّعي لم يكن عشوائيا ولا هامشيا فقد كان حجر الزّاوية في اقتصاد بلاد المغرب القديم وأحد المظاهر الرّئيسية للثّروة والسّلطة، ولم يكن مجرّد نشاط اقتصادي فحسب بل كان جزءًا من النّسيج الاجتماعي والسّياسي.

4- تقنين الرّعي خلال الفترة الرومانية:

مع التّواجد الرّوماني في بلاد المغرب القديم اتّضحَ لنا أنّ النّشاط الرّعوي خضع لتنظيم إداري وتشريعات متعدّدة صارمة، ولم يكن نشاطًا حرًا بالكامل، حيث سعت السّلطة الاستعمارية إلى ضبط استخدام الأراضي من خلال قوانين ونقوش رسمية حدّدت حق الرّعي والتّنقّل، وفرضت ضرائب مختلفة، ودليلنا على ذلك ضريبة الرّعي (**Scriptura pecoris**) التي وردت في قانون الأراضي الزراعية (**lex Agraria**) لعام 111 ق.م، كما تمّ تقسيم الأراضي، ومراقبتها من طرف السّلطة الرّومانية.

وإلى جانب البعد الإداري والاقتصادي يظهر لنا البعد الدّيني، حيث ارتبط الرّعي ارتباطا وثيقا بالممارسات الدّينية والطّقوسية مثل كبش بوعلام الأكثر شهرة وتكرارًا في الأطلس الصّحراوي أو كقرابين حيوانية، ودليلنا على ذلك النّصب النّذري في منطقة مكثر (**Mactar**)، كما لعبت الثّروة الحيوانية دورا استراتيجيا في المجال العسكري من خلال تزويده بالماشية، وكانت مصدرا للتّنقّل والقوة العسكرية، وخصّصت بعض الأراضي للجيش كمجالات رعوية لتربية الماشية، بالإضافة إلى استخدامها في الأنشطة التّرفيهية مثل سباقات الخيول، والتي مكّنت بلاد المغرب القديم من الفوز في الألعاب الأولمبية بأثينا (فوز مصطنبعل)، وتبَيَّن لنا أيضا أن أساليب الرّومان كانت استكمالا لِمَا قام به السّكان المحلّيون بدليل ظهور أنماط الرّعي المختلفة قبل مجئ الرّومان، واستمرارها بعد ذلك وحتى اليوم.

إنّ المتتبّعَ للأنشطة المرتبطة بالرّعي يلاحظ ظهور تخصّصات مثل مربّي الماعز (**caprarius**)، وما دلَّ على ذلك نقيشة لمباز (**Lambaesis**)، وأظهرت لنا أيضا بأنّ الرّعي تحولَّ إلى مهنة كبقية المهن الأخرى التي جاء فيها مهنة الرّاعي (**Pastor**).

5- المنشآت المخصّصة لتربية الماشية:

رغم قلّة الأدلّة الأثرية، فمن غير المنطقي أن تتوفّر منطقة على ثروة هائلة من الماشية مثل بلاد المغرب القديم وتفتقر الى منشآت خاصّة بالرّعي، ولذلك نرى بأنّ سبب غيابها قد يعود إلى استخدام مواد قابلة للتّلف أو عدم اكتشافها بعد وبقاياها مدفونة تحت الأرض، وعليه نؤكّد أنّ عدم وجود إشارات أو توثيق أثري أو أدبي لشيء لا يعني بالضّرورة عدم وجوده.

وفيما يتعلّق بالمنشآت المتخصّصة في منتجات الثّروة الحيوانية مثل ورشات دباغة الجلود والصّباغة وصناعة النّسيج، فإننا نستدلّ بورشة تيمقاد التي تعتبر نموذجا لذلك في بلاد المغرب القديم، حيث كشفت الحفريات عن 22 منشأة متخصّصة إلى جانب ذلك تبيّن لنا أنّ الأسواق الرّيفية (**Nundinae**)كانت مركزا للتّبادل التّجاري بين الرّعاة والمزارعين، وتعتبر سوق زراي (**Zarai**) بسطيف أهمّ هذه الأسواق، واتّضح لنا كذلك أنّ للأسواق الرّيفية وظيفة مزدوجة (**اقتصادية وسيطرة**) حيث لعبت السّلطة الرّومانية دور المنّظم لتنقّلات الرّعاة وتثبيت سلطتها.

6- التّحدّيات التي واجهها النّشاط الرّعوي:

من خلال تتبّعِنا لأهمّ الصّعوبات والتّحديات التي واجهت النّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم، تبيّن لنا أنّ أبرزها كانت إشكالية الكلأ والنّقص في المراعي خلال فترات الجفاف والجراد والأوبئة، وكذلك مشكلة سرقة الماشية، فرغم قلّة المصادر الدّالة على ذلك إلاّ أنّ نقيشة هنشير متّيش (تونس) أظهرت لنا أنّ الإدارة الرّومانية فرضت عقوبات على سارق الحيوانات بالإضافة إلى السّياسات المختلفة التي انتهجتها روما وفي مقدّمتها الضرائب المفروضة على الحيوانات ومنتجاتهاّ، كما لا ننسى التّشريعات الزّراعية وسياسة الزَّيتنة التي ساهمت في تفاقم البداوة وإقامة نقاط مراقبة للحدّ من تنقّل الرعّاة من جهة ودحرهم نحو الجنوب من جهة أخرى، وهذا ما شكّل خزّانًا بشريًا للمقاومة ضدّ التّواجد الرّوماني.

وفي الواقع تظلّ دراسة تربية الحيوانات في بلاد المغرب القديم إلى حدّ ما مهمّة معقّدة بالنّظر إلى ندرة وغموض المصادر، وتعتبر عملية تدجين الحيوانات مسألة غير مفهومة نسبيًا، ولا تسمح المعطيات المتفرقة برسم المسارات الرّعوية المحتملة بشكل واضح، ورغم ذلك فقد أظهرت لنا الأدلّة الأثرية والأدبية رغم قلّتها وعدم

وضوحها أهمّية النّشاط الرّعوي الذي مثّل ظاهرة صحّية دلّت على نضج الفكر البشري وتطوّره الحضاري، وقد أظهر إنسان المغرب القديم قدرة واضحة على فهم النّظم البيئية والتكيّف مع تغيّراتها، كما عكست هذه المهنة وعيًا بيئيًّا وتنظيمًا اجتماعيًّا مُهِمًّا ساهم في بناء أسس الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة، ورغم ذلك فإنّ ندرة المصادر خاصّة الأثرية منها جعل دراسة رعي الحيوانات وتربيتها غير مكتملة بعد.

وعليه يمكننا القول أنّ هذه الدّراسة جاءت كمحاولة بحثيّة نُسهِم بها إلى حدٍّ ما في فهم تطور الحياة الرّعوية في بلاد المغرب القديم، والتي تعتبر حلقة من حلقات التّطور الحضاري في منطقة البحر الأبيض المتوسّط، وهو ما يبرز ضرورة الاهتمام بمزيد من الأبحاث التي تدرس تفاصيل هذا النّشاط من زوايا أخرى مثل المسارات والمجالات الرّعوية التي لا تزال غير محدّدة بشكل دقيق خاصّة فيما يتعلّق بفترة ما قبل التّاريخ، حيث تظلّ مجرّد مجالات نقطيّة نتيجة المعطيات المتفرّقة والقليلة، إضافة إلى دور السّكان المحلّيين في تشكيل منظومة اقتصادية متكاملة، كما يفتح البحث المجال لدراسات مقارنة مع مناطق أخرى من العالم القديم لفهمٍ أعمقٍ لدور الرّعي كمفتاح من مفاتيح قراءة تاريخ المنطقة فضلا عن ذلك المساهمة في التّنظير للمستقبل.

الفهارس

فهرس المصادر

والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

أولا – المصادر

I– المصادر باللغة العربية:

1. القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، 1433هـ-2012م.
2. التّوراة، تحقيق وتقديم زكّار محمد، ط1، دار قتيبة، بيروت ،2007.
3. انجيل يوحنا، الإصحاح العاشر.
4. بلين الأكبر، التّاريخ الطبيعي.االكتاب الخامس، ترجمة الدويب محمد مبروك، ط 2، طرابلس– ليبيا، 2019.
5. ساليست، يوغرطة – الملك في مواجهة روما، ترجمة محمد الهادي حارش، موفم للنشر، الجزائر، 2019.
6. كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية ، ترجمة وتحقيق : محمد الطاهر الجراري ، الكتاب الخامس، 1988.
7. هيرودوت، التّاريخ، الكتاب الرّابع، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2003
8. قيصر يوليوس، حرب افريقية 47-46 ق.م، ترجمة محمد الهادي حارش، دار هومة، الجزائر، 2014.

II– المصادر باللغة الأجنبية:

1. CIL, VIII Corpus Inscriptionum Latinarum, inscriptiones Africae Latinae, t VIII, Berlin, 1881.
2. Gsell (S.),inscriptions latines de l'Algerie, vol 1 ,T1, Édition librairie ancienne Honoré Champion, Paris,1922.
3. Gsell (S.),inscriptions latines de l'Algerie, vol 1 ,T2, Édition librairie ancienne Honoré Champion, Paris,1957.
4. Hans-Georg Pflaum, Inscriptions latines de l'Algérie II. 2. Inscriptions de la confédération cirtéenne, de Cuicul et de la tribu des Suburbures. Algiers: Société nationale d'éditions et de diffusions, 1976.
5. Columelle, De l'agriculture , VI, 1, trad. Louis du Bois, Paris, Panckoucke, 1846.

6. Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique II, Trad: l'Abbé Terrasson, http://remacle.org/bloodwolf/historiens/diodore/livre2a.htm
7. Dion Cassius, L'Histoire Romaine, traduit par E. GROS,. t 8, Paris, Firmin Didot, 1865. https://remacle.org/bloodwolf/historiens/Dion/livre75.htm
8. Elien, La personnalité des animaux, traduit et commenté par A. Zucker, les Belles Lettres, 2004.
9. Hérodote, Histoires, traduit par Léon Halévy, Paris, Firmin Didot, 1860. https://remacle.org/bloodwolf/historiens/herodien/livre4.htm
10. Pline l'Ancien, Histoire naturelle, traduit par E. Littre dans la Collection des auteurs latins de M. Nisard, Paris, 1877.
11. Polybe, Histoires, traduit par Félix Bouchot, t 2, Paris, Charpentier, 1847 https://remacle.org/bloodwolf/historiens/polybe/douze1.htm
12. Pomponius Mela, Géographie, livre III, traduit par Louis Baudet, Paris, Panckoucke, 1843. https://remacle.org/bloodwolf/erudits/mela/livre1.htm
13. Strabon, Géographie, traduit par Tardieu Amédée, Paris, Hachette, 1909.
14. Tite live, Histoire romaine, traduit par Eugène Lasserre, Tite-Live, Histoire romaine. T. 6, Paris, Classiques Garnier, 1949.
15. Virgile, Géorgiques, Les Belles Lettres, Paris, 1963. https://remacle.org/bloodwolf/erudits/plineancien/livre13.htm

ثانيا – المراجع

I– الكتب باللغة العربية :

1. أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، ط 1، ليبيا، 1969
2. أم الخير العقون، العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسطى بين المحلّية والتّأثير الخارجي، أعمال الملتقى الوطني الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، 2013.
3. أم الخير العقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية (950ق.م-715.م)، دار القدس العربي، وهران، 2015.

4. البيضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، مطبعة فيديرانت، الرباط، ج1، ط1، 2003.

5. البوزيدي سعيد، دور المجال الغابوي في حفظ التوازنات البيئية والاقتصادية في المغرب القديم، البيئة بالمغرب القديم، معطيات تاريخية وآفاق تنموية: منطقة درعة نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الندوات والناضرات، رقم 9، الرباط، 2005.

6. البوزيدي سعيد، الخصوصيات المناخية للمغرب القديم: مقاربة تاريخية لتناول ظاهرة التقلبات المناخية، ضمن أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته"، تكريم الأستاذ المصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي بن ميس والبضاوية بلكامل، مطبعة دار السلام، الرباط،2007.

7. بورونية الشاذلي ، الطاهر محمد، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، أوربيس للطباعة، قصر سعيد، 1999.

8. تقي الدباغ، الثورة الزراعية الأولى والقرى الأولى، حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، ج 1، بغداد،1985 .

9. جمال مسرحي، المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني-من سيفاقس إلى تاكفاريناس 203ق.م-24م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015.

10. الحسن بودرقا، المجال والتاريخ مساهمة في في تاريخ شمال افريقيا، " كتاب أضواء جديدة على تاريخ شمال افريقيا وحضارته"، ط1، المملكة المغربية، 2007.

11. خديجة قمش، صورة مجال شمال افريقيا من خلال " الجغرافية الأسطورية " القديمة، أضواء حديدة على تاريخ شمال افريقيا القديم وحضارته، تكريم الأستاذ المصطفى مولاي رشيد، تنسيق حليمة غازي- بن ميس، البيضاوية بلكامل، ط1، مكتبة دار السلام، 2007 .

12. خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق، عمان، 1997.

13. رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والإقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1975.

14. رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط4، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2003.

15. ستي صندوق، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2020.

16. شافية شارن، تجارة الجزائر (نوميديا وموريطانيا القيصرية) خلال فترتي الممالك النوميدية والإحتلال الروماني من القرن الثالث قبل الميلاد إلى الثالث ميلادي، ج1، كنوز الحكمة، الجزائر، 2015.

17. عامر سليمان إبراهيم، عبد العزيز الياس سلطان، البيئة الطبيعية وأثرها في الأنشطة الاقتصادية الأولى للإنسان في بلاد الرافدين، مجلة آداب الرافدين، مؤتمر كلية الآداب العلمي الثالث، العدد 44، 2006.

18. عبد الفتاح بدر، عبد العزيز عبد الله قاسم، أسس علم البيئة النّباتية، مركز النشر العلمي، المملكة العربية السعودية، 1441هـ.

19. عبد العباس فضيح الغريري، سعدية عاكول الصالحي، جغرافية الغلاف الحيوي " النّبات والحيوان "، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1998.

20. عبد السلام تشاح، جغرافية النبات، ط1، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1990.

21. عبد المجيد فايد يوسف، جغرافية المناخ والنبات، دار النهضة، 1971.

22. عياد مصطفى محمد اعبيليكة، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي منذ زمن الامبراطور قسطنطين حتى قبيل الفتح العربي الإسلامي (642-306م)، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، ليبيا، 2011.

23. على أحمد هارون، جغرافية الزراعة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.

24. فنطر محمد حسين، حنبعل بطل قرطاج والمتوسّط، المغاربية، تونس، 2018.

25. كمال شاعو، دور نقوش ورسومات الطاسيلي في التعريف بعصور ما قبل التاريخ، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة – الجزائر يومي 23-24 ديسمبر 2011، إشراف رحماني بلقاسم، كنوز الحكمة، 2012.

26. محمد البشير شنيتي، التّغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

27. محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146ق.م-46م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

28. محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية " تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال"، كنوز الحكمة، ط1، الجزائر، 2012.

29. محمد البشير شنيتي، دراسات في التاريخ والآثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، كنوز الحكمة، الجزائر، 2018.

30. محمد البشير شنيتي، روما الإمبراطورية وبلاد المغرب (سجال عسكري وتفاعل حضاري)، موفم للنشر، الجزائر، 2019.

31. محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة المقاطعات الافريقية " بين 146ق.م و285م"، دار الهدى، الجزائر، 2015.

32. محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا – دراسة حضارية – منذ اواحر الفرن التاسع الى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة، الجزائر، 2013.

33. محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014.

34. محمد الهادي حارش، التطور السياسي والإقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46ق.م، دار هومة ، 2014.

35. مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، ترجمة وتعليق وشرح مصطفى أعشي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009.

36. ميرسيا إياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، ط1، دار دمشق، دمشق، 1986.

II- المراجع المترجمة:

1. اكن مابوكونجي، الجغرافيا التاريخية: الجوانب الاقتصادية، تاريخ افريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ماقبل التاريخ في افريقيا، جين أفريك، اليونسكو، 1980.

2. إبراهيمي.ك، تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة شنيتي محمد البشير، وبورويبة، ر، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

3. بيكار جيلبار شارل، حضارة شمال افريقيا (تريبوليتانيا- البروقنصلية- نوميديا- موريتانيا) خلال الفترة الرومانية، ترجمة العربي عقون، ط1، دار المثقف، الجزائر، 2020.
4. توينبي أرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ج1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1988.
5. دايارا. د.، الجغرافيا التاريخية: المظاهر الطبيعية، تاريخ افريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في افريقيا، جين أفريك، اليونسكو، 1980.
6. رالف لنتون، شجرة الحضارة "قصة الإنسان منذ فجر ماقبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث"، ترجمة أحمد فخري، ج 1، القاهرة، 2010.
7. ستيفان قزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، ج1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.
8. ستيفان قزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، ج2، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربة، الرباط، 2007.
9. ستيفان قزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي مسعود، ج4، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.
10. ستيفان قزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة التازي محمد سعود، ج 6، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007
11. ستيفان قزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، ج7، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.
12. سيريل ألدريد، الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ إلى حتى نهاية الدّولة القديمة، ترجمة مختار السّويفي، الدار المصرية اللبنانية، 1996 :
13. عزيز طارق ساحد، التظاهرات الأولى للعصر الحجري الحديث في الجزائر – معطيات واشكاليات – المدينة والريف في الجزائر القديمة ، أعمال الملتقى الوطني الأول المنعقد يومي (6- 7) نوفمبر 2013، جامعة معسكر، 2013.
14. فابريزيوموري، تادرارت أكاكوس – الفنّ الصّخري وثقافات الصّحراء ما قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني، فؤاد الكعبازي، دار الكتب، ليبيا، 1988.

15. فاغان براين، الصيف الطويل، دور المناخ في تغيير الحضارة، ترجمة مصطفى فهمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، عدد 340، الكويت، 2007.
16. قابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، المغرب، 2014.
17. لوت هنري، لوحات التاسيلي " قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ "، ترجمة أنيس زكي حسن، ط1، مكتبة الفرجاني، ليبيا، 1967.
18. وليم هـ.بيك، فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفي، هيئة الآثار المصرية، 1987.

III– المراجع باللغة الأجنبية:

1. Aounallah (S.), Un Monumet, Un Musée BARDO, Institut Nationel du Patrimoine,Tunis, 2016.
2. Aumassip (G.), L'Algérie des premiers hommes, Ibis, Paris, 2001.
3. ——————, et al, L'elevage au sahara, Milieux, hommes et techniques du sahara préhistoire: Problèmes actuels, Paris, 1988.
4. Ben Osman (O.), et al., Mosaïque De Tunisie, Cérès Productions,Tunis, 1976.
5. Camps (G.), La civilisation préhistorique de l'Afrique du Nord et du Sahara, Paris, 1974.
6. Decret (F.), Fantar (M.), l'Afrique du nord dans l'antiquité, Payot, Paris, 1981.
7. Desanges (J.), Catalogue des tribus africaines, Dakar, 1962.
8. Despois (J.), Le Hodna (Algerie), DEPOT LEGAL, Paris, 1953.
9. ——————, La Tunisie, Librairie Armand Colin, Paris, 1961.
10. ——————, L'Afrique blanche, T I, l'Afrique du Nord, Paris 1964.
11. Gautier (A.), Domestication et l'homme crea l'animal, Errance, Paris, 1990.
12. Esperandieu (G.), Les premiers pasteurs africains Leurs troupeaux , conferences du service de l'elevage , 1955.
13. Hachid (M.), Les premiers berbères entre méditerranée, Tassili et Nil, INA-Yas-, Alger, 2001.
14. ————, Les Premiers Berbéres Entre Méditerranée – Tassili – et Nil, Paris, Edition Edisud,2000.
15. Hadjouis (D.), Atlas des mammifères quaternaires et actuels d'Algérie, CNRPAH, N° 20, ministère de la culture, Alger, 2013.

16. Helmer (D.), La domestication des animaux par les hommes prehistoire, masson, paris, 1992.
17. Slim (H.), Mahjoubi (A.), Belkhoja (K.) Ennabli (A.), Histoire générale de la Tunisie : l'Antiquité, T1, Tunis, 2003.
18. Lhote (H.), Les Gravures Rupestres de L'Oued Djerat, Tome II, Alger, 1976.
19. ————, Les Gravures rupestres de l'Atlas saharien, monts des ould naïl et région de Djelfa, Alger, 1984.
20. Lassère (J-M.), Africa, quasi Roma (256 av. J.-C. -711 ap. J.-C.), Aix-en-Provence, France, 2015.
21. Le Bohec (Y.), La Troisième légion d'Auguste, CNRS, Paris, 1989.
22. Leglay (M.), Saturne Africain, Monuments, I, Paris, 1961.
23. ————, Saturne Africain, Monuments, II, Paris, 1961
24. ————, Saturne africain. Histoire, Paris, 1966.
25. Müller (L.), Numismatique de l'ancienne Afrique, Les Monnaies de la numidie et de la Mamétaine, vol III, 1862.
26. Precheur-Canonge Thérèse, la vie rurale en Afrique romaine d'Après les Mosaïques, presses universitaires de France, Paris,1962.
27. Roubet (C.), Économie pastorale pré-agricole en Algérie orientale: Le Néolithique de tradition capsienne, exemple de l'Aurès, paris, CNRS, 1979.
28. Stefano Biagetti, Ethnoarchaeology of the Kel Tadrart Tuareg, Pastoralism and Resilience in Central Sahara, Springer, Spain, 2014.
29. Talbert Richard (J- A.), Barrington Atlas of the Greek and Roman World, Princeton, 2000.
30. Tissot (Ch.), Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, Paris, 1884.
31. Veyret (P.), Géographie de l'élevage, Géographie Humaine, Nrf, 1951.
32. Yacoub Mohamed, Splendeur des mosaïques, Tunis, 1995.
33. Zeïneb Benzina Ben Abdallah. Catalogue des inscriptions latines païennes du musée du Bardo. Préface de Azedine Beschaouch, École Française de Rome, 1986.

ثالثا ـ المجلات والدوريات:

I- باللغة العربية:

1. أم الخير العقون، المصادر الدّينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، مجلة عصور، مجلد1، عدد 3، جامعة وهران، 2003، ص ص159-166.
2. أم الخير العقون، صور من حياة المجتع اللّيبي القديم من خلال الآثار المصرية، مجلة العلوم العلوم الإنسانية، المجلد 1، العدد 2، 2012، ص ص 15- 45.
3. أم الخير العقون، الموقع الإستراتيجي ل"منطقة الحضنة" في التاريخ القديم، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 1، العدد 1، 2012، ص ص 173-197.
4. أم الخير العقون، من مصادر تاريخ المغرب القديم " الرّسوم الصخّرية والأثار المصرية"، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، وهران، 2016، ص ص 91-118.
5. البوزيدي سعيد، المجال الفلاحي بالمغرب القديم : الآليات القانونية وضبط الاستغلاليات، مجلة جامعة ابن طفيل، العدد 5، كلية الاداب، القنيطرة، 2005، ص ص 103-130.
6. الربيع عولمي، التجهيزات العسكرية للفرق المساعدة النوميدية والموريطانية في الجيش الروماني، مجلة الحوار الفكري، المجلد 11، العدد 11، ص ص 23-52.
7. جهيدة مهنتل، الأسواق الأسبوعية في المغرب القديم نموذج للحياة الريفية في الفترة القديمة، مجلة دفاتر التاريخ والحضارة، العدد الأول، 2018، ص ص 96- 114.
8. جوهرة أوبراهم، نماذج من الحياة اليومية للشعوب النيولتية من خلال الفن الصخري الصحراوي، مجلة المفكر، المجلد 2، العدد 2، جامعة الجزائر 2، 2018، ص ص 30-42.
9. حسّان عوض، الذبذبات المناخية في المغرب خلال الزمن الرابع الجيولوجي، مجلة جغرافية المغرب، العدد (4 و 5)، الرباط، 1965، ص ص 3-26.
10. حسّان عوض، الجبال المغربية مقدّمة في ملامحها الجغرافية، مجلة البحث العلمي، العدد 17، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط-المملكة المغربية، 1971م، ص ص 3-32.
11. رضا بن علال، دراسة تحليلية حول أصول ودور العربات القتالية في بلاد المغرب القديم، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 4، العدد 4، 2016، ص ص 21-45.

12. ستي صندوق، منطقة تيارت في ما قبل التاريخ، موقع سيدي الحسني (كلومناطة) أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، العدد 2، 2022، ص ص 70-87.

13. ستي صندوق، الخيل وسباق العربات في شمال افريقيا القديم، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 2، جامعة وهران1، 2022، ص ص 89-110.

14. سليم سعيدي، الحصان النوميدي من خلال المصادر المادية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد 6، العدد 3، 2018، ص ص 68-82.

15. سلوى بوشارب، ممارسة حرفتي الرعي وتربية الماشية في نوميديا من خلال نصوص النقيشات اللاتينية، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد1، الجزائر، 2021، 299-310.

16. سمير آيت اومغار، ملاحظات حول مناخ المغرب القديم، مجلة اسطور، المجلد2، العدد 3، الرباط،2016، ص ص 52-66.

17. سمير آيت أومغار، مناخ شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية، مقاربات جديدة، مجلة هسبريد، تامودة، العدد الأول، الرباط، 2017، ص ص 49-81 .

18. سمير آيت أومغار، الماء والإستقرار في شمال افريقيا خلال الحقبة القديمة، مجلة اسطور، المجلد 6، العدد 11، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020، ص ص 101-128.

19. عبد الحميد بعيطيش، علاقة انسان الطاسيلي بالوسط الطبيعي في العصر النيوليتي – دراسة من خلال مشاهد الرسومات الصخرية-مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 3، العدد 4، المسيلة، 2013، ص ص 119-132.

20. لخضر بن بوزيد، التّحولات المناخية في الصّحراء الوسطى خلال العشرة الآف سنة الأخيرة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلّد 2، العدد 5، 2016، ص ص 269-297.

21. لخضر بن بوزيد، الجمل في ما قبل التاريخ الشمال الافريقي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد2، العدد 2، 2013، ص ص 79-99.

22. ليندة ماجي، أم الخير العقون، الماعز في بلاد المغرب القديم بين الشواهد الأثرية والمصادر الأدبية، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، 2020، ص ص 21-43.

23. مصطفى أعشي، إسهام النّقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التّعريف ببداية استئناس الحيوانات، مجلة المناهل، مارس، 1988،ص ص 45-28.

24. مصطفى توريرت، الأسواق الريفية Nundinae، في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 8، العدد 2، 2022، ص ص 630 – 659.

25. نجمة سراج رميلي، حمزة محمد الشريف، زراعة الكروم وتصنيع الخمر من خلال فسيفساء موريطانيا القيصرية ، مجلة الدراسات الاثرية ، المجلد10، العدد 1، 2012، ص ص 15-26.

II– باللغة الأجنبية:

1. Ait amara, Ouiza, Le cheval en Numidie: bilan des connaissances , AQVILA LEGIONIS ? Cuadernos de Estudios sobre el Ejército Romano, Signifer Libros, Espagne , 2014-2015, pp 23-44
2. ———————, Massinissa et la sédentarisation du peuple numide, Vie et genres de vie au Maghreb : Antiquité et Moyen Âge, Actes du quatrième colloque international du Laboratoire de Recherche : Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval, Sousse, 04, 05 et 06 mai 2017, pp 23 – 42.
3. ———————, Le cavalier numide à travers les sources classiques et iconographiques, el norte de áfrica en época romana, tributum in memoriam enrique gozalbes cravioto, Signifer Libros, Madrid – Salamanca 2020, pp 113- 141.
4. ———————, Le cheval et le cavalier numides: la statuette de Canosa, L'animal: une source d'inspiration dans les arts,: Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques, Paris , 2018, pp 1-16.
5. ———————, Le cheval en Numidie: bilan des connaissances , AQVILA LEGIONIS ? Cuadernos de Estudios sobre el Ejército Romano, SIGNIFER Libros, Espagne , 2014-2015, pp 23-44.
6. Allard-Huard Léone, Peintures rupestres du Tadrart méridional. In: Bulletin de la Société préhistorique française, Tome 84, N°9, 1987 , pp282-288.
7. Amara (I.), Colette (R.), Le Tell constantinois, cadre des représentations pariétales du pastoralisme durant l'Holocène (Algérie orientale), AOURAS, 8, Paris, 2014, pp 45-83.
8. Andrew B Smith,The Pastoral Landscape in Saharan Prehistory,Tides Of The Desert, Dezeiten Der Wüste: Contributions To The Archaeology And Environmental History Of Africa In Honour Of Rudolph Kuper Africa praehistorica, vol 14, Köln, 2002, 447–458

9. Angela Close, Sinai, Sahara, Sahel: The Introduction Of Domestic Caprines To Africa,. In Tides of the Desert / Dezeiten Der Wüste. Contributions To The Archaeology And Environmental History Of Africa In Honour Of Rudolph Kuper, edited by Jennerstrasse 8, 2002, pp 459-470.
10. Aouadi Nabiha -Abdeljaouad, Les chevaux fossiles nord-africains nouvelle analyse, nouvelle phylogénie, africa XX, institut national du patrimoine, Tunis, 2004.
11. Aouadi Nabiha, Dridi (Y.), Néolithisation et néolithique de Tunisie : Les sites et leur faune domestique, Encyclopédie berbère, 34, 2012, pp 5481-5488.
12. Aouadi Nabiha, et al., et al., Holocene environment and subsistence patterns from Capsian and Neolithic sites in Tunisia,Quaternary International xxx , 2013, pp 1-12.
13. axel et anne-michelle van albada, Chasseurs et pasteurs du Messak Settafet (Fezzan-Libye), Prehistoire et Anthropologie Méditerranéennes, 4, 1992, pp 99-104.
14. Bagtache (B.), Hadjonis (D.), Eisenmann (V.), Présence d'un Equus caballin (E. Algericus N. Sp.) et d'une autre espèce nouvelle d'Equus (E. melkiensis N. Sp.) dans l'atérien des Allobroges, C. R. Acad. S.C. Paris, t. 298, série II, N°14, 1984, pp 609-612.
15. Ballais (J-L.), Les grandes phases de modification de l'environnement dans les Aurès (Algérie) au cours de la période historique, Bulletin de l'Association de géographes français, N° 499, Paris, 1984, 73-76.
16. Ballouche (A.) et al., Holocene environments of coastal and continental Morocco, in Quaternaty Climate in western Mediterranean, López-Vera, F., Madrid: Universidad Autónoma de Madrid, 1986, pp 517-531.
17. Ballouche (A.), Ouchaou (B.), Aux origines de l'agriculture et de l'élevage en Afrique du Nord méditerranéenne. Exemple du Maroc septentrional. Première Rencontre pour l'Etude du Quaternaire Tunisien Tunis, 12-14 avril 2012.
18. Barich (B.), (Uan) Muhuggiag (Tadrart Acacus, Libye) (Préhistoire), Encyclopédie berbère, 32, 2010, pp 5101-5104.
19. Basset (R.), Le nom du chameau chez les berbères, in Actes du XIVe Congrès International des Orientalistes, Alger, 1905, 2é partie , Paris, 1907, pp.69-82.

20. Bernard (A.), Ficheur (É.), Les régions naturelles de l'Algérie, dans Annales de Géographie, T 11, N° 60, 1902 , pp 419-437.
21. Bernard (A.), Lacroix Nicole. L'évolution du nomadisme en Algérie. Dans Annales de Géographie, T 15, N° 80, 1906.
22. Belhouchet Lotfi, Plaquettes gravées, Encyclopédie berbère, 38, 2015, pp 6270-6274.
23. Brémaud (O.), Nomadisme et transhumance en Afrique subsaharienne : les mouvements pastoraux dans les parcours extrême-orientaux du Soudan, Revue D'élevage Et De Médecine Vétérinaire Des Pays Tropicaux, Vol 8 ,N 4 , France, 1955, pp 327-355.
24. Bökönyi (S.), La domestication des animaux depuis les débuts de la production de nourriture jusqu'à il y a environ 5000 ans : une vision globale, Histoire de l'humanité, de la préhistoire aux début de la civilisations,vol 1,UNESCO,2000. Pp 943-963.
25. Bökönyi (S.), Problems with using osteological materials of wild animals for comparisons in archaeozoology, Anthropologiai Közlemények, N° 37, 1995
26. Bouchel (D.), Lauvergne (J-J.), Le peuplement de l'Afrique par la chèvre domestique. Revue d'Elevage et de Médecine Vétérinaire des Pays Tropicaux, 49 (1), 196, pp 80-90.
27. Brémaud (O.), Nomadisme et transhumance en Afrique subsaharienne : les mouvements pastoraux dans les parcours extrême-orientaux du Soudan, Revue D'élevage Et De Médecine Vétérinaire Des Pays Tropicaux, Vol. 8 ,N 4 , 1955, France
28. Camps (G.), Morel (J.), G. Hanoteau, Alimentation, Encyclopédie berbère, 4 , 1986, p.472-483.
29. ——————, Quelques reflexions sur la représentation des Equidés dans l'art rupestre nord-africain et Saharien, L.A.P.E.M.O., 1983
30. ——————, Cheval, Encyclopédie berbère, 12 , 1993
31. ——————, Les chars sahariens, Images d'une société aristocratique, Antiquités africaines, 25,1989, pp. 11-40
32. ——————, Le Bélier à sphéroïde, Encyclopédie berbère, in Aix-en-Provence, Edisud, 9, 1991, pp.1417-1433.
33. Camps (G.), Peyron (M.), Chaker (S.), Dromadaire, Encyclopédie berbère, 17, 1996, pp 2541-2554.
34. ——————, Elevage du mouton et premières navigations en Méditerranée occidentale, Empuries, n° 48-50, 1986-1989, pp 164-175.

35.————————, Origines de la domestication en Afrique du Nord et au Sahara. Le sol, la parole et l'écrit, Mélanges en hommage à Raymond Mauny, Tome II, 2000 ans d'histoire africaine, Société française d'histoire d'outre-mer, Paris, 1981, pp 548-549.
36.————————, Chars, Encyclopédie berbère, 12, 1993, pp 1877-1892.
37. Camps (G.), Peyron (M.), Chaker (S.), Dromadaire, Encyclopédie berbère, 17, 1996, pp 2541-2554.
38. Camps-fabrer (H.), Damous el-Ahmar, Encyclopédie berbère, 14, 1994,
39. Chaker (S.), Linguistique et préhistoire, Autour de quelques noms d'animaux domestiques en berbère, Manuel de linguistique berbère - II Syntaxe et diachronie, ENAG, Alger, 1996.
40. Chaid Saoudi Yasmina, Contribution à la connaissance des faunes préhistoriques d'Algérie, Ikosim1, 2012, pp 7-23.
41. Chaid-Saoudi (Y.), Abdelouahab (w.), Les équidés de la grotte des Hyènes (Nord-Est algérien, collection Debruge) Jugales et métapodes des morphes 1 et 2 et leurs affinités taxonomiques. Journal PECAN, N°1 , 2022, pp 76-98.
42. Chaix (L.), Bœufs à cornes déformées et béliers à sphéroïde : de l'art rupestre à l'archéozoologie, Hic sunt leones. Mélanges sahariens en l'honneur d'Alfred Muzzolini, Cahiers de l'AARS - N° 10 - Août ,2006, pp 49-54.
43. Chaouali (N.), Les Nundinae dans les grands domaines en Afrique du Nord à l'époque romaine, Ant. Afr, T 38-39, 2002-2003, pp. 375-386.
44. Chevallier (R.), Réflexions sur le sel dans l'histoire romaine: un produit de première nécessité insaisissable, in Alimenta, Gerión, N 3, Espagne, 1991, pp 53-60.
45. Corbier Mireille, Interrogations actuelles sur la transhumance , Mélanges de l'École française de Rome - Antiquité, 2-128, 2016, pp 269-286.
46. Corbier Mireille, La transhumance dans les pays de la Méditerranée antique, Transhumance et Estivage en Occident : des origines aux enjeux actuels, Actes des XXVI, les Journées Internationales d'Histoire de l'Abbaye de Flaran 9, 10, 11 Septembre 2004, Mirail, 2006, , pp 67-81.
47. Cornevin (M.), les Néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique , Bulletin de la Société préhistorique française, Volume 79, 1982, pp. 439-450.
48. Cornevin (C.), Traite de zootechnie generale, Librairie J .- B, Baillière et Fils, Paris, 1991.

49. Cruz-Folch (I.), et al., From western cowboys to eastern shepherds: Funerary practices and animal husbandry in Mauretania and Numidia from the first millennium BC to circa 500AD. Quaternary International, 471, 2017, 175-189.
50. Daugas Jean-Pierre, El Idrissi Abdelaziz, Neolítico Antiguo de Marruecos en su contexto regional, in: Las ocupaciones humanas de la cueva de Caf taht el Ghar (Tetuán), Ramos (J.), et al, Collection des Monographies du Musée Archéologique de Tétouan, I, 2008, pp 63-91.
51. de Faucamberge (É.), Rupestre (art) dans le Djebel Akhdar, Encyclopédie Berbère, volume 61,2017.
52. ——————, The Neolithic of Cyrenaica (North-east Libya): new enlightenments from recent research, Quaternary International , 410, 2016, pp 144-159.
53. Demougeot Émilienne, Le chameau et l'Afrique du Nord romaine. In Annales. Economies, sociétés, civilisations, 15e année, N°2, 1960, pp 209-247.
54. Despois (J.), La bordure saharienne de l'Algérie orientale, Rev. Afr, Vol.86, 1942, pp 197-219.
55. Djohy (G-L.), et al., Productivité des pâturages naturels et pratiques de mobilité pastorale dans un contexte de changements climatiques en Afrique de l'Ouest, Revue Marocaine des Sciences Agronomiques et Vétérinaires , 10(1), Bénin, Mars 2022, pp 92-105.
56. Douglas Price (T.), Ofer Bar-Yosef, The Origins of Agriculture: New Data, New Ideas An Introduction to Supplement 4, Current Anthropology, Volume 52, 2011, pp 163-174.
57. Dupuy Christian, Des céréales et du lait au Sahara et au Sahel, de l'épipaléolithique à l'âge des métaux, Afriques, 05, 2014, pp 1-36.
58. Dupuy Christian, Chars sahariens préhistoriques et araires africains actuels I. L'alimentation des animaux de trait. Les,. Cahiers de l'AARS — n° 19 (2016-2017), pp. 29-44.
59. E.B, (J-N.) Ferrié, Cochon, Encyclopédie berbère, 13, 1994, pp 2028-2031.
60. El Bouzidi Saïd, Le pastoralisme à la fin de la République romaine : hommes, espaces et formes d'activité. In: Histoire, espaces et marges de l'Antiquité : hommages à Monique Clavel-Lévêque, Tome 3. Besançon : Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité, 2004, pp 146-180.
61. Emmanuel Le Roy Ladurie, Histoire et Climat, Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 14, N°1, 1959, pp 3-34.

62. Ennaïfer (M.), Le thème des chevaux vainqueurs à travers la série des mosaïques africaines, MEFRA, 95, 2, 1983, pp 817-858.
63. Esperandieu (G.), Chien Préhistoire et Antiquité, Encyclopédie Berbère, 13, 1994, pp 1919-1924.
64. Espérandieu (G.), Chaker (S.), Chèvre, Encyclopédie berbère, 13, Chèvre – Columnatien, Aix-en Provence, Edisud, 1994, pp 1913-1918.
65. Esperandieu (G.), de l'art animalier dans l'Afrique antique, Conférence-visites du musée Stéphane Gsell,1955-1956, Alger, 1957, pp 6-19.
66. Esperandieu (G.), Domestication et élevage dans le Nord de l'Afrique au Néolithique et dans la protohistoire d'après les figuration rupestres, dans Actes du congrès Panafricain de Préhistoire, IV session, Alger, 1952, pp 551-573.
67. ——————, Les animaux domestiques du Nord de l'Afrique d'après les figurations rupestres, au cours des périodes préhistoriques et protohistoriques, Bulletin de la societe veterinaire de zootechnie d'algerie, N° 2, 1954, pp 23-68.
68. Fareh Hédi, Maux et fléaux en Byzacène (146 av. J.-C. /698 ap. J.-C.), In Abdellatif Mrabet (éd.). Byzacium, Byzacène, Muzaq :Occupation du sol, peuplemenet modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval. Actes du 6e colloque international du laboratoire de recherche LR13ES11, 13, 14 et 15 Juin 2019), Sousse, 2012, pp 397-423.
69. Février (P-A.), Camps (G.),Abizar, Encyclopédie berbère, 1, 1984, pp 79-86.
70. Fevrier Paul-Albert, L'art funéraire et les images des chefs indigènes dans la Kabylie antique, École Française de Rome, 1996. pp. 771-788.
71. François Déroche et Michel Zink éd., L'alimentation de l'Afrique du Nord De la préhistoire au Moyen Âge VIIe Journée d'études nord-africaines, Actes du colloque international organisé par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres et la Société d'Étude du Maghreb préhistorique, antique et médiéval (SEMPAM) , Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Paris, 2016, pp 51- 72.
72. François Porte, Frumentum commeatusque : l'alimentation des légions romaines en campagne au Ier siècle avant J.-C., Revue des études anciennes, 2017, 119 (2), pp 551-583.
73. Frizon de Lamotte (D.), et al., The two main steps of the Atlas building and geodynamics of the Western Mediterranean. Tectonics, Volume 19, N° 4, France, 2000, pp 740-761.

74. Gauthier (CH.), les mats dans l'art rupestre du Messak (Fezzan), AARS - ACTES 1995 / 1996, pp 31-37.
75. Gast (M.), Cuirs et peaux, Encyclopédie berbère, 14, 1994, p 2144-2153.
76. Gifford-Gonzalez (D.), Pastoralism and its consequences. In African Archaeology, ed. A. B. Stahl, Oxford: Blackwell Publishing., 2005 , pp187-224.
77. Gsell (S.), Le climat de l'Afrique du nord dans l'antiquité, Rev. Afr, Vol 55, 1911, pp 343-410.
78. Granet (J.), La loi agraire de 111 et l'élevage, In: Pallas, Les religions antiques, Un inédit d'archéologie régionale, La seconde mort des Gracques, 35,1989, pp. 141-154
79. Guintard (C.), Mangin (J-P.), Lignereux (Y.), Origine et diversité des Bovinés – Domestications et représentations : l'exemple de la philatélie, 2009, pp 1-31.
80. Hachid (M.), La domestication des ovins, des caprins et des bœufs domestiques au Maghreb, INORA, N° 73, 2015, pp 18-31.
81. Halim (S.), et al., The Camel in Coptic Art an Artistic and Archaeological Study, International Journal of Heritage, Tourism, and Hospitality, Volume 14, 2020, pp 283-299.
82. Hédi Fareh, Maux et fléaux en Byzacène (146 av. J.-C./698 ap. J.-C.), pp 397-423.
83. Iddir Amara , Salim Drici ,Des bergers et des artisans au Maghreb (Atlas saharien et hauts plateaux) durant l'holocène : transhumance, nomadisme et échange, Revue des études archéologiques, 2012, pp 59- 80
84. Iddir Amara et Roubet Colette, Le Tell constantinois, cadre des représentations pariétales du pastoralisme durant l'Holocène (Algérie orientale), AOURAS, 8, Paris , 2014, pp 45- 84
85. Jaâfar Ben Nasr, Kevin Walsh, Environment and Rock Art in the Jebel Ousselat, Atlas Mountains, Tunisia, Journal of Mediterranean Archaeology, 33, 1, 2020, pp 3-28.
86. Jaouadi (S.), et al., Environmental changes, climate and anthropogenic impact in south-east Tunisia during the last 8 kyr. Climate of The Past, 12, 2016 1339-1359.
87. Jaillette (P.), Brigands et voleurs de bétail dans les compagnes de l'Antiquité tardive : le témoignage du Code Théodosien, Histoire et Sociétés Rurales, N° 14, 2 semestre 2000, pp 169 -199.

88. Jaques (F.), L'origine de Villa magna variana id est mappalia siga (Henchir Mettich): une hypothèse, Ant. Afr, 29, 1993, pp 63-69.
89. Jean-Loïc Le Quellec, Première exaltations du mouton , In book: n Le mouton, sa vie, ses œuvres. Exposition du 20 juin au 28 novembre 1999 au Musée départemental de l'Abbaye de Saint-Riquier, 1999, pp 8-10.
90. ——————————, L'adaptation aux variations climatiques survenues au Sahara central durant Holocène, In book: Le Sahara et l'Homme: un savoir pour un savoir-faire. Actes du colloque organisé à Douz du 27 au 29 décembre 2003 , Université de Tunis, 2006, pp.109- 129.
91. Jean-Loïc Le Quellec, Traite et insufflation sur les images rupestres du Sahara contredisent l'hypothèse de la consommation du lait comme révolution secondaire en Afrique, Cahiers de l'AARS, N° 14, 2010, pp 205-246.
92. ——————————, La boisson invisible. Le lait sur les images rupestres du Sahara, Cahiers de l'OCHA, Paris, 2010, pp 39-63.
93. Jérôme France, Normes douanières et réglementation des échanges. Trois questions simples sur le tarif de Zaraï (Numidie), Antiquités africaines , 2014, 50, pp 93-110.
94. Kehoe (D.), Private and Imperial Management of Roman Estates in North Africa. Law and History Review, 2, 1984, pp 241 – 263.
95. Kherbouche (F.), et al., Middle Holocene hunting and herding at Gueldaman Cave, Algeria: An integrated study of the vertebrate fauna and pottery lipid residues, Quaternary International , Volume 410, 2016, pp 50-60.
96. Landais (E.), Système d'élevage : d'une intuition holiste à une méthode de recherche, le cheminement d'un concept, Colloque Dynamique des Systèmes Agraires : A la Croisée des Parcours, ORSTOM, Paris, 1994, pp 15-49.
97. Laporte (J-P.), Fermes, huileries et pressoirs de Grande Kabylie, II^{e} Colloque International sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord (Grenoble, 5-9 avril 1983), Bulletin archéologique du C.T.H.S, 19B, Paris, 1985), pp 127-146,
98. Laporte (J-P.), Lavagne (H.), Sousse: la domus de Sorothus et ses mosaïques, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,150^{e} année, N° 2, 2006. pp.1358-1360.
99. Laporte (J-P.)," siga et L'ile de Rachgoun" in: Aomar Akerraz et al(eds),L'Afrique romana :Mobiliti delle persone e dei popoli,dinamiche migratorie, emigrazioni nelle province occidentali dell I'mpero romano, Atti del XVI convegno di studio Rabat, 2004, Roma, 2006, pp. 2531-2598.

100. Larson et al., Ancient DNA, pig domestication, and the spread of the Neolithic into Europe, 104 / 39 , PNAS, Cambridge, 2007, pp 15276–15281.
101. Lassere (J-M.), Mappalia, Encyclopédie berbère, 30, 2010, pp 4568-4573.
102. Lee (A-D.), Decoding Late Roman Law, Journal of Roman Studies, volume 92, 2002, p 185-193.
103. Leveau (Ph.), L'environnement de l'Afrique dans l'Antiquité. Climat et société, un état de la question, IKOSIM, N° 5, 2016. Pp 57-75.
104. Lhoste (P.), Le diagnostic sur le système d'élevage, Les Cahiers de la Recherche-Developpement, N° 3-4, 1984, pp 84-88.
105. Lehachemi (M-T.), et al., Le peuplement de la région des Ouled Naïl (Bou Saâda, Djelfa et Laghouat, Algérie) durant l'Holocène : sites d'habitats et art rupestre, Bulletin d'Archéologie Marocaine, 26, 2021, pp 201-226.
106. Lhot (H.), Le gisement néolithique de l'Oued Chet Iler Tanezrouft N-Ahenet , Journal de la Société des Africanistes , tome 11, 1941, pp 125-140.
107. ————, Chars rupestres du Sahara, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 107e année, N° 2, 1963, pp. 225-238.
108. Lhote (H.), Camps (G.) , Souville (G.) , Art rupestre , Encyclopédie berbère, 6, 1989, pp 918-939.
109. Lhote (H.), Les peintures pariétales d'époque bovidienne du Tassili. Éléments sur la magie et la religion, In: Journal de la Société des Africanistes, Tome 36, fascicule 1, 1966, pp 7-28.
110. Linstädter (J.), Le site néolithique de l'abri d'Hassi Ouenzga (Rif Oriental, Maroc), Beiträge zur allgemeinen und vergleichenden Archäologie, Unversität zu Köln, 2003, pp 85-138.
111. ————————, Recherches recentes sur les sites en grotte du Neolithique ancient dans l'est marocain, Mémoires de la Société Préhistorique Française, Paris, volume LI, 2010, pp 227-235.
112. Madihi (M.), et al., Vegetation Dynamics of North African Steppe (Case Study of the Moulouya Plateau In Morocco). Ekológia (Bratislava), 42, 2023, pp 354–361.
113. Manen (C.), Dynamiques spatio-temporelles et culturelles de la néolithisation ouest-méditerranéenne, La transition néolithique en Méditerranée, Où comment des chasseurs devinrent collecteurs: actes du colloque international, Toulouse, avril 2011, AEP, 2014, pp 405-418.

114. Marcel Larnaude, La géographie du Sahara et l'institut de recherches sahariennes. In: Annales de Géographie, T 55, N° 300, 1946, pp 294-299.
115. Marion (J.), Inscriptions sur objets métalliques en Maurétanie Tingitane, Ant. Afr., 10, 1976, pp 93-105.
116. Mercuri (A.), et al., Mediterranean and north-African cultural adaptations to mid-Holocene environmental and climatic changes. The Holocene, Sage, 21 (1), 2011, pp 189-206.
117. Meriem Sebaï , John Scheid, Sacrifices en images : nourrir les dieux en Afrique romaine, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Année 2014 158-2 pp. 665-666
118. Mohamed Aït Hamza, Nomadisme et semi-nomadisme au Maroc, Encyclopédie berbère, 34, 2012, pp 5602-5609.
119. Morère (N.), Le sel. Alimentation, cuisine et table en Afrique et en Méditerranée anciennes, L'alimentation de l'Afrique du Nord De la préhistoire au Moyen Âge. VIIe Journée d'études nord-africaines, Actes du colloque international organisé par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres et la Société d'Étude du Maghreb préhistorique, antique et médiéval (SEMPAM) le 11 avril 2014, Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Paris, 2016. 51-71.
120. Muzzolini (A.), Agabi (C.), Bernus (E.), Bœuf (Préhistoire), Encyclopédie berbère, T 10, 1991 , pp 1547-1557.
121. Muzzolini (A.), Le groupe europoïde d'Iheren-Tahilahi, étage « bovidien final» des peintures du Tassili. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°32, 1981, pp 121-138.
122. ——————, Les débuts de la domestication au Sahara et les gravures rupestres les plus anciennes école bubaline, Bulletin de la Société Préhistorique Ariège-Pyrénées , T46, 1991, pp 211-233.
123. ——————, les premières moutons saharien d'après les figurations rupestres, Archéozoologie, vol I(2),1987. Pp 129-148.
124. Ouchaou (B.), Ballouche (A.), Aux origines de l'agriculture et de l'élevage en Afrique du Nord méditerranéenne. Exemple du Maroc septentrional, Qt1 - Première Rencontre pour l'Etude du Quaternaire Tunisien Tunis, 12-14 avril, 2012, pp 1-3.
125. Ouchaou (B.), Hossini (S.), Los restos óseos de Caf taht el Ghar. Imagen de la zoocenosis de la región de Tetuán del Epipaleolítico a la Protohistoria", in: Las ocupaciones humanas de la cueva de Caf taht el Ghar (Tetuán),

Collection des Monographies du Musée Archéologique de Tétouan, I, 2008, 37-47.

126. Ouchaou (B.), Néolithisation au Maroc: comportements de subsistance et domestication animale, Encyclopédie berbère, XXXIV, Louvain, Peeters Publishers, Paris, 2012 , pp 5512-5520.
127. ——————, Porc (au Maroc depuis le Néolithique), Encyclopédie berbère, 38 ,2015, pp 6354- 6355.
128. Ouchaou (B.), Bougariane (B.), Les extinctions totales et régionales des grands mammifères durant le Quaternaire terminal au Maroc, Travaux de l'Institut Scientifique, Série Générale, N° 8, 2015, pp 5-20.
129. Prendergast (A.), et al., A late Pleistocene refugium in Mediterranean North Africa? Palaeoenvironmental reconstruction from stable isotope analyses of land snail shells (Haua Fteah, Libya), Quaternary Science Reviews, 139, 2016, 94-109.
130. Pavis d'Escurac Henriette doublon = d'Escurac Doisy. Pour une étude sociale de l'Apologie d'Apulée. In: Antiquités africaines, 8,1974. pp 89-101.
131. Portillo (M.), Albert (R.), Husbandry practices and livestock dung at the Numidian site of Althiburos (el Médéina, Kef Governorate, northern Tunisia): the phytolith and spherulite evidence. Journal of Archaeological Science, 38, 2011, pp 3224-3233.
132. Portillo (M.), Valenzuela (S.), Albert (R.) Domestic patterns in the Numidian site of Althiburos (northern Tunisia): The results from a combined study of animal bones, dung and plant remains. Quaternary International, 275, 2012, pp 84-96.
133. Porte (F.), Frumentum commeatusque :l'alimentation des légions romaines en campagne au I^{er} siècle avant J.-C., Revue des études anciennes, 119 (2), 2017, pp. 551-583.
134. Retaillé (D.), Le destin du pastoralisme nomade en Afrique. In: L'information géographique, volume 67, N°1, 2003, pp 88- 102.
135. ——————, L'espace nomade / Nomadic space. In: Revue de géographie de Lyon, vol 73, N°1, 1998. Varia. pp 71-82.
136. Robert (J-B.), A propos de l'évolution du climat en Afrique du Nord depuis le début de la période historique, In: RGBSG de Lyon et de la région Iyonnaise. Vol 25, N°1, 1950, pp 53-56.
137. Rodríguez-Ariza (M.), et al.,Long-term human impact and forest management in the Phoenician and Roman city of Utica (Tunisia) (900 BC−500 AD). The Holocene, 31, 2021, pp 943 - 953.

138. Rognon (P.), Late quaternary climatic reconstruction for the maghreb (North Africa), Palaeogeography, Palaeoclimatology, Palaeoecology, 58, 1987, 11-34.
139. Roubet (C.), Portrait du pasteur holocène en Algérie septentrionale d'après les représentations rupestres, International Conference What Ever Happened to the People? Humans and Anthropomorphs in the Rock Art of Northern Africa Royal Academy for Overseas Sciences Brussels, 17-19 September, 2015, pp 155-172.
140. ——————, La gravure Holocène du bélier orné en Algérie : chronomètre de l'évolution comportementale du Pastoralisme Néolithique Initial (PNI) IX-Vème millénaires cal BP, RQM8_Nador, 7 (10) (2016), pp 3778-3797.
141. Roubet (C.), Ouchaou (B.), Pastoralisme néolithique initial au Maghreb, Encyclopédie berbère, XXXII, Louvain/Paris, Peeters Publishers, 2015, pp pp. 6154-6169.
142. Roubet (C.), Ouchaou (B.), Sur la domestication animale holocène en Afrique du Nord, Regard vers le pastoralisme en Algérie et au Maroc VI-III mil.cal BC, Géosciences, environnement et patrimoine de part et d'autre du détroit de Gibraltar Actes de la sixième Rencontre des Quaternaristes Marocains, 15-17 Novembre 2011, RQM6,Tanger, 2014, pp 175-190.
143. Roubet (C.), Khanguet el-Hadjar, Encyclopédie berbère, 27, 2005, pp 4200-4201.
144. ——————, Khanguet Si Mohamed Tahar (Aurès) site néolithique. Aux origins du pastoralisme berbère, Encyclopédie berbère, 27, 2005, pp 4205 – 4228.
145. ——————, Pastoralisme et Ruralité Néolithiques dans l'Aurès, Rev. Aouras, t. 3, Actes des journées d'études sur l'Aurès antique, 2006, pp 19-38.
146. ——————, Transhumance ovin dans l'Aures depuis le Ve Millénaire B.C., Eastrato da Studi palétnologia, in honore di Selvatore M.Puglisi, 421-423.
147. Roubet (C.), Carter (P.L.), La domestication au Maghreb: etat de la question, Origin and Early Development of food Producing cultures in North-Eastern Africa, 1984, pp 437- 451.
148. Roubet (C.), Amara (I.), From art to context: Holocene roots of an Initial Neolithic Pastoralism (INP) in the Atlas Ouled Naïl, Algeria. Quaternary International, 410, 2016, 103-122.

149. Serge (L.), Fouilles françaises à Carthage, La colline de Byrsa et l'occupation punique (VIIe siècle - 146 av. J.-C.), Bilan de sept années de fouilles. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 125e année, N) 2, 1981, pp156-193.
150. Seghir Krim Mohammed, Filah Mohammed el- Mosetafa, A propos du Tarif de Zarai, Tarif local ou institution provinciale, Journal Almuqadimahdes études humaines et sociales , Volume 06, N°1, 2021, pp 283-296.
151. Silvia Valenzuela Lamas, et al., Élevage et alimentation carnée à Althiburos (région du Kef, Tunisie), dans le cadre du Maghreb du premier millénaire av. J.-C. à la période vandale, L'Homme et l'Animal au Maghreb, de la Préhistoire au Moyen Âge- de la Préhistoire au Moyen Âge Explorations d'une relation complexe- , sous la direction de Véronique Blanc-Bijon, et al., Actes du XIe Colloque international, Histoire et Archéologie de l'Afrique du Nord, 8-11 octobre 2014 , Aix-Marseille Université, 2021, pp 117-128.
152. Stefano Biagetti, Savino Di Lernia, Vers un modèle ethnographique-écologique d'une société pastorale préhistorique saharienne, Sahara, 14, 2003, pp 7-30.
153. Trécolle (G.), Camps (G.), Chacal, Encyclopédie berbère, Edisud, Aix-en-Provence, Volumes 12, 1993, pp 1857-1859 .
154. Trousset (P.), Le tarif de Zaraï : essai sur les circuits commerciaux dans la zone résaharienne, Antiquités africaines , 2002, 38-39, pp. 355-373.
155. Vernet .R, Le Sahara préhistorique entre Afrique du Nord et Sahel: état des connaissances et perspectives, Andrés. Bazzana, Hamady Bocoum,Du Nord au Sud du Sahara - 50 ans d'archéologie française en Afrique de l'Ouest et au Maghreb : bilan et perspectives, actes du colloque, Paris, 13-14 mai 2002, Sépia, Paris, 2004, 88-100.
156. Vigne (J-D.), The origins of animal domestication and husbandry: A major change in the history of humanity and the biosphere, C. R. Biologie, 334, 2011, pp. 171-181.
157. ——————, Les débuts de l'élevage des ongulés dans l'Ancien Monde : interactionsentre société et biodiversité, La révolution néolithique dans le monde, Colloque international organisé par la Cité des sciences et de l'industrie et l'Inrap, sous la direction scientifique de Jean-Paul Demoule. Auditorium de la Cité des sciences et de l'industrie, les 2, 3 et 4 octobre 2008, Paris, CNRS ,2010 , pp 145-164

158. Whittaker (C. R.) , Land and labour in North Africa, Land, City and Trade in the Roman Empire, Cambridge, 1993.
159. Wilson (A-I.), Archaeological evidence for textile production and dyeing in Roman North Africa, in Alfaro (C.), et al., Purpureae Vestes. Textiles y tintes del Mediterráneo en época romana. Publicaciones de la Universidad de Valencia, 2004, pp 155-164.
160. Zeder (M-A.), Domestication and early agriculture in the Mediterranean Basin: Origins, diffusion and impact, PNAS, vol 105, N°33, 2008, pp 11597-11604
161. Zeïneb Benzina Ben Abdallah. Catalogue des inscriptions latines païennes du Musée du Bardo, 2e supplément - Inscriptions publiques inédites de provenance inconnue. Antiquités africaines, 36, 2000.

رابعا – أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير

I– باللغة العربية:

أ– أطروحات الدكتوراه:

1. الحسن بودرقا، الثروة الحيوانية بشمال افريقيا القديم، أطروحة دكتوراه في التاريخ والأركيولوجيا، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-2002.

2. خالدية مضوي، التواصل الحضاري بمدينة قسنطينة (Cirta-constantina) في العصور القديمة (ماقبل التاريخ – نهاية الاحتلال الروماني)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران1- أحمد بن بلة، الجزائر، 2016-2017.

3. سليم سعيدي، الحيوان وأهميته الدينية في بلاد المغرب القديم من فجر التاريخ إلى الغزو الوندالي، "1200ق.م- 439م"، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة، 2018-2019.

4. سميرة هميل، العصر الحجري الحديث التلي بالساحل الغربي للجزائر، (وهران أنموذجا)، أطروحة دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2017-2018.

5. علي حديدي، الماء والإنسان في المغرب القديم، اطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة غرداية، الجزائر، 2023-2024.

6. فاضل لخضر، تبسة في العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران1- أحمد بن بلة، الجزائر، 2017-2018.

7. لخضر بن بوزيد، حضارات الرّعاة في النّيوليتي بالطاسيلي والهقار، من خلال الفن الصخري (6000 ق.م-1000 ق.م)، اطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2015-2016.

8. منير الحاج الطاهر، الثروة النباتية في شمال افريقيا القديم، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1999-2000.

9. مهى عيساوي ، المجتمع اللّوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ماقبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب القديم، جامعة قسنطينة، 2009-2010.

ب- رسائل الماجيستير:

1. عيسى إبراهيم محمد عيسى، حرفة الرعي في مصر إبّان العصرين البطلمي الروماني – في ضوء الوثائق البردية، رسالة ماجستير في التاريخ القديم (اليوناني – الروماني)، جامعة الأزهر، 2017.

2. مرزوق السيد أمان، الرّعي والرّعاة في مصر القديمة، رسالة ماجستير في الآثار المصرية، جامعة القاهرة، 2001.

II- باللغة الأجنبية:

1. Farid Kherbouche, Le Néolithique Tellien de la Grotte de Gueldaman GLD1 (Babors d'Akbou, Algérie, VIII-V millénaire BP). Archéologie et Préhistoire. Thése Doctorat , Université Toulouse le Mirail – Toulouse II, 2015.
2. Hajlaoui Anis, Elevage et pastoralisme en Afrique à l'époque romaine, Thèse de Doctorat En histoire ancienne, Université de Sousse, Sousse, 2015-2016 .
3. H. Fareh, Catastrophes naturelles, famines et épidémies en Afrique du Nord antique (146 av. J.C./698 ap. J.-C.). Thèse de Doctorat inédite sous la direction de A. Mrabet. Université de Sousse (FLScH), 2017.
4. Sofiène Ben Moussa, La Néolithisation de la Tunisie :Approche typo-technologique comparée de quatre séries néolithiques tunisiennes, Thèse de

Dotorat en Prehistoire, Archéologie, histoire et civilisations de l'antiquitÉ et du Moyen Age, Volume I, Université de provence, aix-marseille I , 2008.
5. Yasmina Chaïd-Saoudi, Les mammifères holocènes des gisements préhistoriques de Gueldaman-Akbou (Bédjaia), Columnata (Tiaret) et Ti-n Hanakaten (Djanet) en Algérie, Thèse de doctorat en Sciences. Paléontologie, Lyon 1, 1987.
6. Zeghal Yazidi (S.), le bestiaire dans l'imaginaire des puniques, Thèse de Doctorat, volume 2, université de Tunis, 2005 -2006.

خامسا – القواميس والمعاجم:

I– باللغة العربية:

1. أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ج2، 1979.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
3. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، ج2، 1971.
4. الفراهيدي الخليل بن احمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ج1، دار ومكتبة الهلال، (بلا .م)، (بلا .ت)، العين.
5. جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج1، نظارة المعارف العمومية، بيروت، 1901.

II– باللغة الأجنبية:

1. Larousse, Pierre. Grand Dictionnaire universel du XIXe siècle, français, historique, géographique, mythologique, bibliographique, littéraire, artistique, scientifique, etc., tome 6, D. 1870.
2. Larousse, Pierre. Grand Dictionnaire universel du XIXe siècle, français, historique, géographique, mythologique, bibliographique, littéraire, artistique, scientifique, etc., tome 7 , E. 1870.

3. Larousse, Pierre. Grand Dictionnaire universel du XIXe siècle, français, historique, géographique, mythologique, bibliographique, littéraire, artistique, scientifique, etc., tome 12, P. 1874.

سادسا– التقارير الدولية:

1. FAO, Organisation des Nations Unies pour l'Alimentation et l'Agriculture, L’état des ressources zoogénétiques pour l’alimentation et l’agriculture dans le monde, édité par Barbara Rischkowsky et DafyddPilling. Rome, 2008.

2. - FAO, Organisation des Nations Unies pour l'Alimentation et l'Agriculture, Thésaurus multilingue du foncier, 2ème édition, revue et augmentée, Rome, 2005.

فهرس الخرائط

فهرس الخرائط

الحريطة	العنوان	الصفحة
01	انتشار الحيوانات المستأنسة وتربيتها في الشّرق الأدنى	45
02	أقدم مناطق تربية الحيوانات في شمال افريقا	48
03	السّلاسل الجبلية في بلاد المغرب القديم	57
04	موقع مدينة سيقا	67
05	توزيع كمّية تساقط الأمطار في بلاد المغرب القديم	86
06	بعض المواقع الأثرية التي وجدت بها بقايا عظمية لحيوانات مدجّنة في بلاد المغرب القديم	169
07	مناطق الرّعي التقليدية (الطّبيعية) ومسارات التّرحل صيفا وشتاء	162
08	مسارات الحركة الدّيمغرافية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرّومانية واستغلال مناطق الرّعي	191
09	تموضع قبيلة الموزولامي الكبرى التي ساهمت في ثورة تاكفاريناس	194
10	توزيع الأماكن المخصّصة لتربية خيول السّباق	256

فهرس الأشكال

فهرس الأشكال

الشكل	العنوان	الصفحة
01	مخطّط مبسّط للنّظام الرّعوي	27
02	رسم تخطيطي يبين المراحل المختلفة لظهور تربية الحيوانات في الشّرق الأدنى القديم	38
03	مشهد لكلب سلوقي في حالة مطاردة لأرنب	100
04	فسيفساء اللّورد يوليوس تبرز مشهدا يحوي كلبًا لحماية قطعان الماشية	100
05	تمثيل الكلب على فسيفساء الشّابة	101
06	أنواع الأغنام على لوحات الفن الصّخري	107
07	مشهد رعوي لقطيع من الأغنام والماعز من فسيفساء أودنة	109
08	رسوم صخرية لأنواع مختلفة من الأبقار	114
09	مشهد رعوي من فسيفساء أودنة يبين ثورين ذو قرون قصيرة موجودة بمتحف باردو بتونس	117
10	نصب مخصّص لساتورن بتبسة تظهر به بقرة ذات قرون صغيرة	118
11	نصب تذكاري يمثّل الثّور في السّجل الثالث (القرن IIIم)	119
12	مشهد رعوي يمثل مجموعة من الحيوانات من بينها الأبقار ذات القرون القصيرة	120
13	لوحة فسيفسائية (حريسة سوروثوس) توضح خيول السباق وخيول بالمرعى سوسة بتونس	126
14	رسم صخري يمثل مشهد للجِمال في موقع إن إتينن بالتاسيلي ناجر	130
15	مشهد لجمل ذي السّنام ضمن لوحة فسيفسائية بالجمّ	131
16	نقش صخري لخنازير عثر عليه في زنينا بالجزائر	134
17	ميدالية تحمل نقوش بونيقية تظهر خنزير على إحدى وجهيها عثر عليها في مدينة ماكومادا	135

18	رسم صخري لمشهد خلال الفترة البوفيدية يصوّر قطيع من الأبقار والثيران	141
19	رسوم صخرية تبيّن رعاة وماشية مدجّنة في التّل القسنطيني	142
20	مخطّط يبين نمط الحياة الرّعوية لسكان العصر الحجري الحديث في مغارة كابيليتي	146
21	نساء تمطي بقر في مشهد ترحال (إيهرن)	149
23	رسومات صخرية تبين وحدات رعوية	164
24	رسم صخري يبين راعي وأغنام في خنقة الحجر	165
25	رعاة وحيوانات مدجنة في التل القسنطيني	166
27	مشاهد رعوية وزراعية وقنصية مختلفة ممثلة على فسيفساء أودنة (تونس)	176
28	لوحة فسيفسائية في طبرقة تصور مشاهد للحياة الرّيفية	177
29	مشهد لذبيحة على من خلال فسيفساء موريطانيا القيصرية	178
30	نصب مخصَّص لساتورن بتيمقاد وتمثيل الجرادة على كتف الإله الأيسر	199
31	صورة تفصيلية لجرادة التي تظهر على فسيفساء الجمّ تعود إلى القرن الثّالث ميلادي	200
32	مشهد الحلب بموقع إيدو في التّاسيلي-ناجر بالجزائر	213
33	مشهد يظهر صور لعملية الحلب في منطقة مسّاك (فزّان بليبيا)	214
34	مشهد لحلب الماعز على فسيفساء أودنة	216
35	مشهد لراعية تغزل الصوف تظهر على فسيفساء طبرقة	225
36	مخطّط ورشة عمل لصناعة النّسيج في شمال شرق مدينة تيمقاد	227
37	نقش على ضريح غيرزا بليبيا يصوّر عمل زراعي باستخدام البغل	230
38	مشهد يظهر فيه عربتين باستخدام الثّور	231
39	مشهد الحرث باستخدام الأبقار موجود بمتحف شرشال	232
40	نقش لخيل بربري نحت على قوس لإمبراطور سيبتيميوس سيفير	235
41	مشهد يوضّح الخيل البربري على فسيفساء قرطاج تعود للقرن الرّابع الميلادي	235

42	نقش غيرزا يمثّل استخدام الجمل في العمل الزّراعي	237
43	مشاهد ضخمة بالتّاسيلي تمثّل الحيوان المهيّأ للأضحية	248
44	نصب ممثّل عليه صورة لثور رمز القوة والخصوبة	249
45	نصب ساتورن يمثّل مشهد تضحية	251
46	نصب يمثل مشهد تقديم أضحية مع مشاهد من الحياة الريفية	252
47	مشهد لقنّاصين على فسيفساء قرطاج تظهر عملية مطاردة لحيوانات مفترسة	254
48	نقش صخري يصوّر عربة قتالية تجرّها أربعة أحصنة في منطقة وادي جرات بالتّاسيلي	258
49	نصب أبيزار يمثّل حصانا مع فارسه النّوميدي	263
50	الفارس النّوميدي في كانوزيوم	264
51	قطعة نقدية للملك سيفاكس	265
52	قطعة نقدية للملك ماسينيسا	265
53	رسومات صخرية تبين جمل ومحارب في أهارار بالتّاسيلي- ناجر	266

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام:

أ

آدم (عليه السّلام) 29، 30

أرسطو 134

أغاثوكليس 81

أفيدوس 228

أليبيوس 207

أوغسطين 207

ب

بلين الأكبر 28، 58، 59، 63، 80، 83، 93، 101 ، 102، 221، 250

بوخوس 65، 79

بومبينيوس ميلا 58، 63، 79 ، 218، 251

بوليب 79، 110، 121، 149، 181

بودنتيلا 184

ت

تراجان 183، 185، 260

تاكفاريناس 192، 193

ترتليانوس 75

تيت_ليف 80، 136، 181، 261، 262

ث

ثيودوسيوس الثاني 206

ج

جوفينال 136

ح

حملقار 82

حنبعل 261، 262، 267

د

ديودور الصقيلي 28، 58، 81، 82، 93، 110، 181، 223

ديون كاسيوس 59

ر

رمسيس الثالث 233، 258

روغولوس 81، 82

س

ساليست 28، 65، 74، 79، 80، 81، 93، 149، 174، 181، 217، 219، 220، 262، 266

سبتيموس سيفيروس 190، 234- سترابون 53، 58، 59، 68، 75، 79، 80، 127، 149، 219، 221، 223، 233، 259، 260

سيفاكس 80، 87، 124، 264

سوروثوس 125، 255

ف

فارون 40، 102، 121، 128، 219، 220، 250

فيرجيل 82، 121، 126، 135، 181، 182، 217، 228، 250

فيرمينا 124، 264

ق

قسطنطين 206

ك

كوريبيوس 267

كولوميل 102، 121، 138، 203، 215، 218، 219، 221، 228، 229، 230، 231، 232

كلاوديوس 197

م

ماسينيسا 80، 124، 127، 240، 254، 261، 265

مانكيانا 188

مسيبسا 124

ماغون 121، 122، 172، 173، 218

مصطنبعل 254

ميتيلوس 81، 265

هـ

هادريانوس 75، 188، 190، 197

هوميروس 108، 217، 220

هيرودوت 28، 52، 58، 79، 81، 82، 83، 87، 112، 121، 126، 135، 136، 147، 149، 180، 181، 217، 221، 223، 233، 258

ي

يوغرطة 74، 79، 80، 124، 174، 265

يوليوس 108، 131، 176، 276

يوبا الأول 131، 266، 267

فهرس الأماكن

والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان

أ

أبوللونيا 92

أبيلا (جبل) 63

أبيزار 272

الجمّ 253

أدرار إفوغاس 56

الأطلس الكبير 55، 57، 73

الأطلس الصّغير 57، 87

الأطلس المتوسّط 55، 57

الأطلس الصّحراوي 55، 56، 57، 65، 66، 106، 157، 222، 223، 224، 247، 257

افريقيا 78، 102، 106، 149، 189، 197

افري أرماس 168

افري أودادان 168

افري وازبور 168

الأردن 39

أرهار 222

آسيا 40، 112، 124، 137

أسانا 90

أمباسغا 28

أمكني 39

أمريكا 40

الأناضول 39، 49

أناتيس 87

أنالومان 158

الأهقار 36، 56، 112، 157، 158، 214، 231، 257

أوتيكا 67، 204

أودنة 108، 111، 117، 175، 215، 253

الأوراس 55، 98، 145، 147، 160، 161، 224

الثيبيروس 139، 174

أوجيلة 147

أولاد نايل (جبال) 60، 142، 160، 163

أولاد جلال 142

أوروبا 30 49، 132

أوزيناري 158

إمدير 214

إيران 37، 112

ايدين دي مرزوق 47

إيطاليا 216، 240، 262

ايهرن 148، 243

إيهيرنت أهيلا 111

ب

باتنة 195، 234

باكستان 40

بجاية 65، 167

البحر الأبيض المتوسط 24 ،41، 46، 47، 53، 59، 61، 65، 74، 91، 92، 98، 167،
248، 257
البلقان 40
البوار 188
البقواط 188
البيبان 54 ، 167
بيلوس (جبل) 80، 218
برج منايل 264
برقة 63، 81 ، 92، 103، 104
بناصا 68
بيرسا 102
بنزرت 91
بوعلام 249، 254

ت

تالة 74
تبسة 110، 125، 127، 137، 156
تاغيت حدوش 168
التاسيلي-ناجر 110، 112، 141، 143، 157، 158، 213، 214، 248، 257، 258، 260
تازة 168
تبستي 248
تادرارت أكاكوس 47، 56، 141، 159
تهيهاوت 214 - 168
تريتون (بحيرة) 28، 149، 180، 220

تركيا 37، 105
تسالا 54
تكابي 68
تمنراست 39
توبقال (جبل) 54
تونس 55، 61، 62، 65، 85، 90، 91، 99، 111، 118، 131، 132، 136، 139،
167، 175، 183، 207 ، 225، 238، 240، 253
تاهات 78
تيارت 122
تيبازة 241
تيبيليس 179
تيغزيرت 201، 272
تيكادودوماتين 158
تيمقاد 68، 226
تين هنكاتن 47، 110
تين تزاريفت 158
وتي-ن-تورها 159
تل العمارنة 43

ث

ثوبوربومايوس 226

ج

الجبل الأخضر 92، 103، 104
جبّارين 140، 158، 243

جرمو 37
الجزائر 53، 54، 55، 56 ، 59، 60، 61، 62، 65، 77، 85، 88، 91، 104، 122، 129، 132، 145، 147، 157، 160، 172، 219، 224
الجفارة 62، 85

ح

حاسي ونزغا 168
الحصباية 106
الحضنة 60، 61، 66، 90

خ

خمير (جبال) 55
خنقة الحجر 142، 164، 246
خنقة سي محمد الطاهر 98، 160، 161، 170، 227
خنقة الهلال 113

د

داموس الأحمر 102، 147، 160، 203
الّدهرة المغربية 60
ديريس (جبل) 80
دوقة 236

ر

رأس بون 59
رأس الطيب 88، 98
رأس الكاربون
رأس كيفالس 229

رأس مسراتة 67

رأس الهلال 99

الرباط 66 ، 216

رشقون 73

ريكام (جبل) 60

روما 196، 197، 198، 199، 205 ، 254

الرّيف(جبال) 59، 133

ز

زليتن 175، 215

زاما 262

زراي 119، 134، 228

زاغروس 40، 112

زاوي شيمي شانيدار 37

الزفرين 168

الزيبان 60

س

سالا 80

سقارة 43

سوسة 117

سوريا 38، 129

السودان 47 –

سليانة 118

سيالك الأولى 37

سيفار 148، 213، 243

سيقا 67

سيقوس 224

ش

الشّرق الأدنى 37، 41، 42، 97، 128، 212

الشعابني 55

شهيناب 47

شرشال 178

ص

صالداي 65

الصحراء 54، 56، 60، 61، 62، 63، 64، 68، 72، 73، 77، 78، 79، 82، 90، 92، 113، 140، 143، 144، 148، 149، 151، 156، 157، 190، 193، 242، 250

الصّخرة الكبيرة 137

الصّين 40

ط

طبرقة 177، 225

طرابلس 240

ع

العالية 111

العراق 37

عمور (جبال) 160، 247

عين أبي السباع 68

عين البيضاء 65

عين الترك 128

عين درين 68

عين الصفراء 66

عين الناقة 106، 247

عين بوبيناية 68

العوينات (جبل) 214

غ

غيرزا 236

غار لكحل 168

ف

فجّة الخيل 247

فرنسا 215

فزان 56، 231، 248

فلسطين 37، 38

الفيوم 37 – فوت 80

ق

قابس 62، 89، 91

قالمة 91، 179

قرطاج 53، 63، 81، 108، 154، 185، 186، 236، 247

قفصة 91

القصور (جبال) 160، 247

القصرين 55

قسنطينة 89، 106، 232، 238، 255

قولدمان 116، 167

ك

كابيليتي 98، 103، 111، 145، 160، 161، 224

كاتاباثموس 79

كازونيوم 263

كاف تحت الغار 103، 104، 133، 168

كاف تاسنجا 173

كاف قنفوذة 175

كاف العقاب 111، 167

كاناي 263

كنيبس 74 ، 79

كويرات بنت سلول 124

كلومناطة 122 –كيرتا 185

ل

ليبيا 47، 53، 56، 61، 62، 91، 112، 135، 157، 158، 167، 175، 182، 196، 214، 215، 218، 231، 233، 236

ليكسوس 67

لمبايزيس 68 ،179، 180، 187، 190

ليبكيس ماغنا 234

م

ماكودا 134

مارماريكا (هضبة) 92

مكثر 240

متليلي (جبل) 65
مراكش 60
مرمدة بني سلامة 42، 47
مساك 231
مصر 28، 37، 38، 42، 53، 78، 80، 105، 106، 122، 129، 149، 180، 220، 258
معسكر 61
المعاضيد 60
المغرب الأقصى 53، 54، 59، 60، 61، 65، 85، 87، 102، 104، 132، 133، 160، 167، 168، 201، 206، 233
المغرب القديم 22، 29، 31، 39، 40، 44، 46، 47، 51، 54، 59، 60، 61، 65، 66، 68، 70، 71، 72، 73، 75، 76، 77، 78، 79، 83، 84، 85، 89، 91، 92، 93، 94، 96، 97، 98، 99، 101، 102، 105، 106، 107، 108، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 120، 121، 122، 123، 124، 128، 131، 132، 133، 135، 136، 137، 138، 140، 143، 148، 149، 150، 151، 153، 154، 155، 156، 166، 167، 170، 173، 174، 175، 180، 183، 185، 187، 188، 193، 196، 197، 202، 204، 205، 206، 207، 210، 211، 212، 219، 220، 224، 225، 233، 234، 236، 237، 240، 241، 246، 247، 251، 267، 255، 267
مكثر 251، 260
منخور 113، 257
المهدية 111
ملوية 61، 65، 253

موجودس 167
موريطانيا 93، 233
موروزيا 74، 79
موغادور 61

ن

نبتة بلايا 105
نبع أبولو 74
الناظور 168
النّيل 42، 53، 64، 79، 244
نوميديا 81، 93، 127، 173، 179، 197، 201، 240، 261
النطوف 37

هـ

هرقل (أعمدة) 52، 53، 74، 80، 82
هنشير بني جيدال 236
هنشير السريرة 109، 251
هنشير متيش 183، 207، 239
هنشير بغار 238، 239
هوا افتيح 92، 98، 103، 166 ، 173
هيبو- ريجيوس 240

و

وادي بريكة 66
وادي تامدا 66
وادي التافنة 67

وادي جرات 214 ،258

وادي درعة 66

وادي درنة 92

وادي زيز 66

وادي السند 40

وادي سبو 68

وادي سيبوس 66

وادي الشلف 65

وادي القصب 66

وادي القنطرة 66

الونشريس 54

وادي العثمينية 255

وادي المثول 81

وادي مجردة 55، 65، 67، 90، 91، 200

وادي مزي 66

وادي مسكيانة 66

وادي الصومام 65، 70

وادي ملوية 60، 66، 70، 79

وادي ميلا 73

وادي نون 66

وادي ورك 66

وان إميل 158

وان تيلوكات 112، 159

وان درباون 252
وان موهجاج 158، 159
وهران 62، 88، 123، 128، 223
اليونان 254.

فهرس القبائل

والشعوب

فهرس القبائل والشعوب

أ

الأثيوبيون 258

الإغريق 83، 126، 172، 223

ب

البونيقيون 220

البقواط 181

البوار 181

ت

التّحنو 170

ج

الجيتوليون 28، 93، 147، 149، 180، 181، 260

الجرامنتيون 120، 180، 233، 258

ر

الرّومان 74، 83، 137، 150، 172، 186، 192، 195، 261، 262، 267

ف

الفينيقيون 64، 137، 170، 174، 219

ق

القرطاجيون 64، 73، 121، 124، 127، 172، 174، 247، 260، 261، 262، 267

ل

اللّيبيون 28، 82، 93، 135، 149، 170، 171، 180، 220، 223، 224، 244، 249، 258، 259

اللّوتوفاج 218

م

الماسيليون 80، 260

الماسيسيلون 59، 244

المشواش 258

المصريون 43، 44، 135، 223

الموريون 64، ، 93، 126، 180، 186، 260

الموزولاميين 181، 192، 193

ن

النّاسامونيون 63، 82، 127، 181، 217

النوميديون 28، 73، 93، 124، 126، 127، 174، 179، 180، 181، 217، 232، 236، 244، 260، 261، 262

هـ

الهكسوس 122

فهرس الحيوانات

فهرس الحيوانات

أ

ابن آوى 98

البط 40، 136

الأرنب 136، 137، 138، 253

الأسد 223، 240، 253

الإوز 136

ب

البقر 24، ، 42، ، 72، 78، 92، 97، 110 ،111 ، 112، 113، 114، 116، 118، 119، 120، 121، 139، 140، 141، 142، 155، 157، 158، 159، 163، 164، 165، 166، 168، 170، 173، 213، 214، 220، 229، 230، 231، 243، 244، 251

البغل 229، 257

ث

الثور 20، 31، 40، 41، 42، 43، 63، 81، 114، 115، 116، 118، 120، 121، 140، 141، 158، 175، 232، 233، 246، 248، 249، 252

ج

الجمل 97، 128، 129، 130، 131، 132، 138، 140، 157، 236، 245

الجراد 197 ، 198، 200، 202، 217، 257، 266، 267

ح

الحصان 24، 35، 81، 92، 97، ،122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 138، 140، 157، 171، 174، 175، 176، 177، 184، 229، 233، 234، 236، 246، 252، 253، 254، 255، 257، 258، 259، 261، 262، 267

الحمار 24، 97، 170، 175، 229، 257

خ

الخنزير 24، 38، 40، 132، 133، 134، 135، 175، 190

د

الدّببة 240

الدّجاجة 40، 136، 175، 177، 221،

الدّيك 40، 136

ذ

الذّئب 39

ط

الطّيور 136، 211

ع

العجل 42، 121

غ

الغزال 44، 63

الغنم 24، 26، 40، 78، 81، 82، 92، 97، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 133، 138، 139، 141، 142، 147، 157، 158، 160، 161، 164، 166، 168، 171، 175، 176، 177، 181، 182، 184، 190، 198، 203، 215، 217، 218، 224، 229، 243، 267

ف

الفيل 240

الفهد 253

ز

الزّرافة 79

ك

الكلب 97، 98، 99، 101، 102، 127، 140، 142، 164، 168، 229، 246، 250، 253.

م

الماعز 24، 40، 78، 91، 93، 97، 104، 110، 111، 112، 138، 139، 141، 142، 147، 157، 160، 161، 163، 168، 171، 175، 180، 181، 182، 184، 190، 198، 215، 217، 222، 223، 229، 246، 251

ن

النّحل 136، 137، 138

النّعام 211

النّمر 253

فهرس النّباتات

فهرس النّباتات

ب

البلّوط 78، 85

ح

الحلفاء 85، 88

ج

الجوز 78

د

الدّردار 78

ز

الزّيتون 78، 81، 85، 147، 177، 187، 204، 205

الزّيزفون 78

س

السّنديان 98

السّيليفيوم 53، 83

السّرو 225

ش

الشّيح 85، 89، 90

ص

الصّنوبر 85

ع

العرعار 87

ل

اللوتس 83

م

المغث 78

المصطكا 78

و

الوزال 78

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

قائمة المختصرات.....3

مقدمة 5

الفصل الأول: الرّعي في الجوار الجغرافي لبلاد المغرب القديم

أولا – مفردات العملية الرعوية 22

I – التّدجين (domestication) 22

II – الرّعي (Pâturage) 24

III– تربية الحيوانات (l'élevage) 26

IV– النّظام الرعوي (système pastoralisme) 27

V– البدو (Nomades) 28

ثانيا– الرّعي في المجتمعات المجاورة لبلاد المغرب القديم 29

I **– تدجين الحيوانات (الأسباب والنّتائج)** 30

1– الأسباب المحتملة لتدجين الحيوانات 30

أ– المناخ 30

ب– الإستغلال الاقتصادي 31

ج– الدّافع الدّيني 32

2– خصائص الحيوانات المدجّنة 33

أ– التّغيرات السّلوكية 33

ب– التّغيرات البيولوجية عند الحيوانات 34

ج– أهمّية الحيوانات المدجنة 35

II– **تعدّد مراكز تدجين الحيوانات** 36

III **– الرّعي في الشّرق الأدنى القديم (مصر أنموذجا)** 42

IV– **الرّعي في منطقة البحر الأبيض المتوسط** 46

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: الرّعي وخصائص البيئة الطّبيعية للمغرب القديم

أولا– التّضاريس 52

I- الجبال 54

II- الهضاب.....59

III- السّهول 61

IV - الصّحراء 62

V - المجاري المائية 64

ثانيا- المنـــاخ 69

I- المناخ خلال فترة ما قبل التـاريخ 71

II- المناخ خلال الفترة التّاريخية 73

ثالثا- التّربة والغطاء النّباتي 77

I- التّربة والغطاء النّباتي من خلال المصادر الأدبية 78

II- تأثير كمّيات التّساقط على المراعي 84

الفصل الثالث : الرّعي : أصوله وأنواعه

أولا – أصناف الحيوانات المدجّنة في بلاد المغرب القديم (تحدّيات التّوثيق والتّأكيد).....97

I– الكلب 98

1- الكلب من خلال المواقع الأثرية 98

2- الكلب من خلال الرّسوم الصّخرية 99

3- الكلب من خلال الفسيفساء 99

4- الكلب من خلال النّصوص الأدبية 101

فهرس الموضوعات

II– الأغنام .....,103

1- الأغنام من خلال المواقع الأثرية 103

2- الأغنام من خلال الرّسوم الصّخرية 106

3- الأغنام من خلال الفنّ البوني 108

4- الأغنام من خلال الفسيفساء 108

5- الأغنام من خلال النّصب 109

6- الأغنام من خلال المصادر الأدبية 110

III– الماعز 110

IV – الأبقــار 112

1- الأبقار من خلال المواقع الأثرية 112

2-الأبقار ن خلال الرّسوم الصّخرية 114

3- الأبقار من خلال الفسيفساء 117

4- الأبقار من خلال النّصب والنّقائش 118

5- الأبقار من خلال المصادر الأدبية 120

V – الخيليات 122

1- الحصان من خلال المواقع الأثرية 122

2- الحصان من خلال الرّسوم الصّخرية 124

3- الحصان من خلال العملة 124

4- الحصان من خلال الفسيفساء 125

5- الحصان من خلال المصادر الأدبية 126

فهرس الموضوعات

VI–الجمل 128
1- الجمل من خلال المواقع الأثرية 128
2- الجمل من خلال الرّسوم الصّخرية 129
3- الجمل من خلال الفسيفساء 131
4- الجمل من خلال النصوص الأدبية 131
VII –الخنزير 132
1- الخنزير من خلال المواقع الأثرية 132
2- الخنزير من خلال الرّسوم الصّخرية 133
3- الخنزير من خلال العملة 134
4- الخنزير من خلال المصادر الأدبية 135
VIII– حيوانات أخرى 136
ثانيا – تكوين القطعان ومستويات رعيها 138
I- **طبيعة تكوين القطعان في بلاد المغرب القديم** 138
1- حجم القطيع من خلال البقايا الحيوانية 139
2- حجم القطيع من خلال الرّسوم الصّخرية 140
II – أنواع النّشاط الرعوي 143
1-الرّعي المستقر 143
2- أنصاف الرّحل 144
3- البدو الرّحل 148

فهرس الموضوعات

الفصل الرابع: الرّعي : تطوره وتنظيمه

أولا – تطور الرّعي في بلاد المغرب القديم 153

I–الرّعي في العصر الحجري الحديث 155

1- الرّعي في الصحراء 156

2- الرّعي في الأطلس الصحراوي 160

3- الرّعي في التّل والسّاحل 164

II– الرّعي خلال فجر التّاريخ 170

III– الرّعي خلال الفترة التاريخية 172

1- الفترة القرطاجية.....172

2- فترة الممالك المحلية.....173

3- الفترة الرومانية 174

أ- الرّعي من خلال الفسيفساء 175

ب– الرّعي من خلال النّقائش:.....179

ج- الرّعي من خلال المصادر الأدبية.....180

ثانيا– مجالات الرّعي في بلاد المغرب القديم 183

I - أراضي الأباطرة 183

II- أراضي ذات ملكية فردية 184

III- أراضي القبائل 184

V– أراضي المعمّرين.....185

VI- أراضي غير صالحة للزّراعة 186

VII- أراضي الجيش 186

فهرس الموضوعات

ثالثا- تنظيم الرعي والتشريعات المرتبطة به 187

I– تأثير الرّومان على النّشاط الرّعوي 187

1- الإجراءات القانونية 188

أ- طرق التّرحال الرّعوي (**calles publicae**).....189

ب- الضّرائب على الماشية (**scriptura**).....189

ج- دور الجباة العموميين .(**Publicains**).....189

2- اللّيمس والسّيطرة العسكرية 190

3- رد فعل البدو الرّحل على السّياسة الرّومانية 192

II– العلاقة بين مربّي الماشية والمزارعين 195

III– تحدّيات الرّعي ومشاكل تربية الحيوانات 196

1- الأخطار الطبيعة 196

أ– الكوارث الطبيعية 196

- الجفاف 196
- الجراد 197
- الفيضانات 201
- الثّلج/الصّقيع/ البَرَد 201

ب- الأوبئة والامراض الحيوانية 202

ج- الحيوانات المفترسة 203

2– الصعوبات البشرية التي واجهت تربية الحيوانات.....204

أ- التّوسع الزّراعي وسياسة الزّيتنة 204

ب-الضرائب 205

ج- سرقة الماشية 206

فهرس الموضوعات

الفصل الخامس: الرّعي والممارسات المرتبطة به

أولا- الرّعي وفوائده الاقتصادية 210

I- **منتجات الثّروة الحيوانية** 211

1- الغذاء 211

أ- الحليب ومشتقاته 212

- الحليب كغذاء من خلال الرّسوم الصّخرية.....212
- الحليب كغذاء من خلال الفسيفساء.....215
- الحليب كغذاء من خلال المصادر المادّية المنقولة.....216
- الحليب كغذاء من خلال المصادر الأدبية.....217

ب- اللّحوم 219

2- صناعة اللباس 222

أ- الجلود 222

ب- الصّوف 224

II-استغلال الحيوانات في النّقل والعمل الزّراعي 229

1- الحمار والبغل 229

2- الأبقار 230

3- الخيول 233

4- الجمل 236

III- تجارة الحيوانات المستأنسة ومنتجاتها 238

1- التّجارة الداخلية 238

2- التّجارة الخارجية.....240

فهرس الموضوعات

ثانيا – الرّعي والممارسات الإجتماعية والدّينية.....242

I- المجال الإجتماعي 242

II- الرّعي والمعتقدات الدّينية 246

1- التّصور الدّنيوي للحيوانات ورمزيتها 264

أ- الكبش 247

ب- الثّور 248

ج- الكلب 250

2- القرابين الحيوانية 251

ثالثا– استخدامات أخرى 253

I– الحيوانات المستأنسة والأنشطة الترفيهية 253

1- استخدام الخيل في الصّيد 253

2**–** استخدام الخيل في الألعاب الرّياضية 254

II– استخدام الحيوانات المستأنسة في المجال العسكري 257

1- الحصان 275

2- الجمل 266

3- قطعان الماشية 267

خاتمة 270

فهرس المصادر والمراجع 277

فهرس الخرائط.....305

فهرس الأشكال.....308

فهرس الأعلام.....312

فهرس الأماكن والبلدان 316

فهرس الموضوعات

فهرس القبائل والشّعوب.....330

فهرس الحيوانات 333

فهرس النّباتات 337

فهرس الموضوعات 340

الملخّص:

إنّ المتتبّع للنّشاط الرّعوي في بلاد المغرب القديم منذ ما قبل التاريخ وحتىّ نهاية الفترة الرّومانية، يُدرك أنّه لم يكن مجرّد نشاط اقتصادي محصور في تربية الحيوانات، بل شكّل أحد أسس بناء المنظومة الاجتماعية والاقتصادية ومثّل مظهرا من مظاهر التّفاعل بين الإنسان والمجال الطبيعي، وتنظيم العلاقة بينهما عبر أنماط معيشية متنوعة (كالبدو وشبه الرحّل والمستقرّين)، وعلى الرّغم من أنّ الزّراعة حظيت باهتمام واسعٍ لدى عدد من الباحثين ظلّ الرّعي مهمّشًا في أغلب الدّراسات الأكاديمية، رغم ما يَختزِنه من دلالات حضارية مُهمّة، ممّا أدّى إلى ضرورة تخصيص هذه الأطروحة كموضوع بحثيٍ مستقلّ يسعى لإماطة اللّثام عن هذا النّشاط الحيوي.

تهدف هذه الدّراسة إلى كشف الأبعاد المتعدّدة للرّعي في بلاد المغرب القديم، وذلك من خلال منهجية شاملة تعتمد على مقاربة متعدّدة المصادر تستند إلى المعطيات الأثرية بمختلف أنواعها من بقايا عظمية لحيوانات وُجدت في عدد من المواقع الأثرية إلى شواهد الفن الصّخري الذي وثّق هذا النّشاط وممارساته، وجسّد صوره ضمن الحياة اليومية للإنسان القديم، وكذلك النُّصب والنّقوش واللّوحات الفسيفسائية المختلفة إضافة إلى ما ورد – وإن كان نادرًا– في النّصوص الأدبية القديمة، للكشف عن أهمّية الرّعي باعتباره مدخلا مُهمًّا لفهم أسئلة التّكوين، والتّطور، والصّمود الحضاري.

الكلمات المفتاحية: النّشاط الرعوي؛ البدو؛ أنصاف الرّحل؛ الفنّ الصّخري؛ كولوميل؛ الرّعاة؛ تربية الحيوانات.

Abstract:

Anyone who follows pastoral activity in the ancient Maghreb from prehistory until the end of the Roman period realizes that it was not merely an economic activity restricted in animal husbandry, but rather constituted one of the foundations of building the social and economic system and represented an aspect of the interaction between humans and the natural environment , regulating the relationship between them through diverse lifestyles such as nomads, semi-nomadic people, and sedentary people. Although agriculture has received widespread attention from a number of researchers, pastoralism has remained marginalized in most academic studies, despite the important civilizational connotations it contains. This has led to the necessity of dedicating this thesis as an independent research topic that seeks to uncover this vital activity

This study aims to reveal the multiple dimensions of pastoralism in the ancient Maghreb through a comprehensive methodology based on a multi-source approach that draws on various types of archaeological data, from animal skeletal remains found in a number of archaeological sites to rock art evidence that documented this activity and its practices, embodying its images within the daily life of ancient man, as well as monuments, inscriptions, and various mosaic paintings, in addition to what was mentioned - even it is rarely - in ancient literary texts. This study aims to reveal the importance of pastoralism as an important entry point for understanding questions of formation, and transformation and civilizational resilience.

Keywords: pastoral activity, nomads, semi-nomadic people, rock art, Columelle, shepherds, animal husbandry.

الملخّص:

إنّ المتتبّع للنّشاط الرّعوي في بلاد المغربالقديم منذ ما قبل التاريخ وحتىّ نهاية الفترة الرّومانية، يُدرك أنّه لم يكن مجرّد نشاط اقتصادي محصور في تربية الحيوانات، بل شكّل أحد أسس بناء المنظومة الاجتماعية والاقتصادية ومثّل مظهرا من مظاهر التّفاعل بين الإنسان والمجال الطبيعي، وتنظيم العلاقة بينهما عبر أنماط معيشية متنوعة (كالبدو وشبه الرحّل والمستقرّين)، وعلى الرّغم من أنّ الزّراعة حظيت باهتمام واسع لدى عدد من الباحثين ظلّ الرّعي مهمّشًا في أغلب الدّراسات الأكاديمية، رغم ما يَختزنه من دلالات حضارية مُهمّة، ممّا أدّى إلى ضرورة تخصيص هذه الأطروحة كموضوع بحثي مستقلّ يسعى لإماطة اللّثام عن هذا النّشاط الحيوي.

تهدف هذه الدّراسة إلى كشف الأبعاد المتعدّدة للرّعي في بلاد المغرب القديم، وذلك من خلال منهجية شاملة تعتمد على مقاربة متعدّدة المصادر تستند إلى المعطيات الأثرية بمختلف أنواعها من بقايا عظمية لحيوانات وُجدت في عدد من المواقع الأثرية إلى شواهد الفن الصّخري الذي وثّق هذا النّشاط وممارساته،وجسّد صوره ضمن الحياة اليومية للإنسان القديم، وكذلك النُّصب والنّقوش واللّوحات الفسيفسائية المختلفة إضافة إلى ما ورد– وإن كان نادرًا- في النّصوص الأدبية القديمة، للكشف عن أهمّية الرّعي باعتباره مدخلا مُهمًّا لفهم أسئلة التّكوين، والتّطور، والصّمود الحضاري.

الكلمات المفتاحية: النّشاط الرعوي؛ البدو؛ أنصاف الرّحل؛ الفنّ الصّخري؛ كولوميل؛ الرّعاة؛ تربية الحيوانات؛ الفسيفساء؛ التدجين.

تاريخ المناقشة 2025/11/06

بتقدير مشرف جدا